منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الطيب القادري

الجزء الثاني

تحقيق

محمد حجي
أستاذ بكلية الآداب - بالرباط

أحمد التوفيق
أستاذ بكلية الآداب - بالرباط

نشر وتوزيع
مكتبة الطالب
207 شارع محمد الخامس
الرباط
1982 - 1402

نشر المثاني

لأهل القرن الحادي عشر والثاني

منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

نشر المثاني

لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الطيب القادري

الجزء الثاني

تحقيق

محمد حجي
أستاذ بكلية الآداب بالرباط

أحمد التوفيق
أستاذ بكلية الآداب بالرباط

نشر وتوزيع

مكتبة الطالب

207 شارع محمد الخامس

الرباط

1982 - 1402

الطبعة الأولى 1403 - 1982

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الجزء الثاني

أشرنا في تقديم الجزء الأول من نشر المثاني إلى وجود مخطوط مجهول اسم مؤلفه مشتمل على مجرد الأحداث التاريخية التي تعقب تراجم نشر المثاني بحسب تسلسل السنوات فيه ، وبعد طبع الجزء الأول المذكور قام الدكتور فورمان سيكار بنشر المخطوط تحت عنوان «حوليات نشر المثاني للقادري حسب مخطوطة فريدة بمكتبة البودليان بجامعة اكسفورد»[1] ، ويبتدئ من عام 1094هـ ويستمر إلى عام 1180هـ .

وقد رأينا – تتميما للفائدة – أن نقابل على المطبوع بدل المخطوط ، وقمنا بذلك فعلا فيما يتعلق بالسنوات السبع الأخيرة من هذا الجزء الثاني ، وسائر سنوات الجزءين الثالث والرابع . وتبين عند المقابلة أن في حوليات نشر المثاني زيادة أحيانا على ما في النشر المطبوع على الحجر بفاس والمخطوطات التي نقابل عليها ، ونقصا عما فيها أحيانا أخرى . فأثبتنا الزيادات في أماكنها وأشرنا إلى مصدرها في الهامش ، وضربنا صفحا عما بالحوليات من نقص .

المحققان

(1) نشره المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط ، عام 1978 .

العشرة السادسة من القرن الحادي عشر
السنة الأولى منها

مَحَمَّد العيَّاشي المجاهد السلوي

فمنهم المرابط الرئيس أبو عبد الله محمد العياشي [المالكي المذكور آنفا فيما تقدم ، وكان يترشح للخلافة ، وتصدَّى للجهاد في ثغور المغرب ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلم يتم له أمر. وكان أول أمره ينتسب للفقر فخالط سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا][1] توفي قتيلا ، قتله بعض الخلط ليلاً بموضع يسمَّى عين القصب ، ودفن بازاء روضة سيدي أبي الشتاء من بلاد فشتالة. وكان ولي أمر فاس كما أشرنا إليه في أحداث العام قبل هذا[2].

علي الكغَّاد

ومنهم الفقيه الناظر أبو الحسن علي بن محمد الكغاد [قال في **أزهار البستان**][3] ممن كان يلازم الشيخ أبا زيد ويسمع منه. توفي في ربيع الأول سنة احدَى وخمسين وألف.

---

(1) ما بين معقوفتين ساقط من **م** و **ك**

(2) في هامش **م** طرة جاء فيها :
ورأيت في **الرحلة العياشية** في ترجمة الشيخ محمد الفزازي ما نصه : أخبرني — أي صاحب الترجمة — أنه كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر في السنة التي مات فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن أحمد العياشي ، قال فجاءني ذات يوم وقال لي إني رأيت في النوم أختي ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما ، فقلت له : من أنت ؟ قال الاسلام قطعوا يدي بسلا . قال : فلما أخبرني قلت له : الذي يظهر لي من رؤياك أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل. وبعد ذلك في آخر العام ، قدم الحاج من المغرب وأخبرونا بموته انتهى.
ولا شك أن أثر سيدي محمد العياشي في الجهاد هو (......) في المغرب

(3) ما بين معقوفتين ساقط من **ط** و**س**

عبد المومن بن محمد

ومنهم الفقيه البركة الصالح القاضي سيدي عبد المومن بن محمد [كان فقيها صالحا ناصحا ورعا](4) ولي القضاء بالزاوية البكرية [وكان أعدل قضاة زمنه، توفي قرب زوال يوم الثلاثاء ثامن وعشرين من ذي الحجة عام إحدى وخمسين وألف](5)

ميمونة بنت عمر التَّمَكْرُوتِيَّة

ومنهم السيدة العابدة ميمونة بنت عمر القاطنة بتمجروت ودفينتها [قال فيها السيد العالم الأنوه سيدي الحسين ابن ناصر في **فهرسته** : نفيسة زمانها، وربيعة أوانها . توفيت عام احدى وخمسين وألف . وفيها يقول الشيخ الامام سيدي محمد ابن ناصر رامزاً لوفاتها **بشان** من قوله في أبيات :

مَيْمُونَةُ قَدْ قُبِضَتْ لِعَامِ شَانْ

وذلك عن نحو سبعين سنة. قال سيدي حسين : كانت صوّامة قوامة قانتة من عجائب زمانها، وربيعة أوانها، لا تلبس إلا الثياب الخشنة، مجابة الدعوة، وغالبا لباسها أكدال، لا تقعد على حصير إلا جعلت وجهه الحَسَن مما يلي الأرض وتجلس على الخشن الذي فيه الشوك، لا تُقصد في حاجة إلا قُضيت](6) قال : وفيها يقول سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ناظم **المقنع** :

يا دوحةً في رياضِ حضرةِ القُدسِ   عليكِ مني سلامٌ طيبُ النَّفَسِ
وقد خرجتِ من الدنيا مُطهَّرةً   عِرْضاً ودُنيا وأخلاقاً مِنَ الدَّنَسِ

* * * *

(4) ساقط من **ط وس**
(5) في **ط وس** بدل ما بين المعقوفتين : توفي في ثاني وعشرين من الحجة .
(6) سقط هذا النقل من **فهرس** الحسين ابن ناصر من **ط وس**

من حوادث السنة

نزول صواعق بفاس

ومن حوادث العام ما وقع بفاس أنها نزلت صاعقة في بعض أجنة باب الفتوح قصمت فرسا وغاصت في الأرض ، وأصاب بعضها رجلا فأهلكته ، في آخر جمادي الأولى .

ونزل حجر من السماء كثير مع ريح وأهوال عظيمة في السماء حتّى أسقطت أوراق الأشجار والثمار ، في ثامن عشر جمادي الثانية .

ووقعت صاعقة بدار براس الجنان .

نزول الرئيس محمد الحاج الدلائي على فاس ومبايعته بها

ونزل الرئيس أبو عبد الله سيدي محمد الحاج بن الشيخ الامام أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي بكر الدلائي بمحلته على فاس في خامس عشر شعبان ، فبايعوه بها ، وارتحل في السابع والعشرين منه[7] .

سيل عظيم بفاس

ونزل سيل عظيم هدم دوراً كثيرة وغيرها من رحيله إلى نصف رمضان .

قتل السلطان أحمد بن زيدان بمراكش

وقتل السلطان مولاي أحمد بن مولاي زيدان صاحب مراكش برصاصة في الملعب ، في رابع وعشرين من ذي القعدة ، وولي بعده الحاج علي القميحي ، وتوفي سنة أربع وخمسين بعد أن عزل قبل موته بقليل . من تقييد لصاحب **المطمح** بخطه[8] .

(7) في هامش **س** : في نسخة : ربيع الأول ، وبويع في مهل ربيع الثاني .

(8) أثبتنا نص المخطوطتين **م** و**ك** لأنه أوفى ، ولم نر فائدة في التنبيه على ما سقط من **ط** و**س** .

العام الثاني من العشرة السادسة

محمد العربي بن يوسف الفاسي

فمنهم الشيخ الامام ، شيخ الاسلام ، وقدوة الأنام ، الأوحد الهمام ، بقية السلف ، وبركة الخلف ، أعجوبة الزمان حفظا وفهما ، ونادرة العصر تحقيقا وعلما ، العلامة الأوحد أبو عبد الله وأبو حامد محمد العربي بن سيدي يوسف الفاسي الفهري ، وتقدم الكلام على نسبه في ترجمة والده أبي المحاسن . قال [صاحب **المطمح**][1] في **فهرسته** [بعد وصفه بما ذكرنا][2] كان هذا الرجل – يعني صاحب الترجمة – ممن تقصر عن استقصاء محاسنه الأقلام ، وتكلُّ دون منتهاها ألسنة الأنام ، أمره أشهر من نار على علم ، كأنه بدر تم ، سطع في ديجور الظلم[3] ، قد برع في الفنون ، وغاص في لججها فاستخرج من نفائس دررها المكنون ، وألف تآليف عديدة ، وفتاوي في أفانين العلم مفيدة ، قد أخذت من الحسن بمكان ، ولها في نفس ذوي الإنصاف شان وأي شان ، فكأنما هي لآلئ در وعقيان . وله أنظام في فنون علمية ، وأشعار أدبية ، ومكاتبات وأسجاع ، تستحسنها الطباع ، بيد أنه رمته أيدي النوائب بالامتحان ، ولم يكن له في الحواضر قرار بمكان ، ولم يزل بالبوادي تلفظه البلدان ، حتّى أدته خاتمة المطاف ، إلى أن أَلْقى عصا التيسار والتطواف ، وأقام بتطوان راجياً أن يكون له بها إسعاف ، والدهر بالآمال غير واف ، فلم ينشب أن عاجله هناك حِمامُه ، وانطوت لياليه وأيامُه . وتوفي في ضحوة السبت الرابع عشر من ربيع الثاني عام اثنين وخمسين وألف ، ثم نقل بعد عامين فدفن متصلا بقبر أبيه من جهة القبلة ، وكانت ولادته سنة ثمان وثمانين وتسعمائة .

(1) في **ط** بدل ما بين المعقوفتين : قال أبو عبد الله الطيب الفاسي .
(2) ساقط من **ط وس**
(3) في **لك** : بدر تمام .... ديجور الظلام

أبو عبد الله الشريف التلمساني

وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ أبي عبد الله الشريف التلمساني شارح **الشفا** أحد أصحاب ابن غازي.

التـامـكـروتـــي

وفيها أيضا توفي الشيخ التامجروتي شارح خليل مؤلف تنبيه الغافل وغيره.

الـطـيـــب الـمـيـســوري

وفيها أيضا توفي الولي الصالح سيدي الطيب الميسوري(4)

ومن تآليف صاحب الترجمة منظومته المسماة **بمراصد المعتمد في مقاصد المعتقد**، جمع فيها فأوعَى، وبلغ فيها من التحقيق المنتهَى، وقصرها على عقائد أهل السنة فحاز بذلك من الشرف الغاية القصوَى؛ وقصيدته المسماة **تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان**؛ وقصيدته المسماة **بالطالع المشرق من آفاق المنطق**؛ وقصيدته التي حادَى بها ابن آجروم؛ وقصيدته في ألقاب الحديث؛ وأخرى مسماة **بعقد الدرر، في نظم نخبة الفكر**، للعلامة ابن حجر، في علم الأثر، وعليها له شرح؛ وقصيدة أخرى في الذكاة، وله قصائد كثيرة ومقطعات في أمداح نبوية وغيرها. وألف تأليفا حافلا في **أحكام اللفيف** وتحدي في آخره بقوله:

أَبْـدَيْتُ هـذا بـادِيـاً بـادِئـاً والـعُـذْرُ لي بـادٍ بِـهِ ظاهِـرُ
قد أحْضَرَ البادِي الذي عنـدَهُ أَبْدِ الـذِي عـنـدك يا حاضـرُ

وشرع في عدة كتب مات قبل إتمامها منها كتاب **مرآة المحاسن**؛ ومنها شرح على **قصيدة كعب بن زهير**؛ ومنها شرح **دلائل الخيرات** كتب منه قطعة وافرة موجودة

(4) وفيات هؤلاء الشيوخ الثلاثة: التلمساني، والتامجروتي، والميسوري: من ط وس تنبيـه

كتاب **تنبيه الغافل عما يظنه عالم وهو به جاهل** هو لأحمد بن مسعود التمكروتي. واما شارح **خليل** فهو عبد الله بن محمد بن مسعود التمكروتي المتوفى كذلك بعد عام 980. انظر كتابنا **الحركة الفكرية بالمغرب**، 2: 549 — 550.

الان بأيدي الناس ؛ ومنها شرح **على الشفا** ، وغير ذلك .

أخذ رحمه الله عن جماعة من الأعيان ، كوالده سيدي يوسف بن محمد الفاسي ، وهو أخذ عن أعلام الظاهر والباطن . وعن جماعة تقدم ذكرهم في ترجمته ، وعن عمه أبي زيد سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، وعن شقيقه الحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي ، والشيخ أبي الطيب الحسن بن يوسف الزياتي ، وأخيه أبي العباس أحمد الزياتي ، والشيخ القاضي أبي مالك عبد الواحد الونشريسي ، وأبي محمد عبد الوهاب الزقاق ، وأبي البخت مبارك التارختي ، والشيخ أبي زكرياء يحيَى السراج ، والشيخ القاضي أبي الحسن علي بن عمران السلاسي ، والشيخ أبي عبد الله المربي ، والشيخ أبي الحسن بن الاعراب ، والشيخ قاسم بن القاضي ، والشيخ أبي فارس عبد العزيز المركني ، وغيرهم من المشائخ . انتهَى كلام صاحب **المطمح** في **فهرسته** ، وفيه زيادة ونقص قليل اقتضاهما الحال [5] .

ولقي على سبيل التبرك جماعة من مشايخ الصوفية عدَّهم في آخر تأليفه **المرآة** ، كالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي ابن ريسون اليونسي الادريسي الحسني نزيل تاصروت من مواطن العلم ، وكالشيخ أبي الحسن علي بن أحمد ايجيتوني الحصار ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الوزروالي التجيبي ، وكالشيخ أبي القاسم ابن الزبير المصبحي ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد الملقب بقدَّار ، وكالشيخ أبي الحسن علي أبي الشكاوي ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي العفاني ، وكالشيخ أبي عمران موسَى بن معرف ، وكالشيخ جابر بن مخلوف الرياحي ، وكالشيخ أبي الحسن علي بن يوسف الفاسي أخيه ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي ، وكالشيخ أبي سرحان مسعود بن محمد الفيلالي ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي النيار ، وكالشيخ علي البيطار ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي القنطري ،

(5) في **ط** تقديم شيوخ المترجم على تآليفه ، ولم يصرح فيها بالنقل عن فهرسة صاحب **المطمح** ولم يستوعب كل التآليف والشيوخ المذكورين هنا . وقد وقع هنا خلل بدون شك في عد بعض الفقهاء المتقدمين عن عصر صاحب الترجمة من جملة شيوخه ، كعبد الواحد الونشريسي ، وعبد الوهاب الزقاق !

وكالشيخ أبي العباس اللوزي ، وكالشيخ أبي عبد الله القجاج ، وكل هؤلاء الصوفية والفقهاء تقدمت تراجمهم ، ولم يفتنا منهم إلا من تقدمت وفاته على الألف الذي هو ليس من موضوع تراجم هذا الكتاب .

ولصاحب الترجمة **مقامة** رائقة ، مشتملة على معان فائقة ، ضمنها بعض أحواله ، وفتن الوقت وأهواله ، عرف فيها بنفسه ، ومن في معناه من ذوي جنسه ، على طريق البرهان الشعري ، مما هو على أسلوب البلاغة يجري ، فتأكَّد ذكرها ، وتعين متنها ونشرها ، وَلْنُورِدْهَا بلفظها ، لتأكد حفظها ، ومبلغ وعظها ، وغريب صنيعها ، ونفس بديعها ، وبراعة كلامها ، وبلاغة حكمها ، وسعة علمها ، وتخلَّص فيها لمدح أهل الدلاء ، وهي :

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه ، وفضَّلَهُ على كثير من خلقِه وكرَّمَه ، واختار لولايته ، من وفَّر لعنايته ، حظوظَه وقسَمه ، وأسبغ عليه ظاهرةً وباطنة ، آلاءَهُ ونعَمَه ، وعجَّل له من معارفه الفاخرة ، مشفوعاً بما أجَّل له من عوارفه في الآخرة ، ما آثره به وأكرمه ، مرفوع الأخمص عن قِمَّةِ الدنيا ، مصروف اللحظ في شأنه الهِمَّة العليا ، قد يئستْ أعراضُها أن تُدركَ أغراضَه وهِمَمَه ، فإن طُوي عنه بساطُها ، وزُوي انبساطُها ، فتنزيهٌ له عن وضرها وتَكْرِمَه ، وإنْ أَينعتْ له ثمراتُها ، وفُتِّحت لتمتيعِهِ زهراتُها ، فتحقِّقٌ خدمتُها لمن أطاع ربَّه وخدَمَه . فسبحان من لم يَرْضَهَا لجزاء أوليائِه ، ولا سَوَتْ عنده جناحَ بعوضة فَيَمْنَعَهَا من أعدائِه ، ولا جَعَلَها لخلود بل كتب عليها الفناءَ وحتَّمَه . وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي فتح به ديوان النبوءة وختَمَه ، وجعله في أفق الهداية شمساً تُمِدُّ بُدورَهُ وأَنْجُمَه ، ممن تأخَّر عنه أو تقدَّمه ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه الحائزين به كلَّ منفعة ، والفائزين بكل تكرمه . أما بعد ، فإنَّ في تعاقب الأدوار ، واختلاف الأوطار ، وتداول الظلام والأنوار ، وتقابل الأنجاد والأغوار ، لآياتٍ لأُولي الألباب ، ودلالاتٍ على أن الجميع يصيرُ إلى ذهاب ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، فانما الكون يدانُ للاعتبار والاستبصار ، ألا ترَى الأحوال ، كيف تُبدَّلُ بالأحوال ، والأيامَ والليالي ، كيف تتناثرُ تناثرَ اللآلي ، والزمان كيف يتخوَّن الأعمار حتَّى يلقي نفاضتها في بحور الآجال ، والخلق كيف تتناوبهم الأزمنة وتتجاذبهم العروض

والأطوال ، من رآها فليحدث نفسه إنما الدنيا على قرن زوال ، لا الحزن دام ولا السرور ، **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ، **فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** . فبحقٍ ما حذرها الموقنون بمبلغ الحذار ، وتجافوا عنها تجافي المتنزه عن الاستقذار ، وعرفوا ما له خلقوا فلزموا ، ووثقوا بصدق الضمان لقوامهم وجزموا ، وأقبلوا على شأنهم يتمارون إلى الغاية العليا سباقا ، ويتحركون عن المركز إلى المحيط جائبين أطواقا وطباقا ، حتَّى خلصوا إلى الفضا ، وعاينوا سر القدر والقضا ، وقد تخلّف الكثيف منهم عن الأوج ، وتخلّص الفردُ بين الزوج ، ورجع القريبُ إلى الوطن ، وظهر ما كان قد بطن ، فتبرأ من الحضيض ، وعاد الشعاعُ إلى المفيض ، ومتَى لم يتمحض للبسط استقلال ، ولا عرض للمركّب انحلال ، فلابد من إقامة الرسوم ، في عالم الجسوم ، إلاَّ أن حكم الأرواح ، قد جرَى على الأشباح ، ودولة المساء قد نسختها دولة الصباح ، وما جرَى المقدار ، بإقامتكم في هذه الدار ، فان عوارضها مُتطرقة إليهم ، وعوائدها جارية عليهم ، من بسط وقبض ، ورفع وخفض ، وشدة ورَخاء ، وعصف وَرُخاء ، وفقر وغِنا ، وراحة وعَنَا ، وضِيق وسَعَة ، وحَرْبٍ وَدَعَة ، فقد تُبسط لهم الدنيا بسطا ، ويُوَفَّوْنَ من ترفها حظاً وافراً وقِسْطا ، ويوضع لهم من القبول والمبرة ، والوجاهة والشهرة ، مما ملأ الأقطار ، ويطير كلّ مطار ، وقد يُقبضُ عنهم نعيمُها ، ويَضِيقُ عليهم أديمُها ، ويشتملُ عليهم الخُمول ، ويهمل الموضوع منهم والمحمول ، وعلى كلا الحالين فهُم في روضة يحبرون ، لا يَبْرَحون يشكُرون أو يصبِرون ، وأرفع ذلك دَرَجا ، وأقْوَمُه مَنْهجا ، ما وافق حالَ الإمام الأعظم ، وقدوة العالم ممن تأخَّر أو تقدَّم ، ونفس الكمال الواضح المُسَلَّم ، ﷺ ، ولثبوت الخصوصية أحكام ، توجب لهُمُ التعظيمَ والاحترام ، ومعاملتَهم بما يُرضي الرب ، ومن عادَى ولياً فقد بارز ربَّه بالحرب ، والولدُ بَضْعةٌ من أبيه يَريبُهُ مَا رَابَه ، ويُؤذيه ما آذاه ويؤلمُه ما أصابه ، وكذلك كلٌّ من له انتساب ، وحديثُ **لاَ تُؤْذُوني في عائِشَةَ وفي أَصْحَابِي** من أصول هذا الباب ، فلأعقّابهم بهم الرعيُ الجميل ، حسبما حكمه التنزيل ، وسيرة السنة مقرةٌ لمعناه ، مقرِّرة لما يوضح نُورَه وَسَنَاه ، وقد يسيرون من سير آبائهم على مِنْهاج ، ويهتدون من أنوارهم بشهاب لائح وسراج ، مع مرافقة في المقاصد والأعمال ، أو

موافقة في سلوك سبيل الخير على الإجمال . وهؤلاء يحترمون لأنفسهم لا للآباء ، ويُراعَوْنَ لما يُرَى منهم لا لما يُرْوَى مِن الأَنباء ، إلا على ما يقتضيه من الزيادة الضميمة ، ويستدعيه مجموعُ تلك الخصال الكريمة . وقد لا يسلكون من ذلك وادياً ولا شِعْبا ، ولا يركَبُون للخصوصية ذَلُولاً ولا صَعْبا ؛ وهؤلاء هم الذين يُحترمون لآبائهم ، ويُؤَدَّى إليهم من تُراثِهم مفروضُ أنصبائهم ؛ فهنا يظهر لآبائهم الأَثر ، إذ يجدد للأبناء بالولارعي آبائهم للدثر . هذا هو الحكم بسبب التعريف ، وقد يوافقه الواقع أو يخالفه بحسب التصريف . كما أَنَّ الأيام قد تُساعد ، والدنيا قد تُقارب وقد تُباعد ، كما ذُكر من حال الآباء في أيامهم ، قبل موتهم واحترامهم ، إلاَّ أَنَّ أَفْوَزَ الأبناء نصيبا ، وأَوْفَرَهُم سهما وتعصيبا ؛ مَنِ اقتدَى منهم بأَبيه ، واجْتَبَى صالحَ العمل الذي يَجْتَبِيهِ ، ولم يدفع الزمان في صدره ، ولا قطعه عن الوفاء بنذره ، فحسبُ الوارث أن يرث دِينَهُ ومَذْهَبَه ؛ وإن لم يرث فِضَّتَه وذَهَبَه ، وأن يحصِّل مروءته وحسَبَه ، وإن لم يحصِّل مالَهُ ونَشَبَه . أما مَنْ دَفَعَهُ الزَّمان ، أَكْرَهَهُ وقَلْبُه مطمئنٌّ بِالإِيمان ؛ فعسَى أن يكون عذرُه مقبولا ؛ والسَّتْرُ على خَلَّتِه مَشْمولا ، وأن تبلُغَ به نيتُه مَبْلَغَ العمل ، وأن يَنالَ مِنَ استقامةِ حالِهِ مثالَ الأَمَل . وإني والحمد لله لمسد النعما ، ومقلد النعمة العما ، (كذا) بمن يتشبَّث بأذيال أهل العلم والصلاح ، ويتمسك بأهل الولاية لحديثهم بالأسانيد الصحاح ، وينشد القول الحامل ، ويرحم الله القائل :

لِي سادةٌ من عدِّهِمْ ... أقدامُهُم فوقَ الجِباهْ
إنْ لم أكنْ منهم فَلِي ... في عدِّهِمْ ذكرٌ وجَاهْ

فلنا أُبُوَّةٌ نَمُتُّ بها إلى عَلائِهم ، وننتسبُ بصريح نسبها إِلَى وَلائِهِم ، فقد كان لها مُنتمىً عريق ، وسلوكٌ في دأبهم على أوضح طريق ، وبحارُ المعارف أياديها (كذا) ومشاهد الخير عامرٌ ناديها ، ورياضُ العلوم مورقةٌ مُزهِرة ، وحدائق الحقائِق مُزهيةٌ مُثمرة ؛ ومنازل السائلين لا تلتبس منها طريقَة ، وسالكُها واجدٌ رفيقَه وفَريقَه ، فَرُبِّينا تحت كفالتها في حِجرٍ مَمْهود ، وظلٍّ مُنسحبٍ ممدود ، نتفيَّأُ من كَنَفِها ظِلالاً وَرِيفَة ، ونتبوَّأُ من حضائر العلم والذِّكر مقاعدَ صِدْقٍ شريفة ، فكم رَتَعْنَا منها في رِيَاضِ الجَنَّة ، وكم تمتَّعنا بطرائفها ولله الحمد ومنه المنَّة ، بين قومٍ كالنجوم

هادية ، والغيومِ نادية ، وكالأرواح ظاهرة بادية ، رائحةٌ للذكر غادية ، حلماء كرماء ، أشِدّاء رحماء ، عرفوا مشايخ الصفاء فَوَرَدُوا ، وعاهَدُوا على الوفاء فَوَفَوْا بما وعدوا ، في زمان كأنّه وصلُ الحبيب ، في غيبة العاذِلِ والرقيب ، أيامُه أبكار ، ولياليه أسحار ، وريحه نسيمٌ معطار ، والعمر شباب ، والعَيْشُ صفوُ لباب ، والعِيشَة قارَّة ، والأعمالُ بارَّة . والأَرزاق دارَّة ، والأَخبارُ سارَّة ، والشملُ مجموع ، والقولُ مسموع ، والشُّرْبُ آسِن ، والسعدُ ضامن ، والدُّنيا مُطيعة فاتية ، والأحوال كلها مُواتية ، في الحضرة التي هي أمُّ القُرَى في أفق المغرب ، ومَأَمُّ السُّرَى من المشرق والمغرب ، حضرة فاس ، التي ليس في حسنها اشتباه ولا في فضلها التباس ، حيث بحارُ العلوم بأنواع المعارف زاخرة ، وأسواقُ المتاجر حافلةٌ ببضائع الدنيا والآخرة ، مدَّ الله تعالىٰ عليها رواق ستره وأَمْنِه ، وأمدَّ أهلَها برِزْقِه ورفْقِهِ وتوفيقِهِ وعَوْنِه ، ثم مرتْ سِنُونَ وجاءَتْ سِنُون ، وجالت خطوبٌ وغالَت مَنُون ، فانتثر سِلْكُ الجماعة ، وخرج أمر الناس بلا أمانة ولا طاعة ، وعرضت فتن كقِطع اللَّيل المُدْلَهِمّ ، تقعُ مواقعَ القَطْرِ المُنسجِم ، وتموجُ مَوْجَ البَحْرِ المُلْتَطِم ، فَنَكرنا الوَطَن ، وأَزْمَعْنَا الفرارَ بدِيننا مِنَ الفِتَن ، فخرجنا نُسابق البازي ، ونستشير الحادي ولا نستشير الخازي ، نتبع شِعَبَ الجبال ، ونتوقَّى من الفِتَن مواقع النبال ، إلى أن سح وعورها الأَهل والولد ، فأَسْهَلْنا بين الجبال والصخور والبَحر إلى بلد ، كانت العافيةُ أغلبَ عليه ، وشرُّ الفتنة إذاك لا تصلُ إليه ، وقد كان لنا فيه اسمٌ قديم ، وعهدٌ لا منسيٌّ ولا ذَميم ، فتلقانا بوجه تُبرقُ أساريرُه ، وصُبحٍ تتألقُ تباشيرُه ، وحلَلْنا المحلَّ الأثير ، والمنزلَ المُوَطَّأَ الوثير ، إلاَّ أَنَّها بلدةٌ ليس فيها بطلب العلم اهتمام ، ولا يتهيأُ لطالبه فيها مرام ، فينشأ الناشئُ فيها غُفْلا ، وقد ضرب الجهلُ على ناصوره قُفلا ، فاحتويت سكناها ، وعجبت ممن سكنها ومَنْ بناها ، فالخواطرُ فيها مُتنافية ، بين فراقها لذلك ولزومها للعافية ، على أنَّ الزمانَ عرض ، والمكانَ جسمٌ ذو مرض ، والبلاد أجساد تتناضل ، في حول الطبيعة وحال (كذا). والفتنة جنون يُعدي ، ودعاتها على أبواب جهنم تضلُّ ولا تَهْدِي ، فلحقت فيها شرراً أضرمت نارا ، وأعظمت عاراً وشنارا ، ولجَّت في شماسها ، وعاثت على شراسها ، ومدَّت إلى الأنحاء بأخراسها ، فعجز المنتدبون لِمراسِها ، وحالت الحال ، واشْتَبَهَ الواجبُ

والمُحال ، ودلَّت الخبرة على أنَّ مَن انتهَى إليه أهلها لا يحسبهم ولا تكفيهم ؛ وأنها ما زالت تكيلهم وتوفّيهم ، بعض الباغية المرتحات والآية الكريمة على الخصوص ناصَّة : **واتَّقُوا فتنةً لا تُصِيبَنَّ الذين ظلمُوا مِنْكُمْ خاصَّة** ، فَسَحَبَتِ الفتنةُ ذيولَها ، وأسالت على العالمين سُيُولَها ، فانتقمت الحذر والحري ، وعمَّت الجانيَ والبَرِيّ ، وجرت أمورٌ بعد أمور ، تكاد الأرض لها تَمِيدُ والسَّمَاءُ تَمُور ، هناك جربت موجودي ، وشككتني في وجودي ، ولِلّه علينا في عصمةِ الدين والدِّماء ، والنجاة ولو بالرمق والذَّماء ، نعمةٌ تُعرفُ ولا تُنكَر ، وتُشْكَرُ ولا تُكْفَر ، فله تعالى الحمدُ كِفاءَ نعمتِه ، وما مَنَّ بِهِ من عصِمته ، ثم اقْتَحَمْنَا المَضِيق ، وركبنا ضر الطريق ، نَطْوِي عَرْضَ البَسِيطة ، ونَخُطُّ قُطْرَ دائِرَتِها المُحِيطة ، في مَفَاوِزَ لا يمُرُّ بها السهمُ إلاَّ عَنْ عَجَل ، ولا يَخْطُر فيها الوَهْمُ إلاَّ عَلَى وَجَل ، يتفقد فيها السائرُ كلّ حِينٍ رأسَه ، ويسائلُ جسمه هل يستصحب نَفْسَه

وعـيني إلى أذني أعـزُّ كـأنـهُ ... من اللَّيل فاق بين عينه كوكبُ

وسحائب الفتنة تصيب حولَنا لا عَلَيْنا ، وأعيُنُها عُمْيٌ عنَّا ، وعينُ الله ناظرةٌ إلينا ، إلى أنْ أَفْضَتْ بنا تلك المعاسفُ البُهم ، في الأيام الدُّهم ، إلى حيث لاحت لنا مطالعُ الفرج مُسْفِرةَ الصباح ، وافترَّتْ لنا ثغورُ الجُودِ من وجوه المجد الصِّباح ، فقلنا الله أكبر ، هذا الصبحُ قد أَسْفَر ، والليلُ قدْ أَدْبَر ، قد شارَفْنَا بلادَ الدَّلا ، حيث الموردُ العذبُ الذي لا يُستنزز فيه الوِرْدُ ولا تكدِّرُه الدِّلا :

وبَشَّرْتُ آمَالِي بِشَيْخٍ هُوَ الْوَرَى ... وَدَارٍ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ

وهذا آخرها . وفي بعض مقيدها : انتهَى ما وُجد منها ؛ وهو جارٍ على أن ناشيئها لم يتفق له إكمالها ؛ ويحتمل أن يكون هذا كمالها . وأنَّ الوقف على التصريح بالمدح مقصود منه ادعاءُ أنَّه مما يعجز عن مدحه ؛ والبيت الذي ختم به يرشد اليه (6) .

ولصاحب الترجمة أنظام فنها قوله يمدح السادات الشاذلية :

(6) المقامة السابقة كلها ساقطة من **ط وس** ؛ وكذلك سقطت جمل ونقول من القسم الأخير التالي لم نر فائدة في تتبعها بالتنبيه ، ونشير فقط إلى أن ترجمة محمد العربي الفاسي واقعة في أقل من صفحتين في كلّ من **ط وس**.

عَلِقْتُ بِحَبْلِ الشَّاذِلِيَّةِ لائِذاً ... بِدائرةِ الْعِزِّ الْمَنِيعِ المُوَصِّلِ
وحقَّقْتُ ما أرجوهُ فِيهِمْ فإنَّهُمْ ... مفاتيحُ بَابِ الْمُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ
وجمَّعْتُ آمالي جميعاً بِبَابِهِمْ ... لِدَفْعِ مَخَافاتٍ ونَيْلِ مُؤمَّلِ
وأَلْقَيْتُ نَفْسِي في حِمَاهُمْ وَمَنْ يَكُنْ ... بِهَذَا الْحِمَى يَامَنْ وَيَظْفَرْ وَيَعْتَلِ

ومدح بعضهم القاموس بقوله :

مُذْ مَدَّ مجدُ الدينِ في أيَّامِهِ ... مِنْ بَعضِ أَبْحُرِ علمِهِ الْقَامُوسَا
صَارَتْ صِحَاحُ الْجَوْهَرِيِّ كَأَنَّهَا ... سِحْرُ الْمَدَائِنِ حينَ أُلْقِ يَا مُوسَى

فعارضه صاحب الترجمة بقوله :

لا والذِي مِنْ بَعْضِ أَبْحُرِ عِلْمِهِ ... قَدْ مَدَّ قَامُوساً بِتِلْكَ الأَعْصُرِ
مَا غَاصَ فِي القاموسِ يوماً غَائِصٌ ... لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ صِحَاحُ الْجَوْهَرِي

وخاطبه سيبويه زمانه في النحو العلامة سيدي محمد المرابط الدلائي بقوله :

أوحدُ الناس في عُلاهُ وَمَنْ وَصْفُ ... فَرَائِدِهِ يَفُوقُ الْغَوَادِي
أنْتَ جِهْبِذُ ذَا الزَّمَانِ وَفَرْدٌ ... في الْمَعَالِي وَمَنْهَلٌ لِلصَّادِي

فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

إنَّمَا أوحدُ الأفاضِلِ فردٌ ... وهْوَ مَنْحَى مَقَاصِدِ القُصَّادِ
قَدْ رَأَى نَفْسَه الكريمَةَ تُجْلَى ... فِي مِرْآةٍ مَجْلُوَّةٍ مِنْ وِدَادِ

ومن نظم صاحب الترجمة قولُه :

ومُنْكِرٍ فَضْلِيَ مَا سَاءَنِي ... بَلْ سَرَّنِي ما نَفْسَهُ أَلْزَمَا
مَنْ أَنْكَرَ الشَّمْسَ بِصَحْوٍ ضُحىً ... أَمْضَى عَلَى نَفْسِهِ حُكْمَ الْعَمَا

وله أيضا :

إنِّي وإن كنتُ في أقصَى البلادِ فَمَا ... اسْتَغْنَتْ أواسِطُهَا عنِّي وعَنْ أَثَرِي
مِثْلَ التراجمِ لَمْ تُوضَعْ مَوَاضِعَهَا ... لِمَانِعِ الْوَقْتِ فَاسْتُثْبِتْنَ فِي الطُّرَرِ

ولصاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ مقطعات وتقايد لا تحصر ، وكان رأسا في الثقة والضبط والاعتناء بالأخبار والنوادر والتواريخ والأنساب . قال الامام أبو علي

اليوسي في **محاضراته** : وكان شيخ مشايخنا أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن من دأبه أنه متَى لقي انسانا يسأله من أي بلاد هو ، فمتَى أخبره قال : كم عندكم من أهل العلم ومن عندكم من أهل الصلاح ومن الأعيان ؟ فإذا أخبره بشيء من ذلك كله سجله . وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ضعيف جدا في المغاربة . لأنه يغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية . وما سوَى ذلك لا همة لهم فيه . وقال أبو عبد الله المذكور في **مرآة المحاسن** : إنه كم في المغرب من فاضل قد ضاع من قلة اعتنائهم ؛ وهو كذلك . وقد سألت شيخنا الأستاذ أبا عبد الله محمد بن ناصر – رحمه الله – يوما عن السند في بعض ما كنت أخذته عنه ، فقال لي إنا لم تكن لنا دراية في هذا وما كنا نعتني بذلك . قال وقد رأيت العجب من المشارقة واعتنائهم بمثل هذا حتَّى إني لما دخلت مصر كان كل من يأخذ عني الشاذلية يكتب الورد والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك . انتهَى كلام اليوسي .

قلت : ولما كان الدخول في الطريقة مطلوبا وموكداً لذوي الدين ، وجب البحث عن صحة أحواله ، وتأييد المنة لأقواله . وقد تقرر في علوم الحديث أن الإسناد من الدين . وقال ابن سرين : **إنَّ هذا العلمَ دينٌ فانظروا عمَّنْ تأخذُونَ دِينَكُم** ؛ أخرجه مسلم بهذا اللفظ . وأخرجه أبو عيسَى الترمذي في **شمائله** بلفظ **إنَّ هذا الحديثَ دِينٌ فانظروا عمَّنْ تأخذون دِينَكُم** . قال الطيبي : والتعريف في العلم للعهد ، وهو ما جاء به الرسول ﷺ لتعليم الخلق من الكتاب والسنة ، وهي أصول الدين . انتهَى . والمراد بالمأخوذ عنه العدول والثقات ، ووجب اعتبار مثل هذا فيما ينقل عمن يجتمع عليه الناس ليتميز الصحيح من السقيم ، والدخيل من السليم ، وليتحقق من كان أمره من المشائخ وأيهم مبني على أصل معتبر شرعا ، ومن كان بخلاف ذلك فيجب نبذه قطعا . فجزي الله صاحب الترجمة وأمثاله خيراً على قيامه بذلك ، وهو في الباب من الأئمة المهتدين ، وممن جمع بين التحقيق ومتانة الدين ، ولا غَرْوَ أن كان لهذا أهلا ، وحاز على من عداه فضلا .

قال حفيد أخيه في **ابتهاج القلوب** : وأما الشيخ أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن . فإمام تعجز الألسن عن وصفه إذا وصف ، وتكل دون حدِّهِ

وتقف ، أمره أشهر من نار على علم ، وبدر تم في ظلم ، ما سَر فنان الدائع وحانيها ، وموالي إحراز دقائق المعاني وحبك معانيها ، وصاحب البراعة البارعة ، والبداهة المطاوعة ، في سبيل مبانِيها ، مولده ضحوة الاثنين سادس شوال سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بفاس ، وبها نشأ إلى أن ارتحل بعد موت أبيه ، وتوفي بتطوان ضحوة السبت رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنين وخمسين وألف ودفن هناك ، ثم نقل بعد عامين فدفن بتربة أبيه بفاس رحمهما الله ، وتقدم مثله صدر الترجمة .

محمد بن ناصر الدرعي (الوالد)

ومنهم الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن حسين ابن ناصر ابن عمر الدرعي الاغلاني . قال الشيخ اليوسي : واشتهر بابن ناصر نسبةً إلى جده كما تَرَى انتهَى .

[ورأيت بخط الشيخ الرسموكي شارح **الدادسية** أن صاحب الترجمة من أولاد السيد المقداد الصحابي المشهور ، وهذا لا يصح ، لأن المقداد لا عقب له . قال ابن حزم في **جمهرته** : والمقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعيد بن دُهَير بن لُوءَي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي أهون بن قاس بن دارم(7) ابن القين بن أهود بن بَهْراء ، صاحب رسول الله ﷺ ، وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود ، كان حليفاً للأسود بن عبد يغوث ابن وهب ، خال رسول الله ﷺ ، أخي آمنة بنت وهب ، فنسب اليه ، ولا عقب للمقداد . انتهَى بنصه . فلهذا لم يعرج واحد من أقرباء أصحاب الترجمة على هذه النسبة ، كالشيخ الحسين في **فهرسته** ، ولا الشيخ الامام أبي عبد الله أخيه ، ولا الشيخ أبي العباس أحمد في **فهرسته** ، ولا من خدمهما بالمديح ، وأثنَى عليهم بالمجد الصريح ، كالشيخ اليوسي وأضرابه . ونسب ابن عبد البر في **الاستيعاب** بهراء هذا فقال : هو ابن عمر بن الحافي من قضاعة ، وقيل بل هو كندي من كندة فنسب إليها ، وحالف هو بني زهرة فقيل له الزهري لمحالفته الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وتبناه الأسود فقيل المقداد بن الأسود بالتبني ، وأبوه هو الذي والده عمر

(7) في الجمهرة (ص 441 من طبعة دار المعارف بتحقيق عبد السلام هارود) : ابن دُرَيم – بالتصغير–

بن ثعلبة ، فهو المقداد بن عمر. انتهَى المراد من كلام ابن عبد البر. ولا يعرف مقداد غير هذا][8] .

كان صاحب الترجمة رجلا صالحا تاليا لكتاب الله عز وجل ، من أهل الجد والاجتهاد في العبادة وقراءة القرآن والقناعة والحياء والصدق والعفاف والسخاء وحسن الخلق ، وكان قليلا من الليل ما ينام ، ورده كل يوم خمس وعشرون ألفا من الهيللة ، وخمسة أحزاب يقرؤها في المصحف كل يوم . والثلث من **دلائل الخيرات** ، **والتنبيه** مجزأ على اثنَى عشر يوما كالمصحف .

ولد بأغلان من درعة سنة ثمانين وتسعمائة ، وتوفي سنة اثنين وخمسين وألف . ذكر كل هذا بعض من ألف بقرب هذه الأعصر ، وقال ولد صاحب الترجمة العلامة أبو محمد الحسين في **فهرسته** : وكان الوالد يوم توفي — رحمه الله — يفوح منه رائحة المسك إلى أن خرجت روحه كجرعة ماء ، وغسله الشيخ الشقيق . قال ومن العجب أن أبكَى الله عليه حين قُبض جميعَ الناس من الكهول والشبان والصبيان والنساء ، قال الله تعالى **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدّاً** . قال وكراماته — رضي الله عنه — لا تعد ولا تحصَى ، وقد كنت حين يُقرئني في حال الصغر أشتغل باللعب وأخون نفسي في القراءة ، فكل ما عملته وخنت به نفسي أخبرني به ، ويقول لي أتحسب أن أمرك يخفَى عني ، وكل ما عملت ، وما استأذنته في صدقة وعطاءٍ وقال لي لا قط ، وكان وصولا للرحم ما رأيت أوصل منه ، وما بات درهم على ملكه قط فأحرَى غيره . انتهَى من **فهرسة** ولده سيدي الحسين المذكور ، وقد حذفنا منه كثيراً ليلا يطول — نفعنا الله به — آمين .

أحمد بن ابراهيم الدرعـي

ومنهم الشيخ الكبير ، الولي الشهير ، سيدي أحمد بن ابراهيم بن عبد الله

(8) هذه الفدلكة الواقعة بين معقوفتين ، المتعلقة بالنسبة إلى المقداد الصحابي ساقطة من **ط** **وس** ونشير إلى أن أحمد بن خالد الناصري السلوي صاحب **الاستقصا** ألف كتابا في تحقيق نسب جده الشيخ محمد ابن ناصر واتصاله بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب سماه : **طلعة المشتري ، في النسب الجعفري** ، وقد طبع على الحجر بفاس عام 1902/1320 في جزئين .

الدرعي ، إمام راسخ ، وصدر من المشايخ . قال سيدي أبو عبد الله الحسين بن ناصر في **فهرسته** : كان صاحب الترجمة يصوم يوما ويفطر يوما ، ولا ينام من الليل شيئا إلى أن مات ، ولا يدخل على زوجته إلا ليلة الاثنين وليلة الخميس ، يمكث هنيئة وساعة ويخرج ، فكان قوته سبع عشرة تمرة من أبي سكري المفرك ، ويخبر أن المفكرك منه يقوم مقام أبي فكوس ، وزهاء أربع لقم من الطعام ، ولا يفارقه حساء العدس لما روي في الحديث أن نبياً من الأنبياء اشتكَى إلى ربه قسوة قلوب أمته فأمرهم بأكل العدس فأكلوه ورقّت قلوبهم . وكان بديع زمانه ، وأعجوبة أوانه ، لا ينظر في الإنسان النظرة الأولى إلاَّ وَفَّي قصدَه وما في ضميره ، وكان عارفا بمقامات الصالحين وأيامهم ودرجاتهم وأحوالهم أحياء وأمواتا ، ويقول فلان وفلان في درجة واحدة ، وفلان وفلان بدرجتين أو أكثر ، وفلان بدعيّ وفلان وليّ ، وكان في العطاء والكرم بحراً خضما ، وما رأيت شيئا أبغض اليه من الدنيا ولا أزهد ، كان يقول : المريد إذا خرج للناس قبل كماله انتقص حاله ، وقال لي : تركُ شهوة من شهوات النفس أنفعُ للقلب من صيام سنة وقيامها ، ولو بأن تقول لها اصبري ساعة إذا قالت لك اسقني . ودخلت المقبرة لزيارة أخيه سيدي علي بن ابراهيم سحراً فوجدته أمامي عند قبره فالتفت فقال لي : كن رجلاً رجلُه في الثرَى وهمته في الثريا ، وما افترقتِ الناسُ إلاَّ في الهِمم ، من علت همته ، علت رتبته ، ولا يكون أحد إلا فيما رضيتْ له همتُه .

من كلامه : أقبح كل قبيح ، صوفيٌّ شحيح

إذا رأيت المريد يتتبَّعُ الرُّخَص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء

ما رجع من رجع من الطريق ، ولو وصل لما رجع

لا تعْجَبْ من هالك كيف هَلَك ، بل تعجَّب من سالكٍ كيف نجا

لا أستريح من مريد حتَّى يدخل في الأربعين أو أُدْخلَه في التراب .

كان شديد الخوف من الله ، له زفرات كثيرة طويلة يكاد ينشق لها قلب السامع ، ومن حسن خلقه أنه ما جالسه أحد إلاَّ ظنَّ الجليس أنه المستبد بصحبته ومحبته دون جميع الناس ، وكان ورده فيما بلغني عنه أنه بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس سبعون ألفا من الهيللة ، وما رأيت أخف منه قراءة ولا ذكراً ولا

صلاة في إتمام ، وكان لا يفتر يده في قراءة الكتاب من قلب الأوراق كلما نظر نظرة أو نظرتين قلب ورقة ويقول : صلاة الأبدال خفيفة في إتمام ، ومن جاهد نفسه وترك النعاس ليلةً تعوَّد الشهور . وكان هو وأقرانه لا يركبون إلاَّ الحمير إلا في زيارة الشيخ سيدي الغازي فقد يركب البغلة في هودج ، وكان مولده عام واحد وألف ، ووفاته عام اثنين وخمسين وألف ، وفيها يقول سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه :

لِحَجٍّ مِنْ جُمَادَى الأُولَى جُمُعَهْ ضُحَى بِعَامِ شَنْبِ وَافَى مَضْجَعَهْ

وقال الشيخ الامام سيدي محمد المرغثي في رمز وفاته على وجه آخر من التعزية فيه :

قَدْ أَنْشَبَ الْمَوْتُ بِهِ عَامَ نَشَبْ أَظْفَارَهُ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ هَرَبْ
لِـلَّـهِ مَا خَـوَّلَـنَا وَمَا سَـلَـبْ

وكانوا لا يقبلون من صاحبهم أن يعرف غيرهم ، ويأمرون بوعظ من خالف الطريقة من الفقراء ومهاجرته إلى أن يرجع من غير أن ينسوا ويطرح ، ولا يقبلون من العمال والولاة ومتعاطي الشبهات شيئا . وقيل لشيخهم الأكبر سيدي عبد الله بن حسين في أخذه وتفريقه على شديد الحاجة فقال : ضرورة تُلْجئُني إلى تلطيخ يدي بالعذرة . وكان صاحب الترجمة يقول : الصوفي لا يرد ولا يُمْسِك انتهَى من **فهرسة** تلميذه سيدي الحسين بن ناصر ، لكنه ملفق ، إذ تركنا منه كثيرا لطوله . وفي بعض المقيدات : ولما مات شيخه سيدي عبد الله بن حسين الرقي ولاه النظر في الزاوية بعده وأذن له في تلقين الأوراد ، فقام بأعباء ما حُمِّل وأحسن فيما وُلِّيَ فيه ، وكانت وفاته قتيلا شهيدا ضحَى يوم الجمعة حادي عشر جمادي الأولى من سنة وفاته المذكورة .

أخذ صاحب الترجمة عن شيخه أبي محمد عبد الله بن حسين الدرعي ، وتقدمت ترجمتُه ، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي الدرعي ، وهو عن الشيخ أبي القاسم الغازي ، وهو عن سيدي علي بن عبد الله دفين سجلماسة ، وهو عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني ، عن الشيخ زروق ، كما بين ذلك في **التحفة** .

واختصارها المسمى **بالطرف** . وفي **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة** للشيخ سيدي أحمد بن الشيخ الكبير سيدي محمد بن ناصر(٩) أن صاحب الترجمة كان لا يفارق حساء العدس لما في حديث أن نبيا من الأنبياء اشتكى إلى الله قسوة قلوب أمته فأمرهم بأكل البسن وهو العدس فأكلوها فرقت قلوبهم ، وكان يقول من ادَّعَى فوق مرتبته حطَّه الله عنها . انتهى . انظر بقيته(١٠) .

[وهذا الحديث ذكره ابن التين في الطب بسنده إلى مكحول عن أبي هريرة قال : **قال رسول الله ﷺ إنَّ نَبياً من الأَنبياءِ شَكَا إِلَى اللَّهِ قَسَاوَةَ قُلُوبِ قَوْمِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مُصَلَّاه أَنْ مُرْ قَوْمَكَ يَأْكُلُوا الْعَدَسَ فَإِنَّهُ يُرِقُّ الْقَلْبَ وَيُدْمِعُ الْعَيْنَيْنِ وَيُذْهِبُ الكِبْرَ وَهُوَ طَعَامٌ لِلْأَبْرارِ** . نقله العلقمي في **حاشية الجامع الصغير** . وعزا في **الجامع الصغير** للطبراني عن واثلة بن الأسقع : **عَلَيْكُم بِالْقَرْعِ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الدِّماغ ، وعليكم بِالعَدَسِ فانَّهُ قُدِّسَ عَلَى لِسانِ سَبْعِينَ نَبِيئاً** . قال العلقمي : قال شيخنا في سند الحديث : عمرو بن الحصين عن محمد بن عبد الله بن علاثة ، عمرو وشيخه متروكان . انتهَى . ونقل عن السخاوي أنه أسند حديث العدس جماعة . قال العلقمي : وفي الباب عن علي بن أبي طالب ولا يصح من ذلك شيء . وفي ترجمة مسلم بن سالم من **تاريخ الخطيب** أن ابن المبارك سئل عنه فقال : ولا على لسان نبي واحد ، إنَّه لمُؤْذٍ ينفخ . وقال غيره : بارد ، وحكَى مثل هذا عن الليث وغيره ، قال وذكره ابن الجوزي في الموضوعات انتهَى .

قلت : وكأن السيوطي سلم وضعه فلم يتعقبه عليه في **النكت البديعات** ، والله أعلم وانظر **فهرسة** سيدي الحسين المذكور فقد أثنَى عليه بأوصاف عظيمة توجب له الولاية الكبرَى والله أعلم] .

محمد بن محمد بن عطية السلوي

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عطية السلوي الاندلسي ، دفين الرميلة من

(9) المعروف أن مؤلف **الدرر المرصعة** هو محمد المكي بن موسى الناصري الدرعي المتوفَى عام 1170هـ/ 1756م .

(10) لا يوجد في ترجمة أحمد بن ابراهيم الدرعي في **ط وس** إلا نحو سبعة أسطر مما سبق في أولها ، دون التعرض لهذه النقول ، وأضاف فيها الكلام التالي بين معقوفتين تعليقاً على

عدوة فاس الأندلس ، وله ضريح ومزارة بها [في يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة عام اثنين وخمسين وألف ، العلامة المدرس الولي الصالح شيخ الطريقة والتربية ، الجامع بين الشريعة والحقيقة . وكان له أتباع وتلامذة وللناس فيه اعتقاد . وحدث عنه أصحابه بأنواع من الكرامات ، وخوارق للعادات ، ورووا عنه أقوالاً في الطريقة . وقد قرأ عليه وتخرج به في العلم والعرفان مولاي عبد الله بن ابراهيم دفين وزان ، الشريف اليملاحي الحسني العلمي][11] .

[له اجتهاد في العلم ، واختصر كتاب **مفتاح الجنَّة بشرط العمل بالكتاب والسنة** ، تأليف سيدي الشطيبي . أخذ عن الحافظ المقري ، والشيخ الجنان ، والعلامة ابن عاشر ، وأخذ علم الكلام عن سيدي الحسن الدراوي ، وحضر مجلس الشيخ القصار ، وأخذ الطريقة عن أبي الحسن علي الحارثي الشيطمي دفين الرميلة المذكورة ، عن سيدي أحمد بن موسَى السوسي ، عن الشيخ التباع — رضي الله عنه —][12] .

محمد الفيشي المصري

ومنهم العالم المحقق محمد بن محمد الفيشي ، نسبة إلى فيشة — بفاء مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فشين معجمة — قرية من قرَى مصر . وهو مؤلف الحاشية على **مختصر خليل** .

علي بن عيسى الحلبي

ومنهم الشيخ الامام علي الحلبي صاحب **السيرة** ، أبو الحسن علي بن عيسَى الحلبي ثم المصري الشافعي مؤلف **السيرة** المتوفَى عام اثنين وخمسين وألف[13] .

* * * *

(11) ما بين هلالين ساقط من **ط** و**س** و**ك**

(12) ما بين هلالين ساقط من **ك** و**م**

(13) سقطت ترجمة كل من الفيشي والحلبي من **ط** و**س** . وذكر فيهما بدل ذلك : ومنهم سيدي أبو شامة .

من حوادث السنة

عاصفة سببت هدما وموتا كثيرا بفاس

ومن حوادث العام ريح عظيم ، وبقي من قرب صلاة الجمعة إلى قرب الصبح ، من ثاني عشر رمضان ، وهدمت دور وسقطت أشجار بفاس ، ووقع ساري صومعة القرويين ، وذكر أنه مات يومئذ بالهدم مائة وعشرون رجلا من فاس .

خروج الأمير عمر الدلائي لغزو بلاد الفحص والهبط

وخرج السيد عمر الدلائي لغزو بلاد الفحص والهبط بجيش كبير ، قيل مبلغه اثنان وخمسون ألفاً ، ففتح ورجع[14] .

(14) سقطت حوادث هذه السنة جملة من ط وس .

العام الثالث من العشرة السادسة

علي بن محمد المَرْبِي الشريف

فمنهم القاضي أبو الحسن علي بن الشيخ الامام أبي عبد الله محمد المربي الشريف. راجع ميارة في **شرح المرشد**. وتقدمت ترجمة والده المذكور. ولي صاحب الترجمة قضاء فاس بعد أبي عبد الله بن ابراهيم الدكالي، وتوفي قرب زوال يوم الجمعة ثامن عشر رجب سنة ثلاث وخمسين وألف[1].

[وولي القضاء بعده محمد بن القاضي محمد ابن سودة، وتوفي عام 1076، فولي بعده حمدون المزوار إلى أن عزل][2].

أبو شامة محمد

ومنهم أبو شامة سيدي محمد[3].

من حوادث السنة

قتال عظيم بوادي الطين بين أهل الدلاء وابن المجاهد العياشي

ومن حوادث العام وقع قتال عظيم بواد الطين بين أهل الدلاء وبين سيدي عبد الله بن سيدي محمد العياشي أوائل ربيع الأول، ووقع قتال ونهب في قبائل.

---

(1) سقط من **ط** و**س** ذكر العام الثالث من العشرة السادسة كما سقطت منهما ترجمة علي بن محمد المربي الشريف.

(2) ما بين معقوفتين ساقط من **لك**

(3) بعد هذا بياض في **لك** و**م**

أسر حجاج في البحر ثم سراحهم

وجاء خبر أسر ناس في البحر قصدوا الحج فوق المائة ، وذلك في واحد وعشرين من رجب ، ثم نجاهم الله بعضهم بالفداء وبعضهم دون الفداء بالقرب .

تولية الدلائين أحمد الزموري ومحمد ابن سودة القضاء والفتيا بفاس

وتولى سيدي أحمد بن علي الزموري القضاء ، وسيدي محمد بن سودة الفتيا بفاس بأمر من الامام سيدي محمد بن محمد الحاج الدلائي .

العام الرابع من العشرة السادسة

علي الغماري

فمنهم الخطيب سيدي علي الغماري(1).

معلَى بن عبد الواحد الأنصاري

ومنهم سيدي معلَى بن عبد الواحد الأنصاري(1).

محمد بن عبد الرحمان سُقَّيْن

ومنهم الفقيه الخطيب [القاضي](2) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان سقين – بضم أوله وتشديد ثانيه مفتوحا – ي العاصمي، ممن انتفع بالشيخ أبي زيد الفاسي. وتقدَّم ذكرُ سقين الأكبر](3).

قال في **أزهار البستان**: توفي سنة أربع وخمسين وألف عن تسعين سنة(4).

من حوادث السنة

ومن حوادث العام في شوال منه هاج سعال وزكام، وتبعه طاعون والعياذ بالله(5).

---

(1) بقي بياض في **لك** و**م** بقدر كتابة ترجمة مختصرة لكل منهما
(2) ساقط من **ط** و**س**.
(3) ما بين معقوفتين ساقط من **لك** و**م**.
(4) ساقه من ط و س
(5) سقطت حوادث هذه السنة من **ط** و**س**.

العام الخامس من العشرة السادسة

الحسن بن محمد ابن ريسون

فمنهم الفقيه الشريف الخير الدين النسابة الحافظ أبو محمد الحسن بن الامام الصوفي الشريف الشهير سيدي محمد بن علي بن ريسون الحسني العلمي ، تقدمت ترجمة والده . قال في **أزهار البستان** : وسمع منه ، –يعني أبا زيد– وجالسه وأخذ عنه ما لا يحصَى .

توفي ضحوة الجمعة سادس وعشري جمادي الأولى سنة خمس وخمسين وألف . انتهَى . ودفن بالروضة المعروفة لهم داخل باب الفتوح بقرب مسجد الأندلس . وكان ترك عقبا بفاس مع أبناء عمه ، ثم عرض لهم انتقال بعد أن باعوا دار سكناهم وهي المتصلة بمزارة مولانا ادريس ، بابها بينها وبين السقاية الموجودة الآن ، فانتقلوا لمحل سكناهم وسلفهم من جبل العلم وأحوازه ، ولم يبق أحد منهم الآن بفاس قاطناً إلا أنهم يردون عليها لأمور وأغراض في بعض الأحيان(1) .

عبد العزيز بن الحسن الزياتي

ومنهم الفقيه الاستاذ المشارك أبو محمد عبد العزيز بن الشيخ الامام سيدي الحسن الزياتي ، وتقدمت ترجمة والده سيدي الحسن . كان صاحب الترجمة أستاذا مجودا مقرئا عالما محصلا نبيلا جليلا ، وكان سبطا لأبي المحاسن الفاسي ولد بنته .

توفي بتطوان عام خمسة وخمسين وألف ، ودفن بها خارج باب المقابر ، وبنيت عليه قبة ، فله سلف وخؤولة في العلم والصلاح(1) .

عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي

ومنهم السيد الرئيس الأمير وزير أمير المومنين سيدي محمد الحاج ، وهو شقيقه ،

(1) أثبتنا نص هاتين الترجمتين من **لك وس** ، دون أن نشير إلى ما في **ط وس** من نقص .

أبو حفص عمر بن الامام سيدي محمد بن الولي الكبير سيدي أبي بكر الدلائي بالدلاء ، ودفن بمقابرهم بالدلاء[2] .

من حوادث السنة

نداء محمد الحاج الدلائي بالجهاد

ومن حوادث العام نادى بالجهاد أمير المومنين الامام سيدي محمد الحاج بن سيدي محمد بن سيدي أبي بكر الدلائي ، وأمر كل من انقاد إلى طاعته وإمارته من غير جبر على أحد بالقيام إلى الجهاد ، فتحمل لذلك من استطاع من المتطوعة . وتوجه صحبة ولده ونائبه ووزيره سيدي محمد بن الامام محمد الحاج المذكور إلى ثغر ساحل المغرب فرابطوا عليه نحو الشهرين ورجعوا مجاهدين سالمين غانمين إلى الدلاء .

طاعون في الربيع والخريف

وكان في هذا العام الطاعون في الربيع والخريف[3] .

(2) سقطت ترجمة عمر الدلائي جملة من **ط وس** .
(3) سقطت حوادث هذه السنة جملة من **ط وس** .

العام السادس من العشرة السادسة

عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني

فنهم الامام الكبير ، الشريف الشهير ، العلامة المدرس الحافظ الاستاذ أبو محمد مولاي عبد الهادي[1] ابن الشيخ الامام العلامة المتبحر المشارك المتفنن الحافظ الضابط المتقن الثقة الحجة المدرس النفاع ، الكثير التلامذة والأتباع ، أبي محمد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الشريف الحسني السجلماسي ؛ وتقدمت ترجمة والده مولاي عبد الله المذكور . ذكر صاحب الترجمة الامام اليوسي في خاتمة كتابه **المحاضرات** ممن لقيه وتبرك به ، ممن جمع فيه الخير والصلاح والعلم والدين ، وشهد بذلك وحلاه بالعالم العلامة . ولما ذكر الامام القدوة سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغيثي مقروآته في إجازته للشيخ اليوسي المتقدم ذكره قال : أما **صحيح البخاري** فبالسند الذي لا يوجد في الدنيا أعلى منه ، عن الشيخ الحافظ أبي محمد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي — رحمه الله — سماعا عليه لنحو نصفه بقراءة ولده العلامة أبي محمد مولاي عبد الهادي ، انتهى المراد منه ، ورأيت في المقيدات ما يدل على مآثره وعلو قدره ومنزلته في الحفظ والعلم والعمل والدين ، وايراد نصوص ذلك يستدعي طولا ، ومعرفة حاله أشهر من أن يفتقر إلى ذلك[2] .

حمدون المكلاتي

ومنهم أبو عبد الله سيدي حمدون المكلاتي[3] .

---

(1) في **ط وس** : سيدي محمد بن عبد الهادي . وهو خطأ . وأكد هذا الخطأ في قوله بعد ذلك : «تقدمت ترجمة جده» وانما تقدمت ترجمة والده عبد الله . انظر مصادر ترجمة عبد الهادي الحسني في كتابنا **الحركة الفكرية** ، 2 : 523 .

(2) لا تزيد هذه الترجمة في **ط وس** على نحو ثلاثة أسطر ، وزاد في آخرها أن المترجم دفن بمدغرة في مقبرة أهله ، وهو خطأ كذلك ، لأنه توفي بالمدينة المنورة .

(3) هذه الترجمة ساقطة من **ط وس** ، وترك فيها بياض في **لك وم** بقدر بضعة أسطر .

عبد السلام ابن ناصر

ومنهم سيدي عبد السلام بن ناصر، الأديب البارع النحوي اللغوي، ومن نظمه:

ما في الْوَرَى مِنْ أَبْلَهٍ أَوْ حَاذِقٍ ... ذِي طاعةٍ يَسْمُو بِها أَوْ فَاسِقِ
إلاَّ وأَضْحَى للمنيَّةِ مَقْصداً ... الْمَوْتُ يرصُدُهُ بِسهمٍ راشقِ
ويُرَى مساءً في مُدَامَةِ كَأْسِهِ ... (4)
قد كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهُ مَا يَتَّقِي ... فَوَجَدْتُهُ لِلْحُسْنِ أَكْبَرَ عَاشِقِ
إنَّ الْحِمَامَ لَوالِعٌ بقِناصِ مَنْ ... أَضْحَى إِلَى الْآدَابِ أَوَّلَ سَابِقِ
وقناصِ مَنْ حاز الفضائلَ مِنْ نَدىً ... أَوْ دِينٍ أو علمٍ وَحُسْنٍ فائقِ
فَلَقَدْ جَرَى حُكْمُ الْمَنِيَّةِ أَنَّهَا ... إسْرَاعُها بِالخيرِ لا بِالْمَارِقِ
والموتُ كافٍ في اتِّعاظِ ذَوِي الْحِجَا ... فانظُرْ لِشَخْصٍ للمنيةِ ذَائِقِ
فإذا يواريهِ الترابَ فأَهْلُهُ ... لَمْ يَدْرِ مِنهُمْ واحدٌ مَاذَا لَقِي
هل هُوَ في نارِ الجحيمِ مُعذَّبٌ ... أم هُوَ أَمْسَى في نعيمٍ رائِقِ
أتُريدُ منك الدُّنيا حُبّاً إنَّها ... تُقْصِيكَ بِالْهِجْرَانِ بَعْدَ تَعَانُقِ
إِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى الْوُثُوقَ بِحالِهَا ... والدَّهْرُ قَالٍ مِنْ لبيبٍ وَاثِقِ
كيفَ الْوُثوقُ بها وأربابُ النُّهَى ... عَنْ أهلِها فَرُّوا بأَعلَى شاهقِ
مَهْمَا تَجُدْ تَبْخَلْ وَمَهْمَا أَضْحَكَتْ ... أَبْكَتْ وإِنْ عَدَلَتْ تَجُدْ بِعدائقِ
إنِّي لِأَحْكامِ الحكيمِ مُسَلِّمٌ ... راضٍ بها وَبِمَا قَضَى بِهِ خَالِقِي(5)

محمد السَّنُّون السَّلاَسي

ومنهم سيدي محمد السَّنُّون. في التاليف المنسوب لابن عيشون: ممن انتفع بسيدي مسعود الشراط، السيد الصالح، الوالي الواضح، أبو عبد الله محمد المدعو السنون السلاسي القاطن بسلاس. كان ــ رحمه الله ــ زاهداً ورعاً حازما يلبس المرقعات دائما، عاري الرأس لا يزيل شعره، يبذُل ما عنده وما يوتي به إليه ويفرُّ

(4) هذا الشطر ساقط في لك، ولا يكاد يقرأ في م.
(5) هذه القصيدة ساقطة كلها من ط وس.

من الدعوى ، لا يحب من ينسب إليه الخصوصية ولا من يواجهه بشيء من المدح . وكان له أتباع كثيرة جدا ، وزاوية يجتمع أصحابه بها . وكان معه قبض لا يصبر إذا أُوذِي وينتقم الله سريعاً ممن يؤذيه ، وكان يقول : أعطاني سيدي مسعود حاميا ومنجلا لا يتعرض لي أحد بسوء إلا زبرته . وكان يقول فيه شيخه سيدي مسعود : رحاتي سلاسية ، يُشير إلَى أنه كالرحَى من تعرض له طحنه .

توفي ودُفن بعيون السوق من سلاس ، سنة ست وخمسين وألف[6] .

الصَّغير بن النَّيار

ومنهم الأستاذ الكبير ، العالم البركة الشهير ، سيدي الصغير بن النيار ، من ذرية الشيخ أبي الحسن علي بن ابراهيم البوزيدي ، ذكره الشيخ اليوسي فيمن لقيه وتبرك به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح ، وقال في **محاضَراته** : بلغني أن الفقيه الصالح سيدي الصغير بن النيار مرَّ ذات يوم بسيدِي مَحمد بن أبي بكر الدلائي ، فأخرج اليه الطعام من الزاوية فلم ياكله ، فبلغ ذلك ابن أبي بكر فذكر له ، وكأنه اعتلَّ بما يقع من خدمة الناس في الحصاد والدرس ، فقال له ابن أبي بكر أيما أفضل أنت أم جدك سيدي علي بن ابراهيم ، وقد جاءه بنو موسَى بسبعمائة منجل ليحصدوا ، فلما رأَى عددهم قال لهم : بخلتموني يا بني موسَى ؟ فقال له سيدي الصغير : جدِّي أعرف بحاله وأقدر على ما يفعل ، وأنا أتصرف بمقتضَى حالي ، أو نحو هذا الكلام ، انتهَى بنصه .

[وجده سيِّدي علي بن ابراهيم هو المدفون بأكرض][7] .

[وهذا مما يدل على شدة ورع صاحب الترجمة . ولعل طعام ابن أبي بكر أوجب للترك لدخول أهل زاويتهم في الرياسة ، فربما يكون في الخدمة من أكره على ذلك ولو بالحياء . وقد شاهدت في زماننا في جميع ما يجمع للزوايا مما في معنَى الخدمة ، أو جمع الزرع والدراهم للمواساة ، كله على سبيل الاكراه المحض ، مما يجب اجتناب أكل طعام صاحبه ، لا سيما أهل الدين والورع ، بخلاف جد

(6) هذه الترجمة ساقطة من **ط** **وس** .
(7) هذه الجملة ساقطة من **ط** **وس** .

صاحب الترجمة ، فلم يكن جمعه الا لله ، ولم يأته أحد الا برضاه وغرضه . وقد سمعت شيخنا الامام العلامة الورع سيدي الكبير السرغيني إذا مر بذكر صَاحب الترجمة أثنَى عليه بالدين والوَرع ويعظم قدره – رضي الله عن جميعهم –][8] .

حمدون البهلول

ومنهم سيدي حمدون البهلول ، وكان يدعوه من لا يحترم أهل الله وكان يقول عائشة أختي ، وكان معاصرا لسيدي أحمد بن عمر ، وكان متجرداً بهلولاً ملامتياً لا يعرف له شيخ ، وكان يخبر بمغيبات. دَخل عليه رجل يعودُه في مرضه الذي مات منه ، فصدر من صاحب الترجمة فعل له ضراط عليه ، فجعل الرجل يوبخه جهلا منه حتّى قال له : أتفعل هذا وأنت تموت ؟ فقال له : والله لا سبق للموت إلا أنت ! فطعن الرجل بالوباء ومات يومه ذلك .

وكان بالمصلّى يوم عيد فلما نزل الخطيب صعد المنبر وجعل يقول : أيها الناس ! كلوا واشربوا وانكحوا نساءكم وزينوا لهن ، واسترسل في مثل هذا ، يُشعر أنهم لا يفعلون ما أمرهم به الخطيب ، وانما يفعلون ما ذكر لهم . لتمكُّن ذلك منهم ، وأنهم لم يتأثروا بوعظه .

توفي بالطاعون عام ستة وخمسين وألف ، ودفن قرب سيدي محمد بن الحسن ، ولم يتزوج فلم يعقب ، كل ذلك في التأليف المنسوب لابن عيشون ، ذكره في ترجمة سيدي أحمد بن عمر ، لقيه ووقع له منه ما ياتي إن شاء الله تعالى في تَرجمته[9] .

محمد المَكْني الطرابلسي

ومنهُم العالم الكبير أبو عبد الله محمد المكنى الطرابلسي . قال أبو سالم في **الرحلة** : وممن لقيته بطرابلس فقيهها الشاب الزكي ، الفقيه اللوذعي ، خير خلف عن خير سلف محمد المكني ، بيته بيت علم من لدُن أسلافه الكرام ، وأبوه سيّدي

(8) هذه الفقرة الواقعة بين معقوفتين ساقطة من **ك وم** .
(9) ترجمة حمدون البهلول في أقل من سطرين في كل من **ط وس** .

محمد المكني من أعْلم أهل زمانه ، تولَّى الفتوَى ببلده مرارا ، واشتغل بالتدريس ، وله مشاركة في فنون كثيرة ، توفي قريبا من سنة ست وخَمسين وألف ، ولم يخلف إلا ولده هذا ، واشتغل بالقراءة على شيخنا سيدي محمد بن مساهل وعلَى غيره ، وكان له ذكاء وعقل وزيادة نبل ، ومهر في فنون عديدة ، وفاق أقرانه ، فلما عزل ابن مساهل عن الفتوَى وليها فحمدت سيرته فيها ، وظهرت نجابته ، وسدد في فتواه ، وولي أيضا الجامع الكبير والخطابة والامامة . لقيته بداره ولم تطل مجالستي له ، واستعرت منه **المطول** لسعد الدين فاعاره ، وكانت له خزانة كتب ليست مثلها لاحد من أهل بلده . ثم استعرت منه بعد ذلك العضد على **مختصر ابن الحاجب** ، وكان ذلك قرب رحيلنا فأعاره ، وكتبت له مع الرسول بيتين هما :

فَمُنُّوا به قَبل الرَّحيلِ لَنا كَمَا ... تَطَوَّلْتُمُ مِنْ قَبْلِهِ بالمُطَوَّلِ
فـإنَّـكُمُ أهـلٌ لِـكُـلِّ فَضِيـلَةٍ ... كما أنَّـكُـمْ أهـلٌ لكُلِّ تَفَضُّلِ

خير الديـن الخيَارِي

ومنهُم الشيخ خير الدين أبو البركات عبد الرحمان[10] بن علي العامِري . كان عالماً مدرساً ثم سكن الحرم الشريف ، وكان قدومه المدينة سنة سبع وعشرين وألف ، وأنشد قصيدة سنية لما قدمها وفيها يقول :

أُرِيدُ مقاماً عِنْدَكُمْ لاَ يَشُوبُهُ ... خُروجٌ لغيرِ الْحَجِّ إلاَّ إلَى الرَّمْسِ

قال في **الرحلة العياشية** بعد أن ذكر ما تقدم عن والده الشيخ ابراهيم ، وتأتي ترجمته ان شاء الله تعالى في الخاتمة : فكمل الله له — أي لصاحب الترجمة — ما نواه من ذلك ، وبلّغه مراده ، فلم تُرْقِل ركائبُه ولا أُوضعت نجائبه ، إلى قطر من الأقطار ، ولا إلى مصر من الأمصار ، من لدن حلَّ المدينة ، إلا لمكة المكينة ، حتَّى توفي — رحمه الله — بطيبة سنة ست وخمسين وألف . ومن أبياته السائرة مسيرة الامثال ، التي قل أن يوجد لها مثال ، قوله في محبة المدينة الشريفة :

إذَا لَمْ تَطِبْ في طَيْبَةٍ عِنْدَ طَيِّبٍ ... بِهِ طَيْبَةٌ طَابَتْ فَأَيْنَ تَطِيبُ ؟

(10) في **لـ وم** : ابراهيم بن عبد الرحمان بن علي . ولم يصرح في **الرحلة العياشية** (1 : 444 — 449) إلاّ باسم الأب خير الدين فقط ، وترجم بتفصيل لابنه ابراهيم .

قال : وكان له ـ رحمه الله ـ حشمة وافرة ، وحرمة ظاهرة ، زمان اقامته بالمدينة ، وصار معدوداً من خيار أهلها ، وتولّى بها المناصِب الفاخِرة ، من إمامة وخطابة وتدريس ، إلى ديانة ظاهرة ، ومروءة باهرة ، حتّى توفي ـ رحمه الله ـ وتأتي ترجمة ولده الشيخ إبراهيم إن شاء الله .

وبالغ في الثناء عليه الشهاب الخفاجي شارح **الشفا** في **رحلته** ، فمن ذلك قوله :

فاضل إذا جمعت فهو منتهَى الجموع ، وكاملٌ كمالُه كثمر الجنة لا مقطوعٌ ولا ممنوع ، وأنشد فيه قصيدة من نظمه ، مطلعها :

يا نَسِيماً مِنْ نَحْوِ طَيْبَةَ سَارِ مُـهْدِياً عِـطْرَ نَدِّهَا والْعَرَارِ
خُذْ فُؤَادِي فَذَاكَ مَجْمَرُ شَوْقٍ وغـرام بمضـمـر الوَجْـدِ وَارِ

إلى أن قال :

سِيَمَا صِنْوِيَ الشَّقِيقَ لِرُوحِي وَهْو عَبْدُ الرحمانِ حامِي الذِّمَارِ
قد تجلّى بروضةٍ حاز فيها مـزهـر السَّعد مثمر الأنوارِ
باعَ دُنْيَا دَنَتْ بأُخْرَى تَسَامَتْ فَـغَـدَا في بُـيُـوعِـهِ بِالْخِيَارِ
فَـعَسَـاهُ يـمُـنُّ لِي بـدُعـاءٍ مُسْـتـجـابٍ في لَيْلِهِ والنهار

إلى آخرها وقد أجابَه صاحب الترجمة بأبيات مطلعها :

بَعْدَ إهْدَا سَنَا السَّلاَمِ السَّارِي مِنْ رُبَـى طَيْبَةٍ أَجَلِّ الدِّيَارِ

إلى آخرها ـ رَحم الله الجميع بمنه وكرمه ـ آمين(11) .

---

(11) هذه الفقرة الأخيرة ساقطة من **ك** ، ومثبتة في هامش م .

العام السابع من العشرة السادسة

أحمد بن محمد الزَّمُّوري

ومنهم الشيخ الفقيه النحوي العلامة القاضي الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الزموري . وتقدمت ترجمة جده أحمد بن علي فيما سبق . قال صاحب **المطمح** في **فهرسته** : كان — أي صَاحب الترجمة — عارفاً بالنحو والفقه ، تام المشاركة في غيرهما من الفنون ، أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم ، كثير النقل في التدريس . ولي القضاء بفاس بعد وفاة القاضي أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي عبد الله محمد المربي ، وذلك سنة ثلاث وخمسين وألف ، وتوفي — يعني صاحب الترجمة — عصر يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة سبع وخمسين وألْف ، وكانت ولادَته بفاس سنة اثنَي عشر وألف ، وأخذ عن المشايخ المعاصرين كالشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي . انتهَى بنصه .

قال في **أزهار البستان** : الفقيه الخطيب الحافِظ المدرس النَّحوي العلامة المشارك ، وذكر مثل ما تقدم في مولده ووفاته . وقال في غيره : وكنت سمعت عليه **الألفية** ثلاث مرات بما يتعلق بها ، وخصوصا **محاذِي ابن هشام** ، وداره معلومة بفاس الإدريسية بحومة المعادي من عدوة فاس القرويين ، وأهله باقون بها إلى اليوم .

عائشة بنت شقرون الفخار

ومنهم أم أحمد السيدة عائشة بنت سيدي شقرون الفخار . قال سيدنا الجد — رحمه الله — في **المقصد** : هي السيدة الفاضلة الزكية الكاملة الطيبة المطهرة ، الخيرة المنورة ، ذات البركات الواضحة ، والأنوار اللائحة ، والاعمال الصالحة ، والمتاجر الرابحة ، والأخلاق الكريمة ، والسيرة المستقيمة ، أم أحمد السيدة عائشة

بنت السيد الأمثل الولي الجليل ، ذي البركة الغزيرة والأنوار ، سيدي شقرون الفخار ، رحمه الرحمان ، ووالى عليه المنة والرضوان . كانت — رحمها الله تعالى — من الصالحات القانتات القائمات ، الحازمات ، المطيعات لله ، المتابعات لسنة رسول الله ، معتنية بأمر الدين ، ماسكة بحبله المتين ، مصروفة الوجهة إليه ، مجموعة القلب عليه ، لا تعرف منذ نشأت سواه ، ولا تلتفت لما عداه ، لها من الصلاح مكانة علية ، ومرتبة سنية ، وحظ عظيم من البر والاحسان ، والتفضيل والامتنان ، فكانت — رحمها الله — كثيرة البرور والارضاء لوالدها سيدي شقرون المذكور ، بالغة في ذلك الغاية ، وواصلة فيه حد النهاية ، قائمة بحقوق بعلها الشيخ سيدي محمد — رضي الله عنه — مطيعة لأمره وكلامه ، شديدة الاعتناء بشأنه ومرامه ، تتحرَّى مراده ، وتهتم بما أراده ، سالبة له الإرادة ، وممتثلة له منقادة ، تجل قدره ، وتعظم أمره ، وتراعي فيه حقَّ مولاه ، وما خوله وأوْلاه ، كثيرة الصدقة من عمل يدها على الفقراء ، والمساكين والضعفاء ، من أصحاب بعلها المتسببين إلى الله ، والمجموعِين به على الله ، تواسي مديانهم ، وتُعين محتاجهم ، بالهبة الكثيرة ، والمنحة الغزيرة ، من حيث لا يشعرون بما صرفت من ذلك عليهم ، لكونها تمكنه من يد بعلها الشيخ سيدي محمد ليوصله اليهم ، قوالة للحق ، ناصحة للخلق ، تحض على الدين ، وسنن المتقين ، وتحمل أولادها وأقاربها عليه ، وترشدهم بالتي هي أحسن اليه ، كثيرة النصح لهم ، والرحمة بهم ، حافظة للسانها عما لا يعني ، آمرة بذلك ، مجتنبة لكل ما يتقى هنالك ، كثيرة الأذكار ، والصلاة على النبي المختار ، مواظبة على ذلك آناء اللّيل وأطراف النهار . وسمعت سيدي المهدي الفاسي — حفظه الله — يقول سمعت الشيخ سيدي محمد بن عبد الله بعد موت زوجته هذه يقول : إنها كانت لا يفتر لها لسان عن الصلاة على النبي ﷺ ، وذكر لنا غيره من الأصحاب أنه سمع الشيخ سيدي محمد يقول فيها أيضا بعد موتها : إنها من اللواتي يُزرن ، وكانت البركة معها مصحوبة في أمورها وكافة شؤونها . سمعت ولدها سيدي أبا العباس — رضي الله عنه — يقول : إنها كانت لها برمة صغرَى تطبخ بها دائما ، ويأكل منها أهل الدار والأضياف ان أتوا ، لا تزيد على مقدارها ولا تبدّلها بغيرها ، وتتناول ذلك بيدها ، ولا تدع من يتناوله معها ، فيكفيهم ذلك كائنين ما

كانوا . وقال لها مرة زوجها الشيخ سيدي محمد : إني أرَى امرأة تعينك وتصنع معك ما تصنعه . وكانت لا تحتكر شيئا ولا تدخره ، بل تصرف ما يأتي من فوره على العيال والأقارب ، فلما ماتت وتزوج سيدي محمد امرأة أخرَى لم يبق الأمر على ما كان عليه وظهر أثر ذلك . انتهَى كلامه في **المقصد** . ثم قال : توفيت — رضي الله عنها — في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وألف ، ودفنت وراء بعلها الشيخ سيدي محمد داخل القبة . انتهَى باختصار .

محمد بن محمد بن سودة

ومنهم الفقيه القاضي سيدي محمد بن محمد بن سودة [الأندلسي الغرناطي ثم الفاسي بلدةً المرِّي نسبة][1] .

مسعود الغرديس

ومنهم الأديب الكاتب سيدي مسعود الغرديس التغلبي[2] .

أحمد بن محمد بن بكار

ومنهم المرابط البركة سيدي أحمد بن محمد بن بكار [وبكار هذا المنسوب اليه هو بكار الجد الأعلى لجميع فروعهم ، وهو — أي بكار — من قبيلة المحاميد المستقرين على وادي اينَاون عمل مدينة صدينة ، وهم — أي المحَاميد — قبيلة من قبائل هوارة ورغة ، وهوارة ورغة قبيلة من قبائل صنهاجة ورغة ، وعدَّهم ابن حزم في البربر . وأما صنهاجة ناحية صفرو وبلاد فَزَاز ، فَهُم من زمانة بلا خلاف ...][3] .

(1) سقطت هذه الترجمة جملة من **ط** **وس** . وما بين معقوفتين في **م** ساقطة من **لك** . وفي المخطوطتين الأخيرتين بياض بقدر بضعة أسطر كأنه ترك لكتابة ترجمة مختصرة .
(2) بقي في هذه الترجمة في **لك** **وم** بياض على نحو ما سبق .
(3) ما بين معقوفتين ساقط من **لك** حيث بقي بها بياض .

أحمد السِّفارِي

ومنهم الرئيس القائد أحمد السفاري نائب سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي على فاس[4] .

وفي هذا العام تولّى القضاء سيدي محمد ابن سودة بفاس إلى أن توفي[5] .

من حوادث السنة

ندب محمد الحاج الدلائي الناس للجهاد في المعمورة

ومن حوادث العام أمر الامام سيدي محمد الحاج الناس بالجهاد متطوعين بحلق المعمورة ؛ فخرجوا ثم رجعوا بعد قتال أيام بسبب مرض أصابهم من ماء شربوه هنالك ؛ فمات كثير منهم من ذلك المرض .

(4) ما بين معقوفتين ساقط من **ك** .

(5) هذه الترجمة ساقطة أيضا من **ط وس** ، وانما فيهما أسماء الغرديس وابن بكار والسفاري مجردة في سطر واحد أنهم توفوا في عام الترجمة .

العام الثامن من العشرة السادسة

غرس الديـن الخليلـيّ

فمنهم الشيخ الامام العالم الأجل غرس الدين الخليلي[1] قال في **الرحلة العياشية** : قد استوطن المدينة آخر أمره ، وتولى بها عدة وظائف من إمامة وخطابة وتدريس ، وكان الشيخ ياسين ابن أخيه ويتيمه في حجره ، فربي في كفالته ، وقرأ عليه وعلى غيره من المشايخ ، وتوفي صاحب الترجمة بالمدينة سنة ثمان وخمسين وألف . وتأتي ترجمة ياسين في الخاتمة ان شاء الله .

محمد بن أحمد الشماخ السلوي

ومنهم قاضي سلا أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماخ العثماني .

محمد بن أحمد بن عزون

ومنهم الفقيه أبو عبد الله بن محمد بن عزون المكناسي الجزنائي .

علي الفشتالـي

ومنهم سيدي علي بن أحمد الفشتالي[2] .

---

(1) في جميع النسخ المطبوعة والمخطوطة : «الحلبي» وهو خطأ . والتّصحيح من **الرحلة العياشية** (1 : 443) .

(2) في **ك** : علي بن محمد الفشتالي .

العام التاسع من العشرة السادسة

محمد المسناوي بن محمد الدِّلائي

فمنهم الفقيه المحدث الأستاذ الكبير، الوارد من حوض المجد منهلا يروي ويمير، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو المسناوي ابن الشيخ العارف الواصل سيدي محمد بن أبي بكر المجاطي الصنهاجي دفين الدلاء، وتقدمت ترجمة والده وجده.

تُوفي صاحب الترجمة قتيلا سنة تسع وخمسين وألف، بدار ابن عضيفة، ودفن بالدلاء بمقبرة أسلافه. وقد رمز لسنة وفاته بعض الأدباء الأذكياء بقوله: **المسناوي وأهله في الجنة**، فمجموع عدد حروفه هو عام وفاته مع ما فيه من التفاؤل، حقق الله رجاءه.

عبد الخالق الدِّلائي

ومنهم الفقيه الأجل، الفاضل المبجل، الرئيس الأسمَى، الأعز الأحمَى، أبو محمد سيدي عبد الخالق شَقيق سيدي محمد المذكور قبله يليه.

توفي في أول ذِي القعدة من سَنة تسع وخمسين وألف قتيلا — رحمة الله عليه ورضوانه — [وحمل إلى الدلاء فدفن بها مع والده، وولي الأمر بعده أخوه محمد المسناوي المذكور قبله آنفا في ذي القعدة، ثم غدروه وقتلوه في آخر ذي الحجة من العام المذكور، فقام بالأمر بعدهما أخوهما السلطان سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر المذكور] (1). وكان أفضل قومه شجاعة وإقداما. ذكر كل ذلك حفيد الشيخ المسناوي المذكور وسميُّه شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد، ويأتي ذكره في العشرة الرابعة من المائة الثانية عشرة، ومن خطه نقلت.

وكان صاحب الترجمة أخذ مَغْرَماً من أصحاب الولي سيدي محمد بن محمد

(1) ما بين معقوفتين زائد فقط في هامش م متصلا بالأصل

الْوَوزْغتي — ستأتي ترجمته قريبا — وذَهب يقاتل أهل تامسنا . وَحلف إن رجع ليُهلكنهم . فشكوا ذلك لسيدي محمد الوَوزغتي . فقال لهم : من قال له إنه يرجع من هناك ؟ إنه لا يولي ولا رجوع له منه ! فبلغه ذلك فازداد غيظا عليهم . وذهب لما كان بصدده ، ثمَّ رجع حتَّى كان بقرب بلاد تادلا . فقال لبعض من معه : ها أنا قد رجعت وأين ما قاله فلان ؟ يعني سيدي محمد بن محمد الووزغتي . ففي ذلك الموضع قدمت عليه خيلٌ من الأعراب ، فحسبهم يعرضون الضيافة عليه . فلما أشرفوا عليه رموه بمدافع الرصاص فقتلوه . وكان أمر الله قدرا مقدورا . ذكر ذلك سيدنا الجد في بعض مقيداته . ومن خطه نقلت ، وأنشد أبو عبد الله المسناوي لما ذكر حكاية جده وعم أبيه في قتلهما كما ذكرنا فقال : والله در القائل ، وهو البحتري :

ولا عَجَباً للأُسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بِهَا ... كلابُ الأعادي مِنْ فَصِيحٍ وأَعْجَمِ
فَحرْبَةُ وحْشيٍّ سَقَتْ حَمْزَةَ الرَّدَى ... وقَتْلُ عليٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمِ

ثم قال الشَّيخ المسناوي : ولو قال : فضَرْبَةُ روميّ سَقَتْ عُمَرَ الرَّدَى ، لكان أليق بالأدَب ، لأن وحشيا أسلم وصار من الصحابة . والاسلام يجبّ ما قبله . انتهَى من خطه .

[حمزة بن عبد المطلب]

وحمزة هو عم رسول الله ﷺ ، سيد الشهداء . كان يقال له أسد الله وأسد رسوله . يكنَّى أبا عُمَارة وأبا يَعْلَى بابنيه عمارة ويعلَى .

[قال ابن حزم : فوَلَدَ حمزةُ عُمارَة ، أمُّه خَولة بنت قيس بن فهد — بالفاء والقاف — الأنصاري . ويعلَى وعامر أمهما أنصارية . وابنةً تزوجها سلَمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي . وقد انقرض عقب حمزة — رضي الله عنه — انتهَى . وقد ترجم في **الاستيعاب** عمارة ويعلى في الصحابة . وقال لا أحفظ لواحد منهما رواية . وما ذكره ابن حزم من أنه انقرض عقب حمزة . مثله في **الاستيعاب** ولمصعب الزبيري . فانظره][2] .

(2) هذا النص المنقول عن ابن حزم ساقط من ك وم .

قال ابن عبد البر : أسلم في السنة الثانية من المبعث ، وقد أرضعته هو وعبد الله بن عبد الأسد ثُوَيْبَة مع رسول الله ﷺ . شهد حمزة بدراً مع رسول الله ﷺ ، وبعده أُحُداً ، وقتل فيه ، قتله وحشيّ بن حرب الحبشي مولى جُبير بن مُطعِم ، وقيل مولى أخيه طُعَيْمة ، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة ، وكان يوم قُتل ابن تسع وخمسين سنة ، ودفن هو وولد أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد ، وقال ﷺ **حَمْزةُ سيّدُ الشُّهَداء** ، وفي رواية **خَيْرُ الشُّهَدَاء** ، **ولولاَ أَنْ تَجِدَ صَفيَّةُ لَتَرَكْتُ دَفْنَهُ حَتَّى يُحْشَرَ مِن بُطُونِ الطَّيْرِ والسِّبَاعِ** ، وبقرت هندُ بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وذلك قبل اسلامها ، عن بطن حمزة فأخرجت كبده ، وجعلت تلوكه أي تمضغه ثم لفظتها ، فقال النبي ﷺ : **لَوْ دَخَلَ بَطْنَهَا لَمْ تَدْخُلِ النَّارَ** . وكان سبب فعلها لذلك أن حمزة – رضي الله عنه – كان قتل أباها يوم بدر ، وكل قضاء الله وقدره ، وقضيتها من أغرب القضايا .

[هِنْدُ بنت عُتْبَـة]

فقد أسلمت هند هذه يوم الفتح ، وهي أم معاوية ، ولما أخذ البيعةَ رسولُ الله ﷺ على النساء أن لا يسرِقْن ولا يزنين ، قالت أوْ تزني الحرة أو تسرق ؟ وشكت زوجها له ﷺ لأنه لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها ، فقال لها : خذي من ماله بالمعروف . وتوفيت في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قُحافة والد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وفي حديث أبي هريرة قال : **وَقَفَ ﷺ عَلَى حَمْزَةَ وَقَد قُتِل ومُثِّلَ به** ، **فَلَمْ نَرَ مَنْظَراً كانَ أوجَعَ لِقَلْبِهِ منه فقال : رحِمَكَ اللَّهُ إِي عَمُّ** ، **فلقَدْ كُنْتَ وَصُولاً لِلرَّحِمِ فَعُولاً لِلْخَيْرَاتِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بالقَوْمِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُم** فَمَا برح حتَّى نزلت : **وإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** . فقال رسول الله ﷺ : **بَلْ نَصْبِرُ** ، **وكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ** . وقال الواقدي لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول رسول الله ﷺ : **لكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ** إلى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت ميتها . وفي رثائه يقول كعب بن مالك – وقيل عبد الله بن رواحة – :

بَكَتْ عيني وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا   وما يُغني البُكاءُ ولا العويلُ

عَلَى أسدِ الإلـهِ غداةَ قالوا لِحمزةَ ذاكُمُ الرجلُ القتيلُ
أُصيبَ المسلمُون به جميعاً هناك وقد أُصيب به الرَّسولُ
أبا يَعْلَى لك الأركانُ هُدَّتْ وأنتَ الماجدُ البَرُّ الوَصولُ
عليك سلامُ ربِّك في جِنانٍ يُخالطها نعيمٌ لا يَزولُ
ألا يا هاشِمَ الأَخيارِ صبراً فكُلُّ فِعالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رسولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كريمٌ بِأمرِ الله يَنْطِقُ إذْ يَقولُ

إلى آخرها .

[وحشيّ بن حرب الحبشي]

وأسلم وحشي بعد أخذ الطائف ، وشهد اليمامة ورمَى مسيلمة بحربته التي قتل بها حمزة ، وزعم أنه أصابه وقتله ، فكان يقول : قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس ، ذكر ذلك الامام ابن عبد البر في **الاستيعاب** فانظره . وقال ابن عقبة عن ابن شهاب : مات وحشي في الخمر فيما زعموا ، وفي خبر أن رسول الله ﷺ قال لوحشي حين أسلم **غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي يا وَحْشِيُّ حَتَّى لا أَراكَ** .

[عبد الرحمان بن مُلْجَم]

وأما علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقتله عبد الرحمان بن ملجم المرادي الخارجي ، إذ خطب قَطَامِ وكانت امرأة رائعة الجمال ، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف وعبداً وأمة وقتل علي ، فغلب عليه الشقاء فسم سيفه ورصده في المسجد وحده فضربه كما هو مشهور ، وفي ذلك يقول عِمْران بن حِطّان الخارجي :

يا ضَرْبَةً من كَمِيٍّ ما أَرَادَ بها إلاَّ لِيَبْلُغَ مِن ذي العرشِ رِضْوانا
إنِي لَأَذْكُرُهُ حيناً فأحْسِبُهُ أوفَى البريةِ عند الله مِيزَانا

وقد كذب ـ قبحه الله ـ واعتقد سخافة تخرُّ لها الجبال . ولله در أبي بكر بن حماد التَّاهَرْتِي في معارضته وتبيين شناعة سخافته ومسخه إذ يقول :

قُلْ لابن مُلْجَمٍ والأقدارُ غالبةٌ هَدَمْتَ وَيْلَكَ للاسلامِ أَرْكَانَا
قَتَلْتَ أَفضلَ مَنْ يمشي على قدمٍ وأوَّلَ الناسِ إسلاماً وإيمانا

وأَعْلَمَ الناسِ بالقرآن ثمَّ بما ... سنَّ الرسولُ لنا شرعاً وتِبْيانا
صِهرَ النبيّ ومولاه وناصرَهُ ... صحَّتْ مناقبُه نُوراً وبُرهانا
وكان منهُ على رَغْمِ الحسودِ له ... مكانُ هارونَ من موسَى بْنِ عِمْرانا
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذَكَراً ... ليثاً إِذَا لقِيَ الأَقْرَانُ أقرانا
ذكرتُ قاتلَهُ والدَّمْعُ مُنحدِرٌ ... فقلتُ سبحان ربِّ العرشِ سبحانا
إني لَأَحْسِبُهُ ما كان من بشرٍ ... يَخْشَى الْمَعَادَ ولكنْ كان شيطانا
أشقَى مرادٍ إِذا عُدَّتْ قبائلُها ... وأَخْسَرَ الناس عند اللهِ ميزانا
كعاقِرِ النَّاقةِ الأُولَى التي جَلَبَتْ ... على ثَمُودَ بأرضِ الحجر خُسرانا
قد كان يُخبرُهُمْ أنْ سَوْفَ يُخْضِبُها ... قَبْلَ المنيةِ أزماناً فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تَحَمَّلَهُ ... ولا سقَى قَبْرَ عِمْرانَ بْنِ حِطَّانا
لقوله في شَقِيٍّ ظلَّ مجترماً ... وقال ما قاله ظُلماً وعدوانا
يا ضربةً من كَمِيٍّ ما أراد بها ... إلاَّ لِيَبْلُغَ مِن ذِي العَرْشِ رِضْوَانا
بل ضربةً من غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظَى ... فسوفَ يَلْقَى بها الرحمانَ غَضْبانا
كأنه لم يُرِدْ قصداً بضربته ... إلا لِيَصْلَى عذابَ الخُلْدِ نيرانا

[عمرانُ بن حِطَّان]

[والكلام في هذه القضية طويل معلوم عند الإخباريين ، فلنرجع إلى المقصود ، لكن قوله : «وكان له على رغم الحسود إلى آخره ، أشار به لحديث الصحيحين ، وهو قوله ﷺ لعلي : **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي** . وأما عمران بن حطان ، فقال الذهبي في **تذهيب التهذيب** : السدوسي البصري الخارجي ، روَى عن عمر وأبي موسَى وعائشة وابن عباس وغيرهم ، وعنه ابن سيرين وقتادة ومحارب بن دثار ويحيَى بن أبي كثير وغيرهم ، وثَّقه العِجلي وغيره . وقال أبو داوود : ليس في أهل الأهواء أصحُّ حديثاً من الخوارج ، ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حسان الأعرج ، وقال يعقوب بن شيبة : بلغنا أن ابنة عم لعمران رأت رأي الخوارج ، فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها . وقيل كانت من أحسن النساء ، وكان عمران بن حطان من أسمج الناس ، فقالت له ذات يوم : أنا وأنت من أهل الجنة ، لأني أعطيت مثلك فصبرت ، وأعطيت مثلي

فشكرت ، فالصابر والشاكر في الجنة .

وقال عبد الله بن شبرمة : سمعت الفرزدق يقول : عمران بن حطان من أشعر الناس، قلت : لم ؟ قال : لأنه لو أراد أن يقول مثل ما قلت لقال، ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله . وقال حُلَيْس بن الكلبي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقي عمران بن حطان فقال : يا أعمَى ، أي عالم أشد بخلاً منك ؟ غير أنك رجل تحفظ فاحفظ عني هذه الأبيات :

حتَّى متَى تَسقِي النفوسَ بكأسها رَيْبُ المَنُونِ وأنتَ لاهٍ تَرْتَعُ
أفَقَدْ رضِيتَ بأنْ تُعلّل بالمُنَى وإلى المنيَّةِ كلَّ يوم تُدْفَعُ
أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ إنَّ اللبيب بمثلها لا يُخْدَعُ
فتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمِ فَقْرِكَ دَانياً واجْمَعْ لنفسك لاَ لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

قال ابن قانع : توفي سنة أربع وثمانين

قلت : وكان قد مدح ابن مُلْجَم على فعله الخبيث فقال :

يا ضَرْبَةً مِنْ كَمِيٍّ ما أَرَادَ بِهَا إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العرشِ رِضْوانا
إنِّي لأَذْكُرُهُ يوماً فأحسِبُه أَوْفَى البريَّةِ عند اللّهِ ميزانا
أكرِمْ بِقَوْمٍ بُطُونُ الطيرِ قَبْرُهُمُ لَمْ يَخْلِطُوا دِينَهُم بَغْياً وعُدْوانا

فبلغ شعره عبد الملك بن مروان فأحزنه حِمِيَّةً لعلي — رضي الله عنه — وهدر دمه ، ووضع عليه العيون ، فبقي مدة في الاختفاء ثم هلك بعمان . وقيل إن سفيان الثوري كان يتمثل بأبيات عمران بن حطان هذه ، وهي قوله :

أَرَى أَشْقِيَاءَ الناسِ لا يَسْأَمُونَهَا عَلَى أَنَّهُم فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوَّعُ
أراها وإنْ كانتْ تُحَبُّ فإنَّهَا سحائبُ صيفٍ عَنْ قليلٍ تَقَشَّعُ
كركبٍ قَضَوا حاجاتِهِمْ وتَرَحَّلُوا طريقُهمُ بادي العلاماتِ مَهْيَعُ

قلت : ولعل روايته عن هؤلاء قبل أن يقول الأبيات ويتمذهب بمذهب الخوارج ، وربما دل على هذا ما تقدم من أنه تزوج المرأة ليردها عن رأي الخوارج فصرفته له ، وإلا فحاشا أن يحدثه واحد ممن ذكر وهو يقول قوله ذلك في علي — رضي الله عنه — ، فهذا عبد الملك بن مروان أحزنه قوله في علي مع مباينته لبني

هاشم ونخوة ملكه . فكيف بهؤلاء – رضي الله عنهم ؟!][3] .

[أبو القاسم الْغُول الفَشْتَالِيّ]

ومنهم الفقيه القاضي العلامة سيدي أبو القاسم الغول الفشتالي ، ولي قضاء بلده ، وأخذ عنه جماعة من الأئمة ، مثل الامام سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، وسيدي أحمد بن قاسم بن رحمون الشريف العلمي ، وسيدي أبي القاسم الجباري وغيره ، وتوفي في هذا العام .

عبد الرحمان الدَّرَاوِي

ومنهم العالم الصالح سيدي عبد الرحمان الدراوي ، كان يؤدب الصبيان بمكتب درب الغرابلي من عدوة فاس الأندلس ويؤم بمسجده ، فإذا قبض شيئا من أجرة التعليم أو غيرها أصلح منها المسجد ، وما بقي تصدق به . وكان قوته من شعير يأتيه من بلده خاصة ، وهو مع ذلك صوَّام قوَّام . توفي بفاس عام تسعة وخمسين وألف ، ذكره في **الصفوة**[4] .

أحمد بن قاسم بن رَحْمُون العلمي

ومنهم سيدي أحمد بن قاسم[5] بن رحمون الشريف العلمي الادريسي اليونسي الحسني .

أبو القاسم الْجَبَّاري

ومنهم سيدي أبو القاسم الجباري الشريف[6] .

(3) كل هذه الفقرة الطويلة المتعلقة بعمران بن حطان ساقطة من **ك** **وم** .

(4) أثبتنا في هذه الترجمة والتي قبلها نص **ط وس** لأنه أوفى ، وأثبتنا كذلك العبارات الزائدة في **ك وم** .

(5) في هامش **م** : والده قاسم بن أحمد هو الذي كان يقرئ الأطفال بمسيد القطانين ونائب العربي بردلة في الصلاة في القرويين ، وصاحب محمد بن عبد الله الشريف في وزان .

(6) هذه الترجمة والتي قبلها ساقطتان من **ط وس** ، وبقي فيهما بياض في **ك وم** كأنه ترك لتعريف موجز بالمترجمين .

العام العاشر من العشرة السادسة [1]

محمد المُجَوَّل القصري

فمنهم الشيخ أبو عبد الله محمد المجول بالقصر الكبير. والمُجَوَّل بصيغة اسم المفعول من الرباعي من جوَّل مضعفا – بجيم أوله فواو ولام –. قال في **ممتع الأسماع**: وكان صاحب غيبة إلاَّ أن رسومه محفوظة عليه، وله كرامات وبركات ومكاشفات، ونطق بمغيبات. توفي أواخر العشرة السادسة بعد الألف. وأخذ عن السيد أبي عبد الله محمد الحاج الأغصاوي دفين فاس وقتيل أميرها، – يعني أمير المومنين مولاي محمد الشيخ بن المنصور الحسني – وأخذ أيضا صاحب الترجمة عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي البقال[2] دفين الحرايق من بلاد غصاوة والأخماس.

يوسف بن حِجَازِي

ومنهم الشيخ أبو الحجاج يوسف بن حجازي. قال صاحب **المطمح** في **فهرسته**: القاسمي الجنيدي، من ذرية أبي القاسم الجنيد، الخليلي، يروي عن سالم السنهوري، وأبي بكر الشنواني، وشهاب الدين القيلوبي، والشيخ علي الحلبي صاحب السيرة وغيرهم. وله شرح على **مشارق الصغاني**.

أبو الطيب نُصَيْر البَكريّ

ومنهم العالم العامل سيدي أبو الطيب نُصير البكري. قال في **الرحلة العياشية**: وقد لقيت ببلاد بسكرة في سنة تسع وخمسين رجلاً من الصالحين ممن جمع العلم والعمل به، والزهد والورع وصدق التوجه إلى الله، واسمه سيدي أبو الطيب

(1) هذه الترجمة ساقطة من **ط وس**.

(2) في **ط وس**: وأخذ عنه الشيخ أبو عبد الله ... البقال (؟)، ولم يذكره في **ممتع الأسماع** لا من شيوخ المترجم ولا من الآخذين عنه.

نصير ، لم تر عيني قبله ولا بعده أمثلَ منه في هديه وسمته ، تخشع القلوب لوعظه . وتلين لكلامه ولو كانت أقسَى من حجر . ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين وجدته توفي بالوباء الواقع في تلك السنة .

وباء مفرط في بسكرة

وكان وباء مفرط مات به في بسكرة على ما قيل نحو سبعين ألف نفس ، وقد دخلنا بسكرة عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها داثرة انتهَى .

مسعود بن عبد الله الدّرَاوِي

ومنهم البطل المشهور مسعود بن عبد الله الدّراوي . كان يحسب في عداد الأندلس ، توفي بفاس في أوائل ربيع الثاني[3] .

من حوادث السنة

قيام شر كثير بين أهل فاس البالي وفاس الجديد

ومن حوادث العام ما وقع في أواخر جمادي الثانية ، وهو شر كثير بين أهل فاس البالي وفاس الجديد المرينية ، وقطع قائدهم أبو بكر التاملي الماء عن فاس الادريسية ، وقدم الامام السلطان أمير المومنين مولاي محمد بن مولاي الشريف المحمدي الحسني السجلماسي أمير سجلماسة وأعمالها إلى فاس ، فدخل فاس الجديد بعد أن قبض على قائدها التاملي وسجنه بحبسها ليلة الجمعة مهل رجب ، وبايعه أهلها ، وكتبت له البيعة بفاس العليا .

قتال بين محمد بن الشريف أمير سجلماسة والدلائيين على أبــواب فـــاس

وتربَّص أهل فاس الإدريسية ينتظرون ما يبعثه اليهم سيدي محمد الحاج بن

(3) في ط وس : أدمجت ترجمة مسعود في حوادث السنة .

محمد بن أبي بكر الدلائي من جيوش البربر . قدمت عليهم جموع البربر فيما زعموا ستين ألفا في أوائل شعبان من العام . وفي تاسع شعبان وقع القتال بين الامام مولاي محمد الشريف الحسني والبربر بظهر رَمْكَة خارج باب المدينتين ، فانهزم جيش مولاي مَحمد ، وحيث رأى أنه لم يتم له بهما أمر رجع إلى تفلالت في ثامن وعشرين من رمضان ، وتركهما ، فرجعا بعد خلوه عنهما إلى مبايعة سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي[4] .

تجدد الشر بين فاس البالي والجديد

وفي خامس عشر ذي القعدة وقع الشر بين أهل فاس الجديد المرينية وفاس البالي الادريسية . ثم وقع الصلح بينهما من يومه خوفا من سيدي محمد الحاج بن محمد الدلائي ، فانه كان لا يريد الحرب ويريد الهدنة[5] .

---

(4) في هامش م : دخول مولاي مَحمد بن الشريف الحسني السجلماسي فاس وهزيمته عنها ، هزمه محمد الحاج الدلائي عنها ، وكانوا أصحابه خمسة عشر ألف فارس ، فمات منهم أكثر من أربع عشرة مائة ، وفر بأصحابه إلى سجلماسة ، وبايعوا (كذا) أهل فاس والمغرب محمد الحاج الدلائي .

(5) أثبتنا كذلك في حوادث هذه السنة نص ك وم لأنه أوفَى .

العشرة السابعة من القرن الحادي عشر
العام الأول منها

قتال بين أهل فاس البالي والجديد

ومن حوادث العام استهلت هذه السنة والحرب بين أهل فاس البالي وأهل فاس الجديد ، وهم فيلالة[1] سكانها حينئذ . في الثالث والعشرين من صفر قطع أهل فاس الجديد الماء ووقع فيه قتال عظيم مات فيه عبد الكريم الليريني ، [الأندلسي][2] ، ومحمد بن سليمان .

قتال في وادي الشراط بين العرب والبربر

ووقع شر في الشراط على سلا بين العرب والبربر ، وهزم فيه العرب ورئيسهم الدقاق ، ووقع فيهم نهب عظيم .

تمام بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج الدلائي

وفي الثالث من ربيع الثاني [تمت البيعة إلى أمير المومنين الرئيس الامام سيدي محمد الحاج بن سيدي محمد بن سيدي أبي بكر المجاطي اللمتوني الصنهاجي الدلائي في جميع بلاد المغرب الأقصَى ، ممن كان خرج عنها ثم رجع اليها ، ومن لم ينكثها وأوفَى بها ، فتمت له الدعوات بالمغرب وخطب به له على منابره ، ورجع إليه الأمر في المهم منه ، وتأخر نزول المطر][3] فغلت الأسعار ثم نزل المطر ورجع السعر نحو الثلث ، ثم اعتدل في المصيف إلى النصف مما كان قبل ، وكان نهب كثير في القمح .

---

(1) في ط وس : أهل تافلالت .
(2) ساقط من ك وم .
(3) ساقط من ط وس .

إخراج علي بن ادريس الْجُوطي من الْحَرَم الإدريسي

وفي سابع رمضان أمر أهل الدلاء باخراج أهل فاس إخراج (كذا) الشريف الجوطي مولاي علي بن ادريس الساكن بدار القَيْطُون ووالي حرم مولانا ادريس من الحرم المذكور، بسبب الجنايات والتعدي على أهل فاس، حيث كان يقع ذلك منه بالحرم المذكور، فامتنع من الخروج فأرادوا الدخول عليه، فحال بينهم العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله معن، وأخرجه من الحرم بالأمان، وسار معه إلى داره بالمَخْفِيَّة، فمكث عنده إلى السابع عشر من شوال، ثم فرَّ من عنده وأخرج من فاس.

استبدال الدلائيين السكة وضربها بفاس الادريسية

وفي أوائل رمضان أمر سيدي محمد الحاج بتبديل السكة على يد خديمه رضوان، وانتقل محل ضربها من فاس الجديد إلى فاس البالي الادريسية وأمر أن يكتب في الْمُزُونَة مكانَ اسم الله محلُّ ضربها في وجه، وتاريخُ عامه في الوجه الآخر، وهو: **ضرب بفاس**، وفي الوجه الآخر **في عام كذا**، وعلل بطلان كتب الاسم فيها تعظيما لاسم الله وتنزيها له، لأن الْمُزُونَة تقع في أيدي اليهود، وربما تسقط في الطريق، والغالب على الطريق عدم الطهارة. وكانت المزونة في غاية التصفية والجودة، وضربت من ثلاثة عشر أوقية في المثقال.

زلزلة صبحاً وأخرى عصراً

وفي أول يوم من شعبان كانت زلزلة بين صلاة الفجر والصبح، ثم أخرَى بعد العصر ثالث شعبان. ولم أقف على وفاة أحد في هذا العام من العلماء والصالحين والله أعلم[4].

(4) أثبتنا هنا أيضا نص ك وم لأنه أوفَى.

العام الثاني من العشرة السابعة

محمد بن عبد الله مَعْنْ

فمنهم الولي الكبير، الصادق الخطير، العالم العامل، العارف بالله، سيدي محمد بن عبد الله مَعْنْ الأندلسي، من أكابر الصوفية الأعلام، ومن مشايخ الطريقة في البدء والتمام، وكفَى في علو مقداره، ما ظهر في تلامذته من بركة أنواره، وكم انتفع بصاحب الترجمة من الأكابر، وتخرج به من الأولياء المشاهير، ملئت الدواوين بأوصافه، ومُتعت الأسماع بحسن اتصافه، وقد جمع منها كتب **المقصد الأحمد** الذي ألفه سيدنا الجد في ولده أحمد، وكذا **ممتع الأسماع** في الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع للامام الكبير، المحقق الصوفي الحافظ الشهير، سيدي المهدي ابن أحمد الفاسي، وجرد ترجمته في جزء سماه **عَوارِف المنة، في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيِي السُّنَّة**. [وقد رأيته بخطه، وأطال في ترجمته في **ممتع الأسماع** بما يسع كراسة وأكثر بالكتابة المتوسطة بين التفريق والادماج][1]. حفظ القرآن صاحب الترجمة في صباه وجوده بحرف نافع على الأستاذ أحمد بن عثمان اللمطي، والامام أبي محمد الحسن الدراوي ـ وتقدمت ترجمته ـ، وتصدَّى لطلب العلم فكتب بخط يده كتباً، ثم أُولع بالعبادة فكان يأوي هو وأخ له في الله إلى مسجد الحفارين قرب داره إذ ذاك، فنقِمَ عليهما أهل الحومة النافلة في المسجد، ووجهوا في ذلك سؤالاً لمفتي الوقت الامام القصار، فكتب عليه: **يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً**. وكان يُدمن زيارة الشيخ سيدي أبي عبد الله التاودي، ومولاي عبد السلام بن مشيش، وكان يتعاطَى الأسباب في التجارة ونحوها، وكان له ولوع **بتنبيه الشيخ ابن عباد** سريح (كذا) الحكم. وكان يخالط عمل دود القز فيتمعش بذلك أيضا، ثم اتصل بالشيخ أبي المحاسن الفاسي فوجده أسِفَ لفراق سيدي ابراهيم الصياد بموته، فعوضه الله به فأنس به.

---

(1) ساقط من كـ وم.

قال في **الممتع** : ولما وُلد – أي صاحب الترجمة – عند أبي المحاسن في الطريق ، جاء أهل الله إلى أبي المحاسن يهنؤونه به ، ولما مات والده لم يترك إلا زوجته وولدها صاحب الترجمة ، فجعل ينفق ما ورثه منه ويفرقه في جانب الشيخ . ويخفُّ على أبي المحاسن إنفاق صاحب الترجمة عليه ويصرح بأنه يُعجبه ذلك ويقول : لأنه انفرد بإرث أبيه وأمه فلا تتطرق له شبهة في متاعه . قال في **المقصد** : وأنفق – أي صاحب الترجمة – جميع ما ورثه من أبيه ، وكان ورث منه مالا عريضا جدا ، فصرفه في جانب أبي المحاسن وفي الفقراء والمساكين . حتَّى لم يبق بيده دينار ولا درهم ، وجعل يأكل من عمل يده وما يتناوله من الأسباب . وسمعت من ابنه سيدي أحمد ومن غير واحد من أصحابه أنه أعطَى مما ورثه من تركة أبيه اثني عشر مائة دينار ذهبا ، فرقها في القراطيس على الفقراء والمساكين ، قرطاسا قرطاسا . كل واحد على حسبه ، فشكته أمه للشيخ سيدي يوسف ، فكلمه في ذلك فقال له : يا سيدي إني نبذت الدنيا وراء ظهري وأعطيتها بالقفا . والله لا أرجع اليها ولا ألتفت اليها أبدا ، فسر بذلك الشيخ وأعجبه انتهَى .

ولما توفي الشيخ أبو المحاسن،وكانت مدة صحبته اياه نحو الأربع سنين ، صحب وارثه وأخاه سيدي عبد الرحمان ، ولازمه واختص به سنين . وكان إذا اختفَى له ينقر عليه أينما كان ، فسئل صاحب الترجمة عن ذلك . فقال : أعرفه بالرائحة ، فإني إذا أقبلت عليه استقبلتني رائحة فأتبعها حتَّى أفضي اليه . ولما مات سيدي عبد الرحمان قعد صاحب الترجمة بداره لا يجتمع مع أحد ، فكان الاخوان يترددون اليه ويتلطفون له في قبوله إياهم فيقول : لا إذن عندي ، وربما قال لبعضهم : ولكن أحبني فإنَّ المحبة تنفعك ، ثم أزعجه الله لزيارة مولاي عبد السلام بن مشيش ، فوقع له الإذن هناك ، كما أخبر بذلك عن نفسه ، وبقي في رجوعه في هيبة ، ولا يكلم بعضهم بعضا لشدة الهيبة التي صدرت منه ، فجلس في زاوية شيخه سيدي يوسف لقربها منه سنة ثمان وثلاثين ، وكان سكناه بالمخفية سنة اثنين وعشرين ، فأتاه الناس من كل جهة ، وقال لهم اركبوا هذه الرقبة فقد هددت بالسلب إن لم أخرج إليكم ، وتغرغرت الدموع في عينيه . ولما نزل به حال ارثه من شيخه صادفه ذلك وهو جنب ، قال اللهم اجعلني رحمة لعبادك ، وكان يشير لخدمة الجن إياه ويقول : أول ما يَخْدِمُ الخصوصَ الجنُّ لكونه أكيس من الآدمي ، فبقي في زاوية

شيخه نحو ستة أشهر ، ثم بنَى زاويته في السنة المذكورة ، وبقي يدل على الله وينصح لعباد الله إلى أن قبضه الله ، وكان لا يمشي الا وحده أو مع واحد فقط ، ولا يتخذ في المسجد موضعا معلوما ، ويسرع في مشيه ، ويُدمن غسل الجمعة ، مواظباً على الأوراد والذكر والتلاوة ولو في المرض ، وينهَى عن ذكر أسماء الله لتحصيل الدنيا القذرة ويقول : إن ذلك يعود على صاحبه بالخسارة .

قال في **عوارف المنة** : وسمعت صاحب الترجمة يقول : قلت لسيدي عبد الرحمان إن النبي ﷺ لا يغيب عني إلى أين ؟ فقال لي : ما الذي تشاهد روحانيته أو جسمانيته ؟ فقلت : بل روحانيته ، فسكت عني . قال : ثم بعد أيام سألني هل ذلك باق ؟ فقلت له : نعم يا سيدي ، الصفة لا تفارق الموصوف ، فأظنه قال فسر بذلك وظهر البشر في وجهه ، انتهَى لفظه .

ومن كراماته أن بعض أصحابه أخبره أنه سرق له ثلاثة أشباح من النحل ، فقال ثلاثة بثلاثة ، فإذا بالذين سرقوا الأشباح تغادروا بينهم فقتل أحدهم الآخر ، ثم قتل الحاكم القاتل منهم ، فكان المجموع ثلاثة دفنوا في ساعة واحدة ، ونهبت دورهم ، فأخرجت الأشباح الثلاثة بعينها . وكان أصحابه إذا جلسوا عنده إلى العشاء حين المطر ، فإذا انصرفوا إلى أهاليهم أقلع المطر حتّى يصلوا إلى منازلهم فيعود عادة جارية . وإذا تنكر لرئيس أو أمير عزل سريعا ونبذ ، وإذا توجه له واهتم بأمره قام سوقُهُ وعلا . قال سيدي المهدي : رأينا ذلك عيانا وتحققناه وكان على حالة شيخه سيدي يوسف ونسخة منه في الكمال والتمكين .

ولد — رضي الله عنه — حدود ثمان وسبعين — بموحدة — وتسعمائة — بمثناة — ؛ وتوفي بعد طلوع الشمس بساعة يوم الأحد الثالث من جمادي الثانية سنة اثنتين وستين وألف ، ووافق اليوم الثاني من مايه ، وكان يؤمه في مرضه صهره الخير الدين الفاضل أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن يحيَى المغنا المربي الأندلسي ، وغسلته زوجته وابنته تهرق عليها الماء بعد أن غطت وجهها بساتر بايصاء منه ، ودفن عند الزوال بالقباب ، أعلى مطرح الجنة خارج باب الفتوح أحد أبواب فاس ، وصلّى عليه داخل قبة شيخه سيدي يوسف أمام قبره ، أعني الجنازة ، الامام ومن وسعه المكان وسائر الناس خلف القبر وخارج القبة والروضة . والامام الذي صلّى

عليه هو الشيخ الامام أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي . وكان مطر في موته ودفنه الا أنه خفيف ، وبقيت داره مسدودة أياما حتَّى جازت أيام التعزية ليلاً يجتمع بها أحد للبكاء ونحوه ، وبنيت عليه قبة على شكل قبة شيخه سيدي يوسف . انتهَى كلام سيدي المهدي بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي باختصار ، ومن خطه نقلته من تاليفيه **الممتع والعوارف** ، لكن اختصرت منه لطوله . وقال في آخر كلامه ما نصه : وجدت بخط من عرف بالشيخ ما نصه : وأخبرني بعض قرابتنا في أيام موت صاحب الترجمة أنه رأى بعض معارفنا ممن مات ببلد آخر وهو مسرور ، فأخبره بأنه قد غفر في تلك الليلة لجميع المومنين ببركة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله ، وسمعت من آخر نحو ذلك عن أحد ولده ممن مات قبل ذلك ، فأخبره بنحو ذلك انتهَى . وكان — رضي الله عنه — إذا قال له أحد إني أحبك يقول له : أحمد الله ! رحمه الله ونفعنا به آمين .

أحمد بن علي بن يوسف الفاسي

ومنهم الشيخ الفقيه العلامة المشارك أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ، وتقدمت ترجمة والده وجده . قال فيه صاحب **المطمح** في **فهرسته** : أحد الأئمة المعتبرين ، والأعلام المشهورين ، مشارك في عدة علوم ، ما بين منقول ومفهوم ، وكان مشهوراً بحسن الالقاء والتدريس ، متسع العارضة في الحفظ والفهم ، تغص رحاب مجلسه بأهله . وكان — رحمه الله — خيراً دينا محببا إلى العامة ، لهم فيه اعتقاد عظيم .

ولد بالقصر في الرابع من صفر سنة سبع — بموحدة — وتسعين وتسعمائة — بمثناة فيهما —

[أبو الشِّتاء دفين فَشْتَالَة]

وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ صاحب الأحوال أبي الشتاء دفين فشتالة من أصحاب الشيخ الغزواني .

[محمد الْمَكْني الطرابلسي]

وبها كانت وفاة أبي عبد الله محمد المكني قاضي طرابلس الغرب ، وذلك في ذي الحجة .

ورحل صاحب الترجمة[2] إلى فاس فقرأ على مشائخها ثم عاد إلى القصر وتأهل هنالك مدة ، ثم سكن مكناسة الزيتون ، واستوطن بفاس آخر عمره إلى أن سافر إلى القصر ، فأدركته هناك منيته ، صبيحة يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة اثنين وستين وألف ، وحمل إلى فاس فدفن قريبا من قبر جده أبي المحاسن — رحمهما الله تعالى ورضي عنهما — .

قلت : وأراني قبره بعض حفدة أخيه ، وهو القبر الركني عن يسار الداخل لقبة الشيخ أبي المحاسن من بابها الشرقي . قال في **الفهرسة** المذكورة : وأخذ عن أعمامه أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، وأبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي ، وأبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي وعن الشيخين أبي القاسم وأبي العباس ابني القاضي ، وعن أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي ، وعن الشيخ الفقيه الصالح الشهير أبي الحسن علي الدُّشَيْش — بضم الدال — وكل هؤلاء تقدمت تراجمهم .

عيسَى السُّكْتَانِــي

ومنهم الامام الماهر العلامة أبو مهدي سيدي عيسَى بن عبد الرحمان السكتاني ، أحد الأعلام المحققين ، قاضي القضاة بمراكش ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، شيخ المعقول والمنقول ، صاحب التآليف ، له **حاشية على شرح الصغرَى** لمؤلفها الشيخ السنوسي ، وغيرها من التآليف ، وأخذ عنه خلائق وجماعة من الأئمة من سوس وغيره . قال تلميذه الشيخ اليوسي في **فهرسته** لما تعرض لعد أشياخه ما نصه : ومنهم الشيخ الماهر العلامة قاضي القضاة أبو مهدي عيسَى بن عبد الرحمان السكتاني . حضرت عنده جملة من **مختصر الشيخ السنوسي** المنطقي ، وجملة من **محصل المقاصد**

(2) يعني أحمد بن علي الفاسي . وبذلك تكون الترجمتان السابقتان لأبي الشتاء والمكني مقحمتين داخل ترجمة أحمد الفاسي .

لابن زكري ؛ وكان امام وقته في فنون العلم مع سمت وهمة ونية صالحة في طريقة القوم ومحبة في أهلها ـ رحمه الله تعالى وجزاه خيرا ـ .

قلت : وكان شيخنا الحافظ العلامة سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي حين حضرت مجلسه في **قراءة صغرَى الشيخ السنوسي** حدود سبعة وأربعين ومائة وألف لا يقدم حاشية من حواشي الصغرَى على حاشية صاحب الترجمة ويثني عليه كثيرا .

توفي صاحب الترجمة عام اثنين وستين وألف ـ نفعنا الله به ـ آمين[3] .

محمد الدَّادْسي الْوَوزَغْتي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن الدَّادسي الووزغتي دفين وَوِزَغْتْ . ووَوزغت ـ بفتح أول الواوين في أوله وكسر ثانيها وفتح الزاي وسكون المعجمة ـ كذا ضبطه صاحب **المطمح**[4] بالقلم بخطه ، وهو من المتقنين جدا . قال في **الممتع** : وذكر لي بعض أصحابه أنه قال له : نحن من ذرية سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كان قويّ الحال ، كثير التواجد ، كثير التغني والدَّنْدَنَة ، لا يتمالك عند تلاوة القرآن وسماعه ، يعمل فيه كثيرا ويتحرك ويتواجد حتَّى يكاد يطير ، حتَّى كان في آخر أمره لا يستطيع سماعه ، لسماعه له بنعت المكالمة والمناجاة . صحب أولاً الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي بسلا ، وهو من أصحاب سيدي عبد الله الهبطي ، فبقي في صحبته عاما ، ولقنه أن يصلي على النبي ﷺ ، ثم أوصاه فقال له : زُرْ حتَّى تُزار ، ودُرْ حتَّى تُدَار ، وأَحْبِبْ حتَّى تُحَبّ . ثم ذهب إلى سيدي أبي بكر الدلائي المجاطي فأخذ عنه ، وسأله الشيخ عما يذكر فذكر له الصلاة التي لقنه أبو محمد ابن حسون ، فأمره أن يزيد فيها عبدك ونبيك ورسولك قبل النبي الأمي . وكان كثير الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ وتلاوة القرآن ، وتوثر عنه كرامات ومكاشفات ، وتصريف همة وخوارق عادات ، وحكم وأمثال ، تشفي الغليل وتزيح الإشكال .

توفي ـ رحمه الله ـ سنة اثنين وستين وألف ، وسنه أربع وثمانون سنة . هكذا

(3) أثبتنا هنا نص **ط** و**س** لأنه أوفَى .
(4) في **ط** و**س** : صاحب **الممتع** .

أخبرني بهذه الترجمة جميعها بعض المنتسبين اليه ، إلا أني اختصرت منها كثيرا . انتهى كلام **الممتع** بنصه من خط مؤلفه .

وقال سيدنا الجد ، ومن خطه نقلت ، أخذ سيدي محمد بن محمد — يعني صاحب الترجمة — عن سيدي أبي بكر الدلائي ، وعن سيدي عبد الله بن حسون ، وأراه الطريق المبلغة لبلده سلا ونعتها له في المنام ، ولما قدم عليه بسلا قال له : طالما انتظرتك وقد أبطأت عليَّ ولم يبق عندي الا أمانتك ، وأعطاه خمسين ألفاً ورداً أمره بأن يقول : لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله ، كل يوم ، ويزيد عند رأس كل مائة ﷺ ، فكان يقولها ، وقال له : تكلفت بثلاثة أمور : من عرفك فعليه أمان الله ، وأصحابك لا يذوقون الحساب ، وأنهم يغبطهم الناس في الموقف . وقال له إن وجدت تيسيرا فارجع إليَّ ، وإن لم تجد فلا عليك ، فما مضى إلا يسير وتوفي — رحمه الله — وبعد وفاته لقي الشيخ أبا بكر فقال له : كم وردك ؟ فقال خمسون ألفا وقراءة القرآن وما تيسر من النوافل ، فقال سيدي أبو بكر ما زال لك ما زال لك ، يعني أنه لابد أن يزيد على ذلك ، وهذا إذن له من هذا الشيخ في الزيادة وإلزامٌ له بها ، فزاد على ذلك مائة ألف ، فكان مجموع ورده بعد ذلك مائة وخمسين ألفا ، وكان يقرأ مع ذلك كتاب **دلائل الخيرات** كل يوم ثلاث مرات ، وكتاب **تنبيه الأنام** يختمه مرة ، وكان مدة بدايته لا ينام من الليل شيئا ، بقي على ذلك ثلاثين سنة ، وسرَى للناس من نفحاته ، فكانوا ياتونه بقصد الصحبة فيردهم ، ثم ظهر له أن ذلك صدٌّ عن سبيل الله وقطع للطريق ، وجعل يقبل صحبتهم على نية أنه يذهب بهم إلى الشيخ سيدي أبي بكر ، فلما اجتمع منهم عدد ذهب بهم إلى الشيخ ، وعندما قربوا أن يشرفوا عليه قال لهم : إذا كنتم توسمتم في شيئا فهو من هنا ، وهذا رأس العين ، فامتثلوا إلاَّ واحداً قال لا أعرف غيرك ، فلما قدموا عليه رحب بهم وقال : مالك مع أصحابك ؟ لا تحشمهم ، فقال له يا سيدي : خفت ، فقال له مم ؟ فقال من قوله تعالى **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا** ، فصاح سيدي أبو بكر صيحة عظيمة وسقط مغشيا عليه ، فلما أفاق قال له : مد حبلك وشدَّ فيه ، وائتني به أحمله على عنقي ، فكان ذلك إذنا له وتكميلا ، فبقي يأتيه هو ومن علق به من الأصحاب إلى أن توفي سيدي أبو بكر ، فكان متصديا لهم يجلس لهم بكرة وعشيا ، زمنه وبعد وفاته ، إلى أن توفي — رحمه

الله ـ. وكان يعمل الحضرة كثيرا ، يفتتحها هو لهم أو يأمر من يفتتحها ، ويتواجد كثير الوجد والهيمان ، وتظهر على أصحابه الأحوال ويأمرهم بالأوراد.

ومن كراماته أن قوما من العرب كانوا نازلين بأرض قرب وادي أَرْكَّز ، وتلك أرضهم وبلادهم ، فانقطع الوادي وجف ماؤه حتَّى ما بقي منه شيء ، فكانوا يحفرون بازائه الحفر ويخرجون منها اليسير من الماء كالحفنة والحفنتين فقدم عليهم بعض أصحابه بقصد زيارة من كان هنالك من الفقراء إخوانه ، فوجدهم كذلك . فقال لهم هاتوا الوعدات إلى الشيخ واذهبوا معي اليه ، فبادروا إلى ذلك تعرضا للاغاثة والاستناد إليه مما هم فيه من شدة الحال ، وجمعوا له غنما كثيرة وذهبوا ، وعندما قربوا من الإشراف عليه قال لهم : إن قال لكم الشيخ يكون شيء ، فقولوا يكون يا سيدي من بركتك . فلما لاقوه قال للذي أتى بهم : فقير جلاَّب ، خير من فقير حبَّاب ، والتفت اليهم فقال لهم : كيف هو واديكم أيقدر أن يدور الرحَى ؟ ، فقالوا له : نعم يا سيدي يدورها من بركاتك ، فقال لهم يدورها . فلما رجعوا إلى مكانهم وجدوا الوادي ينهمر به حس عظيم يدور الرحا وأعظم منها .

ومنها أن الامام الأمير أبا عبد الله محمد الحاج بن محمد الدلائي أمر قبائل البربر أن يبنوا قصبة لأنفسهم في موضع قريب من مدشر جُرْط ، فاختطوها وأخذوا في بنائها ، وكان بناؤها في ذلك الموضع مما يضر بالمدشر المذكور . ثم إنه ذهب بعض أصحابه من سكانه فشكا ذلك له ـ رضي الله عنه ـ فقال له : أشرعوا في بنائها ؟ فقال له نعم يا سيدي ! فقال له : لا يكون شيء منها ولا يتمونها أبدا ، فبلغ خبر هذه المقالة للأمير المذكور ، فغاظه ذلك وأمر القبيلة المشتغلة ببنائها أن يبتدئوا ببناء دار له تأكيدا في الأمر وحرصا على نقض قوله ، فجعلوا يبنون ، فاعترضهم أهل البلاد ومنعوهم من ذلك ، وتفاقم الأمر في ذلك إلى القتال ، فكفوا عن البناء ولم يتم لهم عمل ، وكان الأمر كما قال ـ رضي الله عنه ـ .

ومنها أن جماعة من آيت عتّابْ خرجوا لزيارته ، وكانوا من أصحابه ، فتعرض لهم قومهم وكانوا قد احتاجوا للمطر وقالوا لهم : والله إن لم تأتونا بالمطر ، أي تطلبونه فينزل علينا على يد شيخكم ، لضربناكم بالحجر ، فقدموا على الشيخ ، ولما أرادوا الانصراف من عنده قالوا يا سيدي ان القبيلة قد عهدت إلينا أن نطلب لهم الشتاء عندك ، وتوعدونا بالضرب بالحجر إن لم يغاثوا فقال لهم ما هذا ؟ وهل

حكم الشتاء بيد محمد ؟ — يعني نفسه — فقالوا له يا سيدي اطلب لنا الله ونحن قد استحيينا أن نرجع إليهم دون شيء، فلما ألحوا عليه اعتراه حال فقال لهم : قوموا واذهبوا إلى الضريح الفلاني وقولوا رفعنا الوسيلة بسيد الرجال، طلبنا الفضيلة لمولى الْمَوال ، فقاموا يقولونها وذهبوا حيث أمرهم ، فما وصلوا حتَّى أغاثهم الله بالشتاء ، ونزل عليهم المطر الوابل — رضي الله عنه — .

ومن كلام صاحب الترجمة — رضي الله عنه — : الدموع ثلاثة أقسام ، دمع يأتي من الرية يكون إذا ظلمك أحد ، ودمع يأتي من الكبد إذا مات للإنسان قريبه ، ونفَسُه سخن ، ودمع يأتي من القلب وينتشر بين الجلد واللحم ، وهو دمع خشية الله . قال الله تعالى : **ثُمَّ تَلينُ جُلُودُهُم وقُلُوبُهُم إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** .

ومن كلامه — رضي الله عنه — : إذا تعلم الانسان حرفة صناعة وحصل له العلم بها ، ثم لم يشتغل بخدمتها ، فانه لا يحصل له منها أجرة ، وكذلك العلم والحال وغيرهما إذا لم يشتغل صاحبهُما بهما وبالعمل بمقتضاهما لم يحصل له منهما نَفْعٌ .

ومن كلامه — رضي الله عنه — : على قوله ﷺ **مَنْ كَانَ يُومِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه** ، هم الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار على المومنين ، يجيئون ويذهبون كالأضياف ، وإكرامهم الاشتغال بالعمل الصالح لأنهم يسرهم ذلك ، والضيف يبلغ عنك ما رأى فيك ، فليكن ما يبلغه عملا صالحا .

ومن كلامه — رضي الله عنه — : المرآة إذا لحسها الانسان بريقه ذهبت صقالتها ، وكذلك المومن إذا أعجبته نفسه ذهب ضياؤه وجماله ، وفسد حاله .

ومن كلامه : الجلد المنتفخ لا يعمل فيه الدبغ حتَّى يزول منه انتفاخه ، وكذلك المتكبر لا يتأثر بشيء حتَّى يزول منه الكبر .

ومن كلامه : الثوب لا يزول منه الوسخ ما لم يعمل فيه الصابون ؛ وكذلك الانسان لا تزول مساوئ نفسه ما لم يكن له شيخ صحيح .

وقال — رضي الله عنه — : قال لي النبي ﷺ — احتفظ بأمتي ! قلت له : يا رسول الله ماذا أصنع ؟ قال لي علمهم لا إله إلاَّ الله ، محمد رسول الله . فما في هذا الزمان مثلها وأنفع لهم منها .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : النجوم في السماء والنجوم في الأرض ، كذلك الملائكة تَرَى المومنين كالنجوم في الأرض ، والرعد في السماء والرعد في الأرض ، فكما نسمع صوت الرعد كذلك تسمع الملائكة دَعَوات المظلوم . انتهَى كلامه من خط سيدنا الجد رحمه الله ، ومن خطه نقلته .

محمد الْقَنْطَرِيّ القصريّ

ومنهم الفقيه المشارك الأديب أبو عبد الله محمد بن علي القنطري القصري . توفي بالقصر ثامن وعشرين[5] من ذي الحجة سنة اثنين وستين وألف ، ذكره في **أزهار البستان** فيمن انتفع بالشيخ أبي زيد الفاسي عبد الرحمان .

محمد بن عبد الله

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله خطيب مسجد باب الجِيسَة .

أحمد السَّاوْرِيّ

ومنهم أبو العباس أحمد الساوريّ . توفي سنة اثنين وستين وألف .

من حوادث السنة

خروج فقهاء فاس إلى الدلاء لطلب كف الحيابنية عن النهب

ومن حوادث العام . وفي رجب من هذا العام ، خرج الشرفاء والفقهاء والأعيان والفضلاء مستشفعين ومستصرخين للرئيس الامام أبي عبد الله سيدي محمد الحاج بن محمد الدلائي ، فطلبوا منه أن يكف الحيابنة عن النهب وقطع الطريق وسفك الدماء لجميع من جاورهم للبلاد التي غلبوا عليها واستقروا بها وأجلوا أهلها فضلا عمن مرَّ بهم ، بعد أن كتب أئمة العصر أجوبة مصرحة بأنهم بغاة يجب قتالهم ، وقد وقفت على أكثرها ، فأجابهم لما طلبوا منه وتعين عليه أداؤه ، فخرج فوراً إليهم في خيله ورجله ، فقاتلهم وهزمهم وأراح الناس منهم ، وتابوا لله على يديه ، وذلك أوائل رمضان .

(5) في ط وس : ثامن عشر .

العام الثالث من العشرة السابعة

محمد الشريف البوعناني

فنهم الامام الحافظ الكبير ، المحدث الأستاذ المقرئ المجوّد الشهير ، أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف البوعناني . بهذا اللفظ حلاه في **أزهار البستان** لما ذكره في جملة من قرأ على أبي محمد عبد الرحمان وانتفع به . وقال سمع عليه **صحيح البخاري** بلفظه ، ولازم مجلسه سنين ، وأجازه مرتين . ومولده سنة ثمان وثمانين وتسعمائة ، أو في التي بعدها . وتوفي في سادس شوال سنة ثلاث وستين وألف . انتهَى . وذكر الإمام الزاهد الورع المحقق سيدي أحمد بن علي السوسي في كتابه **بذل المناصحة ، في فعل المصافحة** أن صاحب الترجمة هو الذي استدعاه إليه وأثنَى عليه بالشرف والعلم ، ونصه : فقد خاطبني حائز سيادة التجويد ، وسائس إقرائها في هذا العهد بفاس القديم والجديد ، الأخ في الله الأشرف الشريف ، العالي نسبه للشيوخ بالاجازة والتعريف ، سيدي محمد بن محمد المعروف بالبوعناني ، أبان الله لي وله معالم المغفرة واعلام المباني . إلى آخره . وفي **المنح البادية ، في الأسانيد العالية** للعلامة المشارك الإخباري الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد بن الشيخ الحافظ سيدي عبد الرحمان الفاسي أن والده سيدي عبد الرحمان انفرد عن شقيقه سيدي محمد بالأخذ عن مشائخ ، منهم صاحب الترجمة لما ذكر عمن أخذ والده المذكور ونصه : وعن أبي الفلاح محمد بن محمد بن سليمان بن منصور بن علي الشريف البوعناني . انتهَى المراد منه . وقال الامام أبو سالم العياشي في **فهرسته** في صاحب الترجمة : وهو خاتمة من روَى عن القصار ، وكنت سمعت منه أشياء كثيرة ، ولم أطلب منه الإجازة ، مع أنه كان حريصا على ذلك لحيائي منه ، ولو اسقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت ، والله غالب على أمره . انتهَى . ذكره استطراداً لما ذكر شيخه الامام أبا العباس الأبار ، فانظره .

أَبو بكر السُّكْتَانِـيّ

ومنهم العالم العلامة الحاج الرحالة أبو بكر بن يوسف السكتاني المراكشي ، توفي سنة ثلاث وستين وألف . قال فيه أبو سالم العياشي في **فهرسته** : شيخنا الموطَّأ الأكناف ، الكثير الإسعاف ، العالم العلامة ، الحاج الرحالة الفقيه ، المتفنن الزاهد المتدين النزيه ، المتعفف النبيه ، المتصدق المحقق في سائر العلوم ، سيدي أبو بكر بن يوسف السجتاني المراكشي ، رحل إلى المشرق ثَلاث مرات ، وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة ، وسافر إلى القدس وحج أكثر من عشر حجات . لقيته بمصر سنة تسع وخمسين ، وصحبته إلى المغرب في الرجوع ، سمعت عليه بعض **الشمائل** ، ولقّنني الذكر بظاهر بسكرة ، وأجاز لي سائر مروياته في العلمين عن جميع أشياخه ، وكتب لي ذلك بخطه مرارا . ومن أشياخه علامة زمانه الشيخ أبو الإمداد ابراهيم اللقاني ، والشيخ عبد الرحمان اليمني ، والشيخ يوسف الزرقاني ، وغيرهم من أهل مصر ، والشيخ أحمد العلمي من أهل القدس ، وعنه أخذ طريق التصوف ، وسيدي أحمد بابا من أهل تِنْبَكْتُ ، وسيدِي أبو القاسم بن محمد الدرعي ، وهو يروي عن ابن مَجْبَر ، عن ابن غازي ، وهو أعلى سند يوجد في زمنه . وأخذ عن غير هؤلاء من أهل بلده .

توفي — رحمه الله — سنة ثلاث وستين وألف بمدينة مراكش . انتهَى بنصه . ولما أورد شيوخ الصوفية ذكره في جملتهم فقال : كان رضياً من العيش بالدون ، ومكتفياً من الدنيا بقليل ، شديد الورع في مطعمه ، موثراً للخمول ، كثير الطواف في الأرض ، وذاكرته يوما فيما يوثر عن ابن مرزوق وغيره أنه يسمع بموضع الوقعة ببدر صوت طبل حتَّى الآن ، فقال لي : مررت بذلك الموضع نحو سبع وعشرين مرة فما سمعته . انتهَى كلام أبي سالم . ثم قال وشهدنا له كرامات كثيرة انظر تمامه . [وممن أخذ عنه سيدي محمد بن علي الفلالي ، يأتي ذكره عام واحد وتسعين — بمثناة —][1] .

---

(1) ساقط من ك وم .

أحمد القَلصادي

ومنهم الشيخ الموقت أبو العباس أحمد بن محمد القلصادي القرشي. قال الحافظ أبو زيد الفاسي: سمعت عليه **كتاب القلصادي في الحساب** ثلاث مرات، وشرح **فرائض خليل** كذلك، **والمختصر الأصلي** كذلك، مع رسائل في الاسطرلاب ومسائل في علم الحساب والتعديل وما يلحق به.

محمد الموذن التطواني

ومنهم الفقيه الأديب سيدي محمد المؤذن، توفي بتطوان.

من حوادث السنة

مجاعة كبيرة وطاعون جارف بفاس

ومن حوادث العام كانت مجاعة كبيرة بلغ اللحم أربع مُوزُونَات للرطل، والدَّجاجة أربع مُزونات، وأكلت الجيف، وكثر الموت بالأزقة دون ما في المرستان. وذكروا أن من دفن من المرستان بلغ أربعة وثمانين ألفا زيادة على من دفن من غيره، وأُكل الآدمي بوسط الصَّفارين جهراً، وخلت حومات. وسبب هذه المجاعة لما بلغ أمير المومنين مولاي محمد ابن الشريف الحسني السجلماسي سلطان تافلالت وما يجاورها من بلاد القبلة والصحراء خبر الحياينة البغاة، حيث كثر النهب وسفك الدماء بمن يمر بهم ويجاورهم، فخرج إليهم من سجلماسة ونزل عليهم أواخر المحرم فاتح العام، فخرج إليهم من سجلماسة، فأخذ زرعهم حيث فروا منه عن البلاد إلى ناحية فاس، وبايعوا ابن عمه أمير المومنين الامام مولاي محمد ابن العلامة الحافظ الزاهد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، وكان إذ ذاك مقيما بفاس، فلما بايعوه الحياينة وخرج معهم من فاس لقتال ابن عمه الامام المذكور يوم الخميس من صفر، فلقيه خبر بيعة الحياينة له وخروجه معهم إلى مولاي مَحمد بن مولاي الشريف الامام المذكور، فأقلع عن الحياينة ورجع

إلى أهل طاعته ، فرجع الحياينة إلى بلادهم . ورجع مولاي محمد بن عبد الله إلى فاس يوم الثلاثاء الموالي ليوم الخميس المذكور.

مقدار الوَسق بفاس في القرن 11 ، وفي القرن 12

فبسبب هذا النهب وقع الغلاء ، فبلغ القمح عشرين مثقالا قديمة للوسق الشرعي ، إذ كان حينئذ بفاس هو وسقهم ، وهو ثلث وسقنا في هذا العام ، وهو سنة خمس وسبعين ومائة وألف ، وخرج جماعة من الأعيان من أهل فاس شاكين ومستشفعين بإمامهم سيدي محمد الحاج بن محمد الدلائي فأخبروه بما نزل بهم من الجوع والفتن والمصائب.

زلزلة بفـــاس

[وفيه وقعت زلزلة بفاس ـ نجانا الله من الفتن بلطفه ـ آمين](2)

خروج الْخَضِر غَيْلاَن بفَحْص الهَبْط

[وخرج الخضر غيلان بفحص الهبط ، فدخل القصر بقتال مات فيه جماعة من أعيانهم ، وانجلَى منهم أولاد القنطري وغيرهم.

تغيير العملــة

ووقعت الْعَدْلَة في الفلوس](3) .

---

(2) خبر المجاعة والطاعون والزلزلة الواقع بين معقوفتين ساقط من **ط وس**. وانما فيهما بدل ذلك : «ارتفاع السعر فبلغ القمح نحو أوقية قديمة للصاع النبوي ، ثم بلغ أوقية ونصفا بعد أن حبس المطر ، وصلّى الناس صلاة الاستسقاء وأغاث الله بالمطر».

(3) ساقط من كـ وم.

العام الرابع من العشرة السابعة

محمد بن اسماعيل المسناوي

فمنهم الفقيه الخطير ، العلامة الكبير ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل المسناوي .

قال في **الرحلة العياشية** : مات بتكورارين . فانه لما مات هناك سنة أربع وستين خلَّف كتبا كثيرة أوصَى بها لحرم الروضة النبوية ، وأوصَى بأن يصبر شخصه بصبر وكافور ويحمل إلى المدينة المشرفة يدفن فيها ، وعيَّن لمن يحمله نحواً من ثلاثمائة دينار من متخلفه . وكان له فرس أدهم من عتاق الخيل أوصَى به للجهاد ، وأعتق عبيده ودفع لكل حصة من ماله . فلما مات أنفذ أهل الوصية وصيته إلا في حمله فإنهم لم يجدوا من يحمله ، معتلين بخوف ظلم الولاة في الحجاز أن يطالبوهم بماله إذا رأوا جنازته محمولة من المغرب ، ويقولون ما فُعل به هذا إلا وله أموال تفوق الحصر ، فدفنوه في بلادهم بعدما همَّ بعض التجار برفعه ، وبقيت كتبه هناك مدة ، ثم حملوها إلى القليعة فارين بها لما بلغهم أن متولي البلد يتحدث بأخذها ، ولم تزل هنالك إلى أن ذهب سيدي علي ابن الشيخ الحفيان للحج بعد ذلك بسنين ، فبعثوها معه ، وضاع كثير منها بسبب ذلك ، وقد رأيت بعضها بالمدينة المشرفة ، ورأيت زمام ما وصَّى به منها[1] وليس يشبه ذلك عدة كتبه . وقد أخبرني بنفسه لما لقيته بفجيج أن كتبه تبلغ قريبا من ألف وخمسمائة تأليف ، والذي بلغ منها للمدينة المشرفة نحو من مائة وسبعين سفرا ، رأيت منها جملة كثيرة ، وهي كتب نفيسة جدا اقتنَى أكثرها لما كان بمدينة اصطنبول ، اشتراها له الوزير الأعظم بسبب حكاية وقعت له معه قبل أن يتولَّى الوزارة . وذلك أنه لقيه ببغداد عند ضريح قطب الزمان الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني ، والوزير إذ ذاك مصروف عن عمالة كثيرة من أعمال السلطان ، فهو يتخوف من غائلة السلطان ويأمل الوزارة ، فقال له : يا سيدي ادع الله ! فان توليت الوزارة فاقترح علي ما شئت . فلما ذهب سيدي محمد

(1) في **ط** و**س** : ما وصل منها .

بن اسماعيل إلى القسطنطينية وجده قد تولّى الوزارة ، فأكرم مثواه وأحسن نزله . فقال له : شأنك وما تقترح ، فقال له : إن بهذه البلدة كتبا نفيسة وليس لي ما أحصل به أمنيتي منها ، فبعث إلى دلال الكتب وقال له كل ما يقع بيدك من الكتب فاعرضه على هذا الشيخ ، فما استحسن منها فاتركه له وخذ الثمن من عندي لأربابه ، فلم يزل ذلك دأبه مدة إقامته هناك .

وكان هذا الرجل أعجوبة في سائر أحواله ، فانه ممن حصل جانبا عظيما من العلوم الشرعية ، ولم يخل من جانب الأذواق الوهبية ، وجال البلاد شرقا وغربا ، فلم يدع المغرب الأقصَى ولا افريقية وبلاد السودان ، وأقام بمصر نحوا من سبع سنين في حياة الشيخ اللقاني ، وأخبرني أنه ختم **المختصر** بالأزهر سبع مرات ، ولقي مشايخ ذلك الوقت ، وجاور بمكة والمدينة مدة ، ودخل اليمن وادعَى فيه المهدية أو ما يشاكلها فلم يتم له ذلك ، ودخل العراق وأقام مدة ببغداد ، وانتسب للشيخ عبد القادر وأخذ العهد على طريقه ، ودخل في جملة أتباعه . ثم ذهب من هناك إلى القسطنطينية وهو في كل ذلك يصرح بما في نفسه من الإمارة ولا يكني ، غير متهيب صولة السلطان ولا غيره . ثم جاء من الروم إلى طرابلس في سفينة سنة ستين ، ولقيته إذ ذاك بمسراته عند ضريح الشيخ زروق ، وقال إني قد أذن لي في نصرة الدين واظهار الكلمة ، وأخبرني بذلك من لقيته من الصالحين ، وقد جئت إلى هذا الشيخ أستأذنه ، فأنا أنتظر الإذن من قبله ، وتركناه هناك إلى أن بلغنا خبره أنه بلغ إلى سواحل البحر الغربي ، وزار سيدي عبد السلام بن مشيش ، وأقام بتلك البلاد مدة ، فلم يتم له ما أراد . وكان أظهر أمره قبل ذلك بسنين عديدة بالسوس الأقصَى فلم يتم له الأمر ، ثم كر راجعا إلى جبال غمارة إلى القليعة ، وأقام بها مدة ، ثم سار من هناك إلى أن خرج إلى فجيج ، وأقام بها مدة ، ولقيته بها أوائل سنة أربع وستين ، فطلب منا المساعدة على ما يحاوله ، فلم يصادف عندنا ما يحب ، وأظهرنا له جلية أمرنا ، وأنا لسنا ممن يتعرض لما ليس من شأنه ، ولا ممن له قدرة على أقل ما يحاوله ، فلما تحقق ذلك منا أظهر التأسف والتلهف على ما مضَى من عمره وسعيه في غير طائل فقال : إني جلت جوانب الأرض كلها ، فلم أجد من يبكي الاسلام بالعين التي أبكي بها ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ، إلا أني

عسَى أن أكون قد غلطت فيما أخبرت به ، فإني رأيت النبي ﷺ فقال لي : أنت عالمٌ وغنيٌّ وسلطان . فأما العلم فقد حصلت منه ما قسم لي ، وأما الغنَى فإني لا أعدم الخمسمائة دينار وما يقاربها متَى طلبتها ، وأما السلطنة فلعلها سلطنة الآخرة ، وكنت أظنها في الدنيا ، وأنا الآن تائب مما أنا فيه ، عالم بأن الله لم يرد بي ذلك ، فنيتي الرجوع إلى الحج والزيارة ، ثم أستوطن جوار الشيخ عبد القادر الجيلاني أعبد الله حتَّى أموت ، ففارقناه على هذه النية ، فذهب من هناك إلى تِتجُورَارِين ، ومات بها ، وكان — رحمه الله — ينتحل السمياء والكمياء ، ويحسن الأوفاق ، ويخبر عن نفسه ببعض ذلك ، ولو استقصينا أخباره لطال الكلام .

ومن محاسنه أنه لما دخل طرابلس قال له عاملها عثمان باشا : اقترح علي ! فقال له إني أريد أن تحرر كل من في عمالتك من الأشراف ، فلا يعطون شيئا مما يعطيه غيرهم ، وتحرر جيران الشيخ زروق ، فعدَّ من في عمالته من الأشراف فوجد نحو خمسمائة ولد ، فحررت كلها ولم يؤخذ منها شيء إلى الآن . ولعمري إنها لفعلة حسنة . وأنشدني عند تأسفه على ما مضَى من تَطْوَافِهِ في البلاد على غير طائل :

مَشَيْنَاهَا خُطىً كُتِبَتْ عَلَيْنَا فَمَنْ كُتِبَتْ عليهِ خُطىً مَشَاهَا
وَأَرْزَاقٌ لَنَا مُتَفَرِّقَاتٌ فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ مِنْهَا أَتَاهَا

وأنشدني أيضا :

فَسَدَ الزَّمَانُ كَمَا تَرَى مِنْ حَالِهِ وَكَذَا عَوَائِدُ آخِرِ الأَزْمَانِ

وأولَى من هذا قول الآخر :

يَقُولُونَ الزَّمَانُ بِهِ فَسَادٌ وهُمْ فَسَدُوا وَمَا فَسَدَ الزَّمَانُ

وبالجملة : فهذا الرجل أعجوبة زمانه ، ونادرة وقته ، له سخاء(2) وذكاء ودهاء ونجدة وعلو همة وعبادة ، لولا ما ابتلاه الله به من وسوسة الامارة التي توسوس في دماغه ، فلا تدعه يسكن في مكان ، ولا يقرُّ له معها في الأرض قرار ، نسأل الله العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة من كل ما يقطع عنه بمنه وكرمه . انتهَى كلام أبي سالم بلفظه .

(2) **في ط وس** بحذف كلمة «له» ونصب «سخاء» وما بعدها .

وما أخبر به من رؤية رسول الله ﷺ إلى آخره ، وقوله أنت سلطان ، أما رؤياه ﷺ في النوم فحق ، كما في صحاح الأحاديث وأقوال العلماء . والتحقيق أنها رؤيا مثال ذاته [– ﷺ – في عالم المثال . أو ذات روحه في عالم الأرواح فيما خالف ذاته أو صفاته التي هو عليها . على غير قول ابن سيرين ومن وافقه من السلف ، فانهم يقولون لا تصح رؤياه – ﷺ – إلاَّ نوماً على الصفة التي كان عليها في الدنيا ، والصحيح خلافه . فليس المرئيُّ منه – عليه الصلاة والسلام – مثال][3] صفاته ، إذ أمثلة صفاته يجوز فيها التخيل ، ولهذا صح أن يرَى نوما على غير صفاته ﷺ المعروفة في الدنيا . وصرح المازري بأن من رآه يأمره بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية ، فتعين أن تحمل هذه الرؤيا على رؤية عالم المثال أو عالم الأرواح . وقد حقق هذا الامام أبو حامد الغزالي . وقال الأبي : واختلف هؤلاء ، لو رآه ﷺ أمر بقتل من لا يحل قتله ، فمنهم من منع ذلك ، ومنهم من جعله من الصفات المتخيلة فتأول . انتهَى . ثم قال بعد كلام : قال القرافي : واختلف الفقهاء لو قال لرائيه – ﷺ – امرأتك طالق ثلاثا وهو جازم أنه لم يطلق ثلاثا ، هل يلزمه الطلاق ثلاثا لأنه – ﷺ – لا يقول إلا حقا ؟ أو لا يلزمه شيء ؟ قال القرافي : وهو الأظهر ، لأن إخباره – ﷺ – في اليقظة مقدم على إخباره في النوم ، ولأن احتمال الخلط في ضبط المثال في النوم أرجح من الغلط في ضبط عدم الطلاق ، لأن هذا لا يحمل إلا على النادر من الناس . وأما المثال في النوم فلا يضبطه إلا الأفراد من الحفاظ لصفته – ﷺ – ، والعمل بالراجح واجب .

قلت : ونزلت . فيذكر أن الشيخ الفقيه ابن الْبَرَا كان يقرئ في مسجد القبة[4] من تونس ، فأتاه رجل وقال له رأيت البارحة النبي ﷺ وقال لي : قل لفلان يعطيك جبة ! قال له الفقيه : قال لي أنا في اليقظة لا أعطيك شيئا ، فذهب الرجل فدخل على الرجل الصالح أبي عبد الله المشهور بالمغربي في موضعه القريب من المسجد المذكور ، فأعطاه ، فقيل له إن الرجل يتخرص ، فقال له الشيخ : لو

---

(3) ما بين معقوفتين ساقط من **ك** وم .

(4) في **ط** و**س** : مسجد العتبة .

علمت أنه حق أعطيته الدنيا . انتهَى كلام الأبي بنصه . وعلى مقتضاه تجري رؤية صاحب الترجمة من قوله ﷺ أنت عالم وغني وسلطان ، يحمل صدقه في العلم والغنَى ؛ لا السلطنة ، فانها لم تتحقق ، إما لعدم ضبط الرؤيا في المثال في النوم كما تقرر ، أو المراد بالسلطنة غير السلطنة الظاهرة المخصوصة بالامارة ، ويكون المراد بالسلطنة العلو والرفعة والخصوصية بالعلم ، فقد حصل له ذلك في الدنيا ولم يشعر به ، وإما في الآخرة ، والله أعلم بما كان .

من حوادث السنة

موت أمير فاس أحمد الدلائي

[ومن حوادثه موت أمير فاس سيدي أحمد بن محمد الحاج الدلائي في عشرين من ربيع الأول ، وخلفه أخوه سيدي محمد ــ رحمهما الله ــ](5) .

(5) حوادث هذه السنة ساقطة من ك .

العام الخامس من العشرة السابعة

أحمد بن علي السَّلاَسي

فمنهم الشيخ الفقيه العلامة المحدث الحافظ الأديب البليغ أبو العباس أحمد ابن الشيخ الامام ، عالم الأدباء وأديب العلماء ، قاضي الجماعة أبي الحسن علي ابن الشيخ الفقيه النحوي أبي زيد عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاسي ، هذا نص ما حلاه به شيخ شيوخنا الامام أبو عبد الله المسناوي فيما وجدته بخطه. وتقدمت ترجمة والده أبي الحسن المذكور. وذكر صاحب الترجمة الامام اليوسي في **فهرسته** فقال فيه : العالم العلامة الدين الخير ، ثم قال سمعت عليه **كبرى الشيخ السنوسي** مع شرحها ، جزاه الله خيرا. وقال الشيخ المحقق سيدي الطيب ابن الشيخ سيدي محمد الفاسي[1] في فهرسته : ومن تلامذته أيضا أبو العباس أحمد المدعو حمدون المزوار ، وذكر أن صاحب الترجمة توفي سنة خمس وستين وألف.

وحكَى شيخ شيوخنا الحافظ المحقق المسناوي المذكور — حسبما نقلته من خطه — عن ولد عمه الفقيه الورع الديّن سيدي أحمد بن الفَقيه الأجل سيدي الشاذلي أنه حكَى له عن والده سيدي الشاذلي المذكور ، أن صاحب الترجمة وفد على الشيخ سيدي مَحمد بن أبي بكر الدلائي ، فأجلَّ مكانته ، وأجزل وفادته ، وكان في أيام إقامته يتعشَّى سيدي مَحمد مع صاحب الترجمة كل ليلة ، ويبعث إليه بطعام آخر مخافة أن يكون لم يستوف غرضه من الأكل حياء. فلما كان ذات ليلة بعث إليه بالعشاء على العادة ، فلم يصله لعارض اقتضَى ذلك ، فذكر بعض ذلك للشيخ ، فدعا الفقيه المذكور وسأله ، فأخبره بأنه لم يصل إليه شيء ، فقال له كم فيه من

(1) كثيرا ما يعبر في **ك** وم بقوله : «صاحب المطمح في فهرسته» ، ويصرح في **ط وس** باسمه : سيدي الطيب بن الشيخ سيدي محمد الفاسي ، فلذلك لن نكرر التنبيه على هذا الخلاف اللفظي.

الحروف؟ فعدها وأعطاه بكل حرف ديناراً ذهبا بروراً به وزيادة اكرامٍ له ورعيا لوفادته عليه .

ومما وقع لصاحب الترجمة مع الشيخ سيدي مَحمد بن أبي بكر أيضا ، أن سيدي مَحمد قال له يوما وهو في مجلسه وهو غاص ببنيه وذوي قرابة ومودته : من أحبني منكم فليعط لهذا الشيخ ـ يعني صاحب الترجمة ـ فأتى كل واحد من الحاضرين بما يقدر عليه ، ثم بلغ ذلك النساء فأعطت كل واحدة منهن ما قدرت عليه من قرط[2] أو سوار وغيرهما ، ثم بلغ الخبر أهل السوق فانجفلوا إليه ، فكان الرجل يأتي إليه بالفرس أو غيره مما تيسر له فيعطيه ، وقامت لذلك سوق عظيمة كأنما صاح بهم صائح ، ودعاهم لذلك داع ، وذلك شأن من يتكلم بقدرة الله تعالى[3] وكان ذلك في آخر النهار ، فجعل صاحب الترجمة يتلهف ويقول : ليت هذا في أول النهار ! ورجع إلَى مقرِّهِ مملوء الحقائب . انتهَى من خط الشيخ المسناوي بتغيير قليل دعا السياق إليه لا يحيل شيئا من المعنَى أصلا ، فكانت وفادة مباركة ، وذلك كان دأب الشيخ سيدي مَحمد الدلائي[4] مع الوفود وغيرهم [ونقلنا الخبر عن جوده وسخائه في ترجمته][5] .

عبد الرحمان الزنقي

ومنهم الأستاذ أبو زيد عبد الرحمان بن علي الزنقي ، ذكره في **أزهار البستان** ممن انتفع بالشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمان الفاسي ، قال وتوفي سابع رجب من سنة خمس وستين وألف .

---

(2) في ك : خرص وهو التعبير العامي المتداول حتَّى اليوم .
(3) في ط وس : من يتكلم بالله وعن الله .
(4) في ط وس : كان دأب أهل الدلاء .
(5) ساقط من ك .

من حوادث السنة

حركة أهل فاس لبني زروال

ومن حوادث هذه السنة حركة أهل فاس لبني زروال ، فخرجوا تاسع القعدة . ورجعوا في الثاني والعشرين منه .

موت العباس آخر الملوك السعديين

[ومات العباس بن محمد الشيخ بن زيدان بن أحمد المنصور ، وهو آخرهم . وبه انقطعت دعوتهم أصلا][6] .

(6) ساقط كذلك من ک .

العام السادس من العشرة السابعة

أحمد بن عبد الصادق السجلماسي

فمنهم الولي الصالح أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الصادق السجلماسي ، نزيل الرُتَبْ ، وَدَفين البْطَاطْحَة منها ، أخذ عن سيدي علي الجومي ، عن سيدي عبد العزيز بن عبد الحليم دفين تافلالت ، عن سيدي أبي الطيب دفين ميسور ، عن سيدي عبد الله الخياط دفين جبل زرهون ، عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ، عن الشيخ زروق ، كما في **التحفة** ، **واختصارها** المسمى **بالطرفة** ، لعم والدنا محمد العربي . وصاحب الترجمة شهير الذكر كثير الأتباع ، معلوم الولاية ، وكراماته شائعة في أهل بلده وغيرهم . توفي في سنة ست وستين وألف .

أحمد بن عمرو الشريف

ومنهم الولي الشهير ، المجذوب الكبير ، سيدي أحمد بن عمرو الشريف ، دفين داخل باب الجبسة إحدَى أبواب مدينة فاس الادريسية ، روضته مقابلة لباب مسجد الجمعة بها القبلي .

قال فيه صاحب **المقصد** : الولي الشهير البهلول ، الكثير الكشف والكرامات ، الظاهر البراهين والآيات . وكان سيدنا أحمد بن عبد الله مَعْنْ يذكر لصاحب الترجمة كرامات كثيرات ، وذكر لنا أنه أعطاه جراب الطرف المعروف يصنع من السعف ، فأخذه منه ودخل به لوالده العارف سيدي محمد بن عَبد الله ، فلما رآه بيده وأخبره أن صاحب الترجمة أعطاه إياه ، قال له : خبرٌ طَريٌّ هذا ، وأخذه من يده وخرقه من أسفله بسكين ، ففُهم من ذلك أن فيه إشارة إلى أنه يقبض الدراهم كثيرا ، لأن الجراب يتخذه أهل الدنيا لحفظ الأموال ، لا سيما بائعي الخضر والفواكه الصيفية ونحوها ، فأقرَّ سيدي مَحمد ذلك لولده ولم يرد له

إمساكها ، فخرق له الجراب من أسفله ليكون الداخل له كله خارجا بسرعة . وصدقت تلك الإشارة في سيدي أحمد بن عبد الله وظهرت ظهور الشمس ، فكان يستفيد الأموال الكثيرة من غلات أجنته وأرضيه وما يتعاطاه من غرس الخضر والزرع وغير ذلك ، ولا يمسك شيئاً من ذلك ، وسيأتي إن شَاء الله بيان حاله في ترجمة سيدي أحمد بن عبد الله[1] .

ومما سمعناه يدور على بعض الألسنة أن صاحب الترجمة أعطَى الفقيه سيدي محمد بنَ محمد بن أَبي عنان الشَّريف حزمة من عيدان النخل ، وهي في العرف تستعمل للتوكي عليها بمنزلة العصا ، فكان فيه إشارة لما تولاه أولاده من الخطابة في فاس وغيرها ، لأن الخطيب يعتمد في خطبته على العصا ، فاتفق أن كان في أولاد سيدي أبي عنان من الخطباء بقدر تلك العيدان ، فيوم استكملوا ذلك العدد لم يوسم بالخطبة أحد منهم ، وولاية صاحب الترجمة شهيرة عند أهل فاس ، مقطوع بها عند كثير من عامتهم ، وله خوارق كثيرة .

وجاء مرة لدار سيدي مَحمد بن عبد الله بمصباح مغسول ، وجعل فيه ماء صافيا وزيتا جيدا وفتيلة ، وقبضه من معلاقه ، وجعل ينادي من باب الدار : يا سيدي مَحمد بن عبد الله ها مصباحك ! فكان فيه إشارة لأمر ولده سيدي أحمد بن عبد الله ، وفي **المقصد** أنه أرسل المصباح لسيدي أحمد بن عبد الله ، وقال للمرسل معه أعطه لسيدي أحمد بن عبد الله ، يشير بذلك إلى تهنئته لما وهب الله إليه من الأقدار والأسرار ، [وأنه سيكون مصباحاً يضيء على الخليقة ، ويقتبسون من أنواره . وقد كان الأمر في ذلك كله كما أشار إليه . انتهَى كلامه في **المقصد**][2] .

ومن كراماته أنه دخل الدار ، وكانت عادته يدخل للدور ولا يأنف منه أحد لكونه كان مولهاً ساقط التكليف ، ولتحقيق الناس أمر ولايته بما ظهر على يديه من

---

(1) اختصر في **ط** و**س** حكاية الجراب ، فلم نر فائدة في التنبيه على ما فيها من عبارات ناقصة ، كما لم ننبه على كثير من اختلاف العبارات في سائر هذه الترجمة وغيرها إذا لم تدع الحاجة إلى ذلك .

(2) ناقص من **ك** .

الخوارق ؛ فجلس على لحيفة جديدة ، فأنفت صاحبة البيت من جلوسه عليها لظنها أن به قملا يتعلق بها ، فخرج مسرعا ، فما برح حتَّى أرسل الله القمل على كل شيء حركوه في ذلك فاعتبرت المرأة وعلمت أنها أصيبت مما حدثت به نفسها ، فأعلمت قريبها بالنازلة ، فسار إليه ليأتي به إلى البيت ويأخذ بخاطره ، فلما أشرف على صاحب الترجمة فر منه وجعل يقول : أحمد بن عمر – يعني نفسه – فيه القمل ، ويكرر ذلك ، ولا يقبض عليه أبدا لفراره منه بنفس إشرافه عليه ، فما زال يتعرض له ويرصده ، لأنه علم أن مصابه من أجله ولا يرجع إلاَّ به ، حتَّى لقيه مرة فعطف عليه وجاء معه إلَى الدار ، وأجلسه على ما له من جيد الفرش فوق تلك اللحيفة وغيرها ، وبالغ في بره ، فكف الله تعالى عنه القمل .

ومنها أنه أتَى يوما لدار سيدنا الجد ، وهو سيدنا أبو عبد الله الطيب ، وكان سكناه حينئذ برأس الجنان من عدوة فاس القرويين ، وجعل ينادي هناك عجوزا باسمها ، فلما سمعته والدة الجد(3) السيدة الصالحة فاطمة بنت سيدي حمدون الشقوري الأندلسي بعثت أمة لها صغرَى تسمَّى الياقوت للتبرك به ، وكان بالأمة المذكورة مرض خفيف ، فلما رآها قال لها : مسكينة الياقوت عشبة الموت ! وكررها ، وكان ذلك عند غروب الشمس ، فما أتَى وقت العشاء الآخرة حتَّى ماتت الياقوت كما قال ، فكان في ذلك تصبير لسيدتها ، واخبار لها بقرب موتها ، والا فالآدمي كله عشبة الموت .

ومنها ما حكي لنا أنه لما قربت وفاة والد سيدنا الجد بنحو شهرين ، وهو أبو عبد الله الطيب ، جعل صاحب الترجمة كلما لقيه ناداه يا فلان باسمه ، ثم يرفع وجهه إلى السماء ويغمض عينيه ويمسح بيديه على وجهه ، فمن قريب مات ، فكان ذلك إشارات لموته ، وكان الأمر كذلك .

ومنها أنه قبض عليه رجل آخر يقال له حمدون البهلول ولببه وجعل يقول له لا أرسلك حتَّى تضمن الصيف – يعني الزرع المحروث ذلك العام – وكان قد دنا حصاده ، وجعل يحاول دفعه ويقول له : فارقني ! فيكرر قوله لا أرسلك حتَّى

(3) في **ط** و**س** : زوجة الجد .

تضمنها ! فقال صاحب الترجمة : ها هي في راسي ، وضرب بكفه على جبهة نفسه ، فأرسله بمرة ، وجعل يفرح ويقول ها هو ضمنها ، وظهر مصداق ذلك .

ومآثر صاحب الترجمة كثيرة ، وولايته بفاس معلومة شهيرة ، وتوفي عام ستة وستين وألف عن غير عقب ، ولا نعلم أن أحدا ينتسب لوالديه ولا لقرابته في النسب ، ولا للأخذ عنه في الطريقة ، وبفاس أيضا ضريح سيدي عمر الشريف ، وروضته بصاربوة عدوة فاس الأندلس متصلة بروضة سيدي أبي غالب ، يفصل بينهما المحجة ، وسيدي عمر هذا حسْني — بالياء — وهنا أقوام ينتسبون لبعض أعمامه .

عَلِــيّ الأُجْهُــورِيّ

ومنهم الامام الكبير ، العالم الشهير ، أبو الحسن علي الأجهوري المصري صاحب **الشرح** الجليل على **مختصر خليل** [أحد شيوخ الفقه والتصوف والقدوة الجليل](4) . قال أبو سالم في **فهرسته** ما نصه : أول من أجازني وأخذت عنه بمصر ، الشيخ الفقيه المسنُّ النبيه ، مُلحق الأحفاد بالأجداد ، خاتمة أهل الإسناد ، ذو المحاسن الباهرة ، شيخ المالكية بالقاهرة ، بل وفي الدنيا كلها ، الشيخ زين العابدين أبو الحسن علي الأجهوري ، لقيته بداره بالأزبكية من القاهرة مرتين ، وسمعت عليه بعض **ثلاثيات البخاري** ، وبعض **عشاريات ابن حجر** ، **وثلاثيات ابن ماجه** ، **والمسلسل بالمصافحة** وقول السلام عليكم ، **ومسلسلات ابن الجوزي** ، **والفاتحة** من طريق قاضي الجان ، ولقنني الذكر ضحًى يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر الله شوال عام أربعة وستين وألف ، وأجاز لي سائر مروياته عن أشياخه الذين يطول ذكرهم . منهم الشيخ عمر بن الجاني عن الجلال السيوطي ، بل وبعض أشياخ السيوطي ، كالشهاب الحجازي . ومنهم بدر الدين الكرخي عن زكرياء ، وعن الشيخ محمد بن ابراهيم التتائي . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الرملي عن شيخ الاسلام زكرياء .

---

(4) ساقط من ك .

ومنهم الشيخ صالح البلقيني ، عن والده شهاب الدين البلقيني ، عن الشيخ عبد الرحمان الأجهوري ، عن القسطلاني .

ومنهم الشيخ محمد السنوبري المكي ، عن الشيخ عبد الرحمان الأجهوري ، عن القلقشندي ، عن ابن حجر .

ومنهم الشيخ كريم الدين البرموني ، والشيخ بدر الدين القرافي ، والشيخ عثمان الغزي ، الثلاثة عن جده الشيخ عبد الرحمان الأجهوري .

توفي سنة ست وستين وألف ، عن سن عالية قرب المائة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه . انتهى كلام أبي سالم .

وولادته سنة خمس وسبعين — بموحدة — وتسعمائة — بمثناة — ، فعمره نحو واحد وتسعين سنة — بمثناة — .

[ووقفت من تواليفه على **شرحه لخليل** المذكور ، **وحاشية على الرسالة** ، **وتأليف** شرح به حديث الإسراء . وله تآليف كثيرة ، وتلامذة كثيرون جدا ، ومنهم شارحا **مختصر خليل** : الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، والشيخ الصالح أبو عبد الله الخرشي ، وتأتي ترجمتهما .

وما يذكرون عن صاحب الترجمة أنه يفتي بجواز استفاف دخان العشبة المعروفة بطابة ، ويوجد تاليف له في ذلك ، فقد حدثنا شيخنا العلامة الورع المحقق الحافظ سيدي محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني أنه سمع من الشيخ الضابط الثقة الصالح العالم المحقق سيدي أبي بكر بن محمد بن الخديم الدلائي ، أنه سمع من بعض أصحاب الشيخ علي الأجهوري ، وهو الشيخ أحمد التركي ، أنه سمع من الشيخ علي الأجهوري صاحب الترجمة أنه رجع عن الفتيا بتحليل ذلك إلى تحريمه . والكلام في مسألة هذا الدخان طويل جدا ، فلا نطيل به هنا . والله الموفق][5] .

(5) الفقرة الأخيرة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة من ك .

سَعِيد قَدُّورَة

ومنهم الشَّيخ الكبير، العالم المحقق الشهير، سيدي سعيد المعروف بقدورة – بفتح أوله وتشديد ثانيه – ابن ابراهيم الجزائري الدار، التونسي الأصل، أحد أئمة المعقول والمنقول، صاحب الشرح على **السلم** في المنطق، والحاشية على **شرح صغرَى الشيخ السنوسي**، وبالغ – رحمه الله – في بسط العبارة في شرح السلم، فكان ذلك مما انفرد به. أخذ – رحمه الله – عن سعيد المقري وغيره، [وأخذ عنه ولده الشيخ أبو عبد الله – وتأتي ترجمته ان شاءَ الله –، وأخذ عنه أيضا سيدي أبو مهدي عيسَى الثعالبي](6).

توفي – رحمه الله – في شوال سنة ست وستين وألف.

من حوادث السنة

توقف رواج الفلوس بفاس

ومن حوادث هذه السنة ما وقع بفاس عكس الفلوس، وصاروا يقبضون بالعدلة(7).

تجديد ضريح علي الصنهاجي

وفيه أو في العام قبله جدد ضريح الولي الشهير سيدي علي الصنهاجي، الذي بين باب الحمراء ومصلَى فاس على يد سيدي الصغير بن القاضي بمال ورثه.

(6) ساقط من ك.

(7) في ط وس: وصارت تروج بالعدلة.

العام السابع من العشرة السابعة

محمد بن أبي بكر أَعَيَّاش

فنهم السيد الصالح البركة المسن أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أعياش ـ بتشديد المثناة التحتية ـ من بلاد ملوية. قاله في **التحفة**: مورد الزوار ومغنمهم، البار بالضعفاء والمساكين. توفي سنة سبع وستين وألف.

وأخذ صاحب الترجمة عن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بواد فال[1] الدرعي، دفينها، ويقال فيه السوساني، نسبة إلى سوسانة، قرية بافريقية ورد عليها بعض أسلافه من فجيج، وبها جرّى عليه واد فال، وتقدم الكلام عليه في ترجمته.

قال ولده الامام أبو سالم في **فهرسته**: وهو أدرك جماعة من الشيوخ، وصاحب جلة من أهل الرسوخ، مثل شيخه الذي قرأ عليه وبه امتاز، الشيخ العارف العالم المحقق الجامع بين الشريعة والحقيقة، والقائم بأسرار الطريقة، سيدي أبي العباس أحمد بن محمد أدفال السوساني الحسني الدرعي منشأ ووفاة؛ وأدرك الوالد أيضا سيدي أبا الطيب الميسوري ولم يلقه، ذهبت به أمه لزيارته وخلفته، فسألها عنه ووصاها به وأبلغها إليه السلام وأمرها بتعليمه. وولد الوالد في العام الذي مات فيه الولي الصالح سيدي أحمد الزروفني، وهو الذي سماه وكتب تاريخ ولادته بيده، في عام واحد وثمانين وتسعمائة، في شهر رجب، وسيدي أحمد من أصحاب سيدي عبد الله الخياط، ولقي الوالد أيضا سيدي الحاج عبد الرحمان بن أبي بكر الفلالي، من أصحاب سيدي أبي الطيب؛ ولقي أيضا سيدي محمد بن الحاج

---

(1) في ط وس: المعروف بابن وادفال. وسيأتي قريبا نقل عن أبي سالم العياشي يسميه أَدْفَال ـ بدون واو ـ وهذه الذي اخترناه سماعا من أهل لكتاوة عندما زرنا ضريحه هناك. انظر كتابنا **الحركة الفكرية**، 2: 552 ـ 554.

الغماري الفلالي ، وسيدي محمد بن أحمد الملواني ، وسيدي محمد بن يوسف الملواني أيضا ، وكانت بينه وبين الجميع صحبة ومخاطبات ومحاورات دلت على كمال فضله . ولقي أناسا آخرين لا نعلمهم ، لأنه ـ رحمه الله ـ كان ضنينا بالأخبار عن أحواله وابتداء أمره ، إلاّ أن يصدر ذلك منه فلتة . وسبب اطلاعي على صحبته لهؤلاء حكاية أضربت عن ذكرها .

وممن علمت صحبته له واشتهرت ، وعمت بركته عليه وظهرت ، شيخ العارفين في زمانه ، وقدرة الواصلين في أوانه ، المعروف بالبذل والايثار ، والرحمة للكبار والصغار ، المشتهر بمحبة مولاه ، والقائم بواجب شكره فيما أولاه ، مُحْيِي طَرِيقة العرفان بعد عفائها ، ومظهر ما بقي من رسومها بعد خفائها ، شيخ أهل المغرب بالاطلاق ، ووحيد أهل زمانه بالاتفاق ، السريع الدمعة ، المبرأ في كل أحواله من الرياء والسمعة ، سيدي أبو بكر بن محمد الدلائي ، نفعنا الله بمحبته ، وسلك بنا طريق أهل مودته ، فقد كان ـ رحمه الله ـ إماما في عصره ، وسراجا منيرا في قطره ، آخذاً من التحلية بأوصاف الكمال النصيب الوافر ، تاركا لكل ما يثنيه في الباطن والظاهر. قال : وكان والدي ـ رحمه الله ـ شديد التعظيم والترضي عنه إذَا ذُكِر والثناء عليه ، زاره مرارا متعددة . ذكر لي ـ رحمه الله ـ أنه زاره مرة مع جدي لأمي ، فقال لهما : لا تنقطعا عن مواصلتنا ، فان الأولياء الذين مضوا لم ندركهم ، والذين يأتون لم يدركونا ، فأردنا أن لا تنقطع عنا لتبقَى السلسلة متصلة ، وهي شهادة منه لهما بأنهما من أهل هذه النسبة .

وأما ولده صالح العلماء وعالم الصلحاء ، ووارث الطريقتين ، شمس الملة ، وسراج الأمة ، مَنْ أزال اللّهُ بشمس علمه ظلمة الجهالة ، وأخمد بينابيع عدله نيران الضلالة ، إمام العلماء ، ورئيس الحكماء ، حامل راية العلم ، ودافع سطوة الجهل بالحلم ، سيدي محمد بن أبي بكر بن محمد ـ رضي الله عنهم ونفعنا بهم ـ لا زالت فضائلهم مرقومة في صحائف الدهر ، متلوة بألسنة سائر الخلق في السر والجهر ، فقد كان بينه وبين والدي من المحبة وصفاء المودة ، واستعمال [أخلاق

الفتوة][2] أشرف من أن يذكر ، وأجل من أن ينكر ، وكُتب كل منهما لصاحبه شاهدة بذلك ، مفصحة بما هنالك ، وكان أبي — رحمه الله — يحذو به حذو والده في التعظيم والتوقير عند ذكره ، والتشريف لعلوّ قدره . وكتب إليه والدي مرة كتابا حلاه فيه بأوصاف جليلة ، هي في الحقيقة دون ما يستحقه من الإجلال ، فأجابه — رضي الله عنه — بما معناه وبعض لفظه : لا نقيلك البيع فيما صدر منك من تحليتك للعبد بأوصاف هو عنها بمعزل ، وما قطُّ طاف بساحتها فضلاً عن منزل ، وقد سُرَّ العبد بذلك لأنكم عندنا من عدول الوقت ، الذي عمت على غالبه أسباب المقت . وأطال في أمثال ذلك النفس — رضي الله عنه — ، وذلك يدل على قوة الارتباط بينهما والألفة والمحبة ، نفعنا الله بجميعهم آمين . انتهى كلام أبي سالم بنصه ، إلا ما حذفنا منه من كلام صاحب **المرآة** استغناء عنه بما سبق في ترجمة الشيخ أبي بكر وترجمة ولده سيدي مَحمد ، فراجعها . وفي **محاضرات** الشيخ اليوسي — رحمه الله — : حدثني الأخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن مسعود العيسوي العرفاوي قال : سافرت إلى بلاد القبلة ذات مرة فمررت بالمرابط الخير أبي عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي ، فدخلت لأزوره ، فلما خرج قعد مني قريبا ، ثم أنشدني تمثيلا قول الشاعر :

جَفَوْتُ أُناساً كنتُ آلَفُ وَصْلَهُمْ   وَمَا بِالْجَفَا عِنْدَ الضَّرُورةِ مِنْ بَاسِ
فَلاَ تَعْذِلُوني فِي الْجَفَاءِ فَإِنَّنِي   وَجَدْتُ جَمِيعَ الشَّرِّ فِي خُلْطَةِ النَّاسِ

محمد بن أحمد بن ابراهيم الدُّكَّاليّ

[ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الدكالي ، من دار يعرفون بفاس بأولاد ابن ابراهيم الدكالي ، تعدَّد فيهم العلماء والصلحاء . وكان صاحب الترجمة منهم منصوباً للنيابة عن قضاة وقته][3]

(2) ساقط من ك .
(3) هذه الترجمة ساقطة من ك . وإنما جاء فيها اسمه ووفاته في آخر حوادث السنة .

من حوادث السنة

صنع الفلوس الاشْقُوبِيَّة المربعة ورواجها

ومن حوادث هذه السنة اصطناع الفلوس الاشقوبية المربعة ، وتبطيل غيرها .

فتن بتازا

وحصر بتازة رئيسها الكْبِيطِي وحرق وبعض أصحابه وغدر ، ووقعت غدرة بتازة وهاج سعال وريح .

تجديد ضريح مسعود الدراوي بفاس

وفيه جُدد ضريح سيدي مسعود الدراوي ، وكتبت عليه أبيات للحافظ سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي .

وفيه مات نائب القضاة محمد بن أحمد بن ابراهيم .

العام الثامن من العشرة السابعة

محمد بن عبد الرحمان الْعَوْفِيّ

فمنهم الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان العوفي . ذكره في **أزهار البستان** فيمن انتفع بالشيخ العارف أبي محمد عبد الرحمان الفاسي . قال وتوفي في ثمان وستين وألف .

من حوادث السنة

وصف الدراهم الاشقوبية الجديدة

ومن حوادث هذه السنة ظهرت الدراهم الاشقوبية أواخر المحرم ، مكتوب فيها : الله الغالب بقوته ، وقطع غيرها .

نزول ثلج كثير بفاس ونواحيها

وفي ثالث جمادي وخامس يبراير نزل ثلج عظيم بفاس ونواحيها .

محاصرة الأمير مَحمد بن الشريف السجلماسي الأتراك بتلمسان

ونزل أمير المومنين أمير سجلماسة وأعمالها الامام أبو عبد الله مولاي محمد بن المسن البركة مولانا الشريف الحسني السجلماسي على مدينة تلمسان ، وحاصر بها عامل الأتراك الباشة شلبي ، ووقع بينهما قتال في ثالث جمادي ، وطال حصاره لها ، ثم ارتحل عنها ولم يتم له أمر لولايته إياها .

العام التاسع من العشرة السابعة

الشريف بن علي الحسني السجلماسي

فمنهم الشريف الأسمَى، ذو الملاذ الأحمَى، سيد الزمان، ووالد الخلفاء الأعيان(1). [المنيف النبيه، ذو القدر الوجيه، الحاذق في الأخبار، المكثر من التلاوة والأذكار، مورد الوفود، واليه المنتهَى في عصره في الكرم والجود، حتَّى جاد بأولاده، وافيا بعهد الله في ميعاده، السالك لسنة الرسول، عاملا بما هو عنه منقول، فلاحت عليه أنواره، وكثرت عليه وتدفقت أسراره، فبلغ الغاية القصوَى، وتمسك بالعروة الوثقَى. وصار سيد أهل العرفان، وبحرهم الزاخر يروي اللهفان. ومن محاسنه الجميلة، وسياسته الجليلة، أن أمر أولاده بالنهوض إلى الخلافة المتقدمة لآبائه على الطريق المستقيمة، فقاموا بها أحسن قيام، وسلكوا فيها سددا لم يقام (كذا) فقد حازوا من الفخار، وعُلو الجلال والمقدار، ما لم يدركهم فيه غيرهم من شرفاء المغرب، بل ولم يصل إليه أهل المشرق في القديم ولا في القريب، من العلماء الأكابر، والخلفاء المجاهدين المشاهر، وحازوا كل فخار في الباطن والظاهر](2).

قال في **الدر السني**: وأول من ورد منهم — يعني على سجلماسة — السيد الحسن بن قاسم، عاشر الآباء من جيل(3) الموجودين منهم الآن. وذكر السيد العالم الصالح سيدي ابراهيم بن هلال — رحمه الله — في **منسكه** أن ورودهم كان أوائل الدولة المرينية، يعني أواسط المائة السابعة. قال أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر، أحد أحفاد الجد المذكور: ان ذلك سنة أربع وستين وسبعمائة. انتهى. وسبب قدومه أن ركاب الحاج المغربية كانت تتوارد زمن الحج على الأشراف

(1) في **ط وس**: ووالد الملوك الأعيان.

(2) هذه الفقرة الطويلة في تمجيد جد شرفاء سجلماسة ساقطة من **ط وس**، وليس فيهما إلا سطران فقط من هذا المعنَى.

(3) في **ط وس**: «من جل» — وهو تصحيف —.

هنالك ، وكان أميرهم إذ ذاك أحد أهل سجلماسة ، فلما حج بعض السنين ، اجتمع هنالك بالسيد الحسن المذكور ، وكانت سجلماسة يومئذ خالية من سكنَى الأشراف بها ، فما زال به يحسن له توطنها والإقامة بالمغرب حتَّى استماله ، فأجمع السير معهم ، وقدموا به مع ركبهم المغربي ، فرغب في سكناه ببلدهم أهل سجلماسة . انتهَى المراد من كلامه في **الدر السني** . ونص ما في **المنسك** المذكور لما عد مشاهد البقيع وقبر السيد الزكي ، سلالة الشرف العلي ، محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – أحد أجداد شرفاء بلدنا سجلماسة الذين نزلوا أوائل الدولة المرينية :

[مولاي علي الشريف]

ومنهم الشيخ الصالح العابد ، الزاهد المجاهد ، ذو الصدقات والأوقاف ، وواحد الفضلاء الأشراف ، السيد أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن الحسني ، الدفين بروضة زاويته التي بسجلماسة . انتهَى منه بلفظه .

قال في **الدر السني** : وكان قدومهم المبارك أولاً على سجلماسة من الأماكن المباركة أرض الحجاز من ينبع النخل منها ، من مدشر منه يعرف ببني ابراهيم . ويَنْبُع – بوزن يَنْصُر – : موضع به عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر ، سمي بذلك لكثرة ينابعه ، عُدَّ به مائة وسبعون عينا ، بينه وبين المدينة المشرفة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – أربعة أيام . وفي هذا الموضع كان مأوَى(4) سلفهم المبارك ، وما زال فيه الأشراف بنو عمهم إلى وَقتنا هذا . وهناك يَنْبُعُ آخر يسمَّى يَنْبُع البحر ، بينه وبين هذا مسيرة يوم . انتهَى .

وتوفي صاحب الترجمة ثالث عشر رمضان من عام تسعة وستين وألف ، ونهض للخلافة ولده [أمير المومنين مولانا الامام ، السلطان المظفر الهمام](5) مولانا الرشيد بعده ، فوقع منها موقعَ القطر من الْمَحْل ، واحتاجت إليه احتياجَ العذراء للفحل ، وأحيَى الله به رسوم الدين ، في سائر أقطار المغرب على طريق سنن المهدين ،

(4) في **ط وس** : متبوأ .
(5) ساقط من **ط وس** .

وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله في وقائع السنين ، ستأتي ترجمة مولانا الرشيد عام اثنين وثمانين .

شهاب الدين الخفاجي

ومنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي الأفندي ، صاحب التآليف المشهورة : **شرح الشفا** وغيره [وله **رحلة**][6] ، من أشياخ أبي سالم أعيَّاش ، وعدّه في **فهرسته** من مشايخه بما نصه : الشيخ الذي طبق ذكره الآفاق ، وسارت بالثناء عليه الرفاق ، المسنّ المعمر ، الفخم المفخم ، إمام أهل عصره في المعقولات ، وقدوتهم في تحرير المنقولات ، شيخنا شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي الأفندي ، امام الحنفية بمصر ، بل وغير الحنفية وغير مصر ولا مدافع ، والمسلم له في كل العلوم ولا منازع . سمعت عليه المسلسل بالأولية وبالمصافحة وبالتشبيك ، وبقوله ويده على كتني ، وغيرها من **مسلسلات ابن الجوزي** ، وبعض **الجامع الصغير** للسيوطي ، **وثلاثيات البخاري** ، وحديث الأعمال بالنيات ، وحديث التسبيح من **البخاري** ، **وعشاريات ابن حجر** كلها ، **وعشاريات السيوطي** ، وجملة من **سنن أبي داوود** ، وبعض **تسهيل ابن مالك** ، وخطبة **حاشيته على البيضاوي** ، وقد أجاد فيها ، وبعض إنشاداته ، وأجاز لي سائر مروياته عن سائر أشياخه ، وجميع تآليفه التي منها **شرح الشفا** ، **وحاشية علي البيضاوي** ، **وحاشية على درة الغواص**[7] للحريري ، **ورحلته** ، **وديوان شعره** ، وغير ذلك ، وكتب لي الاجازة بخطه .

ومن أشياخه والده عن نجم الدين الغيطي ، والشيخ محمد الرملي عن زكرياء ، والعقلي عن السيوطي ، وخاله الشيخ أبو بكر الشنواني ، والشيخ يحيَى القرافي ، وغيرهم .

وشيخنا هذا ممن اتسعت رحلته في أقطار الأرض ، وبعُد صيته وعمر وبلغ في التحقيق مبلغا يعجز من رآه عن ادراكه ، وله ملكة قوية في سائر العلوم الشرعية

(6) ساقط من ك .

(7) في هامش المطبوعة الحجرية : «قوله : **وحاشية على درة الغواص** ، الذي في **خلاصة الأثر** أنه شرح . انتهَى . مصححه .

والفلسفية [متعنا الله بحياته ، ونفعنا به وبعلومه آمين][8] . انتهى بنصه .

[ومن أشياخه –كما في **رحلته**– : العلامة علي بن غانم المقدسي ، والشيخ أحمد القاياني –رحمهما الله–، ورحل إلى الحرمين مع والده ، وأخذ عن الشيخ علي بن جار الله ، وحفيده العصام ، ثم رحل إلى قسطنطينية وأخذ عن شيوخها . قال : وجدتها مشحونة بالفضلاء الأذكياء ، قال : انقرضوا في مدة يسيرة ، فلم يبق بها عين ولا أثر ، وصار الدين ملعبة وسخرية ، وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والأمراء بقتل العلماء واهانتهم . ولما عدت إليها ثانيا بعدما توليت قضاء العساكر بمصر ، رأيت تفاقم الأمر وغلبة الجهل ، فذكرت ذلك للوزير ظناً مني أن النصح يفيد ، فإذا هو كما قيل :

هُوَ الْوَزِيرُ وَلاَ أَزْرٌ يُشَدُّ بِهِ ... مِثْلَ الْعَرُوضِ لَهُ بَحْرٌ بِلاَ مَاءِ

وكان ذلك سبباً لعزلي ، والخروج من تلك المدينة ، واظهار العداوة ممن هو في زيّ العلماء ، مع أنه لم يتولها أحد يُحسن قراءة الفاتحة . وفي أثناء ذلك –بعد أن مَنَّ اللَّهُ عليَّ بالسلامة من كيدهم– كتبت رسالة لبعض رؤسائها ، هذه صورتها :

رأيتُ الدهرَ يرفعُ كلَّ وَغْدٍ ... وَيَخْفِضُ كلَّ ذي شِيَمٍ شَرِيفَهْ
كمثلِ البحرِ يَغرقُ فيه حيٌّ ... ولا ينفكُّ تطفو فيه جيفَهْ
أوِ الميزَانِ يَخْفِضُ كلَّ وافٍ ... وَيَرْفَعُ كلَّ ذِي زِنَةٍ خَفيفَهْ

وأطال فيها نحو الورقتين ، ومضمنها بيان قدره لمن جهله ، وعتاب يقول فيها : فقد سمعنا عن سادة الناس وأوائلها نجاح الأمور ، وسعادتها بأوائلها .

ومن أمثال العامة : **ليلةُ العِيد مِنَ الْعَصْر ، وَالْيَوْمُ المباركُ مِنْ أَوَّلِهِ ، والدِّيكُ الْفَصِيحُ ، مِنَ البَيْضَةِ يَصِيح .**

إِذا بلغ الفتَى عشرين عاماً ... ولم يَفْخَرْ فليس له افتخارُ

ثم قال فيها : فان حياة الجاهل فضيحةُ الدهر ، وعلوّ الغُثَاءِ غيرُ ضائر للنهر ، ولكل حَزْنٍ سهل ، ولكل أحمدَ أبو جهل ، ثم أنشد :

(8) ساقط من ط وس .

ولا خَيْرَ في دارٍ مهانٍ كريمُها ولم يَرَ عوناً من خليلٍ وصاحبِ
بها الأسدُ الضِّرغامُ في غابِه اختَفَى كلاباً قد اعتادتْ بِصَيْدِ الثَّعالِبِ

ثم قال : فمن تآليفي : **الرسائل الأربعون** ، **وحاشية تفسير القاضي** في مجلدات ، وحواشي **الرضى والجدير**(9) ، **وشرح الشفا** ، وغير ذلك . ولي من النظم ما هو مسطور في ديواني . ثم ذكر **مقامة رومية** له ، **ومقامات** ختم بها رحلته](10) .

وتوفي صاحب الترجمة —كما في **فهرسة صاحب المطمح**— سنة تسع وستين وألف .

بدر الدين محمد بن محمد القادري

ومنهم السيد الامام ، العالم الهمام ، ذو المحاسن الظاهرة والمآثر السنية ، شيخ الطائفة القادرية ، بالديار المصرية ، بدر الدين محمد بن محمد القادري الحسني [نسبا وطريقة ، المصري دارا ووفاة](11) من أولاد السيد عبد العزيز بن قطب الأقطاب محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني ، ذكره الشيخ أبو سالم سيدي عبد الله أعياش في **فهرسته** ، وصدر به في مشايخه الذين تفردوا بالتصوف وكان له في ذلك التصرف لما رحل بصدد الحج(12) للحجاز فقال ما نصه : أما المشايخ الذين لم آخذ عنهم إلاَّ طريق التصوف فأولاهم بالتقديم ، وأحقهم بالتعظيم ، شيخي وما شيخي ! أكرم به من إمام ! ولزمام قادني به من زمام ! قدوتنا الحبيب ، النسيب ، الشريف الأثيل ، العريق في المجد الأصيل ، والمحاسن

(9) في هامش المطبوعة الحجرية : قوله : والجدير ، كذا بالأصول التي وقفت عليها ، ولم أدر معناه . وقد ذكر في **خلاصة الأثر** من جملة تآليفه : **ريحانة الألبا** ، وهي مشهورة ، **والرسائل الأربعين** ، **وحاشية على شرح الفرائض** للجادري ، فيكون ما بالأصل من قوله الجدير معربا عن هذا ، والله أعلم .
ثم ذكر من جملة تآليفه : **السوانح** —ولعلها على شرح الفرائض—، وكتاب **شفاء الغليل** ، وكتاب **ديوان الأدب** ، وكتاب **طراز المجالس** ، ثم قال : وله رسائل كثيرة ، ومكاتبات وافرة لم يجمعها ، ومقامات ذكر بعضها في **الريحانة** ، وقد أطال في ترجمته ، فلتراجع . انتهى . مصححه .

(10) هذه الفقرة الطويلة ساقطة من **ك** .

(11) ساقط من **ك** .

(12) في **ط وس** : بقصد الحج .

الظاهرة . وشيخ الطائفة القادرية بالقاهرة ، السيد بدر الدين محمد بن السيد محمد بن السيد موسَى بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد حسين بن السيد علي بن السيد محمد الأكحل ابن السيد حسام الدين شريف[13] بن السيد عبد العزيز بن مولانا القطب الرباني ، سيدي عبد القادر الجيلاني ، بن أبي صالح موسَى جنكي دوست بن يحيَى بن محمد بن داوود بن موسَى بن عبد الله بن موسَى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المومنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –. أخذ عليّ العهد على طريق السادات القادرية ، ولقنني الذكر وألبسني الخرقة وأجازني ، وكتب لي ذلك بخطه . وهو يروي الطريق عن آبائه خلفا عن سلف إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي صح عنه أنه قال : أخذت العهد على ربي أن لا يدخل النار أحداً من أتباعي إلَى يوم القيامة . وصح أنه قال : إن لم يكن صاحبي جيداً فأنا جيد . وقال فيه سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام : ما بلغت كرامات أحد مبلغ التواتر إلا كرامات سيدي عبد القادر الجيلاني . وأخذ سيدي عبد القادر عن أبي الحسن الهكّار ، وباقي السند تقدم في ترجمة شيخنا الأجهوري ، نسأل الله تعالى أن يحقق لنا اتباع هذا الشيخ والانتساب إليه ، ويجعلنا ممن احتمَى بجاهه في الدنيا والآخرة . انتهَى بنصه .

وتمام السند الذي تقدم له أن الهكاري أخذ عن الطرسوسي ، وهو عن أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي ، وهو عن الشبلي ، وهو عن أبي القاسم الجنيد ، وهو عن سريّ السقطي ، وهو عن معروف الكرخي ، وهو عن داوود الطائي ، وهو عن حبيب العجمي ، وهو عن رأس التابعين الحسن البصري ، وهو عن الامام علي بن أبي طالب ، وهو عن النبي ﷺ . [انتهَى المراد منه . وللشيخ سيدنا عبد القادر – رضي الله عنه – أسانيد أُخر في الطريق ، مذكورة في **بهجة الأسرار** ، لابن جرير الشطنوفي المصري وغيرها ، **كنزهة الناظر** ، لزين الدين الهاشمي المرسي ، وغير ذلك ، فانظره فلا نطيل بجلبه][14] .

وجنكي دوست : لفظ عجمي وصفٌ لموسَى والد الشيخ عبد القادر ، وصفه

(13) في ظ وس : **شرشيق** .
(14) ناقص من ك .

بذلك الشيخ الامام ، مسند الشام ، أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي في مشيخته لما ذكر شيخه الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر. ووصفه بذلك أيضا الشيخ نور الدين الشطنوفي في **البهجة** ، ونحوه في **الروض الناضر** ، وفسَّروه بالعظيم القدر ، ولا زالت الأوصاف بالألفاظ العجمية تجري على الأشراف لحلولهم في بلاد العجم ، وعروض الاقامة لهم بها ، وتقدم من ذلك أفراد متعددة نقلها ابن حزم وغيره[15] . ونقلناه في ترجمة جدنا الأكبر أبي عبد الله محمد لما مر بنا على هذا الرفع هناك فراجعه !

[الشيخ عبد القادر الجيلاني : والقادريون بالمشرق والمغرب]

وبأيدينا كناش بخط ولد صاحب الترجمة ، وهو السيد أبو الحسن علي ، صحبه بعض أعمامنا معه من مصر في سفره لبعض حجاته ، مشتمل على **أحزاب** للشيخ سيدي عبد القادر — رضي الله عنه — ولسيدي علي هذا ابن اسمه السيد محسن ، لقي الولي الكبير سيدي أحمد بن عبد الله مَعْنْ زمن إقامته بمصر في عام حجه ، وذكر ذلك عمنا الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري الحسني في **رحلته** ، ونصه : وكان آخر مجلس له ، يعني سيدي أحمد بن عبد الله مَعْن ، بمصر من المجالس المعتبرة ، والنفائس المذخرة ، والمحافل المعتبرة ، والمواطن المنورة ، ما وقع عشية يوم الأربعاء قبل خروجه من مصر بيومين ، وذلك أنه أتاه الشريف الفقيه ، المبارك النزيه ، السيد محسن بن السيد أبي الحسن علي بن بدر الدين القادري الحسني ، من ذرية عمنا عبد العزيز بن الشيخ محي الدين سيدنا عبد القادر الجيلاني — نفعنا الله ببركاته — زائراً ، وقد كنت لقيته قبل بالجامع الأزهر ، وسألته عن خط الشيخ عبد القادر الجيلاني هل هو باق عندهم ، لأني كنت رأيته عند والده السيد أبي الحسن المذكور — رحمه الله — لما مررت بمصر مريداً الحج سنة ثلاث وثمانين وألف ، فأخبرني بأنه حاضر عندهم باق ، وأنه يريد زيارة سيدنا أحمد وياتي به إليه ، وطلب مني أن نجمعه به ، ثم لما صليت العصر ذهبت أنا وابن عمي السيد العربي ابن الطيب القادري ولقيناه قرب الجامع الأزهر ، فذهب معنا إلى سيدنا ، فدخلنا عليه بداره فوجدناه جالسا ، فلما أشرف عليه قام اليه

(15) في ط وس بدل هذه العبارة الأخيرة : ذكر لذلك ابن حزم في **جمهرته** نظائر.

ورحب به وأجلسه في صدر المجلس ، فلما اطمأن بنا المجلس وتكلم معه سيدنا هنيئة قلت له : يا سيدي إن هذا الشريف معه ذخيرة عظيمة ، وهي خط الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي بيده الكريمة ، فقال سيدي أحمد متعجبا : سبحان الله ! وتبسم سروراً بما سمع ، ثم أخرج له الشريف كتابا في القالب الثماني ، وهو مجموع جله تواليف في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وفيه أحزاب للشيخ عبد القادر ، وفي آخر التأليف بخط الشيخ عيسَى بن الشيخ عبد القادر : قرأت على سيدي والدي هذا الكتاب إلى آخره ، وبعده بخط الشيخ عبد القادر : صحيح ما قاله ولدنا الشيخ عيسَى ، ودعا له ثم قال : وكتب عبد القادر بن موسَى الجيلاني ، ودعا لنفسه بما لم نفهمه لدثوره . فأخذه سيدنا وقبله ومسح به على عينيه ، ثم أدخله تحت كسائه ووضعه على صدره ساعة ثم أخرجه وتبرك به الحاضرون . انتهَى المراد منه . ثم قال بعد كلام : ثم طلب الشريف من سيدنا الدعاء وأراد الذهاب ، فقام سيدنا وشيعه وانصرف . انتهَى .

وقال أبو عبد الله المسناوي في كتابه **نتيجة التحقيق** لما ذكر الشيخ حسام الدين الشريف المتقدم ذكره : والقادريون الموجودون الآن بمصر من عقبه ، صح ذلك لدينا بنقل الثقات ، وعندهم إلى الآن خط الشيخ عبد القادر مكتوب على ظهر كتاب في فقه الحنابلة إجازةً لمن قرأه عليه ، وهو ولدهُ الشيخ عيسَى دفين مصر الذي سبق ذكره ، أخبرني بذلك الثقة من أطلعوه عليه بينه وبينهم انتهَى بنصه . ولما حج عمنا الفقيه النزيه الأريب ، الحائز من شرف النفس وكرم الأخلاق أوفر نصيب ، العدل الأرضى أبو الجمال طاهر بن عبد السلام القادري الحسني عام سبعة وعشرين ومائة وألف ، ورجع لمصر على عادة الركب ، اجتمع مع ولد الشيخ محسن المتقدم ، وهو الفقيه الأجل السيد عمر ، وأطلعه على خط الشيخ المذكور وتبرك به ، ولا أدري أبقِي أحد بمصر إلى الآن أم لا ، فالله تعالى أعلم .

والقادريون موجودون الآن بدمشق وحماة وبغداد وغير ذلك ، وقد لقِي عمنا طاهر المتقدم بعضهم بمكة المشرفة فيما وقفت عليه بخط الفقيه العلامة الدراكة الفهامة الحافظ المتبحر في علم المعقول والمنقول أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله السجلماسي مما كتبه على تأليف الشيخ المسناوي المتقدم ذكره ، ونصه : الحمد لله

وكفى ؛ وسلام على عباده الذين اصطفَى . يقول كاتبه الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الله السجلماسي : قد اجتمعت أنا والحفيد النبيه ، والدراكة الوجيه ، ذو الأخلاق الحميدة ، والمآثر العديدة ، مولاي طاهر بن العالم العلامة ، المشارك الفهامة ، سيدي عبد السلام القادري ، أحد أعلام هذا النسب المبارك ، مع سيدنا ومولانا الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن الحارث بن عبد الله بن بشر بن علم الدين بن شهاب الدين بن بهاء الدين بن حسن بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني ، وهو من هذا النسب الشريف المنتمي لسيدي عبد القادر الجيلاني — نفعنا الله به آمين — . وكان اجتماعنا معه بمكة المشرفة بزاوية سيدي عبد القادر التي هي بمكة في محل يسمى بالدعي ، يقال إن ابراهيم هناك دعا لذريته . ومولاي عبد الرحمان هذا له حال صدق ظاهر ، ونسك وبهاء باهر ، وعنه توخذ الطريقة القادرية ، ومستقره بالطائف بالقرب من ضريح ابن عباس — رضي الله عنهما — ، وهو مشهور النسب والصلاح عند أهل بلده ، ويذكر عنه أن من أراد أن يأخذ الطريقة يأمره بالاستخارة ، وينتظر هو في ذلك الإذن من سيدي عبد القادر — نفعنا الله به — فإنه يراه مناما ولا يلقن إلاّ من أشار عليه بتلقينه . وأطلعني على السند الموصل له إلى الشيخ عبد القادر ، وله طرق عديدة ، ومن أحسنها طريق هي بأسلافه الكرام إلى سيدي عبد القادر . ولما أطلع على هذا التأليف الشريف المكتوب هذا على ظهر أول ورقة منه وتحقق منه عمود النسب وسلسلته فرح بذلك ، وأخبر بأن هذه الشجرة هكذا هي مسطرة عنده مع طرق أخرى متفرعة عن الشيخ عبد القادر بغير بلاد المغرب ، وأنه اعتنَى بذلك وضبطه ، وأن هذا الضبط موافق لما عنده ، وأن عنده السطر داخل هذا التأليف إلى مولاي عبد السلام المذكور ، وأنه استقصَى ذلك من أهل العلم أصحاب هذا الشأن ، والتزم مولاي عبد الرحمان المذكور الحج في العام القابل إن فسح الله في عمره عن أبيه مولاي عبد السلام المذكور ، جرياً على قول من يقول بصحة النيابة في الحج ، قصد بذلك وجه الله العظيم ، وثوابه الجسيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا يخيب لراجيه أملا ، والحمد لله رب العالمين . وقيد في ليلة ثاني وعشرين من ذي الحجة عام سبعة وعشرين ومائة وألف .

وتقيد آخر عقبه ما نصه : الحمد لله . وبمثل ما شهد به الفقيه المذكور أعلاه يشهد كاتبه حرفا حرفا وفي تاريخه محمد بن عبد الله الطاهري الجوطي الحسني تاب الله عليه ، ووضع بعده شكله المعهود منه ، وبآخر ورقة نسخة من التأليف المتقدم ذكره ما نصه : قوبلت فصحت ، قاله مقيدها محمد بن أحمد المسناوي الدلائي البكري كان الله له في جميع الأمور . وتقييد آخر عقبه ما نصه : الحمد لله . هذه الستة الأسطر ما بطرة أعلاه التي أولها قوبلت وآخرها الأمور ، المتضمنة مقابلة هذا التأليف أولا وثانيا ، المكتوب هذا على آخر ورقة منه ، مع الأربعة الأسطر المكتوبة على ظهر الورقة الأولى من التأليف المذكور ، ومضمنها تسمية وما عداها من الطرر داخله ، كلها مكتوب بخط مؤلفه شيخ الجماعة ، لا سيما في هذه الصناعة ، شيخنا وامامنا ومفيدنا ، صاحب الأخلاق الزكية ، والشِّيَم المرضية ، المنعم المقدس المكرم المرحوم أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن المسناوي ابن محمد بن أبي بكر الدلائي ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل منزلة الفردوس منزلته وما أواه ، آمين . كما أن ما بعد التسمية أسفل الورقة المذكورة من الحكاية التي مفادها ملاقاة حامل التأليف إلى المشرق مع سيدي عبد الرحمان بن أحمد الشريف القادري صاحب زاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة المشرفة بالمدعي ، وأوله الحمد لِلَّه وكفَى ، وآخره ذي الحجة ، كله بخط صاحبنا ، وكبير مجلسنا ، الفقيه الوجيه ، العلامة النزيه ، الدراكة الحافظ المتبحر في علمي المعقول والمنقول ، المرحوم المنعم المقدس أبي عبد الله محمد بن عبد الله السجلماسي رحمه الله تعالى . آمين . قاله وكتب عبد ربه تعالى أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي ، لطف الله به آمين، وفي ربيع النبوي عام أربعة وخمسين ومائة وألف، قاله وكتب العبد المذكور . وقيد بطرته ما نصه : الحمد لله يشهد من يضع اسمه عقب تاريخه أن الخط عرضه هو للشيخ العلامة ، الدراكة الفهامة ، سيدي أحمد بن مبارك ، والخط بالطرة التي أشار إليها هو للشيخ القدوة البركة العلامة سيدي محمد بن أحمد المسناوي ، بخطها المعهود منها ، والمتكرر به كتبها ، من غير شك لحقه في ذلك ولا ريب ، وكتب معرفا بخطها عبد الله تعالى محمد ابن محمد البكري الدلائي ، وفقه الله تعالى ، وعبد القادر بن العربي بو خريص ، خار الله له آمين ، وأبو مدين بن

أحمد الفاسي ، وفقه الله بمنه . وهذا خروج عن الموضوع أفضى إليه زيادة الفوائد . وفي نقل كلام الشيخ ابن المبارك إفادة صدقية سيدي محمد بن عبد الله المقيد للقصة ووصفه من الشيخ ابن المبارك الذي هو حافظ وقته بالإطلاق ، وجامع للدراية على العموم والاستغراق ، مع التحرير للعلم والحفظ وغير ذلك ، وإن كان ذلك خارجا عن موضوع الرسم على أحد الشقين من الخلاف المقرر فيه ، فانه يتفق على وجوب صدقه ، لأن النسب التي ليست بمقصودة في الحكم حكم ، لكنه لا مطابقي ، وعلى كل يعتبر صدقه من المخبر ، والا كان تعمدا للكذب ، وهو بعيد من مطلق مستور الحال ، فأحرَى من أهل المناصب . وهذا كله مقرر في فنه في محل غير هذا ، وايراد تحققه هنا يزيد طولا على طول ، فنكف ونرجع إلى ما هو المقصود به هنا .

أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي

ومنهم الأديب الكبير ، العالم الشهير ، الجامع لأشتات العلوم ، والجامع[16] لأزمة المنثور والمنظوم ، سيدي أبو عمر ابن شيخ الاسلام ، وخاتمة الأعلام ، سيدي مَحمد بن أبي بكر الدلائي ، وقد تقدمت ترجمة والده وجده . كان له قدر شامخ ، وقدم في الأدب راسخ . ومما وقفت عليه من إنشاآته ما كتبه على تأليف أخيه أبي عبد الله محمد المرابط الذي سماه **البركة البكرية في الخطب الوعظية** ، رسالة ونصها : الحمد لله الذي اختصنا من الأمم ، بسابغ النعم ، وأنار العقول ، بثواقب المعقول والمنقول ، كم عمت سحائبها المواطن ، وهبت نسماتها العواطن ، على حدائق الخواطر ، فأثمر بها كل مثمر ناضر . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد واسطة السلوك ، الهادي إلى وضح محجة السلوك . هذا وان ما قيض الله للعلوم بعد ما ركد ريحها ، ورقدت من نزخها تباريحها ، فصار الجهل ليلها الدامس ، ومسلكها الطامس ، فحلى سماتها ، ونشر رِمامها بعد مماتها ، وحيدُ العصر ، وعميد المصر ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر ، أتاح الله إعلاءه ، وأدام ارتقاءه . الحبر الذي عطَّر المساكنَ أرَجُه ، والبحرُ الذي ملأ الخافقين ثَبَجُه ، شب الزمان بعد هرمه ، وشفي بعدما أَشفَى من ألمه ، فنشر من

(16) كذا بالأصل ، ولعلها محرفة عن : «والمالك» أو نحوها .

الأجداث للعلوم جسوماً . وعمَّر به بعد الإخواء رسوما ، وحلَّى جيد الدهر من تآليفه وأوضاعه ، واختراعاته وابراعه ، بما تنقطع الأطماع دونه ، وتودُّ أن تكونه . سحر الألباب نظما ، من ورد عذب مشارعها لا يَظْمَا ، وبهر البلغاء نثراً ، لو سمعه الأموات لار(17) نشراً ، والأحياءُ لَمَاتُوا سُكرا . ركب فيها صهوات الإجادة ، وركض في ميدان البيان جيادَه ، وأجلُّها هذا التصنيف المُحبَّر ، الذي يَكاد لرقته وانسجامه لو وُضِع على الصخر أن يتفجَّر ، وهو الموسوم **بالبركة البكرية في الخطب الوعظية** . ولقد شرَّفني بالمثول بين يديه ، وأتحفني بإيقافي عليه ، فرأيت عجبا لا يقدر قدره ، ولا يسبر غوره ، أودع فيه من البراعة فنونا ، ومعرفة البلاغة غصوناً ، ومن وعظ يلج الآذان ، من غير استيذان ، ويُغني الأذهان ، عن إقامة البرهان ، ولفظٍ أرق من نسيم الأسحار ، وأشجَى للقلوب من نغمات الأوتار ، طالما أرسل العيون دما ، وأودى القلوب ندما ، تغني القلوب ما يلفظه من الزواجر ، فتصير أصدافاً لتلك الجواهر ، يتفسخ من ذنوبه ، من تطهر من ذنوبه ، أطال للبلاغة ذيلاً ، وجلب منها رَجْلاً وخيلا ، عفَّى أثر سَحْبان ، وثنَى لوعظه صفحة أبان . لو حضره قُس بن ساعدة ، لما هز من البيان ساعده ، أو لبيد ، لأضحَى بين يديه وهو بليد . ولو دان (كذا) يصير جبينه ببياضه طرسا ، وانسان عينيه بسواده نقسا . فاستسمن مني ذا وَرَم ، ونفخ في غير ضَرَم ، فكلَّفني بجميل ظنه ، أن أعترف من دية حزنه ، بأن أوقع على تأليف يتقريضه وتشنيعه (كذا) فاستعفيته من هذه المقالة ، فلم يَجُدْ لي بالإقالة ، فوعدته وعداً في طيه مطال المعسر ، واعترتني من التحلي بلباسه خجلة المعصر ، فقلت إذ ما من امتثال أمره بُدّ ، وما قلت إلا بالذي علِمَتْ سعد . وما عسَى أن أقول في نزهة النواظر ، وشَرَك العقول والخواطر ، فلو نلت من قليبه عزلا ، ومنحني من بيانه فضلا ، لوفَّيت حقه ، ولحبوته ما استحقه ، لكن أخرس الْأَلْسِنَة ، وولهت الألبابُ فاعترتها سِنَة ، أبقاه الله للقلوب يُنَقِّي أدرانَها ، ولأردية العلوم يُسبغُ أَرْدَانَهَا :

يـا أَيُّـها الحِبْرُ الإمامُ الأوحدُ — الـفـاضـلُ الصـدرُ الهمامُ الأمجدُ
أَعْطِيتَ من فنِّ البَلاغةِ مُعجزاً — بَـهَـرَ الـمُساجلَ والرسائلُ تَشْهدُ
لو أنَّ في الرياضِ فاحَ نَشِيرُه — لترنَّـحَتْ دُونَ الصَّـبَـا وَتَـأَوَّدُ

(17) كذا بالأصل ، ولعل الكلمة المبتورة هي : «لارتقبوا» أو «لارتجوا» أو نحوهما .

زهرٌ تضوَّعَ من شذَاهُ بِطاحُهَا   والـوردُ من خجلٍ عَلَاهُ تَوَرُّدُ
دُرٌّ تـودُّ الـغانيـاتُ لـو أنَّهُ   مُتـجسِّمٌ وعلى النُّحور يُقلَّدُ
لوْ كَان يمنحُ من شذُور نثيره   مَدارج نَوْع زَبَرْجَدٌ أوْ عَسْجَدُ
العَالمُ الندب الَّذِي انتَدبت لَهُ   غُـرر الـقَوافِي عَن سَناهُ تشرَدُ
أَلْقَيْتَ مِن فَنِّ البَلَاغةِ ما بهِ   لسنُ الفصيح أتتك عجزاً تَسْجُدُ
هَـذا الـنَّميرُ لِمَنْ تَلهَّفَ غُلَّةً   السَّيِّغُ الْعَذْبُ النقي الْمَوْرِدُ(18)
هَذَا هُو السحرُ الحَلالُ لوْ أنما   [هاروتُ يسعدُ جَاء منْه يُؤَيِّدُ
هذا هو السُّكْرُ الحلالُ منِ انْتَشَى](19)   بسمَاعِـهِ طرباً يَكادُ يُعربدُ
أَخْرَسْتَ فِي الصَّقْعِ المصاقعَ فانثَنَى   وعَلَى أَنَامِلِهِ يَعَضُّ الْمُلْحِدُ
لا زِلْتَ تيَّار السيول عبَابهُ   الـفائضُ العَذبُ الخطيمُ المُزبدُ

قاله معترفاً بقصوره ، غير موفٍ حقه بمنظومه ومنثوره ، أبو عمر بن محمد بن أبي بكر لطف الله به .

ولصاحب الترجمة أيضا في بعض إخوانه :

حَـاكَ الـرَّبيـع حـدائـقاً وأزَاهِرَا   والسقط من ورق حَبَتْهُ بَشَائِرَا
فالوُرْقُ تَشْدُو فِي الغُصونِ ترنُّماً   والرَّوْضُ يسبل انْ زَهَاه غَدَائِرَا
والوَرْدُ يَخْجَلُ فِي نَدَاهُ لِأَنْ رَأى   حُمْرَ الْخُدُودِ مِنَ الْغَوَانِي سَوَافِرَا
وعيـونُ نَرْجِسِهِ تُحَمْلِقُ نَحْوَهُ   انـفـا على سـاقٍ يقُومُ مُفاخرَا
والْمُزْنُ يَرْقُصُ فِي الرُّبَا فكأنَّها   حِصْـنٌ مَـلـيءٌ درهماً وَدَنَـانِـرَا
والنَّـهـرُ مُـنعطِفٌ كأرقمٍ حُلَّةٍ   ذاب اللَّجين إِذْ جرَى بجواهرَا
وَفصيـح يَـقُـول لِمَاجِنٍ(كذا)   أَدِرِ الْكُؤُوسَ فَذَا الزَّمانُ كما تَرَى
غَنَّى الهزارُ له وأسمع صادحاً   أهـلَ الـبَطـالـةِ وَاللَّذَاذةِ جَاهرَا
أَوَ مَا تَرَى الأَيامَ تزهُو نحوَهُ   والـدهـرَ بَـعْـدَ عُـبوسِه مُتَباشِرَا
اِشْرَبْ هنيئاً فالزمانُ قد انتَشَى   جَذْلَانَ مِنْ كَاسِ السُّرور مُعَاقِرَا

(18) كذا في البدور الضاوية : «السيّغ العذب النقي المورد» وزيد في ک كلمة : هذا . ولا يصحّ وزنا

(19) سقط الشطر الثاني من البيت الأول ، والشرط الأول من البيت الثاني من ک وم . والاصلاح من **البدور الضاوية** لسليمان الحوات .

بِالْحاذِقِ الْفَطِنِ الهامِ اللَّوْذَعِي ِ مَـلكِ المعـالي نـاظـماً أَوْ ناثِرَا
طـابَ الـزَّمـانُ لَه وَباح بِعَرْفِهِ والبـدرُ قد يُعْزَى إِلَيه مظاهرا
لِـلَّـهِ مِـنْ عـرشٍ يُخَوِّلُ نعمَةً لَكَ بِالرِّفاءِ وبِالْبَنِين مُصَاهِرَا][20]

محمد بن مسعود بن زيان

ومنهم الفقيه الموثق النوازلي أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود بن زيان. كان عدلا من شهود طالعة فاس. توفي في واحد وعشرين من ذي الحجة[21]

من حوادث السنة

خروج أهل فاس لقتال بني زروال ورجوعهم مهزومين

ومن حوادث السنة خرج أهل فاس مع رئيسهم لقتال بني زروال، في خامس عشر المحرم؛ فرجعوا منهزمين بعد موت أزيد من مائة فيما قيل، ووقع سلب في الخيل والعدة ما لا يحصَى.

التحاق قائد من فاس بالخضر غيلان

وخرج القائد أبو سلهام بن كدار[22] من فاس في ذي الحجة؛ فصحب الرئيس الخضر غيلان، فغدره وثقفه بأصيلا ثم سرح.

تنكُّر قائدي فاس للأمير الدلائي

وخالف رئيسا فاس ابن صالح وابن الصغير؛ فتخلفا عن الطلوع لفاس الجديد يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة، وأجمعوا على الخلاف[23] يوم الخميس بعده.

(20) هذه الصفحات الأخيرة المتعلقة بالشيخ عبد القادر الجيلاني والقادريين بالمشرق والمغرب؛ وترجمة أبي عمر الدلائي كلها ساقطة من **ط وس**.
(21) اختصرت هذه الترجمة في **ط وس**، وأدمجت في حوادث السنة.
(22) كتب في **ط وس** قدار ــ بقاف فوقها ثلاث نقط ــ
(23) في **ط وس**: وأجمعوا على خلع الدلائي.

ظهور السلطان الرشيد بن الشريف

وفي ثالث رمضان خرج أمير المومنين مولانا الخليفة الامام الأفخم ، الملك السلطان الأعظم ، مولانا الرشيد ، بن البركة المشيد ، الوجيه النبيه ، الحاذق في الأخبار ، بضعة الرسول المصطفَى المختار ، مولانا الشريف الحسني السجلماسي من تافلالت ثاني وعشرين من شوال إلى تُدْغَة ، ثم إلى دَمْنَات ، ثم إلى الزاوية ، ثم إلى أزْرُو ، ثم إلى دار ابن مَشْعَل ، هكذا وجدت مقيدا عن الحافظ الفاسي. [وسيأتي أن وصوله دار ابن مشعل كان عام خمسة وسبعين ، وموت أخيه مولاي مَحمد ، وأن استيلاءه على فاس الجديد والقديم كان في عام ستة وسبعين ، وأن كتب البيعة له بفاس عام سبعة وسبعين . وفي عام تسعة وسبعين أخذ الزاوية البكرية . وفي عام ثمانين أخذ في حفر أساس قنطرة سبو . وفي العام الذي بعده وهو اثنان وثمانون توفي . وكل ذلك ذكرنا منه ما وقفنا عليه فيما يأتي ، فحاصل أمره من موت والده عام تسعة وستين إلى موته عام اثنين وثمانين][24] .

وحدثني بعض الفقهاء الثقات عن والده ، وأعرفه من الثقات ، وقد أدرك هذا الزمن ، أن مولانا الرشيد لما نزل بالزاوية الدلائية أقسم له بعض أولاد الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي أن لا يقيم بها وأن يسرع بالخروج ، وأخبره بما هو شائع عندهم أن مولانا الرشيد هو الذي يخلي زاويتهم ، استفادوا ذلك عن بعض أهل الكشف وغيرهم من أهل الحدثان ، تخوفا عليه من أحد رؤسائهم بسبب ما عندهم من العلم به ، فتلحق منهم إذاية لآله ﷺ . وقد كانت لأهل الدلاء زيادة محبة في آل البيت عن غيرهم من أهل وقتهم وبلادهم ، فخرج مولانا الرشيد من الزاوية فصادف قافلة خارجة منها ، فطلبوا منه حمايتهم إلى محلهم الذي يريدونه ، لأن الوقت وقت نهب ، ففعل ، فتعرض لهم خيل في الطريق من بعض أهل تلك البوادي يريدون نهب القافلة ، فأخبرهم مولانا الرشيد بأنهم استجاروا به وقبل جوارهم وهم في حماه ، فلم يعبؤوا به وأرادوا نهبهم ، فتجرد لقتالهم وحده ، ولم يكن معه إلاّ ما كان له من رقيق السودان ، وبيد كل واحد منهما مكحلة ، فأخذ المكحلة من يد أحدهما وحمل على القوم على فرسه فأصاب واحداً منهم ، وورد

(24) ما بين معقوفين ساقط من ك .

المكحلة للمملوك وأخذ الأخرَى من يد الآخر فحمل كذلك فأصاب رجلا آخر . وما رد المكحلة حتَّى وجد المملوك الآخر ملأ الأخرى فأخذها من يده واستمر على فعله كذلك كلما حمل أصاب واحدا حتَّى استوفَى ثلاث عشرة حملة أصاب منهم ثلاثة عشر رجلا مع حفظ الله إياه حيث كان ، إذا رمَى أحدهم ينعطف إلى مملوكه الآخر ليأخذ من يده المكحلة المملوءة ليرمي بها من تبعه منهم ، حيث كانوا إذا أبصروه رمَى يتبعه منهم جماعة ، فلما رأَى القوم كثرة من مات منهم وما رزقه الله من النصر عليهم فروا منه وتركوا الخيل التي أصيب أهلها ، فاستولَى عليها وأخذها وسلب ركابها الذين أصيبوا ، ونجا أهل القافلة من النهب . ثم حمل على كل فرس رجلا ممن اختار لمتابعته ، وأعطاه سلاح صاحب الفرس . فكان ذلك القتال لأولئك القوم البغاة الذين يسعون في الأرض فسادا هو المقدمة لما أراد الله تعالى بأهل المغرب خيرا ، وأنقذهم مما نزل بهم من النهب والبغي وتبطيل الحقوق وولاية البغاة عليهم ، فلما سمع بذلك المستضعون من أهل المغرب تشوفوا إليه ، وأكثروا من الطلب إلى الله في توليته عليهم ، راجين من الله أن ينقذهم من ولاية الفئة الباغية عليهم ، فاستجاب الله دعاءهم ، وولاه الله عليهم ، فكان لهم خليفة راشدا ومرشدا[25] .

ثم بعد وقوع ما حكيناه سار إلى فاس العليا ونزل أمامها ، فرآه رئيسها الدريدي من بعض أبراجها ، فسأل عنه من هو؟ فأخبروه به ، فأرسل له في الحين دراهم نحو خمسمائة مثقال[26] ووسقا من الشعير ، وقال لرسوله قل له هذه عشاؤه — يعني الدراهم — ، وهذا علف دوابه — يعني الشعير — ولا يقيم عندنا أبدا ، فرحل مسرعا ووفد على الشيخ اللواتي ، وكان متفقرا يعظم نسبة الشرف ، فبالغ في اكرامه ، فبينما هو مقيم عنده إذ رأَى رجلا بهيئة من خيل وأتباع ومماليك ، وهو يصطاد كهيئة الملوك ، فسأل عنه من هو؟ فقيل ابن مشعل من يهود تازا ، فتنحَّى سريعا وجعل السكين في فمه واستقبل الشيخ اللواتي ، فلما رآه بادر إليه : لبيك يا

(25) اختصرت هذه الفقرة المتعلقة بظهور المولى الرشيد في **ط وس** ، وقد أثبتنا نص **ك** لأنه أوفَى . وكذلك فعلنا في الفقرة التالية دون أن نشير إلى ما نقص أو زاد من هذه النسخة أو تلك لكثرة ذلك .

(26) في **ط وس** : «نحو خمس مثاقيل» .

مولاي ؛ لبيك لا أعز عنك رقبة ولا مال ، لأن ذلك عندهم علامة على الاستعطاف في أخذ الثار لمن ظلم أو شبه ذلك ؛ فاقترح عليه أن يعطيه خمسمائة أو نحوها من إخوانه الأبطال ليفتك باليهودي غيرة منه — جزاه الله خيرا — على دين الله ، فقال له لا يتخلف عنك واحد منهم أينما توجهت ؛ فتواعد معهم أن يدخلوا تازا خفية متفرقين ويلحقوا به بجوز دار ابن مشعل ؛ وهي على نصف مرحلة من تازا شرقا في البيداء أو أزيد من ذلك . ثم تقدمهم إليها واستضاف اليهودي ابن مشعل فأضافه ، وكمن الأبطال حيث يتصل بهم ان احتاج إليهم ؛ واحتال حتَّى اتصل باليهودي في خلوته فبطش به وقتله ؛ وأدخل الرجال باحتيال صادف به مرامه ؛ فاستولَى على دار اليهودي وأخرج منها أموالا عظيمة وذخائر نفيسة ، فنال ما قضَى الله له من موعوده ؛ وسطعت في فلك السعادة منازل سعوده [فلحق به أخوه الامام مولاي مَحمد هنالك لينزع منه المال قبل عتو أمره ، فأدَّى ذلك إلى حرب بينهما ، توفي فيه مولاي مَحمد بن مولانا الشريف المذكور ؛ ولم يقع قتال بين الجيشين ؛ فخلصت الخلافة إلى أمير المومنين مولانا الرشيد ابن مولانا الشريف](27) وألقت إليه المملكة زمامها ؛ ففض بعد تمنعها في خدرها ختامها ، ولاح به للمغرب السعادة والبشائر ؛ وانتعش به بعد الممات كل حيوان من ناطق وصاهل وطائر ، وكل ذلك من فضل الملك الوهاب ، ولكل أجل كتاب .

[وذكر لي بعضهم مما هو شائع عند بني يزناسن — بالزاي — أن اليهودي المذكور كان بدار له متحصنا بجبالهم ، وهم محزبون عليه ؛ فما زال المولَى الرشيد يلاطفهم في أمره حتَّى فهم اليهودي أنهم قد أسلموه ، فنزل إليه بهديته ، فقبض عليه وقتله ، ودخل داره واستخرج ما فيها من الأموال ؛ فالله أعلم أي ذلك كان وكيف كان](28) .

(27) ما بين معقوفتين ساقط من ط وس .

(28) هذه الرواية الثانية في مقتل ابن مشعل ساقطة من ك .

العالم العاشر من العشرة السابعة

أبو العباس الهداجي

فمنهم الفقيه الأستاذ أبو العباس الهداجي : هو من أهل هذه العشرة ولم أقف على تعيين العام الذي توفي فيه منها . قال في **أزهار البستان** : توفي بعد الستين وألف .

عائشة بنت محمد بن عبد الله مَعْنْ

ومنهم السيدة الفاضلة الجليلة الكاملة الولية المجذوبة القوية أم عبد الله عائشة بنت سيدي محمد بن عبد الله مَعْنْ . قال في **المقصد** : فتح لها على يد أخيها سيدي أحمد سنة ست وستين وألف ، وهي أول من فتح له علي يديه ، نزل بها جذب عظيم ، ووارد جسيم ، وحال قوي أخذها عن نفسها ، واقتطعها عن حسها . قال : وأذنت لبعلها أن يتزوج ، وخيرته بين ذلك أو يصبر على حالها ، وطلبت منه المعذرة ، وخرجت من مالها كلّه وأنفقته في سبيل الله ، وفرقته في أقاربها وذوي رحمها ، ولم تبق منه قليلا ولا كثيرا ، وشكاها زوجها في ذلك إلى سيدي قاسم ، فقال له : أي شيء أصنع لها ؟ إنها كمن اشتعلت فيه النار وعلقت بثيابه فجعل يلقيها عنه من غير اختيار ، يريد أن نار المحبة تحرق ما علق بأصحابها من الدنيا ، كما تحرق النار الحسية ما تعلق بالبدن من الثياب إذا مسته ، فلا يجد صاحبها بداً من نبذه ما في يده لا بتدبيره ، وذلك بغير اختيار منه .

وكانت تميل إلى العزلة ، وإذا جلست مع النساء يلقِي الله عليها النعاس حتَّى لا تدري ما يتحدثن به وكانت شديدة المحبة لأخيها سيدي محمش (*) ، لا تقدر أن تحبس نفسها عن رؤيته ، وكان بعلها أبو عبد الله سيدي محمد عاصم الأندلسي أولا يضيق ذرعا مما يرَى من ولهها وزهدها فيه وفي زينة الدنيا ، فإذا به يوم أصابه حال صعق منه وضربه مغشيا عليه ، فحمل ذلك بإذن سيدي أحمد وأدخل عليها

(*) لعل الصواب أحمد

الدار ، فحمدت الله كثيراً إذ شاركها فيما هي فيه ، واستراحت مما كانت تجده منه . توفيت رحمة الله عليها بوجع النفاس ولم تلد حينئذ ، وكانت وفاتها وقت صلاة الجمعة سابع رجب عام سبعين ــ بتقديم السين ــ وألف ، ودفنت من ذلك اليوم بقبة أبيها .

وكان مولدها في حدود سبع وثلاثين . انتهى باختصار(1) .

تـاج الديـن المالكـي

ومنهم قاضي المالكية بمكة المشرفة وإمام مقامهم ، الشيخ نادرة العصر ، وإمام ذلك المصر ، القاضي تاج الدين المالكي . لقيه الشيخ أبو سالم وقال فيه : ممن ينبغي ذكره ، ولا يهمل أثره ، ورث ولده أحمد خطته في القضاء والتدريس والصلاة دون إخوته ، وليس بأكبرهم سنا ، إلا أنه قد رشح لذلك بأهليته له صوتٌ حسن ، وطبع مستقيم ، ومروءة ظاهرة ، ووجاهة باهرة ، ملازم لشيخنا أبي مهدي من لدن حياة أبيه ، وانتفع به ، ويراعي له شيخنا حرمة والده فيجله ويكرمه ، وله مشاركة في الفنون .

كتب لي بخطه ــ أسعده الله ــ قصائد من نظم والده ــ رضي الله عنه ــ .

وكان والده إمام الأدباء ، وجمال الخطباء ، ووارث فصاحة العرب العرباء ، له رواية ودراية في فنون العلم ، لقيته بداره بمكة سنة أربع وستين ، وسمِعتُ عليه بعض **الصحيح** ، وأجازني وكتب لي بذلك خطه ــ رضي الله عنه ــ وأجل شيوخه الشيخ خالد بن أحمد المالكي أجل تلامذة الشيخ السنهوري ــ رضي الله عنهم ــ .

توفي شيخنا تاج الدين سنة سبعين ، انتهى كلام أبي سالم ، ولم أقف على وفاة ولده أحمد ، وأتيت به مع والده أحسن من عدم ذكره أصلا .

أبو عبد اللّـه أَدَرَّاقْ

ومنهم الطبيب الماهر أبو عبد الله أدراق السوسي الفاسي ، ذكر أن سبب الفتح عليه في الطب بعلاج بعض الغرباء من غير تقدم معرفة ، ففتح عليه وانتفع به خلق كثير .

(1) ترجمة عائشة والهداجي تأخرت إلى ما بعد ابراهيم القصري في **ط وس** .

قلت : وبقيت هذه الشيمة في أعقابه إلى اليوم ، وتصدَّروا بذلك لذلك ، ولا يخلون بالعلاج عن كل من آوى إليهم ، ولا يعتبرون في ذلك تقديم معرفة ، مع بسط الأخلاق وخفض الجناح وكرم النفس ، سيما من يتوسمون فيه وصفاً من الخير ، أو يعلمون أنه من أهل الفضل والمقدار ، وما زال الفضل مصحوبا مع بشاشتهم ، أجرَى الله ذلك في سلفهم وخلفهم ، مع التحافظ في علاجهم من الأمور المخطرات ، والنظر إلى أحوال الناس ، وسلوك الرفق والشفقة فيما يعالج به الناس ، إلاَّ أن ينزل ما لا يُدفع به حكم القضاء . انتهَى .

إبراهيم القصري

ومنهم الفقيه الأستاذ النحوي سيدي إبراهيم بن عمر ، من أولاد حمّ التازي(2) ثم السريفي ثم القصري ، ينتسب للشرف ، بيت علم ، وتأتي ترجمة أخيه سنة خمس وتسعين وألف(3) . ذكره في **الرحلة الفاسية**(4) وقال فيه : كان زاهداً مشتغلا بما يعنيه ، إماماً بمسجد بالقصر ، يعرف **الرسالة** والنحو والأدب . وكان أستاذا يحسن قراءة السبع ، وله تقاييد في العشر ، أخذ عن العارف أبي زيد(5) وعن الأستاذ محمد البوعناني ، والأستاذ أبي زيد ابن القاضي ، والعلامة محمد بن مبارك السجلماسي ، وأجازوه في السبع . توفي سنة سبعين وألف ، ودفن بالقصر .

من حوادث السنة

كسوف الشمس

ومن حوادث السنة أن في عصر يوم الجمعة ثامن وعشرين من صفر ، وقع كسوف الشمس ، موافق لأربع من نونبر ، وخامس عشر برج العقرب .

(2) في **ط** : الشاوي .
(3) في **ط** : «سنة سبع وخمسين» وهو تصحيف .
(4) في **ط** : «ذكره السيد أبو العباس أحمد بن أبي عسرية الفاسي في **رحلته**...» وهو أوضح .
(5) يقصد أبا محمد عبد الرحمان الفاسي العارف ، وهو ساقط من **ط** .

موت الأمير محمد الدلائي بفاس

ومات الرئيس سيدي محمد بن محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي بفاس الجديد ، أول ربيع الثاني .

ثورة الخضر غيلان ، وزحف محمد الحاج الدلائي للغرب

وكانت هزيمة شراقة على يد الرئيس الخضر غيلان ، فدخلوا فاسا مسلوبين ، منتصف جمادي الأولى . وزحف سيدي محمد الحاج للغرب إلَى قرب سيدي أبي سلهام ، نفعنا الله به ، أول شوال .

مصاهرة بين الرؤساء المستبدين بأمر فاس

وفي عاشره بنَى صالح ولد أحمد بن صالح الليريني الاندلاي ببنت الدريدي صاحب فاس الجديد ، والمستقبل بها بعد موت رئيسها المتقدم ذكره ، وحملها في عمارية .

احتراق ضريح ابن عباد وتجديد الدلائيين له

واحترق ضريح الشيخ ابن عباد بشمع سقط ، ومات كثير ممن كان يطفئ النار ، لأنهم دخلوا في الماء في وادي البلاعة بإثر إطفائه ، وجدّده الرئيس سيدي محمد بن محمد الحاج المذكور قبل موته بقليل[6] .

بداية انهزام الدلائيين

وانهزم البربر بأبي حريرة ، فكان ذلك من اختلال أمر أهل الزاوية الدلائية .

---

(6) في هامش م طرة مطولة عن مصاهرة القادريين والليريين ، وما توتب عن ذلك من تصرف القادريين في فتوحات ضريح ابن حرزهم ، ومقتل الأمير محمد بن محمد الحاج الدلائي ، إلاّ أن فيها بترًا كثيرا بسبب الأرضة .
أنظر هذه التفاصيل في كتابنا **الزاوية الدلائية** ، ص : 210 ـ 211 .

العشرة الثامنة من القرن الحادي عشر
العام الأول منها

حَمْدُون الأَبَّار

فمنهم الشيخ الفقيه الامام العلامة الخطيب البليغ شيخ الجماعة أبو العباس أحمد المدعو حمدون بن محمد بن موسَى الأبار الفاسي . قال صاحب **المطمح** في **فهرسته**[1] : كان – رحمه الله – من أهل الخير والدين ، وكان أسلافه من أهل الثروة المنعمين ، ومشَى هو في عنفوانه على ذلك السنن ينتحل التجارة ويسافر في البلاد لجمع الدنيا ثم ألقَى الله ذلك من قلبه واستبدله بحب العلم وكتبه ، فعكف على التعلم والتعليم ، حتَّى ظهرت نجابته ، وكان مداوما على قراءة **مختصر خليل وألفية ابن مالك** ، وله مشاركة حسنة في الحديث وغيره من الفنون . وتخرج به جماعة من الأعلام ، بل جل طلبة المغرب عليه انتفعوا في **المختصر** ، وله عليه **حاشية** موجودة بأيدي الطلبة ، وله **فتاوي** كثيرة حسنة . وكان خطيبا بجامع الأندلس مدة مديدة .

وتوفي سنة احدَى وسبعين وألف . وولد سنة احدَى وألف .

قال : وأخذ صاحب الترجمة عن جماعة من أعيان عصره ، كالشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عاشر ، وكالفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي عرف بالجنان ، إمام مسجد الشرفاء ، صاحب الحواشي المشهورة بأيدي الطلبة . قال : وكالشيخ الفقيه المحدث الشريف أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي . وكالشيخ الامام أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي – رحمه الله – انتهَى بحذف[2] .

(1) في **ط** : «قال في الممطح في فهرسته» وهو تصحيف ظاهر.
(2) في **ط وس** : وحذفنا منه ما أغنَى عنه ما تقدم .

ومِمن أخذ عنه **مختصر خليل** وجملة من **البخاري** أبو سالم العياشي ، وكتب له الإجازة بجميع مروياته . [وممن لازمه الحافظ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في **مختصر خليل**][3] .

ودخل يوما سيدي قاسم الخصاصي على صاحب الترجمة ليعوده في مرضه . فقال له : اشهد علي يا سيدي أني راض بجميع ما فعل الله بي ، فقال له سيدي قاسم : الرضَى عند الناس نقص ، وكان صاحب الترجمة مضطجعا فقال أجلسوه فأجلسوه ، فقال لا يكون الرضَى نقصا ، إنَّ الرضا أعلى المقامات ، فقال له سيدي قاسم : ما تقول في جسدك لمن هو؟ ومن المتصرف فيه؟ قال له : الله المتصرف فيه وحده ، وهو مالكه ، فقال له سيدي قاسم : وأي شيء لك في ملكه حتَّى تنسب لنفسك رضي أو سخطا في تصرفه فيه؟ ليس لك من ذلك شيء ، ليس لك ما ترضَى أو تسخط . فاعترف صاحب الترجمة أن قول سيدي قاسم حق . ثم دخل عليه الطبيب محمد أَدَرَّاق ، فقال له : اليوم دخل علي رجل أمي فأتلف مني كلَّ ما قرأته ، وذكر له القصة ، وقال له لم يفكني منه إلاَّ الاستغفار . ذكر هذه القصة سيدنا الجد ـ رحمه الله ـ في **المقصد** ، ووجدتها مقيدة أيضا بخط شقيقه عم والدنا محمد العربي القادري ، ونقلها الشيخ الحلبي في كتابه **ريحان القلوب** .

اختلف الصوفية في الرضَى ، هل هو من الأحوال أو المقامات ؟

[وخرج قول الشيخ سيدي قاسم على مذهب الصوفية بقول الواسطي : **استعمل الرضي جهدك ، ولا تدع الرضَى يستعملك ، فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع** . قال القشيري بعد إيراده : واعلم أن هذا الكلام الذي قاله الواسطي شيء عظيم ، وفيه تنبيه على مقطعة القوم خفية ، فان السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن محوّل الأحوال ، فإذا استلذ رضاه ، ووجد في قلبه راحة الرضَى ، حجب بحاله عن شهود حقه . ولقد قال الواسطي أيضا : **إياكم واستحلاء الطاعة فانها سموم قاتلة** . انتهَى كلام الحلبي .

قلت : وقد أطال القشيري الكلام في الرضَى وقال في أوله : وقد اختلف

(3) ساقط من ط وس .

العراقيون والخراسانيون في الرضَى : هل هو من الأحوال أو من المقامات ؟ فأهل خراسان قالوا الرضَى من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، ومعناه يؤول إلى أنَّ كل ما يتوصل إليه العبد باكتسابه . وأما العراقيون فانهم قالوا الرضَى من جملة الأحوال . وليس ذلك كسبا للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال . ويمكن الجمع بين اللسانين فيقال : بداية الرضَى مكتسبة للعبد ، وهي من المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال وليست بمكتسبة . انتهَى كلام القشيري .

قلت : وعلى هذا الجمع ، فالشيخ سيدي قاسم رقَّى صاحب الترجمة من حالة أهل البدايات إلى حالة أهل النهايات ، ولهذا قال له : الرضَى عند الناس نقص ، فمراده بالناس أهل النهايات ، وانما كان نقصا باعتبار قصور النظر عن حقيقة الأمر . ولا ينافي كون المكلف مأموراً به شرعا ليثبت الكسب وينفي التأثير لغير القدرة الالهية ، كما هو الحق الذي لا يحيد عنه إلاّ أهل الضلال . وتفطن لهذا صاحب الترجمة — رضي الله عنه — حيث قال للطبيب الذي دخل عليه : اليوم دخل عليَّ رجل أتلف مني كل ما قرأته — رحمهم الله تعالى ورضي عنهم —

وَلِلَّـهِ قـومٌ كـلما جئتُ زائـراً … وجدتُ نفوساً كُلَّهَا مُلئتْ حِلْمَا
إِذَا اجتَمعوا جَاؤُوا بكلِّ فضيلةٍ … ويزدادُ بعضُ القوم من بعضِهِمْ عِلْمَا
أُولئِك مثلُ الطِّيبِ كُلٌّ لَهُ شَذىً … وَمَجْمَعُهُ أَذْكَى أَرِيجاً إِذَا شُمَّا
تَعَاطَوْا كُؤُوسَ الْعِلْمِ في روضةِ النَّقَا … وكلُّهُمُ مِنْ ذَلك الرَّيِّ لاَ يَظْمَا
نُفُوسٌ على حُبِّ الجدالِ قَدِ انْطَوَتْ … فَـتُبْصِـرُهَـا حَـرْباً وَتَعْقِلُهَا سَلْمَا

وكان بعض الشيوخ يختار إسقاط هذا البيت الأخير . وستأتي ترجمة الشيخ سيدي قاسم أول العشرة بعد هذه ، وهو — رضي الله عنه — من أهل الاستغراق في الشهود ، ومن أهل التوله في المالك المعبود ، وممن له المقام الكامل ، ولِلَّه دُر القائل :

فَـقُـلْ للملوكِ الأرض تجهـد جـهدها
فَذا الملكُ مُلْكٌ لا يُبَاعُ ولا يُهْدَى(4)

ودفن صاحب الترجمة بقرب الولي الصالح سيدي محمد الجومي بالبليعة داخل

(4) هذا الفصل الخاص بالرضَى ساقط من ك وم .

باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس ، وبني عليه قوس ، بينه وبين قبر الرئيس أحمد بن صالح الليريني قبر واحد ، وأظنه هو الذي حرص على دفنه في أرضهم تبركاً به رحم الله الجميع(5) .

صفيُّ الدين عبد النبي القُشَاشيّ

ومنهم الشيخ الشهير الذكر ، العليُّ القدر ، صفي الدين أحمد بن محمد بن يونس الملقب بعبد النبي القشاشي الدَّجَاني – بتخفيف الجيم – المقدسي المدني [من أهل المدينة المشرفة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – ، صاحب الزاوية بها . قال الشيخ أبو سالم العياشي في **رحلته**](6) : كنا معشر أتباع القشاشي نلقبه بصفي الدين ، مع أن المشتهر في اصطلاح المشارقة تلقيب أحمد بشهاب الدين ؛ لما أخبرني به شيخنا الملا ابراهيم أن الشيخ كان يكره هذا اللقب ويقول : إن أحمد أشرف الأسماء ، فكيف بالشهاب الذي هو للعذاب والرجم ؟ وأظن أنه قال وهو اسم شيطان ، فكان – رضي الله عنه – يرَى أن الأولَى أن يلقب أحمد بصفي الدين ، فانظر ما أحسن هذا اللَّقب ! انتهَى .

قلت : ولا مانع من أن يقال إن التلقيب بشهاب الدين حسن أيضا ، لملاحظة ما في معنَى الشهاب من الإضاءة وإحراق الشياطين المسترقين السمع لِيُلقُوهُ للكهنة فيلبسون به على ضعفة العقول . فكونه للعذاب والرجم خاص بمن كفر واعتدَى ، وليس هو عذاب للمسلمين ، بل هو رحمة لهم بالاهتداء بضوئه وإهلاك عدوهم ، فهو أتمّ من التلقيب بصفي الدين(7) .

وكان جد صاحب الترجمة يونس المذكور يجمع الفقراء في المسجد ويدفع لهم الأجرة ليصلوا على النبي ﷺ يومهم ، فسمي لذلك عبد النبي . والقشاشي أطلق عليه لكونه كان يبيع القشاشة وهي سقط المتاع من الأشياء التي تسترخص فسمي لذلك القشاشي – بضم القاف وتخفيف الشين المعجمة – .

(5) ساقط من **ط** و **س**.
(6) ما بين معقوفتين ساقط من **ك** و **م**.
(7) اختلفت عبارة المخطوطات عما في المطبوع في هذه الفقرة فأثبتنا الأوفَى.

توفي صاحب الترجمة سنة إحدَى وسبعين وألف . قال جميع ذلك الامام سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في كتابه **المنح البادية** . [وزاد في كتاب **النصرة** للشيخ أبي عبد الله المسناوي : في تاسع الحجة][8] .

وقال أبو سالم أعياش في **فهرسته** لما ذكر المشائخ الذين تفردوا بطريق التصوف ، وكان لهم في ذلك التصرُّف ، فعدَّ منهم صاحب الترجمة وقال فيه : الشيخ الذي بلغ في التحقيق في فن التصوف ما لم يبلغه أحد ممن رأينا وسمعنا به ، الفصيح اللسان ، الثبت الجنان ، الحافظ اللافظ ، له مشاركة حسنة في سائر العلوم ، وله **حاشية على الشفا** ، وله **تأليف في علم الكلام** نحا به منحَى الأقدمين من المتصوفة . وأما فن التصوف فهو فيه البحر الذي لا يجارَى ، والحبر الذي لا يمارى ، لمثله تضرب أكباد الابل شرقا وغربا ، بل لا مثل له . وله **شرح على الحكم العطائية** . بلغ فيه الغاية ، يشهد لما قلناه فيه ، وانا لم نبلغ في تحليته عشر العشر مما يستحقه . ولا يضره قدح من لا عقل عنده ولا دين ، ممن لم يشهده الله ما أشهده ولا سلك به سبيل أوليائه المهتدين ، فتلك سنة الله في عباده .

مــا • ضــرَّ بحرَ الـفـراتِ يـومـاً أنْ بَـالَ بـعضُ الـكلابِ فِيهِ

لقنني الذكر بداره بالمدينة المشرفة ضحَى يوم السبت رابع محرم فاتح خمس وستين وألف ، بعد أن أمرني بالأمس بالمبيت بالحرم الشريف ، ووظف لي وظيفة تفعل في تلك الليلة ، وأمرني أن أخبره بما أرَى في تلك الليلة ، وعند وداعه أوصاني بما أرجو بركته دنيا وأخرى ، وحضني على انتساخ **شرحه على الحكم** وبعض رسائله ، فيسر الله ذلك بلا كلفة ببركته — متعنا الله بحياته ، وأدام النفع به للمسلمين — . انتهَى كلام الشيخ أبي سالم .

وممن أخذ عنه صاحب الترجمة الشيخ العارف أبو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس العباسي الشناوي . قال في **النصرة** : نسبة إلى قرية من قرَى مصر ، ثم المدني ، وتزوج ابنته — أي صاحب الترجمة — وصار خليفته . وكان لصاحب الترجمة زاوية بالمدينة المشرفة . وقيل في معنى ما أنشده أبو سالم من قصيدة :

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَـهْيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

(8) ساقط من كـ وم .

وقال غيره :

وَإِذَا لَمْ تَرَ الهِلاَلَ فَسَلِّمْ لِأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

ولسيدنا الجد – رحمه الله تعالى – في هذا المعنَى :

إِذَا غَمَصَ السفيهُ عليك قدراً(9) فَدَعْهُ وَلا تَلُمْهُ على جَفَاءِ

فَمَا ضرَّ السَّمَا ولها ارتفاعٌ إذا نبح الكلابُ على السماءِ

وحاصل [الأبيات أنها رد على من طعن فيه وشنع عليه بأنه يقول بتأثير القدرة الحادثة ، وخالف الشيخ السنوسي وغيره ؛ ولم نقف على شيء من ذلك إلا ما في **رحلة الشيخ أبي سالم** ؛ فانه ذكر عنه أشياء جديرة بالإنكار ، وبالغ في التلطف له وذكر عنه](10) أنه ينحَى منحَى الشيخ ابن العربي الحاتمي ؛ وقد ألف كتابا على نمط **الفتوحات** ، فرأى ابن العربي في المنام فقال له : أتريد أن تخمد كتابي بظهور كتابك ؟ فلما أصبح محاه تأدبا مع الشيخ الحاتمي ، وقد كان ممن يمارسه . وقد حذر الناس من كلام ابن العربي الحاتمي كما هو معلوم . وله رسائل في مسألة الكسب(11) قال في **الرحلة العياشية** : وهي كثيرة تقارب السبعين فيما أظن . ومنها – أي تآليفه – **رسائله الثلاث** في مسألة الكسب ، انتصر فيها لقول إمام الحرمين ، والصغرَى منها أتمها تحقيقا ، وأكثرها تدقيقا . انتهَى بنصه . وهذه مسألة تلميذه ابراهيم الكردي ؛ وسيأتي الرد عليه في ترجمة عام واحد ومائة وألف ، لكن الشيخ صاحب الترجمة له نفوذ في فهم كلام القوم . قال أبو سالم في **الرحلة** : وكان الشيخ الصفي له بصر تام في فهم كلام الشيخ محي الدين وغيره من أهل الحقائق ؛ ومع ذلك كان يعطي كل ذي حق حقه ، ويوفي كل ذي علم قسطه . قال : وكان له نظر تام بعلم الأسماء والحروف وأسرارها ، وبعلم الدوائر والأوفاق وطبائع الأشياء والدعوات وأسرارها . ونقل الشيخ ابراهيم الكردي عن صاحب الترجمة أنه كان يقول : نحن لا ننكر على أصحاب هذه العلوم المجادلين فيها الباحثين عنها المشتغلين بها كل الاشتغال ، من حيث إنها جزء من أجزاء الكمال ، وانما ننكر عليهم من حيث ادعاؤهم أنها عين

(9) كذا بكل النسخ ، ولعل الأليق : قَوْلاً

(10) هذه الفقرة الواقعة بين معقوفتين ساقطة من كـ وم ، واختصرت فيهما في نصف سطر .

(11) في كـ وم : الكشف ، وهو تصحيف .

الكمال ، إذ عين الكمال أمر وراء ذلك لا يتقيد صاحبه بعلم ولا عمل ولا حال ولا مقام ، لأن له كل علم وعمل وحال ومقام . انتهَى ما نقله في **الرحلة العياشية** .

محمد بَاعَلَوِي الحضرميّ

ومنهم الشيخ المحمود الشمائل ، الجم الفضائل ، الشريف النسب ، الطاهر الحسب ، السيد محمد باعلوي الحضرمي اليمني ، نزيل مكة المشرفَة ، وأحد الأشراف المشهورين في تلك البلاد بنباهة الذكر ولزوم السنة والاجتهاد في العبادة ، كثير التردد بين الحرمين المشرفين . قال أبو سالم العياشي في **فهرسته** بعد وصفه بما ذكر ، وقد وصفه أيضا في **الرحلة** بالقطب الأعظم : لقيته بداره بمكة ، وألبسني الخرقة ، وطريقه في ظني تتصل بأبي مدين كما هو طريق أسلافه الحضرميين ، كما نص على ذلك بعض من ألَّف في لباس الخرقة . وأخبرني بعض الإخوان أنه سمع من بعض من لبس منه أنه ذكر له أن خرقته مدنية . انتهَى . هكذا عند الشيخ أبي سالم هذا الكلام في **فهرسته**[12] بنصه ، وجزم في **رحلته** بأنها تتصل بأبي مدين ، فقال في صاحب الترجمة إنه أخذ عن شيخه السيد عبد الله بن علي صاحب الرهط ، وهو عن السيد شيخ ابن عبد الله صاحب أحمد أبادي ، وهو عن والده عبد الله بن شيخ ، وهو عن عمه القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس ، وهو عن والده القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، وهو عن أبيه وعن عمه الشيخ عمر المحضار ابني عبد الرحمان السقاف ، وهما عن والدهما عبد الرحمان بن محمد ، وهو عن والده محمد بن علي ، وهو عن والده ابن علوي بن محمد ، وهو عن والده القطب المحقق سيدي الفقيه محمد بن علي المعروف بمقدم التربية[12م] وهو عن الشيخ عبد الله المغربي ، وهو عن الشيخ عبد الرحمان المقعد المغربي ، وهو عن الغوث الجامع سيدي أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان ــ رضي عن جميعهم ، ونفعنا بهم ــ. انتهَى .

---

(12) في ط وس: في **رحلته** ، وهو تصحيف .

(12م) في **الرحلة العياشية** (2 : 90)

التربة ــ بدون ياء ــ

محمد بن علي المعروف بِمُقَدَّم التَّرِبَة

مقدم التربة المتقدم هو محمد بن علي بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسَى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق.

وتوفي صاحب الترجمة يوم الجمعة الرابع عشر من ربيع الثاني عام واحد وسبعين وألف. ونظم ذلك أبو سالم في قوله من الرجز رامزاً لسنة وفاته بقوله: **قطب وقته مات بها**:

مَاتَ فَتَى المجدِ من آلِ عَلَوِي محمـدٌ إِمـام أربـابِ الـنُّـهَـى
قد كان بحراً في المعارف فلا تَرَى له في الوقتِ طُرّاً مُشْبِها
وكـان غـوثَ مَـكَّةٍ تـاريـخُـهُ قـولُك قَـطْبُ وَقْتِهِ مَاتَ بِهَا
أَنَالَـنَا اللَّـهُ به ما نَرْتَجِي دُنْيَا وأُخْرَى وَكَـفَـانَا مَـادَهَا

[ورهط صاحب الترجمة بيت كبير شهير بالولاية والصلاح خلفا عن سلف، ومن مشاهير الحسينين – بالياء – من آل البيت، ولهم شهرة واضحة، وأنوار من بيت النبوءة عليهم لائحة، يعرفون بالحضرميين اليمنيين، بحضرموت من اليمن يعرفون بآل البيت باعلوي، ومنهم من يعرف بالعيدروسيّ – بفتح العين أوله، وتسكين الياء التحية المثناة، فدال مفتوحة، وراء مضمونة، فواو بعدها ياء النسب –. وينتهي نسبهم إلى جعفر الصادق، حسبما في **رحلة** الشيخ أبي سالم، وعادتهم المجاورة بالحرمين الشريفين، يقيم الواحد منهم ستة أشهر بالمدينة، ومثلها بمكة، لا يتخلفون عن ذلك، ولقي حجاج البيت من أهل المغرب منهم جماعة وانتفعوا بهم، منهم الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو عبد الله سيدي محمد المدرع الأندلسي، وأثنى عليهم، وأجاد في مدحهم بعض الفضلاء في منظومة له بعد أن ذكر جماعة، فمنها:

بيتُ الـنبـوءةِ والـفُتُوَّةِ والهُدَى والعلمِ في الماضي وفي المُتَوَقَّعِ
بيتُ السيـادة والسعادة والعِبَا دَةِ والمجادةِ والجلالِ الأرفـــــعِ
بيتُ الإمـامـة والـزعامة والشها مةِ، والامانةُ عندهُمْ لم تُودَعِ
قـومٌ إذا أَرْخَى الظلامُ سُتورَهُ لاَ يألفونَ وطَا فِراشِ الْمَضْجَعِ

فَتَراهُمُ عند المَحَارِبِ قُوَّماً ... لِلَّهِ في طُولِ السُّجُودِ ورُكَّعِ
يتلون آياتِ القُرَانِ[13] تَدَبُّراً ... فيهِ ولا كالغافِلِ المُتَوَرِّعِ
ثَبَتُوا على قَدَمِ الرسولِ وصَحْبِهِ ... والتابعين لهم فَسَلْ وَتَتَبَّعِ
وَمَضَوْا على قَصْدِ السبيلِ إلَى العُلَى ... قدَماً عَلَى قَدَمٍ بجدٍّ أَرْوَعِ
وجماعةٌ منهمْ أخذنا عَنْهُمُ ... عِلْمَ الطريقِ القَصْدِ فَانْصِتْ وَاسْمَعِ

انتهَى المراد منها ، ثم ذكر فيها أشياء من مبادئ الطريق ، وهي طويلة جدا .

وقوله : لِله في طول السجود ورُكَّعِ ، لعلَّ قوله : رُكَّعِ مخفوض بالمجاورة على حد قوله :

كَأَنَّ أَبَانا في أفانينِ وَدْقِهِ ... كبير أناسٍ في بجادٍ مزملِ

لكنه غير قياسي ، وإلاَّ فهو منصوب بالعطف على قوله : قُوَّماً ، معمول لتراهم][14] .

ورثَى صاحب الترجمة تلميذه الشيخ عبد الله باعفيف اليمني بقصيدة بديعة منها :

فَدَيْتُ الأُولَى زَانَتْ رِباطُ شُمُوسِهِمْ ... فلا غَالَهَا صَرْفُ الليالي الْغَوَادِرِ
هُمُ الْغُرَرُ الساداتُ من آل هاشمٍ ... بَنُو الماجِدِ المفضالِ تاجِ المفاخرِ
إمَامِ المعالي نعمةِ الله سيِّدِي ... أبِي عامرٍ أَكْرِم بهِ وبعامرِ
همامٌ رَقَى في القرب أشرفَ رتبةٍ ... وقام مَقَامَ الأكرمينِ الأَكابرِ
وسافَرَ من علم اليقينِ لِعَيْنِهِ ... إلَى حقِّهِ في غَيْبِ غَيْبِ السَّرائِرِ
وعادَ من المولى بأكرمِ خلْعَةٍ ... لِأَكْرَمِ جَحْجَاحٍ عظيمِ الشَّعائِرِ
دقائقُ تُجْلَى في علومِ حقائقٍ ... تَقَاصَرَ عن إدراكها كلُّ ماهِرِ
وَفِي إنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ مُشْعِرٌ ... بِنَيْلِ الكراماتِ العظامِ البواهرِ
وَلِمْ لاَ وفي جُرْثُومةِ الْفَضْلِ قَدْ غَدَتْ ... سلالتُه تُنْمَى لعبدٍ لقادرِ

(13) في هامش المطبوعة الحجرية طرة : القران يقرأ بغير همزة للوزن ، وهو لغة فيه . انتهَى مصححه .

(14) هذه الفقرة بما فيها من نثر ونظم ساقطة من ك وم .

ظواهرُهُ تُنْبِـي بحسنِ بواطنٍ بَوَاطِنُـهُ تُنبي بحسن ظواهِرِ[15]

وهي طويلة تشتمل على أزيد من خمس وأربعين بيتا.

ومن فوائد الشيخ عبد الله باعفيف هذا خلوة ثلاثة أيام، وخلوة أسبوع، وخلوة أربعين يوما. أما خلوة ثلاثة أيام فهي الاثنين والخميس والجمعة، ولها وظائف دوام ذكر الليل والنهار، والاعتزال في الزاوية، وأكله بعد العشاء، وترك النظر إلى الحرام، ولا ينام حتَّى يقول قبل النوم على طهارة في خلوة واحدة: يا كريم يا رحيم ألف مرة، والصلاة على النبي ﷺ ألف مرة، فتح لجماعة في هذا. وأما خلوة الأسبوع بالصوم والعزلة والسهر وترك ذكر الدنيا وأهلها. وكذلك خلوة أربعين يوما[16] ولكن الأدب نصف الدين بل الدين كله، والأدب مع الله تعالى ترك كل معصية، ومع الصالحين ترك الاعتراض عليهم، والمسلمين سلامتهم من لسانه ويده. والخير كله في تلاوة القرآن، مع الأدب بين يدي المتكلم رب السماوات والأرض. انتهَى كلام عبد الله باعفيف. قال أبو سالم في **الرحلة** وقد نقل جميع ما ذكرنا: وقد أخبر الشيخ باعفيف أن الشيخ محمد باعلوي — يعني صاحب الترجمة — كان يأمر أصحابه بهذه الخلوات، ولها بركات عظيمة، نفعنا الله بهم.

عبد الوهاب الوزير الغساني

ومنهم الفقيه [الموثق النوازلي العدل][17] الأثير أبو محمد عبد الوهاب بن ابراهيم الوزير الغساني، أحد وجهاء عدول فاس، ذكره في **أزهار البستان** ممن انتفع على الامام أبي زيد الفاسي، وقال فيه: الفقيه الاستاذ. توفي في تاسع[18] وعشرين من شوال سنة إحدَى وسبعين وألف.

---

(15) سقط في **ط وس** من هذه الأبيات العشرة البيت الثالث.

(16) في الرحلة العياشية (الطبعة الحجرية الفاسية 2 : 297) : **وكذلك** خلوة الشهر والأربعين.

(17) ساقط من **ط وس**.

(18) في **طوس** : في سابع

عبد العزيز الزمراني

ومنهم المرابط سيدي أبو محمد عبد العزيز الزمراني . كان متقشفا فارا بنفسه ، يركن إلى المساجد الخالية ، كثير الذكر لله تعالى . ترك ماله وولده بمراكش ، ورحل لفاس ، وأقام بجامع الأندلس منها عشر سنين ، لا يشعر به أحد إلاَّ المؤذنون ؛ وظن أهله أنه مات ؛ فجاء ولده إلى فاس ليسأل عنه ، فرأًى ولده قبل أن يراه الولد ، فهرب منه وقال إنما تركته لله ، ثم خرج لقلعة بني حماد ، فأقام بها مدة ثم سافر لدرعة فمات بها سنة إحدَى وسبعين وألف . [هكذا ذكر بعض من ألف قريبا][19] .

أبو سَلْهَام بن قَدَّار

ومنهم الرئيس القائد أبو سلهام بن قدَّار ، مات في ذي الحجة[20] .

من حوادث السنة

نزول ثلج وحوت صغير بفاس

ومن حوادث هذا العام ، في ليلة الأربعاء خامس ربيع الثاني نزل ثلج ونزل معه حوت صغار طولها قدر ثلثي الخنصر من اليد ؛ ولم ينزل المطر بعد أكثر من شهرين ، واستسقَى الناس واجتمعوا لقراءة **القرآن وصحيح البخاري** بالقرويين ، وذلك أواخر جمادى الثانية ، وانتهب قمح كثير في الفدادين مع عرب بني حسن ومن معهم ، وبيع القمح من نحو عشرين مثقالا للوسق على اعتبار مكيال زمننا هذا . انتهَى .

---

(19) ساقط من **ط وس** .
(20) أخرت هذه الترجمة في **ط وس** . وفي **ك** : أبو سالم بدل بوسلهام .

العام الثاني من العشرة الثامنة

محمد بن أحمد ميارة

فمنهم الفقيه العلامة، الدراكه الفهامة، المختص بالإتقان وحسن التصريف، المنفرد عن أهل عصره بجودة التصنيف، وسلاسة العبارة، وحسن الإشارة، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد ميارة، الفاسي الدار والقرار. قال فيه أبو سالم في **فهرسته** : الفقيه المتفنن، ومن التتلمذة له على كل طالب متعين، سمعت عليه جملة من كتب الفقه، وسمعت من لفظه **شرحه الصغير على المرشد المعين**، بأجمعه، وكثيرا من **شرحه على لامية الزقاق**، وغير ذلك من مروياته. انتهَى. وأثنَى عليه غير واحد من الأصحاب المعتبرين، كالامام سيدي أحمد بن علي السوسي، وأبي العباس الأبار، وأبي حامد محمد العربي الفاسي، وأبي عبد الله محمد المرابط الدلائي، وغيرهم، فيما كتبوا له على **شرحه للمرشد**، [وشيخه الامام أبي الحسن علي البطيوي فيما أجازه فيه من مروياته عن القصار عن رضوان حسبما تضمنت ذلك اجازته له](1) وتلقّى الناس تآليفه بالقبول، وأذعنوا لها ما بين فاضل ومفضول، وعم نفعها في البلاد، وشاع فضلها في العباد، فمنها شرحاه على نظم الشيخ ابن عاشر المسمى **بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، الأكبر والأصغر، **وشرح لامية** الشيخ أبي الحسن الزقاق، وقد أشير إلى هذه الثلاثة قبل، ومنها **تكميل المنهاج** ذيل به نظم الشيخ الزقاق المذكور المسمى **بالمنهاج المنتخب**، ومنها **شرح تحفة ابن عاصم** في الأحكام، ومنها **نصيحة المغترين في الرد على ذوي التفرقة بين المسلمين**، **ومنها زبدة الأوطاب**، **في اختصار الحطاب**، شرح **مختصر خليل** في ثلاثة أسفار، وشرع في **شرح مختصر خليل**، فبلغ فيه إلى الوقت المختار. وكان حريصا على العلم وتحصيله، ونشره للناس وتفصيله. وله تقاييد وأجوبة وأنظام كثيرة، وشاعت كل هذه التواليف وانتشرت، وقد خلا الزمان من مثلها، واعترف أهل هذه الأعصار بفضلها. وذكره أبو زيد الفاسي فيمن انتفع بعم جده العارف

(1) أخر ما بين معقوفتين في ط وس إلى ما قبل أبيات المرابط الدلائي.

بالله سيدي عبد الرحمان في كتابه **أزهار البستان** فقال ما نصه : شيخ المذهب وحامل لوائه ، والبدر المشرق في سمائه ، العلامة الفهامة النوازلي أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة ، ممن لازم القراءة عليه والسماع منه ، وأجازه فيما يصح له وعنه ، ومولده سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وتوفي بعد ضحَى يوم الثلاثاء ثالث جمادي الثانية سنة اثنين وسبعين وألف ، ودفن بداره التي صارت الآن روضة عليه ومقبرة لغيره قرب سيدي عزيز أقصَى درب الطويل من فاس القرويين ، ثم زيد على ما بني عليه خربة أخرى واشتروا مساحة متسعة اتخذوها مقبرة للدفن ، ثم في هذه الأزمنة تأنق في البناء غليه بعض قرابته ، ولا أدري هل من ثمن المقابر التي تباع من تلك المساحة أم من أموالهم . ومن ثناء محمد المرابط الدلائي عليه مما كتبه على المرشد هذه الأبيات :

يا واحداً في دوحةِ الْمَجْدِ ... والمُسْتَضِيءَ بطالِعِ السَّعْدِ
إنَّ الأفاضلَ في الورَى نُظِمُوا ... عِقْداً وأنت يَتِيمَةُ العِقْدِ
وَافَيْتَ بالعَذْبِ المَعِينِ له ... لَوْلاَكَ أَرْدَاهُم مِنَ الوتدِ
شَرْحاً جَلاَ خودَ الفرائِدَ مِنْ ... لفظٍ حَلاَ أَشْهَى مِنَ الشَّهدِ
فالبدرُ يحكيهِ سَنىً وعُلاَ ... في أفْقِهِ والوَشْيُ في البُرْدِ
أَهْدَيْتَ جِيداً قَدْ غَدَا عَطَلاً ... دُرَرَ الْبَهَا فَجُزِيتَ مِنْ مُهْدِ

عليّ الزرهوني

ومنهم الشيخ النحوي المشارك العلامة أبو الحسن علي الزرهوني . كان — رحمه الله — خيرا دينا نفاعا للطلبة ، محققا في النحو والصرف والعروض ، مع المشاركة في غيرها من الفنون ، مداوما على إقراء **الألفية** . تخرج به جماعة أعلام .

توفي بشفشاون ، سنة اثنين وسبعين وألف . وأخذ عن جماعة من أعلام العصر كالشيخ النحوي الامام أبي الحسن علي بن الزبير السجلماسي المتوفى سنة خمس وثلاثين وألف انتهى من **فهرسة** صاحب **المطمح** .

[وممن أخذ عن صاحب الترجمة الشيخ الامام أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، رضي الله عن جميعهم][2] .

(2) ساقط من ط وس

أحمد بن عبد الرحمان الملاحفي

ومنهم الشيخ المرابط أبو العباس أحمد المدعو حمدون ابن عبد الرحمان الملاحفي ، نسبة إلى عمل الملاحف ، تقدم لبعض أسلافه عملها فنسب إليها ، وينتسبون لبني كنانة . كانت له زاوية بدرب الحرة من طالعة فاس القرويين ، وله أتباع وأصحاب ، يقرؤون فيها وظائف وأحزاب ، وتذكر له كرامات وخوارق ، وهو من أشياخ ابن عيشون المنسوب له التاليف في صالحي فاس ، قال فيه : توفي – أي صاحب الترجمة – عند العصر من يوم الاربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وألف ، عن نحو سبعين سنة ، ودفن بزاويته .

عبد العزيز الزمزمي المكي

ومنهم الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الزمزمي المكي الشافعي مفتي الأقطار الحجازية . قال أبو سالم في **الرحلة** : كان من فضلاء فقهاء الشافعية ، ورئيس المؤذنين على ظهر زمزم بمكة المشرفة ، وبتلك الخطة نسب أسلافه إلى زمزم ، وكان قد طعن في السن وأدرك حياة الشيخ داوود الأنطاكي صاحب **التذكرة** في الطب التي لم يؤلف مثلها في ذلك الفن .

[قال ابن التاج : أخبرني الشيخ عبد العزيز – يعني صاحب هذه الترجمة – كان الشيخ داوود له وجاهة عظيمة عند أمراء دكة ، وكان يحضر مجلس والدي في التدريس ، وكان الوالد يجله ، وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله ، وأعاتب الوالد على إجلاله وتعظيمه ، وأقول : كيف تجل رجلا فيلسوفا من شأنه كذا وكذا ؟ فيقول : يا بني إن الرجل من حكماء الاسلام ، وله وجاهة عند الدولة ، وقديماً قيل :

وما عَجَبٌ إكرامُ أَلْفٍ بواحدٍ ... لِعَيْنٍ تُعَدُّ ألفُ عينٍ وتُكْرَمُ

قال : ثم عرض لي عارض ذات يوم اشتد علي ولم أحضر الدرس ، فحضر الشيخ داوود وسأل الوالد عني ، فأخبره بحالي ، فلما تفرق المجلس قال لوالدي : اذهب بنا لعيادة ولدك ، فدخل علي وأنا في أشد ما يكون من المرض ، فجس

بدني ثم قال لوالدي : ليس هذا وقت معالجة هذا الولد ، ولكن خذ من هذا الدواء لشيء استخرجه من جيبه ، يسقي أو يدهن به يخف عنه ما هو فيه ، وأنا راجع إليه غداً وقت كذا ، فذهب واستعملت ما أمر به ، فخفَّ علي ما أجد ، ثم حضر غدا في الوقت الذي ذكر . واستحضر حجاما وقال هيئ آلة الفصادة ، وأراه العرق الذي يفصده ومحل الفصد فيه ، وقال له : إذا سمعتني قلت : الله ! رافعا صوتي بها فافصد الذي ذكرت لك ، وإذا قلتُهُ ثانيا فحلّ رباط الفصد وأمسك عن إخراج الدم ، فهيأ الحجام الآلة وربط المحل ، فبقي ينتظر إذن الشيخ ، والشيخ مطرق برأسه مدة ، ثم قال له : الله ! ففصد العرق مع قوله ، فلما قاله ثانيا أمسك ثم رفع الشيخ رأسه وقال له : أخرجت لك دما مخصوصا وقتا مخصوصا لِأَمدٍ مخصوص . وذكر أن الأمد المخصوص قرب الثمانين سنة ، فوجد الشيخ عبد العزيز الراحة من حينه ، ولم يعاوده المرض إلى قرب الثمانين كما ذكر . والشيخ عبد العزيز هذا كان حيا سنة خمس وستين وألف .

قال أبو سالم بعد فراغه من نقل جميع ما ذكرنا][3] وقد حرصت على لقاء الشيخ عبد العزيز والأخذ عنه فلم يقدر لي [لضيق الوقت ، ولما رجعت في هذه الوجهة وجدته قد انتقل إلى رحمة الله ، ولم أسأل عن وقت وفاته][4] وتولى مكانه في التقديم على المؤذنين بزمزم ولده الشيخ عبد السلام . وتحكى عن أهل بيتهم كرامات وخوارق ظهرت عليهم من ملازمة ذلك المحل الشريف .

[ومن ذلك ما سمعته عن جماعة من المجاورين بمكة ، أن الشيخ عبد العزيز أو أحدا من أهل بيته احتبس ذات يوم في شغل له خارج مكة ، فلما قرب الوقت توجه ليدرك الأذان بالمسجد الحرام ، فأدركه الوقت وهو على الثنية التي تشرف على المحصب من ناحيته بمكة ، وعلى عقبة منى من ناحيته فأذن في ذلك المحل وبينه وبين المسجد مسافة بعيدة وجبال وشعاب يستحيل معها عادة وصول صوته إلى من بأسواق مكة ، فضلا عمن كان في المسجد ، فسمع صوته من كان في المسجدكأنه يؤذن في محله المعهود ، فكانوا يرون ذلك كرامة له .

(3) ما بين معقوفتين ساقط من لك وم

(4) ساقط من لك وم

ومن ذلك أن الرئيس منهم يُصوِّت قبل طلوع الفجر سبعة أصوات ، بين كل صوتين نحو نصف درجة ، ويكون طلوع الفجر عند آخر صوت منها . واستفاض عند كثير من الناس أن تلك الأصوات زعموا أنه حين يصوت بها يسمعه الأبدال في مشارق الأرض ومغاربها ، فيحضرون الصلاة ، وأنا ترصدت ذلك مراراً وسمعت الأصوات ، فليس فيها حرف أصلاً حتّى تنسب إلى لغة دون لغة ، والغالب على ظني من ذلك انما هو من الصوت باسم الجلالة بعد النطق بأوله سراً وإخفاء الهاء في آخره . وكنت بعثت إليه أيام مجاورتي هنالك في رمضان : هل يصح صيام من شرب أوّلها أم لا ؟ فأخبرني أن من أكل أو شرب قبل الثلاثة الأخيرة صح صومه . وبعده لا ، والعلم عند الله تعالى . انتهَى كلام أبي سالم بنصه .

وابن التاج الذي نقل أبو سالم عنه أولاً ، ستأتي ترجمته – ان شاء الله – في الخاتمة](5) .

وممن أخذ عن صاحب الترجمة الشيخ ياسين صاحب **الحواشي على الألفية** وعلى **التصريح** ، والشيخ ياسين بن غرس الدين الشافعي الأنصاري ، وأبو مهدي عيسَى الثعالبي الجعفري المغربي ، وغيرهم . ولم أقف الآن على شيوخه . توفي سنة اثنين وسبعين وألف .

محمد المنقوشي

ومنهم العلامة اللوذعي ، الرحالة الألمعي ، أبو عبد الله محمد بن أبي الشتاء المنقوشي الفاسي الدار . قال في **الرحلة العياشية** : ويوم دخولنا لهذه المدينة – يعني طرابلس – لقينا أصحابنا الفاسيون القافلون من الحج ، وفيهم محبنا سيدي طاهر بن رضوان الخزرجي ، وأخبرني بأعظم الرزية ، وأفجع البلية ، موت أخينا في الله المواتي ، المساعد فيما يذر وما ياتي ، الحبيب الشقيق ، خير خل وأزكَى رفيق ، العلامة اللوذعي ، الرحالة الألمعي ، سيدي محمد المنقوشي ، سق الله قبره شآبيب الرحمة والرضوان ، وجعله ممن يستبشر بقدومه رضوان ، وذلك في شهر الله المحرم

(5) الفقرة الأخيرة المتعلقة بكرامات رؤساء المؤذنين على ظهر زمزم – بين معقوفتين – ساقطة من لك وم

فاتح سنة اثنين وسبعين وألف، بمدينة القسطنطينية العظمى، مات شهيدا بالوباء بعد دخولها بثلاثة أيام، وكان – رحمه الله – كثيرا ما يلهج بها، يؤمل المشي إليها، ويشتاقها اشتياق المرء إلى بلده، فصارت بعد ذلك محل ملحده. وذكر لي أنه لمعت بارقة من نور على قبره، ولا يستبعد ذلك من أمره، شهيد الوباء والغربة، وقاصد الحج وطالب علم، إلى غير ذلك من سيرته الحسنة. وقد بنى أحباؤه على قبره فصار مزارا، حطّ الله عنه بذلك آثاما وأوزارا. انتهى مختصرا.

ورثاه أبو سالم في آخر قصيدته المشتملة على نحو مائة وثمانين بيتا التي كتب بها من طرابلس لأصحابه في رجوعه من الحجاز، ونص المراد منها:

ومِنْ بَعْدِ مَا أَتْمَمْتُ كَتْبِي إِليكمُ ... أتى نبأٌ عنه المَسامِعُ صُمَّتِ
فَأَذْهَلَ فِكْرِي عن جميعِ أُمُورِهِ ... وأَيْقَظَ ساهي الحُزْنِ مِنْ أَيِّ نَوْمَةِ
وَأَوْقَدَ لِي ناراً[6] بَطِيٌّ خُمودُها ... بقلبٍ ولم تَخْمُدْ بسائِلِ دَمْعَةِ
بِأَنَّ شقيقَ الروحِ غايةَ أُنْسِهِ ... أخِي وسمِيرَ القلبِ في كُلِّ ضَجَّةِ
مُوافقُنِي في كلِّ حالٍ ومُؤْثِرِي ... على نَفْسِهِ في كُلِّ خير ولَذَّةِ
حبيبِي خليلي لا خليلَ سواهُ لِي ... يُدانِيهِ في أَخْلاَقِهِ الْمُستقيمةِ
سخاءٌ وصبرٌ جودةٌ وفتوَّةٌ ... توَقَّدَ ذِهْنا في صفاءِ الطَّوِيَّةِ
وعِزَّةُ نفسٍ لا ترومُ دناءةً ... وغايةُ صبرٍ في احتمالٍ وعفةِ
محمدٌ المحمودُ نجلُ أبِي الشِّتَا ... عليه مِنَ الرحمانِ سابغُ رَحْمةِ
قد اخْتَلَسَتْهُ عِنْدَ مَا تَمَّ بَدْرُهُ ... كَمَالاً وغالتْهُ أكفُّ المَنِيَّةِ
فَواللَّهِ لا عَزَّيْتُ في فقدِهِ أمْرأً ... سِوايَ وَمَنْ أَوْلَى بِذَا غَيْرُ مُهْجَتِي
لَقَدْ طَالَمَا حَذَّرْتُهُ وَنَصَحْتُهُ ... وقُلْتُ لَهُ احْذَرْ مِنْ رُكُوبِ السَّفِينَةِ
ولكِنَّهُ مِنْ حُبِّهِ الخيرَ مسرعاً ... لِنَيْلِ المُنَى لَمْ يَهْتَبِلْ بِنَصِيحَةِ
فَجَرَّتْهُ قصداً لِلرَّدَى غَيْرَ هائِبٍ ... سلاسِلُ أقدارٍ تَقُودُ بِزَمَّةِ
تَجَاوَزَ أَرْضَ الرُّومِ حتَّى أَتتْ بِهِ ... منيتُه أَقْصَى البلادِ الْبَعِيدةِ
فَذَاقَ بِهَا كَأْسَ الْحِمَامِ وخَلَّفَتْ ... رَهِيناً بِقُسْطَنْطِينَةٍ خَيْرَ طِينَةِ
وكان كثيراً ما يكرِّرُ ذِكْرَهَا ... فصَار بها المَلْحُودَ في بَطْنِ تُرْبَةِ

(6) في الرحلة العياشية (1 : 74) وأوقد نيرانا ......

رعَى اللَّهُ مَنْ بِالرُّومِ أَضْحَى مُجَدَّلاً ... ونَشْأتُهُ في الغرب أَفْضلُ نَشْأةِ
ولـيتَ المنايا اخْتَرْتُهُ بحكمِهَا ... عَلَى ما تَشاءُ مِنْ فِداءٍ وَرَشْوَةِ
ولو أنَّني آليتُ لاَ ذَاقَ بَعْدَهُ ... لذيذَ الْكَرَا جَفْنِي لَبَرَّتْ أَلِيَّتِي
لقدْ طاب حَيّاً ذكرُهُ في بلادِهِ ... كما فاح شرقاً عَرْفُهُ بعد مِيتَةِ
هنيئاً له خَيْر الشهادةِ حَازَهَا ... على بَغتةٍ بالطعنِ في أرضِ غُرْبَةِ
بِخَيْرِ ثُغُورِ المسلمين رِباطُهُ ... بإثْرِ رُكوبِ البحرِ في خَيْرِ وِجْهَةِ
وَآثَرَ عنه الناسُ فيه كرامةً ... فصار مزاراً قبرُهُ في المدينةِ
ملائكةُ الرحمانِ عنه نيابةً ... يَحُجُّون عنه كلَّ عام بِحَجَّةِ(7)
إلَى اللَّهِ والمختارِ كان مُهَاجراً ... فأدركه موتٌ على حالِ هِجْرَةِ
فكان بِلا شكٍّ على اللَّهِ أجْرُهُ ... فأكرِمْ بِذَا مَوْتٍ وَأَكْرِم بِهِجْرَةِ
سأبكيكَ يا خيرَ الأَحِبَّةِ مَا بَكَى ... مُحِبٌّ حبيباً بِالدُّموعِ الغزيرةِ
وأَبْكِي دماً بعد الدُّموعِ وَبَعْدَهَا ... تَسِيلُ عليكُمْ يَا خَلِيلِيَ مُهْجَتِي
مُحَمَّدُ لا واللَّهِ ما كنتُ ناسياً ... لِعَهْدِكَ ما دامتْ حَيَاتِي بِجُثَّةِ
مُحَمَّدُ مَنْ لِلعِلْمِ بَعْدَكَ ناشراً ... فوائِدَهُ في الناسِ مِنْ دونِ هُجْنَةِ
محمدُ مَنْ للجودِ بعدَكَ قَدْ عَفَا ... وقد كنتَ بَسْطَ الْكَفِّ جَمَّ العَطِيَّةِ
محمدُ مَنْ لِلْحلمِ بعدكَ إن أَسَى ... عَلَيْكَ مُسِيءٌ لَمْ تُواخذْ بِزَلَّةِ
محمدُ مَنْ لِلدَّرْسِ إن بات أهلُهُ ... لهم نظرٌ في صفحةٍ بعد صفحةِ
ومَنْ لصحيحِ النَّقْلِ إن ضلَّ أَهْلُهُ ... يُريدون في أمرٍ طويلِ الخصومةِ
محمدُ مَنْ يَلْقَى الأَحِبَّةَ ضاحكاً ... سواك بلا عَبْسٍ مُنيرَ الأَسِرَّةِ
محمدُ مَنْ لِلبحث يُلقيه تارةً ... ويُلْقَى عليه من فنونٍ عويصة
تُجيدُ سؤالاً إن سَأَلْتَ كَذَاكَ إنْ ... أَجَبْتَ بِعَقْلٍ أو نصوصٍ صحيحةِ
محمدُ مَاذَا أَنْتَقِي مِنْ مَدَائِحِي ... لِعَلْيَاكَ أَنْتَ البدرُ مِنْ فَوْقِ مِدْحَتِي
سأُهدي لكم طِيبَ الثناءِ وأَصْطفِي ... لَكُم مِن دعائي دَعْوَةً إثْرَ دَعوةِ
عليكُم سلامُ اللَّهِ مِنِّي وَرَحْمَةٌ ... من اللَّهِ تَتْرَى في فَراديسِ جَنَّةِ(8)
ومغفرةٌ سَحَّاءُ تَهْمِي سِجَالُهَا ... عَلَى جَدَثٍ بالرُّومِ أضحَى بِحُفْرَةِ

(7) في **الرحلة العياشية** (1 : 75) : يحجّون قطعاً كل عام بحجةِ
(8) في **الرحلة العياشية** (1 : 76) : على جسدٍ بالروم أضحَى بحفرةِ

وشَفَّعَ فيك المُصطفَى وكتابَهُ ولقَّاكَ أَمْناً بَانَ فِي كلِّ رَوْعَةِ
ورقَّاكَ في الفردوس أعلَى مكانةٍ مَعَ العلماءِ العاملين الأَئِمَّةِ
وأَدْعُو له ما دمتُ حيّاً وَلَمْ أَكُنْ لِأَنْسَاهُ في حَجِّي ولا إِثْرَ عُمْرَةِ
وَلاَ عِنْدَ قبرِ المُصطفَى وصِحَابِهِ ولا إِثْرَ ختِمِ الذِّكْرِ في كُلِّ خَتْمَةِ

وخلف صاحب الترجمة أولاداً .

عبد القادر المنقوشي

منهم الأديب الأريب ، الخير النجيب ، أبو محمد عبد القادر ، له نظم فائق ، وكلام رائق ، توفي بمكة . ومما مدح به سيدي أحمد بن عبد الله معن — رضي الله عنه — فقال وقد رأى جبلا وقت الأصيل ، وقد كسته خضرة يهيم بها القلب ويميل :

أَلاَ أَرْسِلْ عِنَانَ الطَّرْفِ وانْظُرْ إِلَى طَوْدٍ بِـــهِ نُورٌ تَلاَلاَ
كَأَنَّ جبينَ أَحْمَدِنَا تَبَدَّى وَقَدْ عَمَّتْ مَحَاسِنُهُ الْجِبَالاَ

[وكان سكناه مع أبيه بحومة المخفية من عدوة فاس الأندلس](9) وانقرض عقب عبد القادر هذا ، ولم يكن لصاحب الترجمة عقب الآن إلاَّ رجلان أولاد ابن أخ عبد القادر المذكور ، ولا أبناء لهما الآن . ووقع الاشتراك معهم في هذه النسبة لقوم آخرين يدعون بالمنقوشي أيضا الآن بفاس ، وهم فرق ، ولا قرابة لهم مع صاحب الترجمة أصلا ، الا أن تجمعهم قبيلة بني منقوش [المعروفة النازلة بجبل بني زناتن](10) والله أعلم .

محمد الزَّجَّالي

ومنهم الفقيه الأديب الأستاذ المجود محمد [بن محمد](11) بن قاسم الزَّجَّالي . وبنو الزَّجَّالي كانوا وزراء بقرطبة كما في **نفح الطيب** . وفي **جمهرة ابن حزم** أنهم من

(9) ساقط من ك وم
(10) ساقط من ط وس
(11) في ك فقط

قبائل البربر [من مديونة فانظره انتهَى . وبنو سجل بطن من غمارة ، ولا أدري من أين هو ، أمنهم أو من غيرهم ؟][12] ومن نظم صاحب الترجمة يهنئ العلامة سيدي محمد بن سودة حين ولي الفتوَى والخطبة بفاس :

أَمُفتِي الْوَرَى دام السرُورُ يَؤُمُّكُمْ وَتَرْقَى مَنَابِرَ الْـمَعَالِي وتُمْنَحُ
وتُنْظَمُ فِي سِلْكِ الخِيَارِ كَلُؤْلُئٍ فَيَا كاملاً رِقِّي لَكُم بِهِ أَسْمَحُ
فلا زلتَ في بحرِ العلومِ مُؤَيَّداً مِنَ اللَّهِ بِالْعَوْنِ الَّذِي لَيْس يَبْرَحُ
فَأبقاكَ مَنْ أَوْلاَكَ في حُسْنِ عِيشَةٍ أَيَا فاضلاً بِهِ الوِلاَيَةُ تُمْدَحُ

محمد بن محمد الخديم الدلائي

ومنهم السيد الهمام ، أحد الأعلام ، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الخديم ابن الولي الصالح سيدي أبي بكر الدلائي ، [وكان والده محمد الخديم لزم خدمة والده سيدي أبي بكر ممتثلا لما يأمره به من خدمته كالخادم ، فلُقب بذلك][13] ومن أغرب ما يحكَى أن سيدي محمداً الخديم بات ليلة يتألم ويبكي وهو صبي صغير من شدة لدغ البرغوث له ، فشكت أمه ذلك إلى والده سيدي أبي بكر ، فقال : لا يؤذيه بعد اليوم ، فكان سيدي الخديم يبيت مع الأصحاب فيتأذون بالبرغوث ولا يرَى هو من ذلك شيئا ، وكان يقول : دعالي سيدي أبي بكر بالسلامة من البرغوث ، ودعا لسيدي محمد الشرقي بالدنيا ، فليته دعا لي بالدنيا عوض السلامة من البرغوث ويتركني أنا والبرغوث .

علي بن ادريس الجوطي

ومنهم سيدي علي بن ادريس الشريف الجوطي الحسني ، وتقدمت ترجمة والده[14] .

---

(12) ساقط من ط وس
(13) ساقط من ط وس
(14) هذه الترجمة ساقطة من ط وس

من حوادث السنة

حصار عبد الله الدلائي لفاس

ومن حوادث هذه السنة أن في أوائل رمضان نزل السيد الرئيس أبو محمد عبد الله ابن محمد الحاج الدلائي على فاس ، فحاصرها عشرة أيام ، فافسد الفواكه والزروع ونهب وسبَى وأهلكهم . ثم تدارك الله عباده باللطف المرجو منه بعد الهلاك ، فرحل ورجع إلى الدلاء .

غلاء الأسعار بفاس

فغلت الأسعار بسبب ذلك ، فبلغ الصاع النبوي من القمح نحو درهمين ونصف شرعية أو أزيد ، وأكل الموتَى والجيف وذبح الأطفال .

قتل أربعة من أولاد ابن منصور بفاس

وفي ثامن وعشرين من صفر قتل الرئيس أحمد بن صالح اللِّريني أربعة من أولاد ابن منصور ، وأعقاب إخوانهم يدعون اليوم بأولاد ابن محمد(15) ، لاتصالهم بخدمة أحمد بن سيدي محمد الحاج الدلائي ، فتوهم ابن صالح ، أنهم يريدون الخروج عن أمره ، فتسبب لهم بذلك توطئة لقتلهم ونهب أموالهم ، ليليف (كذا) اللوم عنه بذلك من الأشراف ، لأنهم ينتسبون إلى الشرف ، فقتلهم ونهب أموالهم .

كسوف الشمس

وفي هذا العام كسفت الشمس [ثامن شوال بعد العصر . وهذا – إن صح – ردٌّ على أهل الهيئة القائلين إن الكسوف لا يكون إلا في آخر الشهر . ونقل السيوطي وغيره أنها كسفت في عيد الفطر ، وفي عيد الأضحَى ، ويوم عاشوراء . وفيه رد عليهم واضح ، نقله الحطاب وغيره](16) .

(15) في ط وس : بالشرفاء المحمديين.

(16) ناقص من لـ وم . وقد اختلفت صياغة حوادث هذه السنة وترتيبها في النسخ الأربع ، لكن ما أثبتناه مستوف للجميع .

العام الثالث من العشرة الثامنة

عبد الكريم الفكُّون القُسَمْطِيني

فنهم الشيخ الفقيه المشارك العلامة الفهامة سيدي محمد[1] بن محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني . قال في **الرحلة العياشية** وقد حلاَّه بما ذكر : وممن لقيته بطرابلس [الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدي محمد بن العلامة الفهامة الناسك][2] الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن [سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني ــ رضي الله عنه ونفعنا به ــ][3] قدمها حاجّاً ، وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسمطينة وتلك النواحي ، على نسج أبيه وعادته ، محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار ، فأحبته القلوب ومالت إليه النفوس ، ولم يطلع أميراً إلاّ في هذه السنة ، وقبل ذلك انما كان يطلع بالركب والده ــ رضي الله عنه ــ ، فلما توفي قام ولده مقامه في ذلك ــ أعانه الله وسدده ــ . وكانت وفاته عشية الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وألف ، شهيداً بالطاعون . وكانت لنا به وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح لما حججت معه في سنة أربع وستين ، وقد قال لي لما طلبت منه الاتصال بحضرته ، والانخراط في سلك أهل خدمته : إني أقول لك كما قال الشاذلي ــ رضي الله عنه ــ : لك ما لنا من الخدمة ، وعليك ما علينا من الرحمة[4] . وكان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم أهل الرسوم ، بعد ما كان اماما يقتدى به فيها ، وله في كثير منها تآليف شهد له فيها

(1) اختلط الأمر هنا على المؤلف القادري ــ رحمه الله ــ فقد ذكر العياشي في **الرحلة** (2 : 390) ــ فعلا ــ محمد بن عبد الكريم الفكون ، لكنه ترجم هناك لوالده عبد الكريم بتطويل ، وهو المتوفي عام 1073 .

(2) ما بين معقوفتين ساقط من المطبوعة والمخطوطات ، والتصحيح من **الرحلة العياشية** .

(3) ساقط كذلك من جميع النسخ ، والتصحيح من **الرحلة العياشية**

(4) في **ط** و**س** : (لك من الناس الحرمة) . وهو تصحيف .

بالتقدم أهل عصره ، وألقَى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب ، والتردد على الحرمين مع كبر السن . وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قرأناها لِلّه وتركناها لِلّه . وقنعت منه بالكلمة التي قالها لي لما علمت حاله ، وخشيت أن أثقل عليه وأكلفه ما لا تطيب به نفسه ، فانه من أهل القلوب . ومروياته مستوفاة في **فهرسة** شيخنا أبي عيسَى الثعالبي ، فنحن نروي عنه جميعها بواسطة . فلما لقيت ولده هذا تقربت له وانتسبت له بمعرفة والده ، فوجدت عنده بعض علم بي ، وقال لي : أنت الذي وصل إِلَى الوالد كتابك المبعوث من وادي الربيع [5] قبل موته بسنة ، فقلت نعم ، ورحب بي وهش وبش وأنس ، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده ، بعضها بخطه ، فأعارها لي مدة إقامته هناك [ولم تطل إقامته] [6] فمنها شرحه على **أرجوزة المكودي** في التصريف ، وهو مجلد أجاد فيه غاية الإجادة وأحسن كل الإحسان ، وأعطَى النقل والبحث فيه حقهما ، ولم يهمل شيئا مما يقتضيه لفظ المشروح ومعناه إلاَّ تكلم عليه وأجاد ، كما هو شأنه في تآليفه .

[وأول خطبته : الحمد لِلّهِ الذي أجرَى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال ، وأوضح بيان افتقارها اليه بتغيُّر حالاتها من حركة وصحة واعتلال ، ونوَّع أشكال عين وجودها إلى ضم الانضمام إليه ، وكسر الانكسار لديه ، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال . ولا يخفَى عليك ما اشتمل عليه هذا المطلع من براعة الافتتاح ولطف الاشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف . وقد فرغ من تأليفه أوائل صفر من عام ثمانية وأربعين وألف] [7] .

وشرح والد صاحب الترجمة [8] هذا أوسع نقلا وأكثر بحثا وأتمُّ تحريرا من شرح العلامة سيدي محمد المرابط الدلائي ، ولا أدري أيهما سبق إلى شرحه . ومن تآليفه **ديوان** في مدح النبي — ﷺ — ، وجزء في تحريم الدخان سماه **محدد السنان في نحور**

(5) كذا في **لك وم** . وفي **ط** : أمّ ربيع وهو أوضح . وفي **الرحلة العياشية** وادي ربيع .

(6) ساقط من **الرحلة العياشية**

(7) هذه الفقرة ساقطة من **لك وم** .

(8) سقط من **ط وس** ثلاث كلمات : (وشرح والد صاحب) وهذه العبارة كلها من زيادة المؤلف القادري على نص **الرحلة العياشية** ، وتؤكد الخلط المشار إليه في الهامش رقم 1 .

إخوان الدخان ، وهو في عدة كراريس ، مشتمل على أجوبة عدة من الأئمة . ثم قال في **الرحلة** : وقد كثر خوض المتأخرين من علماء هذا القرن في أمر هذا الدخان بين مبيح ومُحرِّم ، والأكثر على التحريم ، منهم علامة زمانه ، الشيخ ابراهيم اللقاني ، وشيخه المحقق الشيخ سالم السنهوري . وممن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري ، وكلامه هو الذي رده الشيخ الفكون . انظر تمامه ، فقد أطال فيه وأجاد .

قلت : وقد حدثنا شيخنا الامام العلامة الثبت الضابط سيدي محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري عن الشيخ العالم الثبت الضابط الحجة سيدي أبي بكر بن محمد الدلائي عن الشيخ أحمد التركي [أحد كبار تلامذة الشيخ الأجهوري المذكور](9) أن الشيخ عليا الأجهوري رجع عن القول بحلية طابا إلى القول بتحريمه [ونحن في مجلس إقرائه ، وأذن لنا ولمن سمع ذلك عنه أن يحدث به عنه . ثم قلت : ومن الشيخ أحمد التركي هذا ؟ فقال من أصحاب الشيخ علي الأجهوري](10) وحدثنا شيخنا سيدي الكبير المذكور ، عن شيخه الخير الثقة سيدي العافية ، عن أخيه العلامة الأنور ، العالم المحقق الأشهر ، سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي ، أن أبا عبد الله لما لقِي الشيخ محمد الخرشي شارح **المختصر** في رحلته للحجاز(11) سُئِلَ عن عشبة طابا ، فقال الشيخ بمحضره للسائل : دعنا من الخبائث ! وأذن لنا شيخنا أيضا في التحديث عنه بذلك كما ذكر . وقد وقع خبط كثير من ظهور هذه العشبة إلى الآن ، ولم يزل الخلاف في ذلك [بين المتأخرين ، ولم يقع كلام فيها في القديم لحدوث ظهورها](12) الا أن الحق هو المنع ، وكفَى دليلا لمنعها كونها تغيب الحواس ، سألنا عن ذلك حتَّى تحققناه — والله أعلم — [ممن نراه يتعاطاها . والشيخ العافية وأخوه الشيخ محمد المذكور ان في السند ، كلاهما من أعيان العلماء ، ممن تحقق ضبطه وثقته ، وستأتي ترجمتهما — إن شاء الله — في المائة بعد هذه](13) .

(9) ساقط من **ك** و**م** .
(10) ساقط من **ط** و**س** .
(11) في **ط** و**س** : أنه لما حج ودخل مصر لقي بها الشيخ محمد الخرشي .
(12) ساقط من **ك** و**م**
(13) ساقط من **ك** و**م** .

عبد الله ابن المجاهد العَيَّاشي

ومنهم الأديب العالم أبو محمد عبد الله بن مَحمد العياشي . قال في **أزهار البستان** : الزياني المالكي ، وتوفي عشاء ليلة عرفة ، من عام ثلاثة وسبعين وألف انتهى . ذكره ممن انتفع بالعارف بالله سيدي عبد الرحمان الفاسي . ودفن صاحب الترجمة جوار الولي الصالح الشهير سيدي أبي سلهام من بلاد الغرب ، بنيت عليه قبة صغرَى . وتقدمت ترجمة والده أمير فاس وغيرها ، في عام خمسين ، وقدَّمنا أنه دُفن بجوز سيدي أبي الشتاء – نفعنا الله به – . وصاحب الترجمة هو مادح **المرشد المعين** بقوله :

عَلَيْكَ إِذَا رُمْتَ الْهُدَى وَطَرِيقَهُ وبِالدِّينِ للمَوْلَى الكريمِ تَدِينُ
بِحِفْظٍ لِنظمٍ كالْجُمانِ فُصُولُهُ وما هُوَ إِلاَّ مُرشِدٌ ومُعينُ

إلى آخرها . وذكرها شارحه في **كبيره** ، وذكر فيه أن الحامل له على شرحه ثانيا هو صاحب الترجمة . والعياشي هذا – بياء النسب في آخره – هو المراد هنا . وأما الشيخ سيدي عبد الله أعياش – بهمزة في أوله وتشديد ثالثه – [فهو من قبيلة بربرية معروفة في المغرب بآيت عياش ، وهو صاحب **الرحلة** ، **والفهرسة** ، والأنظام ، وغيرها . ستأتي ترجمته أول العشرة العاشرة إن شاء الله][14]

عبد الجواد الطريني

ومنهم الفقيه المشارك الشيخ عبد الجواد الطريني . قال في **الرحلة العياشية** : وممن لقيته من فقهاء الأزهر المعمور ، عبد الجواد الطريني ، وهو رجل مسن أدرك أكابر العلماء بالأزهر ، وله سند عال ومشاركة في كثير من العلوم ، وقد أطلعني على جملة من رسائله في مشاكل كثيرة ، غالبها يتعلق بمعاني بعض الأحاديث ، وقد أجاد في كثير منها . وقد كتبت له على بعضها تقريظا حسنا . وقد توفي – رحمه الله – زمان جوارنا بالحجاز سنة ثلاث وسبعين وألف .

(14) ما بين معقوفتين ساقط من **ك وم** ، وفيهما بدل ذلك : فيأتي في عام تسعين إن شاء الله .
(15) ساقط من **ط وس**

من حوادث السنة

حركة مَحمد بن الشريف الحسني للحياينة

ومن حوادث هذه السنة قدم الامام أمير المومنين السلطان مولاي محمد بن مولانا الشريف الحسني السجلماسي أواخر المحرم ، ونزل أرض الحياينة لما بلغه عنهم من النهب والقتل لجوارهم ، ولم يمر ببلادهم ، وأخذ زروعهم ، فقدم الحياينة إلى فاس مستنصرين بابن عمه الامام مولاي محمد بن العلامة المحقق مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي ، فنصروه وخرج معهم من فاس منصورا ، فوصل خبره إلى ابن عمه مولاي مَحمد فارتحل عنهم ورجع إلى سجلماسة ، ورجع مولاي مَحمد بن عبد الله إلى فاس بعد ستة أيام .

ازدياد الغلاء وتفشي الوباء

فسبب النهب زاد الغلاء ، بلغ القمح نحو خمسة دراهم شرعية للصاع النبوي ، وأكلت فيه الجيَف وأُكل فيه الآدمي بوسط الصفارين ميتا ، وكثر الموت بالأزقة دون ما في المارستان ، قيل دفن من المارستان أربعة وثمانون ألفا دون من دفن من غيره ، وبيع اللحم بقيمة درهم وربع درهم شرعي للرطل ، وبلغ قيمة الدجاج أربعة دراهم شرعية للواحد ، وخلت حومات من فاس ، وكان بحومة الدوح من فاس بالقرويين ما يزيد على ستمائة رجل ، فلم يبق منهم إلا ثلاثون رجلا . وخرج جماعة من الأعيان من أهل فاس يستغيثون بأهل الدلاء لما نال فاسا من القطع والنهب من الحياينة وغيرهم .

زلـزلـة بفـاس

ووقعت زلزلة بفاس في النصف من ينيه .

محـمــد المــؤذن

ومات بتطوان الأديب محمد المؤذن(16) .

(16) اختلفت النسخ في سبك هذه الحوادث وترتيبها ، فأثبتنا الأوفَى .

العام الرابع من العشرة الثامنة

محمد بن أحمد ابن مُسَاهِل

فنهم الشيخ الامام مفتي طرابلس ، أبو عبد الله سيِّدي محمد بن أحمد ابن مُساهل . قال أبو سالم في **رحلته** : وهذا الشَّيخ من أحسن من رأينا سمتاً وبذلا[1] ، وأصدقهم قولا وفعلا . له مشاركة في العلوم وحسن اطلاع على فروع المذهب ، طالت ولايته للفتوَى نحو أربعين سنة ، وحُمدت سيرته فيها ، واستعفَى منها فأعفي ، وبقي ملازما لداره ومسجده للتدريس فيه مستريحا من التكاليف ، مشتغلا بمطالعة التآليف ، ولا يقطع القراءة في الغالب صباحا ومساء شتاء وصيفا ، يقرأ ما تيسر من فقه ونحو وما يشاكل ذلك ويختم بشيء من كتب الوعظ والتذكير ، له ميل قوي إلى طريق القوم ، وقد أخذ الطريق عن ولي الله بلا نزاع سيدي محمد الصيد . انتهَى . وتقدمت ترجمة سيدي محمد الصيد سنة خمسين وألف . ومما خاطب به الشيخ أبو سالم صاحب الترجمة فيما كتب له يعلمه بقدومه :

أَسيِّدَنَا مُفتِي الوَرَى ابْنَ مُسَاهِلٍ ... وَمَنْهَل فضْلٍ فَاقَ كُلَّ المَنَاهِلِ
عَلَيكَ سلامُ اللَّهِ مِمن غَدَتْ لكُمْ ... عَليه أَيَادٍ في الْعُصُور الأَوَائلِ
بِنُورِك يَسْتَهْدِي إِذَا الأَرضُ أظلَمَتْ ... على أهلِها بالجهلِ أَهْلُ السواحلِ
فكم قَدْ أنَلْتَ العُرْفَ سائلَهُ وكَم ... مَنَنْتَ بِلا سُؤْلٍ وجُدتَ بِنَائلِ

في أبيات أخر . ثم حَكَى في **الرحلة** غرائب عن صاحب الترجمة .

الأولَى أنه أخبره عن بعض مشايخه أنه قال إذا أذن المؤذن خلف مسافر فذلك أمان له حتَّى يرجع من سفره ، وروى في ذلك حديثا . قال : وقد فعل ذلك لنا حين ودعنا خارج داره ، فرأينا بركته ولِلَّه الحَمد .

---

(1) في **الرحلة العياشية** (1 : 62) سمتا وعقلا

الثانية[2] قال : أخبرني أيضا أن سيدي علي الخضر[3] ذكر في **شرحه على المختصر** أن الزباد المسمى في عرف غربنا بالغالية نجس وإن كان عَرَقَ حَيٍّ ، لمروره بمحل البول . قال وكان بعض الصالحين لا يتطيب به لذلك ، وأظنه الشيخ اللقاني . قال : قال شيخنا وكنت أتوهم ذلك إلى أن بعث سيدي عبد الحفيظ إلى قط من القطوط التي يُستخرج منها الزباد ، وكان عند بعض الأتراك ، فلما أُحضر أمرنا متولي استخراج الزباد باخراجه بحضرتنا ، ففعل ، فشاهدنا محل اجتماع ذلك منه خارجا عن محل البول لا يمر به أصلا ، وانما هو جلدة رقيقة عن يمين المحل أو يساره ، يجتمع فيها ذلك العرق وتشْتد عليه وتنطوي حتَّى يوخذ منها . قال فحينئذ اطمأنت نفوسنا وأيقنا بطهارته .

الثالثة : قال أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل سنة أربع وستين ، في الرحلة التي قبل هذه ، أنهم سمعوا ، سنة اثنين وستين وألف ، صوتا هائلا في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار ، من قرب الضحَى إلى الليل ، قال وظنناه سفنا للمسلمين تلاقت مع بعض سفن النصارَى . وكما سمعنا ذلك الصوت سمعه أهل هذا الساحل إلى مسراته ، وسمعه حتَّى أهل فزارة والاسكندرية ، وسمعه من الناحية الغربية أهل جربه وسوسة وتونس ، وكل يظن أنه قريب منه . وبعد شهر أو شهرين قدمت مراكب من بر الترك ، وأخبروا أن ذلك الصوت لأمر هائل ، وذلك أن جزيرة من جزائر بر الترك خرجت في بعض نواحيها حجارة تطلع من البحر حتَّى إذا ارتفعت على الماء وعلت في الهواء تصدعت ، فخرج منها نار ويسمع لها ذلك الصوت ، فإذا خرجت النار وقعت الحجارة على الماء خفيفة كهيئة الجفافة ، ودام ذلك إلى الليل ، وارتفع من ذلك في الجوِّ دُخَّانٌ كثير فيه رائحة الكبريت . وأعجب من هذا قالوا إنه أصبح في ذلك البلد كل ما عندهم من الفضة نحاسا في تلك الليلة ، والله أعلم بغيبه . وهذه المدينة معروفة بأهل الصدق في الأحوال ، تؤثر عنهم كرامات انتهَى . وهذا كله من الأمر الغريب .

---

(2) كذا في **ك** و**م** وهو موافق لترتيب **الرحلة العياشية** . وقلب في **ط** و**س** فجعل هذه ثالثة ، والتي ستأتي بعدها ثانية .

(3) كذلك في المخطوطتين . وفي **الرحلة العياشية** : الخضيري ، ونبه في هامشها أن في نسخة أخرى : الخضري ؛ وفي **ط** وس : الحضري .

[قوله : وهذه المدينة – يعني طرابلس – لأن شيخه الذي حدث عنه بهذه الحكاية هو مفتيها ، فأخبر أن أهل بلده في الغالب من أهل الصدق ، ولا سيما مفتيهم صاحب الترجمة الذي هو شيخه][4] ثم قال أبو سالم : وهذه المدينة معروفة بأهل الصدق في الأحوال من المجاذيب ، تؤثر عنهم كرامات ، وقد أدركنا بها رجلين أو ثلاثة ممن تروى عنهم حكايات غريبة ، تدل على صدقهم في مواجيدهم . وكانت فيما مضَى فيها مزارات كثيرة لكثير من أكابر الصالحين ، ولا يعرف منهم الآن إلاَّ القليل ، كسيدي سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصَى المدينة ، وقبره مزارة . وسبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين بها أن البلد قد تداولته أيدي المسلمين والنصارَى مرارا عديدة ، فقد ذكر ابن بطوطة في **رحلته** أن النصارَى استولوا عليها في أيام أبي عنان ، وافتداها منهم بخمسة قناطير من الذهب العين ، فعد ذلك من مآثره . وقد استولَى عليها النصارَى أيضا في القرن العاشر انتهَى . [وهي اليوم دار إسلام والحمد لله ، وتأتي كيفية رجوعها في الخاتمة إن شاء الله تعالى][5] .

محمد بن علي البَكْرِيّ

ومنهم الشيخ الولي سيدي محمد بن علي البكري . قال في **الرحلة** : هو رجل من أهل الأحوال الصالحة ، مغلوب عليه في أكثر أوتافه ، تؤثر عنه كرامات . وقد لقيته بداره سنة خمس وستين وهو في مرمة بداره يعمل بها بيده ينسج الثياب ، وأخبرني أن قوته من كسب يده ، وانتشر صيته ، وله أتباع وأصحاب يجتمعون إليه أوقات السماع والذكر . وسمعت من بعض الحجاج ممن زاره بعد ذلك أنه قال لهم : إن النبي ﷺ قال له إن النار لا تمس كلَّ من رآك . وزعموا أنه قال له : ومَن رأى من رآك مراتب متعددة . فان صح ذلك فهو في الغالب لا يكذب ، إلاَّ أن كلامه يحتاج إلى تأويل ، ويبعد حمله على ظاهره ، وأن المراد مجرد الرؤية البصرية ، فان القواعد تأبَى بقاءه على عمومه ، فانه يراه البر والفاجر والمصرّ على الكبائر والجاهل

(4) ساقط من ط وس .
(5) ساقط من ك وم

الذي يتطرق المحال إلى ايمانه والآراء الفاسدة. ولكثرتهم جدا يبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجبة لغفران جميع الذنوب الموجب للنجاة من النار. إلاَّ أن كلام أولياء الله لا ينبغي أن يرمي به جزافا، فليحرص المرء جهده على لقائهم والتبرك بهم، فعسَى أن يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا وأخرى. فان لله عباداً إذا نظروا إلى أحد أغنوه؛ ومع ذلك فلا يركن إلى ظاهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون حتَّى يعتقد أن من رأي أحدا منهم ممن قال مثل ما تقدم فقد أمن من النار؛ فان لكلامهم وجوها واحتمالات تدق على أفهام أكثر الخلق ممن لم يسلك طريقهم. وأقرب ما يحمل عليه الكلام المتقدم أن تحمل الرؤية على القلبية والمرئي على صورته الباطنة التي توجب العلم بما هُو عليه من سنيّ الأحوال وسمي الأوصاف ورفيع المقامات. ولا شك أن من منح شهود ذلك وأشرف عليه فله نصيب وافر من التخلق بأخلاق الأولياء، والورود من موارد الأصفياء؛ وحينئذ يكون جديراً بأن لا تمسه النار. وهذا معنَى ما اشتهر عن قطب الزمان مولاي عبد القادر الجيلاني ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: أخذت العهد على ربي أن لا يدخل أحد من أتباعي النار إلى يوم القيامة؛ فيحمل على من اتبع طريقته؛ لا على مجرد الانتساب باللسان. ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره وعمومه؛ لكان أولَى بذلك الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ وكثيرٌ مِمَّن رآهم رؤيا بصرية لم توافق الاهتداء بهديهم، فحرم بركة رؤيتهم. وكل مقام ناله ولي من الأولياء فهو ميراث اتباعه لنبيه، وما كان ميراثا لا يصح أن يكون شيئا لم يكن لموروثه؛ بل يستحيل عند أرباب القلوب أن ينال وليٌّ ولو ذرة من مقام أو حال لم تكن بكمالها لمتبوعه. ومعلوم أن هذه الحال لم تكن لأحد قط؛ فلا بد من التأويل. وما أطنبت في هذا إلا أني رأيت كثيراً من الجهلة يغتر بأمثال هذا ويحمله على ظاهره، وإلا فإنا والحمد لله ممن يعتقد تنزيه ساحة الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء، ويثق بأقوالهم؛ ويصدق بكراماتهم، ويحمل ما أشكل على أحسن محامله؛ ولا أطعن فيه بوجه، وأسلم لهم فيما لم يثبت لي وجهه؛ والمنة لله وحده في ذلك. انتهَى كلام أبي سالم، وهو في غاية التحقيق؛ فلتشدَّ اليد عليه.

أحمد بن عيسَى اليَرْبُوعِيَ

ومنهم الفقيه النبيه ، الورع النزيه ، سيدي أحمد بن عيسَى [اليربوعي][6] الطرابلسي . قال أبو سالم في **رحلته** : وكان من أماثل هذا البلد علما وورعا وزكاء أخلاق ، وطيب أعراق . وكان أبوه سيدي عيسَى هو قاضي المدينة منذ أزمان كثيرة ، فلما توفي أبوه تولى هو القضاء وحُمدت سيرته فيه ، وتحلّى بحلية العدل ، ثم استعفَى منه فأعفي ، ثم أعيد ثانية ، وعظم صيته وانتشر الثناء عليه وكثر حامدوه ، إلى أن توفي قبل وصولنا بأشهر قليلة ، وكثر تفجع الناس عليه ، وأعقب الذكر الجميل فيهم . فلما سمعنا خبر موته تفجعنا لفقده ، وكان لنا في تلك المدينة أحسن رفيق ، وأعظم معين في النوائب شفيق . كان ذلك في رحلته التي في عام أربعة وسبعين وألف .

أحمد بن محمد بُومْجِيبْ

ومنهم الشيخ الصالح سيدي أحمد بن محمد بُومْجِيب ، نزيل زاوية الولي الصالح سيدي عبد السلام الأسمر ببلدة أزليتن . قال في **الرحلة العياشية** : هو ممن لقيته بهذه الزاوية ، وهو مجذوب سالك ، والغالب عليه الجذب ، وفيه خير كثير ، قارب في عمره المائة ، ومع ذلك فهو صحيح الذهن والبصر والبدن . خرج إلى منزل الركب . وسبب معرفتي به سيدنا محمد بن محمد الحفيان ، وكان أخبرني قبل الوصول إلى بلده بكرامة وقعت له معه ، في بعض حجاته ، وقد حج هذا السيد مرارا عديدة مع سيدنا محمد الحاج صاحب بسكرة ، وكان يثني عليه كثيرا . قال لي : لو عاش ما تخلفت عن الحج ، فقلت له : ألا تحج معنا ؟ فقال لي : إنه لا مال لي ، وأنتم لا تشاركونني في دنياكم وهو كان يشاركني في دنياه . وقد حُكِيتْ لي عن هذا السيد كرامات ، وشيخه سيدي أحمد الشريف البقال بفاس ، تلميذ سيدي مسعود الدراوي ، لقيه لما جاء للحج ومر بهذه البلدة وقال له في رجوعه للحج : يَابومْجِيب ، أعلمنا بك الحبيب ، عليه السلام .

(6) ساقط من ط وس

لطيفة : أخبرني الشيخ أبومجيب أنه لما حج بقي أمام النبي ﷺ وقال في نفسه إني لا أذهب إلى زيارة حمزة ولا غيره ، هذا يكفيني . قال فأخذتني سنة فرأيته ـ ﷺ ـ فقال لي : يا أحمد يا حبيبي ، عمّ الرجل عوض أبيه . قال فقمت في الحين وذهبت إلى زيارة سيدنا حمزة وحدي ، وكان وقت خوف ، ولقيت هناك ثلاثة رجال : أحدهم الخضر عليه السلام .

لطيفة : أخبرني أيضا ، وهو عندي صدوق ، قال : أخبرني الشيخ اللقاني أن الوزغ يتغدّى بعينه ، وأنه ـ أي الشيخ اللقاني ـ كان ذات يوم يأكل ووزغ ينظر إليه من السقف ، فأمر من قتله وشقوا بطنه فوجدوا فيه من الخضرة التي كان الشيخ يأكل منها . أخبرني بذلك كله وهو عندي ثقة . وقد عقدت معه عقدة في الله ، وكتب لي خطه بذلك ، نفعني الله واياه بها آمين . انتهَى كلام الشيخ أبي سالم بنصه من **رحلته** المذكورة .

عمر بن عبد القادر المشرقي

ومنهم الشيخ العالم المشارك عمر بن الشيخ العالم عبد القادر المشرقي ، بهذه النسبة عرف ، وبيتهم بيت علم . وكانت لأسلافهم بمدينة غزة رياسة علمية .

[وغَزَّة ـ بمعجمة فزاي ـ، قال عبد الحق : مدينة بالشام ، وهي على ساحل البحر ، وهي رأس الإقليم الثالث ، وبها قبر هاشم بن عبد مناف . انتهَى . وفي **القاموس** : وغَزْرَة بين مكة والطائف . انتهَى . وهذه بالزاي بعد المعجمة والراء ، هذه التي يذكرها الحجاج كثيراً وينزلون بها ، ولكنهم يصحفونها بغَزَّة ـ من غير راء ـ لبعد الأولى من طريقهم][7] .

وتولّى بها صاحب الترجمة خطة القضاء ، فعظمت بها منزلته ، وكان أولاً على مذهب الامام الشافعي كأسلافه ، ثم اتفق موت قاضي الحنفية في البلد ، ولم يكن إذ ذاك من يقوم بوظيفة القضاء ، فرشح لذلك ، فانتقل إلى مذهب أبي حنيفة بسبب ذلك ، وانتقل غير واحد لمثل هذا ، بل هذا من أحسنهم عذرا ، لأنه ما انتقل إلا بعد الاحتياج إليه .

(7) هذه الفقرة بين معقوفتين ساقطة من **لك** وم .

وفي غزة هذه مزارات كثيرة ، ومساجد فاضلة في أطراف البلد ، قد استولى الخراب على أكثرها ، فان هذه المدينة كانت في أول الأمر من أمهات المدن في الجاهلية والاسلام ، وقد أثر الهدم فيها لوقتنا غاية ، وبلغ الوهن في أطرافها النهاية . ولم يبق فيها إلاَّ رسوم ماثلة ، تدل على أبنية كاملة . ذكر جميع ذلك أبو سالم في **رحلته** ، ثم قال في صاحب الترجمة : فقيه البلد وابن فقهائها ، وكبيرها وابن كبرائها ، المشارك في فنون من العلم ، المتخلق بأخلاق ذوي النهي والفهم ، الشيخ عمر بن عبد القادر المشرقي ، فكنت لا أفارق مجلسه ، ويجلني فوق ما أستحقه من الإجلال ، ويفاتحني بالكلام ، وذاكرته في مسائل كثيرة من فنون العلم ، وله في البحث قوة إنصاف ، وحسن تحلٍّ بالعلم واتصاف . وقد قرأت عليه بعض **صحيح البخاري** واستجزته لي ولمن ذكر في الاستدعاء من الأصحاب ، فأجازني بذلك وكتب لي خطه به . وله في الرواية سند قوي . وأخذ عني .

أخذ عن شيخ الاسلام الشيخ صالح التمرتاشي بأسانيده ، وأخذ أيضا عن شيخ مشايخ الاسلام الشيخ غرس الدين الخليلي المدني ، وعن شيخنا شهاب الدين الخفاجي المصري ، لقيه في رجوعه من بلاد الروم وقرأ عليه واجازه حسبما رأيت ذلك بخطه . أطلعنل على تأليف له سماه **الدرّ والعقيان في طبائع الانسان** ، ذكر فيه أول نشأة الانسان ، وما يعرض له من الأحوال ، وكيفية تنقلاته في سائر الأطوار . وفيه أنقال كثيرة مناسبة ، وكتبت له تقريظا حسنا من جملته هذه الأبيات :

حُبُّ الْوَرَى لِلدُّرِّ والعِقْيَانِ ... طَبْعٌ بَدَا فِي نَشْأَةِ الإنْسَانِ
لا سيَّما العِقْدُ المُثَمَّنُ منهما ... فيه الفصولُ مُثَلَّث الأَركَانِ
فالنفسُ أَمْيَلُ مَا تَكونُ لِمُشْتَهىً ... يَبْدُو لَنَا في غايةِ الإتقَانِ
مثلَ الذي أبداهُ أَوْحَدُ عَصْرِهِ ... مُفتي الأنامِ ووارثُ النُّعمانِ
عمرُ بنُ عبدِ القادرِ الأَسْمَى الذِي ... خَضَعَتْ لِرِفْعَتِهِ عُلاَ الأَقْرَانِ
لِلَّهِ مَا أَنْسَى فَضَائِلَهُ وَمَا ... أَزْكَى فَوَاضِلَهُ عَلَى الإِخْوَانِ
خاض البحارَ زواخراً فأجادَ في ... إخراجِهِ الدُّرَّ العظيمَ الشَّانِ
مِنْ كُلِّ جوهرةٍ تكادُ لِحسنها ... أن لا تُنالَ بغايةِ الأثمانِ
لكنَّهُ جادت يداه بِهَا عَلَى ... طُلاَّبِهَا مِن جودِهِ الهتَّانِ

فَأَفَادَ في هذا الكتابِ وجَمْعِهِ ما لم يُفِدْ أحدٌ من الأَعْيانِ
وأجادَ في ترتيبه وبيانِهِ فغدا رِياضاً ناعمَ الأَغْصانِ
مَنْ شَكَّ في ذَا فلْيُطَالِعْ بَعْضَهُ تُغْنِيهِ رُؤْيَتُهُ عنِ البرهانِ
كم فيه من حِكَمٍ يَلَذُّ سماعُها وَيَحَارُ فيها ثاقبُ الأَذْهَانِ
حسبِي فلستُ أُطيقُ حصرَ صفاتِهِ ولَوِ اسْتَعَنْتُ بسائِرِ الأَوْزَانِ
لا زال جامعُهُ إماماً يُقتدَى بعلومِهِ في سائر الأَزْمانِ
فجزاه عن إحسانِهِ ربُّ الوَرَى بالعفوِ والإفضالِ والإِحْسانِ

انتهَى كلامه في **الرحلة** باختصار . وفي كلامه أن صاحب الترجمة أخذ عنه كما أخذ هو أيضا ، وهذا النوع المسمى في علوم الحديث بالمدبَّج ورواية الاقران عن الأقران ، [فالمدبَّج بصيغة اسم المفعول ، من دَبَّج – بالدال والباء والجيم مضعفا – وهو من رواية الاقران][8] لأن الراوي إن شارك المروي عنه في سنّه ولُقِيِّه الأشياخ وأخذه عنهم فيقال له رواية الأقران ، وإن روَى كل واحد من القرينين عن الآخر فهو المدبَّج ، فالمدبَّج أخص من الأقران . وقد صنف في رواية الأقران عن الأقران الشيخ الأصبهاني ، وفي المدبج الدارقطني . قال ابن حجر : وإذا روَى الشيخ عن تلميذه صدق أن كلاًّ منهما يروي عن الآخر ، فهل يسمَى مدبجاً ؟ فيه بحث . والظاهر لا ، لأنه من رواية الأكابر عن الأصاغر ، والتدبيج مأخوذ من ديباجتي الوجه ، فيقضي أن يكون ذلك مستوياً من الجانبين ، فلا يجيء فيه هذا انتهَى . وديباجتا الوجه خداه فهما مستويان .

محمد المدعو الصغير العافية الأندلسي

ومنهم الفقيه اللوذعي ، العالم العلامة الألمعي ، أبو عبد الله محمد المدعو الصغير العافية الأندلسي ، من أهل فاس [كان منها بعدوة الأندلس][9] فقيه متقن كبير ، دراك نحويٌّ شهير ، أحد شهود فاس الموثقين ، ومن علمائها العاملين المحققين . قال سيدنا الجد في **فهرسته**[10] وكان يحسن الأَداء ومخارج الحروف جدّاً ، وانتفعنا عليه

(8) ساقط من ك وم
(9) ساقط من ط وس .
(10) في ط وس : قال سيدنا الجد في تقييده في أشياخه .

في ذلك ، وعنه حفظنا الأمهات المسماة **بالكراريس** ، وانفرد أخي بسماع **المقدمة الجرومية** عليه ، انتهى . [قوله أخي ، يعني الشيخ العلامة أبا عبد الله محمد العربي بن الطَّيب القادري الحسني][11] وقال الجد المذكور[12] : توفي صاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ بعد صلاة الجمعة التاسع عشر من المحرم سنة أربع وسبعين وألف . وكانت ولادته سنة تسع وعشرين وألف . وكان اماما بمسجد رأس الجنان الأعلى من عدوة فاس القرويين .

من حوادث السنة

تحركات محمد الحاج الدلائي ، وثورات أهل فاس القديم والجديد

ومن حوادث هذه السنة[13] نزل سيدي محمد الحاج بن محمد الدلائي أزرو ، لتمهيد البلاد وانتظار وفود الخارجين عليه ، وذلك في صفر ، فخرج شرفاء فاس وعلماؤها ، وخطبيها وأعيانها ، بقصد التهنئة له والتسليم عليه ، والاستعفاء من أذية جنوده ، فأكرمهم وجزَى وفادتهم ، ورجعوا إلى فاس مكرمين مسرورين ، وأقام هناك في إصلاح أحوال الرعية وتمهيد البلاد إلى الشتاء ، ورجع إلى الدلاء . وكان رجوعه أول ربيع الأول ، فانحط القمح والأسعار بسبب اقامته هنالك ، وأمنت الناس والطرق من القطع والنهب والقتل ، فبلغ القمح إلى نحو درهم وربع شرعي للصاع النبوي ، واللحم نحو نصف الدرهم للرطل ، وغلت الخضر ، فكانت قبضة الكرنين بنحو ثلث الدرهم . ولما رجع الإمام سيدي محمد الحاج بن محمد الدلائي إلى الدلاء ، ثار عليه رئيس فاس المرينية الجديدة الدريدي وخالف أمره ، وسار الدريدي يغير على قرَى سايس وحصونه ومن به من القبائل ، وزرهون ومكناسة الزيتون ، وماوالى ذلك من القبائل والبلاد ، ويأتي بأمتعتهم وأموالهم ومواشيهم إلى فاس الجديد ويبيعها ، وكثر القطع والنهب والقتل بسبب ذلك ، وانقطع السفر في

---

(11) ساقط من **ط وس** .
(12) في **ط وس** : وقال شقيق الجد المذكور .
(13) أثبتنا في هذه الحوادث نص وترتيب **ك وم** لأنه أوفَى .

الطريق ، ويخرج أهل فاس العليا إلى لقائه بالطبول والغوائط ، وكثر النكير عليه بفاس الإدريسية من الأشراف والفقهاء وأعيان الناس ، فحينئذ خالفه أهل فاس في فعله ، وجرت بينهم خطوب ونهي (كذا) أدَّى ذلك إلى القتال بين المدينتين . ثم وجه إليه سيدي محمد الحاج سرية من مجاط يرصدونه ، فأوقعوا به وبأصحابه بجوز فاس وهزموه ، وقتلوا من جيوشه نحو النصف أو أكثر ما بين قتيل وجريح ومسلوب ودخل فاس الجديد مهزوما مذموما ، وأغلق الأبواب عليه ، فكفوا عن جيوشه ممن هو ساكن بالقرَى الخارجة عن فاس الجديد ، وحاصروه أياماً بها ، ثم رجعوا إلى الدلاء بأمر سيدي محمد الحاج ، وشكر أهل فاس الادريسية على مخالفتهم لفعل الدريدي ، وذلك في جمادي الثانية .

زلزلتان هدمتا كثيرا من دور فاس

وفي ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول وقعت زلزلة فانهدم دور كثيرة وغيرها ، وأكثر ذلك بالطالعة ، ثم ريح عظيم كذلك . ثم في خامس وعشرين من رمضان كانت زلزلة ليلا كثر فيها الهدم الكثير ، فبسبب ذلك غرس أهل الطالعة العرسات بالأشجار بأمر رئيسهم الهيتمي ، من درب الدره إلى باب المحروق ، مع داير السور ، لأن أكثر ذلك قد هدم بالزلزلتين .

ضغط المجاهدين على البرتغاليين في طنجة ، وتدخل الانجليز

وأخرج النصارَى الانجليز — دمرهم الله — النصارَى البرتغال من مدينة طنجة ، خوفا عليها أن يستولي المسلمون عليها ، لعجز البرتغال عن القيام بها براً وبحرا ، ولعدم مقاومتهم لحرب المسلمين المجاورين لها ، لأن المسلمين المجاورين لها هزموا البرطقيز مرتين ، الأولى قتل من البرطقيز ما يزيد على ستمائة مقاتل ، والثانية ما يزيد على أربعمائة مقاتل ، فأخرجوهم منها بسبب ذلك وملكوها [إلاَّ أياما باسم محمد الحاج الدلائي][14] .

---

(14) زيادة انفردت بها مخطوطة م .

العام الخامس من العشرة الثامنة

السلطان مَحمد بن الشريف

فمنهم أمير المومنين ، الامام الجليل ، السلطان الحفيل ، الملك الأنجد ، أبو عبد الله مولاي مَحمد ، ابن الامام الحافل ، السلطان الكامل ، سيد السلوك ، وأبو الملوك ، مولانا الشريف ، ابن المجاهد المثاغر ، البحر الزاخر ، صاحب الأوقاف الجارية ، والسيرة المرضية ، شيخ السالكين ، ورئيس العارفين ، أبو الحسن وأبو تراب مولانا علي الشريف المحمدي الحسني السجلماسي . ويأتي – إن شاء الله – بعض ثناء الأئمة على نسبه في ترجمة ولده مولانا الرشيد . قال في **الدر السني** : واستوفَى – أي صاحب الترجمة – الملك بأرضهم سجلماسة قبل الخمسين وألف ، وبويع سنة خمسين وألف ، فملكها وما والاها من بلاد والصحراء ، ومكث سنين ثم قصد إلى فاس فدخل دار الملك بها في منسلخ جمادي الثانية سنة ستين وألف ، ولم يتم له بها أمر ، فانصرف راجعا إلى بلده ، وبقي بها مستوليا على ما كان بيده إلى أن توفي في محاربة له مع أخيه مولانا الرشيد – رحمه الله – في سنة خمس وسبعين وألف . ولوفاته رمزت في قصيدتي التاريخية بقولي :

وإِنَّ الشريفَ بنَ الشريفِ مَحَمَّداً لشَـهْـمُ الملوكِ الضَاربِينَ بِأَنْصُلِ

انتهَى . وذكرت بعض أخباره في حوادث السنين مما مضَى وفيما يأتي إن شاء الله تعالى .

سلطان المصري

ومنهم شيخ القراء بالقاهرة ورئيس أهل التجويد بلا مدافع سلطان المصري . قال أبو سالم : زرناه ودعا لنا ، وكانت في خلقه – رضي الله عنه – شدة لا يترك أحدا يقبل يده غالبا ، وإن ألح أحد في طلب الدعاء انتهره ويمضي ويتركه ، ولا

يتحمل للطلبة الذين يقرؤون عليه أدنَى غلط يقع منهم ، بل يبالغ في التقريع والتوبيخ ، بل وربما زاد إلى الشتم ، والناس يحتملون ذلك منه لتحقيقه وانفراده بذلك ، مع تقشفه وورعه وحمله على ملازمة وظائف العبادة جل نهاره ، وأوقاته مقسمة بين صلاة وتلاوة وتدريس وفتيا . والحدة تعتري خيار هذه الأمة ومن أخلاق المومنين ، إلا أن الشيخ ــ رحمه الله ــ أفرط فيها إلى غاية لا يتحملها له إلاَّ من علم حقيقة حاله ، والمغاربة لما في أخلاقهم من المشكاسة لا يكادون يصبرون على القراءة عليه ، فأكثر الملازمين له أهل بلده لما طبعوا عليه من سعة الخلق وتحمل الأذَى والصبر الذي لا يوازيهم فيه أهل قطر من الأقطار انتهَى . [أخذ عنه المُلاَّ بن ابراهيم الكردي][1] وكان معه زيادة تعظيم ومحبة للعلماء . ثم قال فيه في محل آخر من **الرحلة** : ولكن الله بلطف صنعه وخفي حكمته قادر على أن يجمع له بين تلك الأخلاق المباركة التي هي أمرُّ من الصِّبر وأحدُّ من رؤوس الإبر ، وبينْ الصدق مع الله في موارده ومصادره ، كما يدل على ذلك جدِّه واجتهاده في عبادته ، وتقشفه في هيئته ، وتعففه في كسبه ، وإعراضه عن الرياسة الدنيوية انتهَى . وليس صاحب الترجمة هو شارح **الشمائل** ، بل غيره ، وتأتي ترجمته في الخاتمة إن شاء الله تعالى .

أحمد بن علي بَاقْشِير اليمني

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي باقشير اليمني . قال في **الرحلة** : وممن لقيته بمكة ينتسب إلى طلب العلم وسلوك طريق القوم ، صاحبنا النبيل ، المشارك الجليل ، سيدي أحمد بن علي باقشير ، أصله من اليمن ، وبيتهم بيت علم ، وعمه الشيخ عبد الله باقشير من أعلى طبقة فقهاء الشافعية بمكة ، وانتفع به صاحبنا هذا في علوم كثيرة ، ولازمه وزوَّجه بنته وبالغ في خدمته ، فصار عنده مثل الولد . ولما حل شيخنا أبو مهدي بالحرمين أكثر ملازمته وانتفع به كثيرا ، ولم أر أحداً من أصحابنا المكيين أكثر ملازمة من الشيخ [في فنون شتَّى ، وانتفع به في الأصول والمنطق ، أخبرني أنه قرأ عليه قراءة بحث وتحقيق **شرح العقباني على جمل الخونجي** ، وقويت رغبته في الأخذ عن الواردين على مكة ، فلذلك سمع مني أشياء

(1) ناقص من ط وس .

واستجازني ، وكان يرَى لي من الحق أكثر مما كنت أرَى له ؛ وبالغ في التودد والمحبة لي][2] ؛ ولي فيه اعتقاد صالح ، ومحبة خالصة . أسأل الله أن ينفعنا به ؛ وقد بلغني خبر وفاته في سنة خمس وسبعين .

[عبد الله باقشير اليمني]

وأما عمه الشيخ عبد الله فلم يتيسر لي لقاؤه ، واتصل به مرض في وقت إقامتنا هنالك مع ضعف الكبر وقلة خروجه وتعذر الأخذ عنه . وقد أخبرني ابن أخيه المذكور أنه ليس عنده من الرواية ما يرغب في مثله ، والغالب عليه الدراية ؛ والوقت يضيق عنها . وكان يذكر لي عنه عجبا في فقه الشافعية تقبل الله منه . انتهَى .

أحمد بن خَضْرَاء المكناسي

ومنهم الولي الشهير ، المجذوب الكبير ، سيدي أحمد بن خضراء[3] صاحب الحرم الكبير والمزارة الشهيرة بمكناسة الزيتون . كان من البهاليل المجذوبين ، وحالته حالة أهل الغيب المحبوبين . له كرامات كثيرة ، وأخبار بالمغيبات شهيرة ، يتحققون ذلك أهل بلده ، ويتحدثون عنه بعجائب . وأخذ عن سيدي محمد الشرقي — فيما ذكر لي — والتاريخ يقبله ، إذ كان لصاحب الترجمة علو في السن ، لأنه تقدم وفاة سيدي محمد الشرقي في العام العاشر بعد ألف ، وتوفي صاحب الترجمة عام خمسة وسبعين وألف — بموحدة — ، فبين وفاتهما نحو خمس وستين سنة ، [وعمر صاحب الترجمة قرب المائة رحمه الله][4] .

جمال الدين النَّقْشَبَنْدِي

ومنهم الشيخ جمال الدين الهندي النقشبندي . لقيه أبو سالم بمكة وقال له : إنه

(2) هذه الفقرة ساقطة من ط وس .

(3) هكذا في ك وم . وفي ط وس : خضرا — بدون همز — .

(4) ناقص من ط وس . وقد أثبتنا نص ك وم في هذه الترجمة ، دون أن ننبه على ما يخالفه في الاخريين .

عارف أهل زمانه ، كثير الذكر ، علي القدر . توفي ليلة الجمعة ودفن صبيحتها سادس عشر جمادي الأولى من عام خمسة وسبعين وألف ، وذفن بالبقيع [5] .

أحمد ابن حَمٌّ

ومنهم القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن حم ، به عرف . وابراهيم المذكور في **الرحلة العياشية** أنه قدم من القبيلة السريفية على القصر وانتسب للشرف الحسني ، وكان في أخلاقه لَيِّناً ، من الذين يمشون على الأرض هَوْنا . تولى القضاء ببلده كُرها . توفي ضحَى يوم الأربعاء في صفر سنة خمس وسبعين وألف . وعقبه يعرفون بعدُ بأولاد ابن حَمٌّ .

من حوادث السنة

تفاصيل عن نشأة الدولة العلوية

ومن حوادث هذه السنة ، وقد تقدم في العام قبل هذا عن صاحب **الدر السني** أن المُلاقاة كانت بين الامامين مولاي مَحمد وأخيه مولاي الرشيد ، وتوفي مولاي مَحمد في العام الماضي يلي هذا ، وهو أصح ، لأنه محقق وكان ذلك في عصره . وفي بعض المقيدات أن مولاي مَحمد لما وصله أن أخاه مولاي الرشيد بويع ببلاد أَنْكَاد والدَّهْرَة وتَافَرْطَه ومْسُول وزناتة ، وملك دَبْدو وَدار ابن مَشْعَل وَكَارْتْ والريف ، حرك بمن معه من أهل سجلماسة والقبلة والصحراء ، فالتقَى الجمعان على دار ابن مشعل ، فتوفي مولاي مَحمد في خبر يطول بيانه ، يوم الجمعة الثاني من المحرم فاتح هذا العام ، ودفن بدار ابن مشعل . ولك أن تقول : اعتبر صاحب **الدر السني** بُدُوَّ الحركة ، وكان أواخر سنة أربع وسبعين وألف ، ثم بعد وفاة مولاي مَخمد المذكور ، قصد مولانا الخليفة الامام ، أمير المومنين الهمام ، حيث أكمل بدره على التمام ، أحد الخلفاء العظام ، أمير المومنين مولانا الرشيد بن السلطان مولانا الشريف المحمدي الحسني السجلماسي بلد سجلماسة وما تحت ولاية أخيه مولاي

(5) هذه الترجمة والتي بعدها ساقطتان من **ط** **وس** .

مَحمد ، فنزل عليها وحاصر أهلها وما تحت ولاية أخيه المذكور مدة تسعة أشهر ، حتَّى بايعه جميع أهل تلك البلاد ، ثم ارتحل في رمضان ونزل قلعة تازا ، فهدنت البلاد ، واستعفت العباد ، وانقطع النهب والقتل في الطرق وأمنت ، فرخص القمح ، فكان فيه من نصف درهم للصاع الشرعي للصاع النبوي إلى ثلثه .

ولما سار مولاي الرشيد إلى حصار سجلماسة وما والاها ، أمر رئيس أهل فاس بشراء الخيل والمكاحل ، واستدعَى الحياينة ومن والاهم من القبائل وأهل صفرو والبهاليل وجميع أهل بلد كندر[6] وقبائل سايس ، فيزوا بقنطرة سبو ، واتفقوا على المخالفة والمحاربة لمولانا الرشيد ، واستعدوا لقتاله وملاقاته . فلما ملك سجلماسة ورجع إلى تازا ففروا منه الحياينة وتحصنوا بجبل غياتة وبني يازغتان ، وخرج رئيس فاس أحمد بن صالح ، ومعه أهل سايس وقبائل كندر وبني بهلول وصنهاجة والحياينة وبني يازغتان وقبائل جبل بُووَبْلاَنْ ، وساروا إلى تازا ، فخرج إليهم مولانا الرشيد وقاتلهم وهزمهم ، ورجعوا منهزمين إلى فاس ، وتبعهم إلى قنطرة سبو ، ثم عفا عن الجميع ورجع إلى تازا . وذلك في خامس عشر شوال ، ثم بعث إليه بصلح فلم يكمل بينه وبينهم ، حتَّى ملَّكه الله تعالى تلك البلاد ، واستعفيت العباد ، من الطغاة ، وأهل الفساد البغاة ، كما سنذكره مفصلا في الأحداث ان شاء الله تعالى .

زلزلة وعاصفة بفاس

وفي حادي عشر رمضان يوم السبت كانت زلزلة بفاس ، وفي ربيع الأول كان ريح قوي ورعد ومطر[7] .

---

(6) في م : «أهل جبل كندر» وهو أنسب .

(7) أثبتنا في حوادث هذه السنة أيضا نص ك وم لأنه أوفَى .

العام السادس من العشرة الثامنة

محمد بن أبي القاسم ابن سودة

فمنهم الفقيه الكبير، الفاضل العلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن سودة المُرّي، تقدمت ترجمة والده وجده، والكلام على نسبه. أحد الأعلام. آخر قضاة العدل بفاس، سمعنا ذلك من الثقات، وأثنى عليه غير واحد من أشياخنا بالعدل في ولايته، وبالدين وكمال المروءة والانصاف، أخذ عنه أبو زيد بن عبد القادر الفاسي وغيره، وقال الحافظ أبو زيد: سمعت منه جملة من التفسير **والرسالة**، **والحكم** لابن عطاء الله، **وتحفة** ابن عاصم بشرحها لسيدي محمد ميارة، وهي آخر ما قرئ عليه، وذلك سنة اثنين وستين وألف. انتهى.

ولد صاحب الترجمة سنة ثلاث وألف، وولي قضاء فاس الادريسية مهل شعبان عام سبعة وخمسين وألف، وتوفي ضحوة يوم الأحد الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ست وسبعين وألف، وأوصَى أن ينشد المارون بين يدي جنازته هذه الأبيات.

إِلَـهِي الْـمَـالِكَ النَّـاصِرْ ... أتـاك عـبـدُكَ الـقـاصـرْ
بِـبـابك يَسـألُ الْـعَـفْـوَ ... بِـذنبٍ مَـا لَـهُ حاصِرْ
تَـجَـاوَزْ عـنـهُ وارْحَـمْـهُ ... فـأنتَ الـرحِـيـمُ الـغَافِرْ
بجاهِ خـاتِـمِ الـرُّسـلِ ... الشافعِ العاقِبِ الْحَاشِرْ
محمّـدْ صـاحبِ الـكوثَـر ... لسَـقْـيِ يومِـنـا الآخِـرْ

وأوصَى بأبيات أُخر أن تكتب على روضة الولي الصالح سيدي علي بن حرزهم — نفعنا الله به آمين — [وجزم لفظ محمد ضرورة أو إجراء للوصل مجرَى الوقف][1] وهي هذه:

(1) ساقط من ك وم.

يا سالِكَ المنهاجِ باللّهِ الْعَلِي قِفْ ساعَةً واغْنَمْ زيارةَ الْوَلِي
عَلمُ المشايخ وابنُ حِرْزِهِمُ الْحَرِيزُ كبيرُ حِزْبِهِمْ أبو حَسَنٍ عَلِي[2]
واطلُبْ أخي رحماتِ ربِّكَ دائماً لمحمدٍ نجلِ ابن سودةَ واسْأَلِ
واختِمْ دعاءَكَ بالصلاة وسلِّمَنْ ختماً على خيرِ الأَنامِ المُرْسَل

ودفن بداخل روضة سيدي علي بن حرزهم المذكور خارج باب الفتوح . وَمن نظم صاحب الترجمة أيضا :

إنَّ النكاحَ حُكمُه الندبُ على ما صحَّ مِن مذهبِنا ونُقِلا
رُكناهُ زوجانِ وشرطُهُ وَلِي وصيغةٌ قد عُدَّ فِي المُحَصَّلِ
والمَهْرُ طَرْدِيٌّ عَلَى المَنْقُولِ والشاهدانِ الشَّرْطُ في الدُّخولِ
هذا الذي صحَّحهُ النُّقَّادُ وكلُّ ذي حِجىً لهم مُنْقَادُ
وشَرْطُ إِسقاطِ الصَّداقِ يَجْرِي على فساد المَهْرِ دُونَ حِجْرِ

ومعنَى كون المهر طَرْدِيّاً إذَا وجد وجد النكاح ؛ وليس كلما انتفَى المهر انتفَى النكاح . وما سمعت من ينقد[3] عليه شيئا لا في فتيا ولا في قضاء ؛ بل سمعت من يعتدُّ به من أشياخنا وغيرهم يثنون عليه بالفضل والعدل أحسن الثناء ؛ وله تقاييد تؤثر عنه وأجوبة . وكان محل سكناه بالدرب المسمى به إلى اليوم بدرب القاضي من حومة زقاق البغل من فاس القرويين ، بالدار الأولى عن يمين الداخل للدرب المذكور ــ رحمه الله ــ[4] .

جمال الدين الهنــدي

ومنهم الشيخ الامام قدوة المحققين ، ورأس العلماء المتقين ، جمال الدين الهندي ، النَّقْشَبَنْدِي طريقة ، المدنيّ وفاة . قال أبو سالم في **رحلته** لما ذكر من لقي بمكة : واجتمعت بمكة بالشيخ جمال الدين الهندي بالمدرسة الداودية ، جمعني به شيخنا وصاحبنا الشيخ علي باحاج اليمني ، بعدما سألته عمن هو اليوم في الحرمين

(2) هذا البيت ساقط من **ط وس** .
(3) في **ط وس** : من ينتقم .
(4) سقطت بعض الجمل في هذه الترجمة من **ط وس** لم نر فائدة في التنبيه عليها .

أفضل هذه الطائفة النقشبندية ، فدلني على الشيخ جمال الدين ، وعلى رجل آخر من أصحاب الشيخ تاج الدين ، إلاَّ أن الشيخ جمال الدين أكثر منه عبادة وزهادة وإقبالا على الطريق . وكنت كثير التشوف إلى لقاء أحد من هذه الطائفة ، لما كنت أرَى من محاسن أصحابها وجدهم واجتهادهم في الكتب المؤلفة في طريقهم . لما اجتمعت بالشيخ جمال الدين أخذت عنه طريق السادات النقشبندية ببيته ، وذلك يوم الأربعاء ، وشيخنا هذا — يعني صاحب الترجمة — من أعبد أهل زمانه ، مقبل على شأنه ، مراقب للحق في سره واعلانه ، منقطع بالحرمين الشريفين لعبادة ربه ، لا مال ولا أهل إلاَّ أصحابه المشتغلون بالطريق على يديه ، ولهم سيما وبهجة لا تخفَى على ذي بصيرة ، وطريقهم طريق جد واجتهاد ، قريب فتحها ، كثير خيرها ، بعيدة عن الرياء والسمعة ، الا أنها تحتاج كغيرها من الطرق إلى مرشد عارف ناصح . انتهَى . ثم قال : أخذ — يعني صاحب الترجمة — عن شيخه الامام ، العارف الهمام ، السيد آدم الحسيني النقشبندي المجاور بالمدينة المشرفة ، وبها توفي ، وقبره الآن مشهور يزار ، بجانب قبة أمير المومنين عثمان بن عفان — رضي الله عنه — . وهو أخذ الطريق عن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد ، إلى آخر السند المذكور في **الرحلة**. ثم قال بعد كلام طويل : ومن تأمل موشحات النقشبندية وحكم الشاذلية ، لم يجد بينهما اختلافا الا في بعض الاصطلاحات الراجعة للأعمال الظاهرة ، وأما الأعمال القلبية ، والمنازلات العرفانية ، فلا فرق أصلا . ثم بين طريقتهم بيانا شافيا ، فراجعه ! وكان صاحب الترجمة مع شدة مجاهدته ، وانتفاعه بصحبته ، عارف زمانه ، غير مطالع لكتب القوم كثيرا ولا منقراً على أغوارها ، فقُصاراه الإقبال على الجد والاجتهاد ، وغلب عليه آثار الجلال ، فكل من رآه علم أنه من الحضرة الجلالية ، والله تبارك وتعالى ينفعنا بمعرفته والانتساب إليه . انتهَى .

وتوفي صاحب الترجمة ليلة الجمعة ، ودفن صبيحتها في سادس وعشرين من جمادي الأولى من عام ستة — بمثناة — وسبعين — بموحدة — وألف ، ودفن بالبقيع .

إسحاق بن محمد جَعْمَانْ

ومنهم أبو ابراهيم إسحاق بن محمد جَعْمَان — بجيم فعين مهملة فميم فألف فنون —

كان كثير التردد للحج قلما يخلو له عام من حج مع أنه فقير لا مال له ؛ إلا أنه لعلمه وصلاحه يقصده الناس كثيرا من أهل بلده للاستيجار على الحج ؛ كان يتأول في ذلك نص امامه الشافعي .

توفي في رابع ربيع الأول من عام ستة وسبعين وألف ، ودفن بزبيد(5) .

عـلـيّ الـدَّيْـبَـع

ومنهم الشيخ الناسك الزاهد الخاشع المتواضع أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمان الدبيع ــ بالدال بوزن جُبير ــ الشيباني اليمني الزبيدي . قال أبو سالم في **فهرسته** : لقيته بمكة وارداً عليها للحج من بلاد اليمن ، وقرأت عليه بالمسجد الحرام صدرا من **البخاري** ، وأجاز لي باقيه بحق روايته عن الشيخ إسحاق بن سيدي محمد بن ابراهيم جَعْمَان ، عن والده . ويرويه شيخنا أيضا عن والده بلا واسطة عن شيخه إبراهيم بن محمد بن جَعْمَان ، عن السيد طاهر بن حسين الأهدل ، عن الشيخ الحافظ عبد الرحمان بن علي الدَّيْبُع محدث الديار اليمنية ، بسنده المذكور في **فهرسته** . وأجاز لي بالخصوص **تيسير الوصول إلى جامع الأصول** ، تأليف جده الحافظ عبد الرحمان بن محمد الدَّيْبُع ، [عن الشيخ محمد بن الصديق الخاص اليمني الزبيدي ، عن والده الصديق ابن محمد الخاص ، عن السيد طاهر ، عن مؤلفه الحافظ عبد الرحمان بن محمد الدبيع](6) وأجاز لي **صحيح مسلم** عن شيخه علي بن أحمد الحُشَيْبِرِيّ [ــ بحاء مهملة أوله . فشين معجمة مصغرا ــ](7) باسناده ، وذلك بالمسجد الحرام عشية يوم الأحد الموفي عشرين من ذي الحجة عام أربعة وستين وألف ، وكتب لي بخطه أنه لقي في بعض المواسم رجلا من الصالحين ؛ وكان مما أوصاه به أن قال له : كن به لا بك ، وقال له : أكثر من قولك : فالطف بي يا ذا الجلال والإكرام. ومما أجازني به أيضا على الخصوص كتاب **الأذكار** للنووي ، وكتاب **عدة الحصن الحصين** لابن الجزري ، وكتب لي ذلك بخطه . شيخنا هذا من أصحاب شيخنا القشاشي ومن أجل أتباعه ، وهو الذي دلني

(5) في **ط** : ودفن بدبير (؟) .

(6) ما بين معقوفتين ساقط من **ط** و**س** .

(7) ساقط من **ك** و**م** .

عليه ، وكتب لي اليه وحضني على الأخذ عنه بعد اشارة تقدمت من شيخنا أبي مهدي الثعالبي ، وهو ممن أخذ عنه أيضا ، وهما شاهدا عدل على علو مكانة الشيخ ، [وحق أن يقال لي (كذا) لا تحتاج فيها للشاهر ، وتقريري للمعلوم ضربٌ من الجهل انتهى][8] . وهذا الكلام الأخير ثابت في الأسانيد التي كتبها أبو سالم لسيدي أحمد بن سعيد ، وهو ساقط فيما كتبه لسيدي عثمان اليوسي ، وقد أدخلت فيه شيئا من الثاني سقط في الأول لزيادة الايضاح .

[وكان صاحب الترجمة حيا في عام الترجمة ، ولم أقف على تعيين وفاته . ولقي أبو سالم صاحب الترجمة أيضا بالمدينة ، ذكر ذلك في **رحلته** . وقال فيه أيضا : بقية السلف الصالح ، وقدوة كل غاد في اكتساب المدح ورائح[9] ، أستاذ المقرئين ، وإمام المحدثين . ثم قال : وهو من قدماء مشايخي ، لقيته بمكة سنة أربع وستين فأخذت عنه ما تيسر وأجاز لي كما هو مذكور في كتابنا **اقتفاء الأثر**. انتهى المراد منه . فلُقِيُّهُ كان بمكة والمدينة معا . والله الموفق . وقال أبو سالم في **الرحلة** : ذكرنا يوما بحضرة شيخنا أبي الحسن – يعني الدُّبَيْع – دفن الموتى بالبقيع على مرور الأزمان في محل واحد ، مع أنه لا يجوز الدفن في قبر ما دام صاحبه به . فقال لي : إن هذه الأرض لملوحتها ونداوتها تُفني الأجساد بسرعة ، فقلما يجاوز الانسان فيها سبع سنين إلا وَتَبْلَى عظامه فلا يبقَى لها أثر . قال : وهي كأرض بلادنا مدينة زبيد بأرض اليمن . قال إني دفنت عدة من أولادي بيدي في قبر واحد في أمد غير متطاول ، فكنت إذا مات لي ولد ذهبت به إلى قبر أخيه الذي قبله ، فأحفر فلا أجد له أثراً ، فأضعه وأواريه في محله ، ثم كذلك الآخر . ثم قال : ولا شك أن القبر بعد ذهاب عظام المقبور فيه لا يمنع الدفن فيه . قال صاحب **المختصر** : والقبر حبسٌ لا يُمشي عليه ولا يُنبش ما دام صاحبه به . ولا يُعكِّر على ما ذكرنا من أكل أرض المدينة الأجساد بسرعة ما ورد من نقل بعض شهداء أحد بعد أزمان وأعصار متطاولة ووجدانهم على حالهم ، ومِن بُدُوِّ قَدَم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – زمَنَ عمر بن عبد العزيز ، لأن ذلك كرامة وقعت على خلاف العادة ،

(8) ساقط من ط وس .

(9) في ط صحفت هذه الجملة وكتبت : «وقدوة كل عتاد في اكتساب المدح ورابح». والتصحيح من الرحلة العياشية ، 1 : 315 .

وتصديق لحديث : **لاَ تأكُلُ الْأَرْضُ أجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ولا الشُّهَدَاءِ** ، ومن ذكر معهم . ولا شهيد على وجه الأرض أفضل من عمر ــ رضي الله عنه ــ ومن شهداء أحد ــ رضي الله عنهم ــ آمين . انتهَى كلامه في **الرحلة** .

قلت : وخبر نقل الشهداء الذي أشار له أبو سالم ، رواه مالك في **الموطأ** عن عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي صعصعة ، أنه بلغه أن عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمر الأنصاريَّيْن ثم السليميين كانا قد حفر السيلُ قبرهما ، وكان قبرهما مما يلي السيل ، وكانا في قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أحد ، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه فدُفن وهو كذلك ، فوجدت يده على جرحه ، ثم أرسلت فرجعت كما كانت . وكان بين أُحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة . انتهَى . ذكره آخر الجهاد من رواية يحيَى بن يحيَى الأندلسي][10] .

محمد بن علاء الدين البابلي

ومنهم الشيخ الحافظ ، المحقق اللافظ ، العالم النحرير ، المحدث البصير ، الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري نزيل مكة المشرفة . قال أبو سالم في **فهرسته** بعد أن حلاه بنص ما ذكرناه : قرأت عليه من أول **صحيح البخاري** إلى كتاب الإيمان ، والحديث المسلسل بالأولية ، **وعشاريات ابن حجر** ، وأجاز لي سائر مروياته عن سائر أشياخه ، منهم الشيخ ابراهيم اللقاني ، والشيخ سالم السنهوري ، وشهاب الدين أحمد الشبلي ، وشهاب الدين أحمد السبكي ، والشيخ حجازي الشعراوي ، والشيخ نور الدين الزيادي ، وغيرهم . وشارك أشياخه المتقدمين في كثير من أشياخهم ، وذلك بمنزله بالمسجد الحرام عن يمين الداخل من باب ابراهيم ، وكان هناك مستقره . وأخبرني ثقة من أصحابنا أنه رجع إلى مصر واستقر شيخنا أبو مهدي بمنزله . انتهَى . وتوفي صاحب الترجمة سنة ست أو سبع وسبعين وألف ، على ما في **فهرسة صاحب المطمح** .

---

(10) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة من ك وم ، واختصر بعض محتواها فيهما في نحو سطرين .

عبد الوارث بن محمد الياصلوتي

ومنهم الشيخ أبو البقاء عبد الوارث بن محمد بن الولي سيدي أحمد بن محمد ابن الشيخ العارف بالله سيدي عبد الوارث بن عبد الله الياصلوتي[11] تقدمت ترجمة جده الأول سيدي أحمد، وتقدم نسبه هناك؛ وفي الكتاب المنسوب لابن عيشون: كان – يعني صاحب الترجمة – دينا خيرا ذا وجاهة وأتباع، وله زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر – يعني بفاس – يقرأ فيها أصحابه الأحزاب، يقرؤون صباحا المعشرات، وحزب الفلاح، وصلاة مولاي عبد السلام ابن مشيش، والحزب الكبير للشاذلي، ومساء حزب الفلاح، ولا اله إلا الله مائتين. وكان يعمل الحضرة ولا تعمل إلا بمحضره؛ ولم يكن يتحرك إلاَّ أنه يهتز عند السماع يمينا وشمالا وهو جالس.

توفي – رحمه الله – يوم الأحد الثالث من ربيع النبوي سنة ست وسبعين وألف، ودفن بزاويته المذكورة. [وله أبناء عم أو عقب ينتسبون إليه اليوم، وقد اتخذوا تلك الزاوية مقبرة من بعده][12].

محمّد بن أحمد الصباغ

ومنهم الفقيه المشارك الموقت أبو عبد الله محمد بن أحمد الصباغ من أشياخ أبي زيد بن عبد القادر الفاسي لازمه في التوقيت والاسطرلاب والربع المجيب **والروضة ومختصر الرقام** في الكسور، **وأرجوزة ابن ليون** والجزنائي في الأوفاق.

محمد بن عبد الرحمان القصري الزامر

ومنهم الأستاذ المشارك الفقيه الصالح مؤدب الصِّبيان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان القصري المشهور بالزامر. قال الحافظ أبو زيد الفاسي: دخلت لأقرأ عليه

---

(11) لعل الصواب اليالصوتي – بتقديم اللام على الصاد – هكذا وجدت الشيخ أبا الضياء مصباح بن محمد اليالصوتي يوقع فتاويه في **المعيار**، وهي كثيرة جدا لم تقدم الصاد فيها على اللام ولو مرة واحدة. وهو من نفس القبيلة.

(12) ساقط من ط وس.

وفي لوحي يومئذ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا** من سورة القصص ، فختمت عليه القرآن في ذلك العام ، وحفظته في أول ختمة على التمام ، وأنا ابن سبعة أعوام ، وبدأت الختمة الأخرى مع **الكراريس والجرومية** ثم أخذت قراءة **الألفية والرسالة والمختصر** ، وما يتبع ذلك من التآليف التي لا تحصر.

يحيَى الجزولـــي

ومنهم القاضي يحيَى بن محمد الجزولي.

أبو عزَّة بن زيَّان

ومنهم الشيخ المرابط أبو عزة بن زيان من أصحاب سيدي مسعود الشراط .

أحمـد السَّايَـحْ

[ومنهم الولي الصالح سيدي أحمد السايح دفين القليعة عدوة فاس الأندلس . في **تأليف ابن عيشون المختصر** : توفي في **عام خمس أواقي** ، وكان يوم توفي اشتدت حاجة الناس للمطر ، فرحمهم الله في ذلك اليوم بالمطر . وهو ينتسب لصحبة سيدي عبد الله بن حسون .

عام خَمْس أَواقِـي

وعام خمس أواقي هو عام اشتداد الغلاء بحصار مولاي رشيد على فاس ، حتَّى بلغ القمح خمس أواقي سكية للصاع ، وهو عام الترجمة . وفيه وقع الفتح كما سيذكر . انتهَى .

محـمـد السَّـايَـحْ

وله أخ وهو الولي الصالح سيدي محمد ، مدفنه مع أخيه المذكور . وفي كناش عم والدنا أنه من أصحاب سيدي عبد الله بن حسون . انتهَى .

وهو عن سيدي عبد الله الهبطي ، عن سيدي عبد الله الغزواني . ومن نظمه في مدح الولي العلامة سيدي رضوان — نفعنا الله به — :

رضوانُ هذا وليُّ اللَّهِ مَنْ شَهِدَتْ لهُ الأكابرُ بالتَّقوَى وبالدِّينِ
فالْجَأْ إِلَيْهِ إِذَا ما خِفْتَ مِنْ حَرَجٍ تَرَ الْخَلاَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي الحِينِ

آمنة السَّايَح

ولها أخت اسمها آمنة ، سيدة زاهدة ، وقبرها عند رجلي أخيها سيدي أحمد][13] .

من حوادث هذه السنة

دخول المولى الرشيد إلى فاس الجديد والقديم

نزول مولانا الرشيد على فاس ، فقاتل ثلاثة أيام ، وجرح برصاصة في أذنه ، فرجع سالماً والحمد لله ، ثم عاد مرة أخرى في ثالث ربيع الأول ، فأوقع فيهم القتل والجرح ما يقرب من سبعين رقبة ورجع ، لأنه لم يكن أتَى معتدا ، ثم سار إلى الريف فحاصر أَعَرَّاس وأخذه في رمضان بعد منازلات . وفي ضحوة الثلاثاء ثامن وعشرين من ذي القعدة نزل مولانا رشيد أيضا على فاس فحاصرها إلى يوم الخميس ، أمر جيشه بالقتال إلى يوم الاثنين ثالث ذي الحجة ، فأصبح بفاس الجديد وقد دخل من أعلى السور ليلاً من جهة الملاح ، وفر رئيسهم الدّرِيدِي ، ثم نزل عشية إلى فاس القرويين ، ففرَّ ابن الصغير ليلا إلى بَسْتْيون باب الجيسة ، وفرَّ أحمد بن صالح رئيس الأندلس صبيحة غده ، وطلع أهل فاس فَبايعوا مولانا الرشيد ونصروه ، وقُبِض ابن صالح قبل الزوال بجوز البلد ، وقُتل جماعة من أصحابه ، وسُجن بباب دار بن شكْرُه بفاس الجديد .

وولي القضاء سيدي حمدون المزوار يوم الخميس سادس ذي الحجة . وفي يوم

(13) هذه الفقرة المشتملة على خمسة عناوين — ابتداء من أحمد السايح — ساقطة من ك وم .

الخميس الذي بعده قتل ابن صالح وابن الصغير ثم ولديه ، ثم خرج مولانا الرشيد بحركة للغرب ، فانهزم منه الرئيس الخضر غَيْلاَن ومن معه ، وتبعهم ، فدخل القصر وخرج غيلان من القصر إلى أصيلا ، فرجع مولاي رشيد من القصر ، ثم عاد لحصاره .

ومن المحكيّ أن ابن صالح والدّرِيدِي لما أحسا من الناس الضجر منهما ، وكثر ذكر مولاي الرشيد على الألسنة والتشوف إليه لما اشتد بهم الحال من النهب والفتن ، فطمع الناس فيه أن ينقذهم من ذلك . ولما حاصرهم كثر ذلك على ألسنة الناس وأعلنوا به ، وشافههم به الشرفاء ، فلما خافا أن يقع بهما أظهروا مشاحنة منهم على سبيل المكيدة ، فاختصم الدّرِيدِي مع ابن صالح وأظهرا المقاطعة بينهما ، فجاء أشياعهم لكل من يعرفونهم من الشرفاء والفقهاء يحبّون مولانا الرشيد ، وطلبوا منهم أن يصلحوا بين الرئيسين ، مدلين بأن هذه وظيفة الأشراف والفقهاء . ومن جملة من كان فيهم العلامة سيدي حمدون المزوار ، وسيدي محمد أبو عنان الشريف ، وآخر من أقاربه ، فامتنعوا أولاً كراهية الدخول في أمر الولاة ، فاعتلّ أهل فاس بأن لا ملجأ في مثل هذا إلاّ لهم ، ومَن تغيب من الأشراف ممن عزموا عليه تبعوه حتَّى حضر ، ومن تمارض كلَّفوه المشقة حتَّى حضر ، وبعضهم ممن أخبر بالمكيدة من بعض الأصدقاء اختفَى كل الاختفاء ، حتَّى جمعوا جميع من قدروا عليه مِمَّن يظنون به الميل إلى السلطان ، ووجهوهم للدّرِيدِي بفاس الجديد شفعاء في أن يصطلح مع ابن صالح . فلما أقبلوا عليه رحب بهم وأدخلهم مصرية وأنزل لهم مائدة من طعام ملون يعرف بطبخ الدار ، وقال هذه عشاؤكم من أسبوع بنية ازدادت عندي ، وخروجكم من هذه المصرية يوم زفافها ، فعلموا أنهم مسجونون وأنه توعَّدَهُم بتطويل سجنهم جدا ، وأن توجيههم له مكيدة واحتيال ، لأنهم لو سجنوهم جهاراً لما أمنوا من انتصار بعض العامة لهم ، أو شبه ذلك . فلما وقع جميعهم في ذلك أسفوا ، وبقي الطعام بينهم لم يتناول أحد منهم منه شيئا ، فقدَّر الله تعالى ظهور مولاي رشيد ودخوله فاس الجديد في تلك الليلة . فالمائدة ما زالت بموضعها بطعامها ، وهم يسمعون الإعلان والصياح بنصر مولاي رشيد في كل الجهات ، ففرَّج الله عنهم .

رُبَّمَا تَـجْـزَعُ الـنُّـفـوسُ لأمـرٍ وَلَـهُ فُـرْجَـةٌ كَـحَـلِّ الْـعِقَـالِ

فمنهم من لم يخرج إلاّ بعد أن أكل من تلك المائدة زيادة في الفرح ؛ ومنهم من حمل معه من ذلك الطعام وخرج مسرعا ؛ ومنهم من بقي ثمة ثم دخل عليه السلطان مولاي رشيد ؛ ومنهم البوعنانيون المذكورون ؛ فسرّ بهم وبقي يرعاهم.

قيل : وهذا من أسباب تولية أحفادهم القضاء من قبل مولانا إسماعيل ، لما يعلم فيهم من تقرر محبة الامارة ، وكأنه بحث عن أحوالهم. وممن كان حاضراً بهذه القضية سيدي محمد بن أحمد الشريف العراقي الحسيني ، سمعت هذه الحكاية من بعض أحفاده لبنته ، وهي شائعة عنه وعن غيره ، ويذكرونها بزيادات لم أذكرها ؛ لأني هذا الذي حققت منها. لله الأمر من قبل ومن بعد.

زلزلة بفاس

وفي رجب كانت زلزلة بفاس(14).

(14) اختلفت صياغة حوادث هذه السنة في النسخ الأربع ولم يختلف جوهر المضمون ، فأثبتنا هنا الأوفَى. إلا الزلزلة فقد انفرد بها مخطوطا ك وم.

العام السابع من العشرة الثامنة

قاسم السفياني ابن اللُّوشي

فمنهم البهلول المتبرِّك به سيدي قاسم بن أحمد بن عيسَى السفياني المعروف بابن اللوشي[1] دفين ضفة وادي ارْضَمْ من بلاد أَزَغَار . قال عم والدنا أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني : توفي قرب طلوع [الشمس بعد][2] فجر يوم الاثنين الثامن والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وألف . ولم يتزوج قط . فلم يكن له عقب . انتهَى من خطه في **كناشه** . وله أتباع وطوائف يشدون الرحلة لزيارته كل سنة . وذكر لي بعضهم أنه أخذ عن سيدي محمد الشرقي ، وهو يقبله التاريخ ، نظير ما قلناه في سيدي أحمد بن خضراء ، والله تعالى يعلم حقيقة ذلك كله .

الطيب بن المسناوي الدَّلاَئِيّ

ومنهم العلامة الأديب ، الفاضل المحب اللبيب ، أبو عبد الله سيدي الطيب ابن المسناوي ابن محمد بن سيدي أبي بكر الدلائي . تقدمت تراجم أبيه وجده وجد أبيه ، كان أديبا كبيرا ، وإماما ماهرا شهيرا ، له انشاآت وأنظام كثيرة .

[فمن ذلك ما خاطب به الإمام السلطان مولاي مَحمد بن السلطان مولاي الشريف الحسني السجلماسي مجيباً له عن بعض رسائله : الفخار الذي طاول متون المجد ذوائبه ، وفرع أهاضب الشرف مآثره ومناقبه ، من سمت همته فلو كانت الأفلاك مراماً لنالها ، والأيامُ حرباً لأدالها ، وتحلَّت بغرته الأيام فاكتسبت غرراً وحُجولا ، وجردت منه على قوائبها حساما مسلولا ، فهو العماد الذي ضرب عليه المجد أطنابه ، واستنزر يراع البراعة إطنابه ، قد أحله المجد القائم ، والسعد الملازم ،

(1) في هامش مخطوطة م : قف على سيدي قاسم بوعسرية السفياني لم يعقب .
(2) ساقط من ط و س

علاء أثيرا ، كما مهَّد له من بحر الكرامة ، ومهود الإمامة ، وطاء وثيرا ، بحر صفا من جوهر الإحسان نضارُه ، وأعرق في الأصالة نِجارُه ، وأبدت في هالة السعد أقمارُه ، وأحرزت قصب السبق غايتُه ، وقُرنت بالنصر رايتُه ، فآي فخره في مناقب الكرام مَتْلُوَّة ، وآيُ نصره بين مناقب العز مَجْلُوَّه ، الإمام الأوحد ، مولانا مَحمد ، هيأ الله له من أسباب العز خطيرا ، وأتاح له نعما وملكا كبيرا ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، هذا ولنا من مشرع مدادكم وِردٌ ليس عنه صَدَر ، وودٌّ صفوُه لا يتكدَّر ، وعَقدٌ دِينه لا يتبدل ولا يتغير ، قد جُبل على ذلك العُبَيد ، وقفا فيه أثرَ الوالدِ الوُلَيْد ، وقد وردنا من صفائه منهلا ، وارتوينا منه عَلَلا ومنهَلا ، وأدرنا سُلافتَه خلفاً وسَلَفا ، واقتطفنا من أزهاره اليانعة قطفا ، وضربنا في ذلك بسهم مصيب ، وأحرزنا منه أوفَى نصيب ، وجعلنا ذلك من أعلاق الأنفاس ذُخرا ، وأعظمها خطرا ، وأوفرها أجرا ، قد اعتجزنا من حلل زينتها برا ، وسابقنا في حلبة سباقها فجلَّيْنا ، ودُعينا لما لبته فلَبَّيْنا ، وامتطينا من ظهور غايته ثَبَجَا ، وسلكنا فيها سُبُلاً لا أَمْتاً فيه ولا عِوَجا ، نستقلُّ الطريف والتليد لهم حَقَّا ، ونستعبد عوالي الهمم رِقَّا ، وكيف لا وما آنسْنا نارَ الهُدَى إلاَّ من نور سِينَاهَا ، ولا اقتبسنا جَذْوَةَ الاقتباس إلا من سَنَاهَا ، ولا شِمْنَا بوارق الدلالة الا من نجوم أفلاكها ، ولا انتظمنا في سِلك الرشاد إلاَّ بالانتظام في أَسلاكها ، وإذ أورد المولى كتابه الأعلى ، وخطابه الأخطر الأغلَى ، وقد أرغمها (كذا) معاطن البراعة فتدفقت من بنانها سلسالا ، ونفثت من سحرها حَلالا ، وجرَّت من حبر صنائعها ذيول إحسانها ، وأجرت جواد قرائحها في ميدان امتنانها ، وانتقت منه باسمة المعاني من ثغور ألفاظها ، وأرقت عين البلاغة براشقة عيون ألحاظها ، وتهادت فيه عرائسُ البراعة طُرف إعجابها ، وتلفَّعت فيه أبكار الاستعارة بريق نقابها ، واستطالت عارضة الجزالة بشقائق إعرابها ، فجَرَتْ مِلْءَ عِنانِها جِيادُها ، وقُلِّدتْ بِدُرَرِ النَّفاسة أَجْيادُها ، تخال موشَى معهد ريقها روضا وسما ، ومن اللطافة نسما ، وتَحْسِبُ الأفلاكَ حلَّتْهُ بنجومها ، وجَمَعتْ فيه بين زُهرها ورُجومها ، قد تناصفت فيه صدورُ الإحسان وأَعجازُه ، وتطابقت فيه حقيقتُه ومجازه ، واستعذب إطنابُه وإن كان أعذَبَ منه إيجازُه ، ولا غرو إن نبت من وشيجه خطته ، أو جرَى بربه عبقريه ،

فمن صنائعها يحمل العصب . وعلى مِحَكِّها يُنتقد الذهب . ومن مغايصها تُرتاد الأعلاق . وعلى قدر الاحضار يكون السباق . فلله بلاغة ما أبعد منالها . وأسمَى عن التطاول أن يحكَى مقالها . أو يحاك منوالها . صنع مِغْوارٍ أَغَارَ في أنواع الإنشاء وأتهم . وأحكم من لامه ما أَحكم . إلى رقةٍ تكسب الوقور ارتياحا . وتُديرها أبناء الأدب راحا . فلولا ما توقينا من ظِنَّة عدم الاهتمام . وقِلة الاكثرات والإهضام . لأقصرنا قصورا عن مجاراته . وأحجمنا دون منازلته في مقاماته . بما ترقَى من شأو لا يشق غباره . ولا يستنم مناره . بيد أنا كأعجمي عارض مصقعا . وثمد (كذا) جارى عراصة ملمعا . ووشل زاخر بحرا . وجرد قد فاخر بدراً . وزجٍّ قارع سِنانا . وَباقِلٍ طَاوَل سَحْبانا . ورد يتقاضَى من الصلح دينه . بعد ما اسعر في طلب المهادنة عينه . اعتناءً منه بأمور المسلمين واهتبالا . وقياما بحقهم واحتفالا . لما قُلِّد من رعايتهم . وكُلِّف من حِياطتهم . ما أحسنه متقاضيا ! وحلضتا (كذا) رشدا داعيا . وما هي إلاَّ ضالَّةٌ اشترك الكل في إنشادها . وطَلِبَةٌ ضنَّ الزمانُ بإيجادها . وتحفةٌ أهدَى إلينا نفيسها . وتساهم في الفرح بها مرؤوسها (كذا). تُبذَلُ فيها المُهجَ أثمانا . وتُسحب فيها من الفرح أَرْدَانا . إلاَّ أنَّهَا مُنية عند طلابها . ونازلة استبهم جوابها . قد دس طالبُها حَسْوَها في ارتغائها . ولَبَّس سَلْمَها بِهَيْجهائها . وأَنَّى تستوثق من العهود عُراها ؟. أو كيف يبني على أس الوقد مناها ؟ ويد الاستيلاء يمد طواها لاحتجان أطراف بلادنا . وتملُّك ما هو من تِلادنا . فما هو إلاَّ خبرٌ كذَّبَهُ العِيان . وبناءٌ أسرعتْ لهدمه الْيَدَان . وقضيةٌ أنتجت عَكْسا . وعافية ما تجاوز صدقُها نَفْسا . وسَلْمٌ قد طَوَى حربا . ونصلٌ مازن ندبا . فان كنت تُريد استنتاجَ قضيةٍ لا تعقم (كذا) . وابرام أمر عقدُه لا ينفصم . وإرخاءَ جلبابِ العافية ضافيا . وانباط نميرِ مَعِينِها صافيا . فأَقْصِرْ من شباك بَعْضَ الأقصار . وأَرْكِدْ من ريحٍ خالطها إعْصار . واكْفُفْ يدَ الاستيلاء عن امتدادها . ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْ بِلَادِها . فذلك أجدر لنجاح المرام . وأقربُ للتآلف والالتئام . وبه تَامَنُ المهادنة من نسخٍ أحكامها . وتهدأ روعة المقاصت عن فسخ أحكامها . وكم كتاب طلب مطلوبه . وذهب في الالحاج مذهبه . مع الإخلال بالشروط المصححة للعقد . والمحض لو ضاب لا يتمحَّض منه الزَّبَد . فلا تكن كقعدي رين

(كذا) تحكما ، ولا تجعلنا كملدوغ سميا (كذا) سلما ، بلْ آتِ البُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها ، واتْرُكِ النَّافِقَاءَ مَعَ ضِبَابِها ، فانْ هَزَزْتَنَا إِذ ذاك للصُّلح فقد هَزَزْتَ صَمْصَاما ، وإنِ اسْتَمْطَرْتَ فقد استمطرت صَيِّباً لا جَهَاما ، وإن دعوت فقد دَعَوْتَ مُجيبا ، وإن اسْتَمْطَرْتَ فقد استمطرت صَيِّباً لا جَهَاما ، وإن دعوت فقد دَعَوْتَ مُجيبا ، وإن قرطست فقد رميت الْغَرَضَ مُصيبا . أما وقد طمعت بالتمهيد منهلا ، وطبقت له حسب الجد مفصلا ، وأَمضيت له العزائم ، ورُشْتَ له الْقَوادِمِ ، وأَعْرَقْتَ فيه الجبين ، وضربت فيه بالشِّمال واليمين ، فلا تظنَّ له الْقَوادِمِ ، وأَعْرَقْتَ فيه الجبين ، وضربت فيه بالشِّمال واليمين ، فلا تظنَّ لهذا المطلب مع ذلك نجاحا ، ولا ترجُوَنَّ لِلَيْلِهِ صباحا ، وأيُّ فائدة لإِطالة الأقلام ، وإِتْعَابِ السَّفَرَةِ بإِعْمَال الأَقْدَام ، يقبضُ كلٌّ منا على نِصاله ، ولْيَقتصِرْ على حدود أعماله ، فَفيه الغنَى عن الرسول والكتب ، وبه يوضع الهناء مقابلة الصدر بما ليس من القدر مواضع النقب ، وفي كتابكم أمور خارجة عن النَّمَط ، ضاربةٌ في الإِيغال إلى حد الشَّطَط ، سيقتْ مَسَاقَ العُذْر ، قد رمت جمارا في غير محصبها ، واستمطرت شجون حديث بغير سببها ، وقد اقتضَى الإِغضاءُ أن نضرب بعض مقابلتكم بمثلها صفحا ، ونطوي عن مباركها الحربية خيا (كذا) كشحا ، ولا نعلق للتنكيت عليها تعليقا ولا شرحا ، فليس كلٌّ قول يجاب ، ولا كلٌّ فصل خطاب(*) . انتهت وأوردناها بطولها ، لاستفادة بلاغتها ، واستطالة براعتها ، مع ما فيها من إيراد الكلام ، اللائق بهذا المقام .

ولصاحب الترجمة يخاطب بعض الإخوان ، ممن أغفل جانبه من المواصلة والتَّدَان .

أحيتك نافحة الشَّذَا بِعَبيرها ... وسَقَتْكَ مُغدقةُ الْحَيَا بِنَميرِهَا
ودعَاكَ مَنْصِبُكَ العليُّ مُمَلَّكاً ... وغَدَوْتَ في الدُّنيا أجلَّ أميرِها
وَفَدَتْ وَسَائِلُهُ الجليلةُ طَيَّها ... نشرُ المودةِ في خِلالِ سطورِهَا
فكأنَّها الصهباءُ رَقَّ مزاجُها ... وكأنها الدِّيباجُ في تَحْبِيرِها

(*) لم نتمكن من مقابلة هذه الرسالة في مصادر أخرى لازالة ما بقي فيها من تصحيف .

وتنكَّبَتْ عَن منزلِي إذْ خيَّمَتْ ... ما عَرَّجَتْ بِسَلَامِهَا وَسَفِيرِهَا

فأجابه عميد هذا الشأن ، الشيخ التجموعتي عبد الملك أبو مروان ، رحمه الله تعالى :

لَيْتَ الحدائقَ ما زَهَتْ بنَمِيرِهَا ... لـمَّا أتيتَ بكَفيئِها ونَظِيرِهَا
وأَعَرْتَ مِنْ عَرْفٍ ولا كَعَرَارِهَا ... وسَقَيْتَ من غَدَقٍ ولا كَغَدِيرِهَا
وَبَعَثْتَهَا شحريَّةً سِحْرِيَّةً ... وَرَدَتْ بديعَ قرارِها وسُرُورها
فَعَلَى الخَبِيرِ بِوُدِّهَا وَوَفَائِهَا ... سَقَطَتْ سُقوطَ الشُّهْبِ فِي تأثيرِها
يَا فَخْرَ آلِ أَبِي بَكْرٍ الرِّضَى ... وَبَهَاءَ دَسْتِ دُرُوسِهَا وقُصُورِهَا
ما نُكِّبَتْ عَنْكَ الرسائلُ رِيبَةً ... بَلْ لِاتِّقَاءِ عَيِّهَا وقُصورِها
والآنَ إِذْ أَمَّنْتَهَا ودَعَوْتَهَا ... لَبَّيْكَ بَيْنَ جَمِيلِها وجَرِيرِها
فإذا فَضَضْتَ خِتَامَهَا وَجَلَوْتَهَا ... كُنْتَ الْعَذِيرَ لَهَا عَلَى تَقْصِيرِهَا

وله موشحات بليغة][3] .

ولقي صاحب الترجمة العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي المتوفى بمكة المشرفة ، وتأتي ترجمته ، وانتفع به . قال العلامة المشارك أبو العباس أحمد بن يعقوب الوَلاَّلي في كتابه **مباحث الأنوار** في ترجمة في جملة أصحاب الشيخ ابن عبد الله المذكور : وأخبرني – أي صاحب الترجمة – أنه لما طلب الصحبة من الشيخ – يعني ابن عبد الله المذكور – قال له عند المصافحة : **صافحتك على أن تعبد الله كأنك تراه** . وقال إن الشيخ – رضي الله عنه – لم يرض لي بالمقام المذلول ، لقوله ﷺ **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** ، وهو عبادة المراقبة ، وإن كان رفيعاً بما هو أعلى وأرفع ، وهو عبادة بساط الشهود . وكان قبل أن يعقد الصحبة مع الشيخ ربما سئل لأجل متانة علمه المعلومة عند الناس عن حال الشيخ فيسلم ويقول : إن لم أكن من الرابحين فلا أكون من الخاسرين . ومن بركة ذلك التسليم وُفِّقَ لمصاحبته والانتفاع به . وقد ظهر مصداق ما قاله الشيخ – رضي الله عنه – في مرضه الذي توفي فيه ، فانه – رحمه الله تعالى – لما مرض بعد غيبة الشيخ بجهة

(3) هذه الصفحات المكتوبة بين معقوفتين المشتملة على نثر ونظم الطيب الدلائي كلها ساقطة من ط وس .

المشرق . وطال به ذلك المرض . فارتفع حاله ولحقه خشوع . وأوبةٌ وخضوع . وكان إذا صلّى تُرى عليه ديباجة الخضوع الأكبر . والإيمان الأظهر . وبلغ به الأمر إلى أن كان لا يستطيع أن يسمع الأذان من هيبة ذكر الجلالة . وأخبرني أنه رأى النبي ﷺ فطلب منه السماحة في التقصير في حقه ﷺ فقال له : سامحتك . وكان يجد من نفسه في ذلك المرض التوحش عن الخلق إلاَّ القليل ممن يوافق حاله . وطلب مني إذ ذاك يوماً أن آتيه ببعض كتب التصوف المشتملة على أحوال أهل الله تعالى، فأتيته بابن عباد شارح **الحكم**، ثم غبت عنه، فلما رجعت وجدته مطروحا . فقال لي أتيتني بهذا الكتاب وأجدني لا أستطيع النظر فيه . فإني إن نظرت فيه كاد قلبي أن يتفطر . فأخاف أن أموت . ولم يزل على تلك الحال أو أزيد إلى أن توفي — رحمه الله تعالى — انتهى .

وأما الشيخ ابن عبد الله فتوفي في حجه عند فراغه من التحلل الأول . سنة تسع وسبعين وألف . كما يأتي إن شاء الله .

وقد ورد على صاحب الترجمة الأديب البارع . الفقيه الصوفي العذب الموارد والمشارع . سيدي أحمد بن عبد القادر التَّاسَوْتي . فوجده محتضراً . فطلب أن يراه فتعذر ذلك فكتب له :

يا خَيرَ مَنْ حَازَ الْمَفَاخِرَ وَالثَّنَا ... يَـا طَـيِّبَ الأَفْعـالِ وَالْأَحْوَالِ
كَمْ لِي وَحَقِّكَ حَوْلَ بَابِكَ وَاقِفٌ ... أَرْجُـوكَ تُطْفِـي لَوْعَتِي بِوِصَالِ

فلما قرئ عليه هذان البيتان وهو في الاحتضار . أجابه بقوله :

أمُبَارَكُ بْـنَ مُبَـارَكِ الْمِفْضَالِ ... وَصْلِي — رَعَاكَ اللَّهُ — لَيْسَ بِغَالِ
مَا كَانَ يَحْجُبُ مِثْلَ بَدْرِكَ حَاجِبٌ ... لَوْلاَ تَكَاثُفُ غَيْمِنَا فِي الْحَالِ

[ثم لما مات رثاه بقوله :

الـيَـوْمَ آنَ لِمَدْمَعِي أَنْ يَهْمَعَا ... ولِمُـهْـجَـتِي بِالْوَجْدِ أَنْ تَتَقَطَّعَا
أَنَّى يَطِيبُ الْعَيْشُ بَعْدَ أَحِبَّةٍ ... بَـانُـوا فَبَانَ الصَّبْرُ وَالسَّرَّا مَعَا
كانتْ كواكِبُ لا تَنَالُ مَكَانَهُم ... أَمْسَى التُّرابُ بِحُسْنِهِمْ مُتَضلعا
كَسَفَتْ شُمُوسُ الحُسْنِ بَعْدَ مَغِيبِهِمْ ... والـفَـضْـلُ أَصْبَحَ لِلْأَرَاذِلِ مَرْتَعَا

وَسَبَائِكُ الْمُجْتَثّ عُطِّل صَوْغُهَا والنَّثْرُ نَجْمُ سعودِه لَنْ يَطْلُعَا
ولآلِئُ التَّفسيرِ عَزَّ شِراؤُها والفقهُ أصبح رُكْنُهُ مُتَضَعْضِعَا
مَنْ لِلأصولِ إِذَا الْتَوَتْ أبْوابُها مَنْ لِلْحَدِيثِ إِذَا الْحدِيثُ تَبَرْقَعَا
مَنْ يُضحِكُ التَّسْهِيلَ عند عُبُوسِهِ مَنْ لِلْبَيانِ أَخُو البديعِ تَصَدَّعا
هل تَسْمَحُ الْكُبْرَى بِنَزْعِ نِقابِهَا وحبيبُها كاسَ العلوم تَجَرَّعا
لِلَّهِ يَا نَارَ الْحَشَا فَتَوَقَّدِي وَاهْمِي الدِّمَاءَ سَحَائِباً لاَ أَدْمُعَا
أَأُحِبُّ أَسْلُو والْحَبِيبُ الطَّيِّبُ الأَفْعالِ سَافَرَ نَاوِياً لَنْ يَرْجِعا
غَابَتْ بُدُورُ جَمَالِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْتَثِمْ كَأْسَ الْمَفَاخِرِ مُتْرَعا
وَإِذَا الْفَتَى تَرَكَ الْمَحَامِدَ رُبَّمَا بِالْمَوْتِ يَكْتَسِبُ الْمَقَامَ الأَرْفَعَا
مَنْ يَجْهَلِ الأَقْمَارَ يَعْرِفْ قَدْرَها والجَوُّ يَظْهَرُ بِالدُّجا مُتَقَنِّعا
هَذا وإِن عُدِمَ الفكاكُ مِنَ الْجَوَى أَوْ لَمْ تَجِدْ يَوْماً لِصَبْرِكَ متبعا
فَاذْكُرْ نَبِيَّكَ قَبْلَ رُزْئِكَ واصْطَبِرْ مَهْمَا تَذَكَّرْتَ النَّبِيَّ تَقَشَّعَا
لا يُلْهِيَنَّكَ حُزْنُ مَنْ فَارَقْتَهُ فَيَكُونَ وَقْتُكَ بِالهُمومِ مُضَيَّعَا
حَازَ السَّعادَةَ مَنْ أَطَاعَ إِلَهَهُ مَلَكَ الْعُلا عَبْدٌ تَجَافَى الْمَضْجَعَا](4)

وأنشدنا الفقيه الأديب . اللوذعي النجيب . سيدي أحمد بن الفقيه [القاضي](5) العلامة سيدي محمد البكري بن الشاذلي الدلائي بيتين لصاحب الترجمة . سمعهما من جدّه للأم الإمام العلامة القدوة المحقق أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد المسناوي ولد أخي صاحب الترجمة كتبهما له في لوحه لما قصده بداره بالزاوية البكرية تبركاً به أول دخوله للقراءة بالكُتَّاب موضع تعليم الصبيان . وهما :

عَلَّمَكَ اللَّهُ أَنَجْلَ حِبِّي حَتَّى تَكُونَ عَالِماً بِالْغَرْبِ
فِي الفِقْهِ والتَّفْسِيرِ والتَّوْحِيدِ وَكُلِّ علمٍ نَافِعٍ مُفيدِ

[وظهرت إجابة دعوته فيه . فقد برع الشيخ أبو عبد الله المسناوي في العلوم التي دعا له بها وفي غيرها . وستأتي ترجمته إن شاء الله](6)

(4) هذه المرثية ساقطة كذلك من ط وس .
(5) ساقط من ك وم .
(6) ساقط من ك وم .

عبد القادر الطَّلَّيْطْ

ومنهم الفقيه المشارك الخطير، الصدر الشهير، الموقت العدل الحيسوبي الكبير، أبو محمد عبد القادر بن علي الطُّلَّيْط الأنصاري الأندلسي، أحد عدول فاس الموثقين، المشهورين بالضبط والإتقان والتحفظ في الدين. أخذ عنه كبراء فقهاء فاس، كالحافظ أبي زيد بن عبد القادر الفاسي، قال في تأليف عرف فيه بنفسه: ولزمت شيخنا أبا محمد عبد القادر بن علي الطليط الأنصاري الأندلسي في الحساب والتوقيت والتعديل وغير ذلك، فسمعت عليه **روضة الأزهار** للجادري، **ورسالة الربع المجيب** للمارديني، **ورسالة الربع المقنطر** له أيضا، **ورسالة** للأزورقالي، **ومنهاج الطالب** لأبي البناء، وغير ذلك، **كمطمح ابن أبي الرجال**، **وشرحه** لابن قنفوذ، وكتب أخرى اختصرنا ذكرها. ولفظه في الرسوم شاهد لبراعته، ومعرفته لصنعه التوثيق وعدالته. اعتنَى بتقييد وفاة أئمة زمانه، واعترف بعلو مكانته الكافة، وهو من صدور المرضيين عند عدول القضاة، كأبي عبد الله ابن سودة وغيره.

أحمد بن موسَى البَطِّيوِيّ

ومنهم أبو العباس أحمد بن موسَى البطِّيوي [ولم أقف فيه على شيء][7].

من حوادث السنة

بيعة المولَى رشيد بفاس واستيلاؤه على أقاليم الغرب والشمال

ومن حوادث هذه السنة أنه رجع أمير المومنين مولانا الخليفة الرشيد من الغزو الذي فتح فيه الغرب، وهزم فيه رأس الفئة الباغية الخضر غَيْلاَن، في أوائل ربيع الثاني، وكان أمر الشرفاء والعلماء والأعيان أن يكتبوا له البيعة عنهم، فكتبوها له وقرئت بين يديه قبل زوال يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول، ثم خرج في أواخر ربيع الثاني بعد رجوعه من الغرب إلى مكناسة، ثم قصد آيت وَلاَّل من البربر

(7) ساقط من ك وم. وترك مكانه بياض بمقدار سطرين.

فأخذهم ، ورجع إلى فاس حيث وصله خبر خروج السيد محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي من الدلاء وقصد فاسا ونزل بقرب أبي مَزُّورَة الذي على أحد الأنهار المادِّين لوادي فاس ، فتقاتلا قتالا خفيفا نحو ثلاثة أيام ثم رجع محمد الحاج إلى الدلاء . ثم خرج مولانا الرشيد حادي عشر رجب إلى تازا ، فنزع أميرها وولَّى آخر ، ورجع إلى فاس في شوال . ثم خرج إلى مكناسة الزيتون ، فعزل قائدها وولَّى غيره ورجع إلى فاس . ثم حرك مولانا الرشيد إلى جبل بني زروال وما والاه من الأجبال في يوم السبت ثاني يوم النحر ، فأخذهم وقبض أميرهم الرئيس الشريف إلى فاس ثاني محرم عام ثمانية وسبعين . ثم في صفر سافر إلى غزو تِطَّاوَن وما والاها من البلدان ، فأخذ رئيسهم مع جماعة من الرؤساء البغاة الذين كانوا يظاهرونه ، فسجنهم وبعث بهم إلى فاس ، وفي أوائل ربيع الأول رجع إلى فاس[8] .

(8) لم نشر كذلك في حوادث هذه السنة إلى اختلاف عبارات النسخ ، مكتفين باثبات الأوفي .

العام الثامن من العشرة الثامنة

زين العابدين بن محيي الدين الطبري

فمنهم شيخ الحرم المكي الإمام المتقن الذكي ، ذو النسب المشرق كإشراق الشمس ، والحسب المدرك بالحواس الخمس ، الشيخ زين العابدين بن الشيخ محيي الدين عبد القادر بن محمد الحسيني الطبري رضي الله عنهم ، قال أبو سالم في **فهرسته** : حضرت لديه بمنزله بمكة المشرفة ، وسمعت من لفظه بعض **البخاري** ، **ومسلم** والحديث المسلسل بالأولية وبالمصافحة ، وأجاز لي جميع ما يجوز له روايته عن جميع أشياخه ، وكتب لي ذلك بخطه ، ومن أشياخه والده عن جده إلى جدهم الأعلى المحب الطبري ، ولزين العابدين هذا أختان [تتصل بهما إجازة الشيخ أبي عبد الله المرابط الدلائي عن أبي مهدي الثعالبي ، وتأتي ترجمة كل واحدة منهما ، فأخذ الشيخ الثعالبي عنهما عن السيدة مباركة والسيدة زين الشرف بنتي العلامة عبد القادر بن محمد مكرم المحب الطبري الحسيني ، فأجازتا للشيخ جميع ما يجوز لهما روايته ، ويأتي مزيد بيان له إن شاء الله تعالى][1] انتهى .

عبد السلام بن إبراهيم اللقاني

ومنهم الشيخ العلامة المشارك القوي الإدراك أبو الفرج عبد السلام بن شيخ الإسلام أبي سالم إبراهيم اللقاني ، ولقانة من قرى مصر ، قال صاحب **المطمح** في **فهرسته** : وكان صاحب الترجمة من الموسومين بالذكاء والفضل ، له تآليف عديدة ، فمنها : **شرح قصيدة أبي العباس الجزائري** المشهورة ، **وشرح على جوهرة والده** ، وغير ذلك ، وتوفي عام ثمانية وسبعين وألف ، وأخذ عن والده ، وهو عن جماعة من الأعلام كالشيخ العارف زين العابدين بن شمس الدين أبي المكارم محمد البكري الصديقي الشافعي ، نفعنا الله ببركاته ، وشمس الدين محمد بن شهاب

---

(1) زيادة في **س** و**ط** .

الدين الرملي الشافعي ، ونور الدين علي المقدسي الحنفي ، والشيخ محمد النحرير الحنفي وشهاب الدين أحمد ابن قاسم العبادي الشافعي ، وشيخ الإسلام محمد الخفاجي الشافعي ، وشيخ الإسلام العلامة الفهامة الولي الخاشع الشفوق الرحيم المبتلي بالأمراض والأسقام الشيخ أبي بكر الشنواني الرفاعي ، والشيخ محمد العسيلي ، والشيخ محمد [الجبراتي[2]] والشيخ محمد البهنسي الشافعي نزيل الحرم المكي ، والشيخ عبد الرحمان الشربيني ، والشيخ نور الدين الزيادي ، والشيخ أحمد السنهوري المالكي ، والشيخ طه المالكي ، والشيخ أحمد المغاري ، والشيخ جامع الدميري أخي أبي الفتح الدميري ، والشيخ عبد الباقي البقري ، والعارف بالله الشيخ محمد البنوفري ، والشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمان العلقمي ، والشيخ العلامة الشنشوري شارح **الترتيب** ، والشيخ صالح البلقيني ، والشيخ أبي المحاسن ، والشيخ أحمد الزرقاني ، والشيخ أحمد البلقيني ، والشيخ محمد الترجماني ، والشيخ يحيَى القرافي . وتوفي الشيخ ابراهيم اللقاني في منصرفه من الحج سنة أربعين وألف . انتهَى . وتقدمت ترجمة الشيخ ابراهيم سنة أربعين . قال أبو سالم في **الرحلة** : والشيخ عبد السلام هو وارث علوم أبيه والفذ من أصحابه الذي ليس له شبيه ، إلا أنه قد غلب عليه حب الانفراد والنفور من العباد فمن قائل إن ذلك منه تنسك وزهادة ومن قائل بطالة وملالة ، والصحيح إن شاء الله الأول فلا يدرس إلا في الشهور الثلاثة رجب وتاليبه ، وغالب تدريسه فيها الحديث وما أشبه ذلك ، ومما استفدناه منه أن المؤمن ولو كان عاصيا انما يحضر خروج روحه ملكان أبيضان منيران هينان لينان ، وأنهما يحولان بينه وبين الأسودين وان كان فاسقا انتهَى . وما حكاه عن صاحب الترجمة من حب الانفراد والاقتصار في التدريس على الأشهر الثلاثة ، ظاهر في التنسك والزهد ، لأنهم نصوا على أن الاكثار من حفظ رسوم العلوم الظاهرة فقط يقسي القلب ، أنظر أول **رسائل ابن عباد الكبري** ، ولما قال الإمام ابن عرفة إذا رأيت الطالب في ابتداء أمره مستكثرا من زيارة القبور ومن نظر **رسالة القشيري** فاعلم أنه لا يفلح لانشغاله عن طلب العلم بما لا يجدي شيئا انتهَى ، كتب عليه العارف أبو زيد الفاسي : فيه نظر ، بل ما ذمه أنفع للقلب وفي الآخرة

---

(2) **س وط** الجبرتي .

من التجرد لما ذكره وانما العلم الخشية لله لا تجرد الطلب بل التمادي عليه فيه قسوة . انتهى .

عبد الوهاب بن العربي الفاسي

ومنهم الفقيه الأديب أبو محمد عبد الوهاب بن سيدي العربي الفاسي . قرأ عليه جدنا **الخزرجية** ولم يكملها ، وقرأ عليه أبو زيد بن سيدي عبد القادر الفاسي . قال : ولزمت عمنا أبا الفضل عبد الوهاب بن العربي بن يوسف في **الجرومية والخزرجية** والفرائض والتوقيت والجدول وما يتعلق بذلك من مساحة وغيرها من التعديل . انتهى . وكان صاحب الترجمة من المحققين لعلم العروض . [ومن عجائبه أن جعل أمهات علم العروض كله مرسوما في جدول شرح به **الخزرجية**](3) ومدحه الأستاذ العلامة الشرقي بن أبي بكر الدلائي بقوله :

يا عَابدَ الوهابِ يا مَن به　　غرسُ بناتِ الفكر قد أَوْرقا
سقيتَ أرضَ الشعرِ بعد الظَّمَا　　بجدولٍ زاد بـــه رَوْنــقـــا

وسأل صاحب الترجمة السيد الشرقي المذكور عن الزوال فأجابه بقوله :

هلْ زالتِ الشمسُ أم لا فأقضِين أربي
لازال ظــــــلُّك ممدوداً على الأدب

فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

قد زالتِ الشمسُ لا زالت مكارمُكم　　تُنوِّر الأُفقَ في الدنيا مدَى الحِقبِ
وإن تلكُ الشمسُ غابتْ في مغاربِها　　فشمسكُم في سماءِ الفضلِ لم تَغِبِ
وإن يكُنْ عندَ أُفْقِ الغربِ مطلعُهَا　　فما لنا في سوَى الشرقيّ من أرَبِ

ومن نظم صاحب الترجمة في مدح أهل زاوية الدلاء أولاد أبي بكر قوله(4) :

نَـهـجُ الهدَى في أسـقـامِـه　　لِـمَـن يـروم مَـرامَـهْ
ان تَـبْـغِ نجدا أوْ تهوَى　　عَـرارهُ وثُـمَـامَـهْ
أهـل الـدلا أهـلُ نجدِ　　وأرضُـهـم أرضُ رَامَـهْ

(3) زيادة في **س وط** .
(4) لم ترد هذه القصيدة في **س وط** .

لمَّا ارتقَوْا في المعالِي   وخلَّفوا كلَّ هَامَهْ
واستَتْبَعُوا المجدَ لَمَّا   ألقَى إليهم زِمَامَهْ
وخَيَّمُوا فِي ذُرَاهُ   دونَ الأَنام خِيَامَهْ
جعلتُهم لِزَمَانِي   أجلَّ دِرْعٍ وَلاَمَهْ
وحقُّهم وهُوَ عِنْدِي   أبرُّ كُلِّ قَسَامَهْ
لَهُم على الناس أَنْدَى   من حاتمٍ وابنِ مَامَهْ
وفضلُهم ليس يُحصَى   ولِي على ذا عَلاَمَهْ
مَنْ حلَّ يوما حِماهم   فدهرُه في استقَامَهْ
لا يختشِي مِنْهُ ضَيْماً   ولا يخافُ انتقَامَهْ
وليسَ فِيهم عُيُوبٌ   غيرُ النَّدَى والشَّهَامَهْ
تَخَالُهُم كَالْبُدُور   مكانةً وَوَسَامَهْ
وكالسُّيُوفِ مضَاءً   وحِدَّةً وصَرَامَهْ
وكَالأُسودِ ولَكِنْ   مهابَةً وَزَعَامَهْ
وكَالبُحُورِ ولَكِنْ   سمَاحَةً وضَخَامَهْ
نَوَالُهُمْ كُلَّ آنٍ   يحكِيه صوبُ الغَمَامَهْ
وكيفَ لا وأبوهم   من قد عرفتُم مقامَهْ
قدِ امتطَى الليلَ دهراً   والصبحُ أَمَّ أمامهْ
نُهْيَاكُمُ بِإِمَامٍ   صامَ الزمانَ وَقَامَهْ
قد وجدَ الفضلَ نثراً   فكان هُوَ نِظَامَهْ
أَحرَزَهُ وحَمَاهُ   وَمَا أباحَ اقتسامَهْ
وإذ رآكُم بنيهِ   يَصُنْ لديكُمْ ختَامَهْ
ومن يشابِهْ أباه   فما عليه مَلامَهْ
حُزتمْ مدَى الدهرِ فخراً   ورفعة وفخَامَهْ
لن يبرحَ المجدُ فيكُم   حتَّى تقومَ القيَامَهْ
قد حسد الوقتُ فيكم   ما خلفَه وأمامَهْ

كـــأنما الـــدهـــرُ وجـــهٌ   وجـيـلُـكـم فـيـه شَـامَـةْ[5]
حَـتَّـى غـدا الشـامُ قـالٍ   مـــروانَـــه وهشـــامَـــهْ
خـــريـــدةٌ من مُـــحِـبٍّ   أهــدت إلـيـكُـمْ سلامَـهْ
قـد صـانَـهـا عن سـواكـم   محبـــةً وكـــرامَـــهْ
إن ظَـــفِـــرَتْ بـــقـــبـول   نـــال المحبُّ مـــرامَـــهْ
أَوْلُـوحـــــظـتْ بِسِوَاهُ   فلا أَقـولُ عَـــلَـى مَـــهْ

[وممن أخذ عن صاحب الترجمة حفيد عمه الحافظ أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي. قال في **تأليف** عرف فيه بنفسه : ولازَمتُ عمنا أبا الفضل عبد الوهاب بن العربي بن يُوسف في **الأجرومية والخزرجية** والحساب والفرائض والتوقيت والجدول وما يتعلق بذلك من مسَاحة وغيرها من التعاليم. انتهَى. وممن قرأ على صاحب الترجمة سيدنا الجد رحمه الله، سمع عليه بعضا من **الخزرجية**][6].

وتوفي صَاحب الترجمة بكرة يوم الجمعة خامس المحرم سنة ثمان وتسعين ألف.

عبد العزيز بن أحمد الجزولي

ومنهم الفقيه الخير المسن المُبارك أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الجزولي الأصل وبه عرف. ممن جمع عليه جدنا عبد السلام وشقيقه محمد العربي ابنا الطيب القادري الحسني، **القرآن العظيم**. توفي رحمه الله سابع عشر رجب سنة ثمان وسبعين وألف على الصحيح وقيل تسع وسبعون بعد هذا العام.

(5) سقط بعد هذا بيت من القصيدة نصه من **البدور الضاوية** مخط. خ. ع. رقم د261. ص 172 هو الآتي :

قـد فـاخـر الـغـرب شرقا   حـتَّـى الـعـراق وشـامـه

(6) زيادة في **س وط**.

كروم بن الحاج الشيباني

ومنهم سلطان مراكش وحوزها عبد الكريم المدعو كروم بن الحاج الشيباني ، وخلف ولده أبا بكر .

ومن حوادث العام

محمد بن أحمد الفاسي يتولى الفتوَى بفاس

ففي زوال يوم السبت من ربيع الثاني ولي الفتوَى بفاس العلامة سيدي محمد بن أحمد الفاسي .

خروج مولاي رشيد لحركة الزاوية الدلائية

وفي ضحوة الخميس الثاني عشر من ذي الحجة خرج أمير المومنين الخليفة مولانا الرشيد لحركة الزاوية الدلائية ففتحها واستنزل رئيسها وأهلها وهدمها .

العام التاسع من العشرة الثامنة

محمد بن عبد الله السوسي

فمنهم الإمام العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد الله السوسي ، أصلا ومنشأ ، المكي وفاة . ألف فيه وفي أتباعه الإمام العلامة القدوة المحقق أبو العباس أحمد بن يعقوب الولالي تأليفا سماه **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار** ، وأثنَى فيه على صاحب الترجمة بالانقطاع والتبتل للعبادة ، والتورع عن المخالطة ، والانكفاف عن الشهوات ، والتحري في المطعم . قال : حتَّى إنه وقع له في ابتداء أمره أكل طعام فيه شبهة ، وهو لا يعلم ، فمرض مرضا شديدا ، فسمع هاتفا يقول لآخر : امخضوا الرجل فإنه أكل الشبهة . فرفع في الجو ، فمخض مخض الوطب ، فقاء حتَّى خرج ما في جوفه فعوفي من حينه . وكان تارة يلازم قراءة القرآن وتارة الصلاة على النبي ﷺ حتَّى لا يسمع منه غيرها . وترد عليه الواردات ، وربما ورد عليه وارد يقتضي حركة فيخطر بباله أن الناس ينظرون فيقول : حجارة حجارة ، يكرر ذلك ، وقصده أنهم كالحجارة لا يضرون ولا ينفعون .

قلت : وبه يصح الإخلاص كما قال الفضيل بن عياض : العمل لأن يراك الناس رياء ولأن لا يراك الناس شرك والإخلاص أن يريحك الله منهما . فيصيرون عنده كالحجارة كما قال الشيخ . انتهَى .

وله كرامات منها أنه كان في بعض أسفاره بسوس في وجهة ، فخرج عليهم جماعة من اللصوص ، فلما علم أنهم يريدون قطع الطريق صاح عليهم باسم الجلالة الله ، فسقطوا عن آخرهم . فمر الشيخ حتَّى وصل القرية فأرسل مؤذنها إليهم أن يصيح عليهم باسم الجلالة الله ، ففعل ، فقاموا . وظهر على يده أنواع من الكرامات كإبراء المرضَى وتكثير الطعام وغير ذلك . ودخل الزاوية الدلائية ، وتبرك به أميرها أبو عبد الله محمد الحاج ومن بها من الرؤساء والعلماء . ودخل الصومعة من تادلا

فرحب به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي وتعرض له أهلها وعظموه [وأخذ طائفة منهم عنه][1] وكان لا يأمر إلا بالتوبة والزهد . وكرر عليه السؤال بعض آل البيت وألح عليه عمن أخذ ، ولا يستطيع ذلك منه إلا رجل من آل البيت لكثرة محبته لهم ، فقال له : سألت عن أمر عظيم ، ثم مد يده وقال : هذه يد عمر بن الخطاب . وصرح بأن مدده من النبي ﷺ مباشرة . وحكي مثل هذا عن جماعة من الصالحين . فعن الشيخ أبي بكر هواري أنه لما تاب وقف عليه النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال له أنا نبيك وهذا شيخك . ومثل هذا كثير في أخبار الصالحين . وكان يقول : إني أرَى الأدب مع الله تعالى تعظيم من ولاّه من الملوك بما لا يخالف الشرع . وكان يقول : بعثني الله لأسقي حيا وميتا . قال أبو العباس الولالي : وهذا المعنَى ، أعني المدد في الحياة وبعد الممات ، أخبر أهل البصائر أنه لم يثبت إلا للأفراد من الأولياء مثل أبي يعزى وأبي مدين وأبي العباس السبتي والجيلالي رضي الله عنهم . وكان صاحب الترجمة شديد المحبة في آل البيت ، فكان الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغثي ورد عليه يوما مع بعض آل البيت ، فلما وصلوا الباب اقتحم الشيخ ابن سعيد الدخول قبل الشريف دلالة على الشيخ وحبا فيه ، فلما رأى ذلك الشيخ صاحب الترجمة تغيظ على الشيخ ابن سعيد من عدم تقديمه الشريف ورأى أن ذلك سوء أدب ، وكانت عادته لا يرَى واحدا من آل البيت إلا قام إليه وقبله ، فأفضَى به التغيظ على الشيخ ابن سعيد أن ضربه بصفح يده ، وقال له : قم عني . فقام فزعا ، واتفق اطفاء المصباح حينئذ ، فأحس ابن سعيد من نفسه بالسلب ، على ما أخبر به عن نفسه ، وبكَى إذ لم يجد من نفسه حراكا دبيا . فخرج حتَّى خرج ذلك الشريف وأتَى به شفيعا للشيخ ، وقدمه إليه باكيا ، فأصابت الشيخ رضي الله عنه الشفقة عليه وأدركته عليه الرحمة ، فقربه إليه وضربه ضربة أخرَى عاد إليه بفضل الله تعالى بها ما فقده بالضربة الأولى وزيادة عظيمة من المدد لم يكن يعتادها الشيخ ابن سعيد ، فقال له الشيخ : هكذا أردتك أن تتأدب مع أهل البيت ، فقام الشيخ ابن سعيد إلى المصباح حالفا أن لا يوقده غيره ، فأوقده على كبر سنه ،

(1) سقط من س وط .

فوجد لذلك بركة عظيمة . فمن يومئذ صار يتأدب مع الشيخ تأدبا عظيما ولا يتكل على المحبة في سقوط الأدب . ولا يدخل على الشيخ رضي الله عنه ومع واحد من أهل البيت إلا وقدمه إليه .

ومن رفيع كلامه أنه استشاره الشيخ ابن عبد الرحمان الصومعي في أمور من جملتها أن **بداية الهداية** للغزالي تركت بيده ولم يدر ربها . فكتب له بعض أصحاب الشيخ عن إذنه وإملائه كلاما رفيعا منه قوله : أما **بداية الهداية** فاذهب بها ولا تتركها لأحد . وأما الأوراق فادفعها لربها وهو فلان . واعلم بأن المراد منك مراده منك لا مرادك منك ولا مرادك منه . وهذا كلام رفيع . ولما أجمع صاحب الترجمة على الخروج من المغرب قال للشيخ ابن سعيد : اني أرَى من الأدب أن لا أخرج من المغرب حتَّى أودع الصحابة الكائنين به وهم الرجال السبعة الكائنين بحاحه الذين ذكر بعض العلماء أنهم قدموا على رسول الله ﷺ في حياته وكلمهم بلغتهم . فمن أجل هذا كان الشيخ ابن سعيد يجزم بصحبتهم ويقول : هذا الآجل نعرف أنه من كبراء أهل البصائر . وما يقوله أهل البصائر يجب الرجوع إليه لأن علمهم بنور إلهي لا يعتريه غلط . ولا يلتفت إلى ما يقوله بعض أهل الظاهر من العلماء وهو أن العادة تبعد صحبتهم لأن ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله لو كان . فلو وقع لشاع بين أهل الأثر . انتهَى .

وكانت بين أولاد الشيخ أبي يعزَى رضي الله عنه فتنة عظيمة أفضت إلى قتال بينهم فأرشدهم إلى الصلح ووعظهم فنفعهم الله بذلك واصطلحوا وتساقطوا الدماء والأموال وكل حق . فألف الله بينهم ببركته . وكان يوصي بكتب السير ويرجحها على كتب التصوف . قال : لأن فيها سيرة الصحابة وكتب التصوف فيها سيرة الأولياء . وشتان ما بينهما . وكان يقول : المعلم إذا قرر مسألة وقف حتَّى يعرضها على نفسه فان تخلق بها حمد الله على العلم والتخلق . وإلا تاب وتخلق بها فيحمد الله على الأمرين . حتَّى يصير الإنسان حامدا لله تعالى على كل مسألة . قال فبهذا يكون العلم علما نافعا وإلا كان حرفة لصاحبه والعياذ بالله .

وأخذ عن صاحب الترجمة وانتفع به جماعة من أصحابه منهم الشيخ العلامة

أبو العباس أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي ، وكان تظهر عليه أنوار وبركات ، ومنهم الفقيه الدراكة الشيخ يحيى الهشتوكي كان عالما مشاركا دراكا له إدراك حسن في تحقيق **الكبرى** للشيخ السنوسي ، توفي بالشام رحمه الله ، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن سعيد السوسي المرغثي وتأتي ترجمته إن شاء الله ، ومنهم الشريف العالم محمد بن عبد الهادي من ذرية القطب مولاي عبد السلام بن مشيش كان مجاورا بالحرم وبه لقي الشيخ صاحب الترجمة ، ولقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن الحاج الفاسي زمن رحلته للحجاز بقصد الحج وأثنى عليه ، ورجع للمغرب الشريف العلمي فبقي بجوار جده ابن مشيش منقطعا للعبادة ، وكان له تلامذة قليلون ثم استشفع له بعض الشرفاء أن ينتقل إلى مدشر هناك ورغبوا إليه في ذلك تبركا به فانتقل ومات به ، ومنهم العلامة الدراكة سيدي علي العكاري برباط سلا وكان من المتبركين به ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي وستأتي ترجمته إن شاء الله ، ومنهم العلامة سيدي الطيب بن المسناوي الدلائي وتقدمت ترجمته قريبا ، إلى غير ذلك من المشائخ ذكر منهم أبو العباس الولالي جماعة ، وعنه ذكرنا هؤلاء ، ولم أترجم الا لمن وقفت على وفاته منهم اكتفاء بما ذكرنا هنا .

وتأتي جملة من كلام صاحب الترجمة ووصاياه في ترجمة سيدي أحمد عام ثمانية وعشرين ومائة وألف . وكان أمرهم صاحب الترجمة حيث اشتد به مرضه أن يحجوه فأحرم ووقفوا بعرفات به فمات بعد التحلل الأول سنة تسع وسبعين وألف في داره بمكة المشرفة التي كان وهبها له بعض التجار بعد أن تزوج بها وترك زوجته حاملا فولدت ، وقد مات من ولدت ثم ماتت رحم الله الجميع .

أحمد بن عبد الرحمان المرابط

ومنهم الشيخ الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن محمد المرابط بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني الأصل الفاسي الدار والمولد ، وتقدمت ترجمة بعض آبائه المذكورين . قال صاحب **المطمح** في **فهرسته** : كان رحمه الله من العلماء الأعلام . خيرا دينا عارفا بالنحو والفقه أتم معرفة ، مشاركا في غيرهما . توفي رحمه الله فجأة سنة تسع وسبعين وألف وأخذ عن

جماعة من الأعلام كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي ، وعمه أبي عبد الله محمد العربي الفاسي ، وعن عمه أي صاحب الترجمة الفقيه المفتي الخطيب أبي العباس أحمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال المتوفَى سنة ثمان وأربعين وألف .

موسَى العجان

ومنهم الأستاذ المحقق سيدي موسَى العجان ، به عرف ، المالكي ، ممن أخذ عنه العلامة الورع سيدي العربي الفشتالي . كان ملجأ للطلبة ، توفي ثامن عشر شعبان .

محمد الشاطبي

ومنهم الفقيه المشارك الأستاذ سيدي محمد الشاطبي ، توفي تاسع شعبان ودفن بباب الجيسة بقرب ضريح الأستاذ سيدي محمد بن محمد البوعناني .

من حوادث السنة

أخذ الزاوية الدلائية من طرف المولى الرشيد

ومن حوادث هذه السنة[2] أخذ الزاوية الدلائية . قال الشيخ أبو علي اليوسي في **محاضراته**: كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي قد ملك المغرب سنين عديدة واتسع هو وأولاده وإخوته وبنو عمه في الدنيا . فلما قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم وذلك أوائل المحرم الحرام فاتح سنة تسع وسبعين وألف ، فدخلنا عليه ، وكان لم يحضر في المعركة لعجزه من كبر سنه ، فإذا بالفل يدخلون ، فدخل عليه أولاده وإخوته ، وأظهروا جزعا شديدا وضيقا عظيما ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ما هذا ! ، إن قال لكم حسبكم فحسبكم . يريد الله تعالى . وهذا كلام عجيب ، وإليه يساق الحديث والمعنَى : **ان قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين .**

---

(2) مختصرة في **س** وط .

انتهى المراد منه . فكان أخذ الزاوية يوم الاثنين ثامن المحرم . ومن لطف الله بأهل الزاوية فيما سبق لهم في علمه ببركة جدهم ومحبتهم في أهل البيت أنه لما دخل عليهم مولانا الرشيد حلم عليهم حلما عظيما ، فما أسال منهم من دمائهم قطرة ، ولا كشف لهم عورة ، وربما مد بعض الظلمة يده فانتقم منه أشد الانتقام .

استيلاؤه على مراكش

ثم بعد فراغ المولى الرشيد من الاستيلاء على الزاوية وتخريبها وإخراج أهلها منها واستيلائه على أعمالها قصد مراكش فخرج إليها من الدلاء ، ولقيه أميرها أبو بكر بن عبد الكريم الشباني بجموعه في حوزها . [فهزمه مولانا الرشيد وقبض على الرئيس عبد الكريم المذكور ونزل على مدينة مراكش فخرج إليه أهلها تائبين وأمامهم الشرفاء والعلماء وأطفال المحاضر ، فسامحهم وعفا عنهم وبايعوه ، فدخلها وقتل رئيسها أبا بكر بن عبد الكريم الشباني المذكور مع جماعة من قرابته وحزبه وشيعته ، وأخرج والده من قبره وأحرقه بالنار ، وذلك ثامن وعشرين صفر ، وأقام بها نحو شهر لتمهيد بلادها وحوزها وأعمالها][3] .

اخراج مولاي محمد الثائر من تافيلالت

ثم سار إلى تافيلالت لإخراج أميرها القائم عليه ابن أخيه الإمام مولاي محمد بن أمير المومنين مولاي محمد بن ابن السلطان الامام مولاي الشريف الحسني فأخرجه من تافيلالت هو وأتباعه ، بعد أن أمنه ، وسامحه ولم يلحقه من المولى الرشيد هو ولا أتباعه سوء .

خروج السلطان إلى الخضر غيلان

ثم كان رجوع مولانا الرشيد إلى فاس من حركته هذه يوم الجمعة سابع وعشرين من ربيع الثاني ثم سار إلى رئيس الساحل **الخضر أغيلان** المتحصن بمدينة

(3) سقط ما بين معقفين من **س** **وط** .

أصيلا . فهرب أغيلان في البحر إلى الجزائر وتخلّى عن البلاد .

عزل وتوليات بفاس

ثم رجع إلى فاس فعزل قاضيها المزوار والمفتي الخطيب بجامع القرويين سيدي محمد بن أحمد الفاسي في زوال يوم الأربعاء تاسع وعشرين جمادي الثانية وولي محمد المجاطي القضاء يوم الجمعة بعد الزوال ، والفقيه سيدي محمد البوعناني خطبة القرويين .

تمهيـد الشاويـة

ثم رجع المولى الرشيد لغزو الشاوية عصر يوم السبت سابع عشر ، فغزاهم وهزمهم ، وفتح بلادهم ، وكف إذايتهم عمن جاورهم .

٦

اخراج الدلائيين من فاس ثم إرجاعهم

فهدمت البلاد وتهنوا العباد (كذا)، ورجع إلى فاس سابع رمضان. ثم أمر بإخراج أهل الزاوية من فاس ، فأخرج بعضهم إلى ضريح سيدي علي بن حرازم وترك بعضهم بفاس ، ثم في آخر العام سمح لمن أخرج منهم إلى ضريح سيدي علي بن حرازم وردهم إلى فاس جميعا .

إخضاع آيت عياش

وفي ظهر يوم السبت سابع عشر ذي الحجة خرج مولانا الرشيد لحركة آيت عياش ، فغزاهم ، ورجعوا عن الخروج عليه فسامحهم ورجع إلى فاس .

تبـديـل السكـة

وفي ثاني وعشرين من ذي الحجة أمر مولانا الرشيد بتبديل السكة وتصفيتها عما كانت عليه من التنحس ، فضربت الدراهم في غاية الصفاء والجودة وكذلك الدنانير ، فكان في الدرهم اثنا عشر أوقية في المثقال بالوزن ، وأمر أن يكتب عليها

في أحد الوجهين : الله ربنا والرشيد إمامْنا ، وفي الوجه الآخر : موضع ضربه وتاريخ عامه .

سلف للتجار وبناء قنطرة سبو

ثم سلف للتجار منها اثنين وخمسين ألف مثقال ، مدة من عام حتَّى كثرت الدراهم . ثم أمرهم أن يؤدوها إلى عامله بفاس ليبني بها قنطرة سبو . فأخذ في أهبة بنائها يوم السبت رابع عشر ذي القعدة فبنيت في غاية الإتقان .

العام العاشر من العشرة الثامنة

أحمد بن محمد التجموعتي

فمنهم العالم الفاضل المحقق أبو العباس أحمد بن محمد التجموعتي الفلالي ، قال الامام أبو علي اليوسي في **فهرسته** : قرأت عليه جملة من **مورد الظمآن** ، وجملة من **المختصر** ومن **القرآن** وله تحقيق وفصاحة انتهى . توفي يوم الاثنين تاسع ذي القعدة عام ثمانين وألف رحمه الله .

ابراهيم بن عبد القادر الزرهوني

ومنهم الفقيه كاتب الدولة الرشيدية أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الزرهوني . توفي عشية الاثنين سابع عشر شعبان ، وتأتي ترجمة ولده الفقيه البليغ الناثر أبو الربيع سليمان .

محمد الرابح

ومنهم الفقيه سيدي محمد الرابح[1] توفي بتازة يوم الجمعة ثالث محرم .

عائشة العدوية

ومنهم البهلولة المباركة الولية السيدة عائشة العدوية ذات الحرم الشهير بمكناسة الزيتون . كانت بهلولة مستغرقة هائمة غائبة في النبي ﷺ . شاعت بذلك أخبارها وسطعت للأنام أنوارها . ظهرت لها كرامات شهيرة وخوارق . ولها أتباع كثيرون وقدر كبير ، توفيت في ربيع الأول سنة ثمانين وألف ، وقبرها بمكناسة الزيتون يزار ويتبرك به .

---

(1) لم ترد ترجمته في **س** وط .

عبد الواحد بن إدريس الطَّاهري الجوطي

ومنهم الفاضل العلامة المشارك المتفنن أبو محمد عبد الواحد بن السيد أبي العلاء إدريس الطاهري الجوطي الحسني. قال الإمام سيدي العربي بن أحمد الفشتالي: وكان مصاب هذا الفاضل كلما عظيما لكونه جمع فيه ما افترق. توفي بمراكش يوم الاثنين خامس عشر من ربيع الثاني سنة ثمانين وألف، وقدم به لفاس في تابوت يوم الجمعة سادس جمادي الثانية من العام المؤرخ به، ودفن بتابوته قريبا من قبر سيدي أحمد بن علي السوسي[2]. وكانت موته في حياة أبيه [ولم يعقب: قاله في **الدر السني**][3].

عيسَى بن محمد الثعالبي

ومنهم الشيخ الإمام، نخبة الفضلاء، وواسطة عقد النبلاء، حسنة الليالي والأيام، وواحد العلماء الأعلام، سيدي أبو مهدي عيسَى بن محمد الثعالبي الجعفري[4]؛ بهذا وصفه أبو سالم في **فهرسته**، وقال في **رحلته**: وأخبرني الشيخ الرواية أبو مهدي، يعني صاحب الترجمة، عن بعض أكابر مشايخه أنه كان يقول: إن للقصائد، خصوصا إذا كانت عن حضور قلب، أثرا عظيما في تفريج الكربات ونيل الرغبات أعظم من أثر الأوفاق والدعوات وتزيينها في الخلوات، وقد جرب ذلك فظهر صدقه، ولا يبعد أن يكون لترتيب الألفاظ على وزن مخصوص ينشرح معه الصدر للتضرع واللجأ إلى الله، ويقوى معها الرجاء في حصول المطلوب. قال: وأغرب من ذلك ما رأيته في بعض التقاييد بعد قول الشاعر:

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى أَزورُها   أرَى الأرضَ تُطْوَى لي ويدْنُو بعيدُها
من الخفَرَاتِ البيضِ وَدَّ جليسُها   إذا ما انقضتْ أُحْدوثَةٌ لَوْ تُعِيدُها

قال ابن عريس رحمه الله: إن هذا الشعر ما قيل في طريق إلا سهلت، ولا

---

(2) (وقبر أحمد بن علي السوسي في روضة الشرفاء الطاهريين رهط صاحب الترجمة الكائنة بالكغاطين، باب الحمراء، من عدوة فاس الأندلس). 1 ــ طرة في ك وم.

(3) سقط من **س وط**.

(4) ترجمة الثعالبي غير واردة في ک وم.

مكان مخيف إلا أمن فيه ، ولا مجاعة إلا وحصل الشبع ، ولا معطشة إلا وحصل الري ، وذلك لخاصية في حروفه ، وهي مما سمع من كلام العرب .

قال ومن هذا المهيع أن هذا الشعر الآتي ما قيل ثلاث مرات في ضيقة إلا فرج الله عن قائله وهو :

كَمْ حَاصَرَتْنِي شِدَّةٌ بجيشِها   وضاقَ صَدْري مِنْ لِقَاهَا وَٱنْزَعَج
حَتَّى إذا أَيِسْتُ مِنْ زَوَالِهَا   جَاءَتْ لَهَا ٱلْأَلْطَافُ تَسْعَى بِٱلْفَرَج

قال : وما ذكر من الخاصية في ترتيب الحروف قد ذكر نحوه بعض أهل الطريق في توجيه كون بعض الأذكار يعزَى إليها من الخواص ما ليس لغيره من اشتماله على ما فيه وزيادة ، والله أعلم .

ثم قال : وظفرت في بعض التقاييد بسر من أسرار أسماء الله الحسنَى ، وذلك اسمه تعالى الكافي الغني الفتاح الرزاق ، ومن لازم ذكر هذه الأسماء وهو يتمنَّى شيئا حصل له بفضل الله . انتهَى كلام أبي سالم في **رحلته** .

وقال أيضا في **فهرسته** : لقيته ، أعني صاحب الترجمة ، أول رحلتي ، وذاكرته ، ولم آخذ عنه شيئا ، ثم لقيته بعد ذلك بأعوام في الوجهة الثانيه بمصر ، وقرأت عليه ، واستفدت منه كثيرا ، وشاركته في كثير من مشايخه ، وسمعت منه بعض **مسند** ابن حنبل ، وأجاز لي بجميع مروياته عن جميع أشياخه ، وكتب لي بذلك بخطه ، ومن أشياخه ، سوَى من شاركته فيه ، سيدي أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري دفين الجزائر ، ومنهم سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري وهو يروي عن سيدي سعيد المقري وغيره ، ومنهم الولي الصالح سيدي عبد الرحمان بن محمد الهواري وهو يروي عن الشيخ خالد المكي عن الشيخ سالم السنهوري ، ومنهم الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الزمزمي المكي وهو يروي عن والده عن زكرياء ، ومنهم الشيخ علي بن الجمال الشافعي نزيل مكة المشرفة يروي عن العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر القرشي الزبيري الشافعي إمام المحراب الشريف بالروضة المطهرة رضي الله عنهم . وشيخنا أبو مهدي هذا استوطن الآن أرض الحجاز يتردد بين الحرمين ، وله في قلوب أهلها محبة واجلال ، نفعنا الله به آمين . انتهَى كلامه في **فهرسته** .

توفي صاحب الترجمة رابع وعشرين من رجب عام ثمانين وألف على ما في **فهرسة** الشيخ سيدي الطيب الفاسي .

عبد الله بن موسَى المطرفي

ومنهم الفقيه الأجل الصوفي الناسك الخير الدين سيدي عبد الله بن موسَى المطرفي . توفي سحر يوم الأحد تاسع عشر رمضان عام ثمانين وألف . ودفن بروضة الولي الصالح سيدي مسعود الدراوي . وكان رجلا خيرا مشتغلا بما يعنيه في هذا الزمان الصعب . وهو من أصحاب سيدي محمد بن أبي شامة ، وأدرك الناس كثيرا . وكان شيخنا سيدي محمد بن مبارك يخبرنا عنه بأخبار يفهم منها صلاحه . وتكلمت مع سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في شأنه فقال لي : سيدي محمد بن مبارك لا يشك ، بالبناء للفاعل ، في صلاح سيدي عبد الله . وقرأت معه شطر ختمة من **القرآن** ، **وكان يدعو لي بخير . وأوصاني بشيء . وتكلمت معه يوما ، فيما أظن ، على الوعظ فقال لي : قال سيدي فلان عند موته حيث قيل له أوصنا : أوصيكم بما أوصَى الله به الأولين والآخرين : وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ** . انتهَى من خط سيدي العربي الفشتالي .

محمد بن عبد الرحمان الحناوي

ومنهم الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الحناوي ، توفي إثر صلاة الجمعة سادس عشر رمضان سنة ثمانين وألف . قال سيدي العربي الفشتالي : وكان هذا الرجل من أحسن أهل زمانه عشرة وأطيبهم أخلاقا رحمه الله . ودفن من الغد . انتهَى .

إبراهيم بن محمد الميموني

ومنهم الفقيه المعقولي البياني المحدث إبراهيم بن محمد الميموني المصري الشافعي ، أخذ عن والده شمس الدين وعدة شيوخ . من تآليفه كتاب **تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام** . [وسمع عليه أبو سالم جملة من **جامع الترمدي** ، وطرفا من

صحيح البخاري ، ومن **صحيح البخاري** ، ومن **صحيح مسلم والشفاء والمواهب وثلاثيات البخاري وعشاريات ابن حجر وثنائيات الموطأ** . والمسلسل بالمصافحة من مسلسلات ابن الجزري ، والمسلسل بالأولية ، وأجازه عن أشياخه منهم والده الشيخ محمد الميموني ، والشيخ محمد الرملي ، والشيخ أحمد السنهوري ، وأخوه الشيخ سالم ، وأبو بكر الشنواني ، والشيخ محمد الخفاجي والد الشهاب ، وأحمد الشرابيني ، والشبراوي ، والشيخ عثمان الغفري ، والشيخ طه الميناوي ، والشيخ نور الدين الزيادي ، كلهم عن محمد بدر الدين الغيطي][5]

من حوادث السنة

بناء قنطرة سبو

ومن حوادث هذه السنة ، في يوم الأحد جمادي عشر ربيع الثاني بدئ ببناء أساس قنطرة سبو ، وفي خامس عشر جمادي الثانية بدئ بالبناء فيها بالأجر.

خروج المولى الرشيد لحركة الأبيض

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب خرج المولى الرشيد لحركة الأبيض ، ورجع يوم الخميس ثامن رمضان . ومات أولاد أخي الأبيض من الغد ، قبضهم هنالك وقتلوا بعد وصولهم لتازا .

مرض السلطان وتسريح المساجين

ثم مرض أمير المومنين مولانا الرشيد مرضا شديدا أشرف فيه على الهلاك ، وأمر بإخراج جميع من كان في السجن يوم السبت السابع عشر ، ومن الغد شفاه الله فبرئ .

(5) زيادة في س وط .

عرس المولى إسماعيل

وفي يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة عمل عرس مولانا اسماعيل

بناء قنطرة الرصيف

وفي شوال أمر ببناء قنطرة الرصيف.

العشرة التاسعة من القرن الحادي عشر
«العام الأول منها»

إدريس بن محمد الطاهري الجوطي

فمنهم الشريف الوجيه أبو العلاء إدريس بن محمد الطاهري الجوطي الحسني. وتقدمت ترجمة ولده أبي محمد عبد الواحد. [توفي رحمه الله في السابع والعشرين من رجب سنة إحدَى وثمانين وألف][1].

من حـوادث السنـة

خروج المولى الرشيد إلى حركة سوس

ومن حوادث هذه السنة خرج أمير المومنين المولى الرشيد إلى حركة سوس فلقيه جموعهم مع رئيسهم الأمير المرابط سيدي علي بن حسون بودميعة من عقب سيدي أحمد بن موسَى، فهزمهم المولى الرشيد وحاصر مدينة تارودانت، وفتحها رابع صفر.

وهي مدينة في أقصَى سوس بها أنهار جارية وبساتين مشتبكة وفواكه مختلفة وأسعارها رخيصة والطريق منها إلى أغمات وريكة في أسفل جبل ليس في الأرض مثله إلا القليل في العلو وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والفواكه. وبأعلى هذا الجبل أكثر من [عشرين][2] حصنا، وقلعة بها حصن منيع هو عمارة محمد بن تومرت ملك المغرب. إذا أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الدنيا حفظوه [لحصانته][3].

(1) سقط من س وط.
(2) ك : سبعين
(3) س وط : لمنعته.

قتال هشتوكة وأهل الساحل وأخذ ايليغ

وفي يوم الحادي عشر من صفر أخذ هشتوكة وقتل منهم نحو ألف ونصف فيما قيل ثم أخذ أهل الساحل ومات منهم أزيد من أربعة آلاف على ما قيل يوم الأحد خامس عشر [رجب](4) ، وفي مهل ربيع الأول أخذ إيليغ دار ملك سيدي علي بن حسون ، ومات منهم بسفح الجبل نحو ألفين على ما قيل .

قتل أولاد جامع بفاس

وفي سابع ربيع الأول قتل خليفته بفاس نحو ستين من أولاد جامع ، وعلقوا بالبرج الجديد لأجل قطع الطريق .

خروج سكة الفلوس المدورة

وفي جمادي الأخير خرجت سكة الفلوس الجديدة المدورة ، وجعل أربعة وعشرين في الموزونة الرشيدية ، بعد أن كان في كل موزونة ثمانية وأربعون ، وبطلت الفلوس الأشقوبية المربعة .

وفي يوم الاثنين ثالث رجب رجع مولانا الرشيد من حركة سوس .

بناء مدرسة الشراطين وقصبة عرصة ابن صالح

وفي أوائل شعبان ابتدأ بناء المدرسة بدار عزوز من الشراطين ، وفي أواسط شعبان أمر ببناء قصبة بعرصة ابن صالح وديار لمئونة والدكاكين [وأمر قواده ببناء الدور فيها وأمر شراقة ببناء قصبة الخميس](5) وأعطَى ألف مثقال لبناء سورها .

وفي رابع رمضان خرج لزيارة سيدي أبي يعزَى نفعنا الله به ، ثم سار منه إلى سلا يوم الجمعة ثاني عشر منه ، ثم رجع لفاس عشية الأحد ثامن وعشرين من رمضان المعظم .

---

(4) **س وط** : صفر

(5) زيادة في **س وط** .

العام الثاني من العشرة التاسعة

السلطـان الرشيد العلوي

فمنهم مولانا الإمام المظفر الهمام أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين المولى الرشيد بن السلطان مولانا الشريف العلوي الحسني السجلماسي . وتركت رفيع عمود نسب آبائه ، والثناء على الفضلاء أجداده ، لأنهم ممن لا يحتاج إلى التعريف ، ويقصر عن استقصاء أوصافهم كل مدح وتشريف [قال سيدنا الجد رحمه الله في كتابه **الدر السني** ما نصه بعد كلام : ونهض للخلافة السلطان الأعظم ، والملك الأفخم ، ركن الفخار المشيد ، أبو المكارم مولانا الرشيد ، طيب الله ثراه ، وعمه بعفوه ورحماه ، فظهر أولا ببلاد أنكَاد ، ثم استولَى على تازَى وما والاها ، ثم على الريف وما والاه ، ثم على فاس ، فدخل دار الملك بمدينتها البيضاء ليلة يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة متم سنة ست وسبعين ، واستوطنها . ثم ملك المغرب بأسره قطرا بعد قطر إلى وادي نون من السوس الأقصَى ، وإلى قرب الأغواط من ناحية الجريد . فكان مجددا للملك بالمغرب . انتهَى](1) .

[ولما مر صاحب الترجمة بالموضع المسمى بالشط من الظهراء ، أمر بحفر آبار شتَّى ، وهي تدعَى الآن بآبار السلطان ، فهي مضافة له ، يسقي منها ركب الحجيج في مروره وإيابه ، فهي من مآثره ، تقبل الله منه ، وكان على يده هذا الفتح العظيم ، لضعفة المسلمين بل لجميعهم ، في هذه المدة اليسيرة ، لما جبل عليه من حسن السيرة ، إذ كان من السراة الغطارف ، والأعجوبات في الإقدام بين المراهف ، أحيَى الله به رسوم الدين بعد دروسها ، وأنعم المساكين بعد شدة بوسها . خاض أمواج الأهوال حتَّى أهمدها ، وقام في نيران الفتن حتَّى أخمدها ، فيا لها من نهضة لله ما أحمدها . تدارك الله به المغرب بما فيه من قوي وضعيف ،

(1) زيادة في س وط .

وأغنَى به الوضيع والشريف ، ولا زال بسيرته المباركة كريما فاضلا ، زكي الأخلاق كاملا يتنازل على مقامه الرفيع ، فيجبر خاطر المتخفض والوضيع . ومن شيمه الجليلة ، ومنحه الجزيلة ، مجالسة العلماء وإكرامهم ، ومباسطتهم بين الملا وإعظامهم ، ومع تحمله النهوض بأمر الخلافة حتَّى ألقت إليه زمامها في مدة قليلة ، أبدَى مآثر في مصالح المسلمين جليلة ، كبناء المدرسة التي بحومة الشراطين من فاس ، وأتَى على بنائها من الأساس ، فبالغ في إتقانها صنعا ، وبذل المجهود في إحسانها وضعا ، وتجديد ما اندرس من القنطرة البديعة المعتبرة التي لا يعرف في المغرب مثلها ، وقلما اتفق في معمور الأرض شكلها ، وهو أربع قسي منها ، وهي على نهر سبو على نحو فرسخ من فاس . وذكر الحافظ المقَري في نفح الطيب أن عدد قسي قنطرة نهر قرطبة سبعة عشر قوسا ، سعة كل قوس خمسون شبرا ، وبين كل قوس والقريب منه خمسون شبرا . انتهَى .][2]

[قلت : وعدد قسي قنطرة سبو ثمانية ، وواحد صغير ، والكبير من أقواسها تماثل سعة الواحد من قسي قنطرة قرطبة ، وكذلك الذي بين القوسين منها ، وربما زاد عليه على ما ذكر المقَري ، فهي في الجملة على النصف من قنطرة قرطبة أو أقل أو أزيد بتقريب . ولما أكمل السلطان الرشيد قنطرة سبو بالبناء نقشت فيها أبيات من نظم العلامة القاضي أبي عبد الله المجاصي ومنها :

صَاغَ الخَلِيفَةُ ذا المجَاز   مَلِكُ الحقِيقَةِ لاَ ٱلمَجَاز

فوقع الاعتراض عليه بأن ملك الحقيقة هو الله تعالى لا غيره ، فكيف يطلقه على غيره ؟ وأجيب بأجوبة فمنها أن الحقيقة تنقسم إلى عقلية وشرعية ولغوية وعرفية ، والملك بمعنَى العقلية لا يكون إلا لله وفي غيره مستحيل ، فيحمل على إحدَى الحقائق الباقية ، والأقرب منه حمله على الحقيقة العرفية بمعنَى أنه لا يقال في العرف ملك حقيقة إلا له ، أما باعتبار الحاضرين في زمانه فلا إشكال ، وأما باعتبار من مضي فهي على طريق المبالغة ، وذلك شائع في باب المدح ، والله الموفق][2] .

(2) زيادة في **س** و**ط** .

[ومن مزاياه العظيمة وعطاياه الفخيمة وفطره السليمة أنه كان حيثما دخل بلدا تعهد مساجدها ومدارسها . وسأل عن مجالس إقراء العلماء بها . وعمن يحضرها . وربما حضر مجلسا لبعض الكبراء . فرأينا في بعض **التقاييد** أنه حضر مجلس الشيخ اليوسي . وكان يدخل المساجد بنفسه . ودخل فاسا مرة على حين غفلة من أهلها . فدخل للقرويين . وتلك كانت عادته في دخولها . ثم دخل للمدرسة المصباحية . فتعرض له الإمام سيدي الحسن اليوسي مع فقيه آخر . فأعطَى لكل منهما مائة مثقال . وما اجتمع مع علماء وقته إلا وحض في مجلس اجتماعه معهم على نشر العلم وبثه وإتقانه وتحقيقه وتعظيم طلبته . وقد صادف ذلك كل مرام . وأحيَى الله به نعم الغرب بعد الانعدام . لطلوع شموسه . على حين تغير من وجه الدهر وعبوسه . فجاء المغرب على فترة من ملكه . وأنقده الله به من هلكه . فأقبل الناس على التعلم والتعليم . وعمرت أسواق للعلم قد عفت منذ قديم . ولد رحمه الله عام أربعين وألف][2]

توفي رحمه الله قبل فجر ليلة السبت الحادي عشر من ذي الحجة بمراكش وهو يوم عيد النحر ووصل خبر وفاته لفاس آخر ليلة الأربعاء خامس عشر من ذي الحجة . ودفن بمراكش إلى أن دخل أخوه أمير المومنين مولانا اسماعيل مراكش يوم الجملة ليلة السبت سابع عشر صفر فنقله في تابوت فوصل فاسا ودفن بروضة سيدي علي بن حرازم نفعنا الله بهما . ولما احتضر مولانا الرشيد سمعه بعض أهلنا من الأشراف. ممَّنْ توجه إلى العيد معه يقول : هذا عبدك الرشيد زال ملكه. سبحانك يا من لا يزول ملكه . ثم قال لمن كان حاضرا من الأشراف : والله ما بقي في خاطري إلا مسألة وهي أن بعض الناس لهم حقوق في بيت المال عزمت أن أردها لهم فحضرتني الوفاة قبل أن أردها لهم . ثم تأهب للموت في غاية ما يجب العبد أن يلقَى به ربه . فأكثر من التشهد والرجاء في الله تعالى وتوفي رحمه الله تعالى .

عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن القاضي

ومنهم الأستاذ المجود الكبير إمام القراء وشيخ المغرب الأقصَى الأستاذ الشهير

[الحافظ الحيسوبي][3] أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي . فانه كان من رهط مؤلف **جذوة الاقتباس ودرة الحجال** . فهو مكناسي وتقدم نسبهم في ترجمته . وهو الأرجح عندي . وان كان من رهط القاضي المكناسي فهو يفرني . [وصرح بذلك بعض حفدة صاحب الترجمة بمحضري][4] ومكناسة وبنو يفرن عدهما ابن حزم في قبائل البربر. قال الرشاطي : وقد يقال يفران أي بالياء وإفران أي إسقاطها . وبالياء أكثرهم . انتهَى .

وبنو القاضي بفاس معروفون . وسكنَى صاحب الترجمة كانت برحبة ابن رزوق من عدوة فاس الأندلس . وبعض أولادهم باقون بداره . وبعضهم بالأقواس وبالمخفية وغيرها . وكان لسلفهم علم بالقرآت والحساب والتاريخ والتعديل وغير ذلك . كان صاحب الترجمة أستاذا اماما مجودا بركة هماما . شيخ الجماعة في الإقران بوقته . ومفردا في تحقيقه ونعته . مقرئا حافظا . وحجة محققا لافظا . قرأ على العارف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي الحديث . وسمع منه وحضر مجالس متعددة عليه في غيره . ولد كما في **أزهار البستان** سنة 999 تسع وتسعين وتسعمائة . وتوفي في صبيحة الأربعاء ثاني عشر رمضان سنة اثنين وثمانين وألف . انتهَى . ومن نظمه مستغيثا بالشيخ أبي غالب صاحب الضريح المشهور داخل باب الفتوح . وهو باب الله المفتوح لاستشفاء المسلمين :

جَزِعْنَا من الضُّرِّ العظيمِ الذِي أَلَم ... بـأبـدانِـنـا حـتَّى تحكَّم واحتكَمْ
وجِيئنا إليكم قاصدين ضريحَكم ... وقبرُكم الترياقُ يَشْفِي مِنَ السَّقَمْ
وتُـربـتُـكـم تَشْفِي وَذِكْرُكُمْ دَوَا ... وَعَادَتُكُمْ بُرءُ العَلِيلِ من الأَلَمْ
أغِـثْـنَـا أغِثْنَا قَدْ أَتَيْنَا لِبَابِكُم ... وبابُكُم المعْرُوفُ بالجودِ والْكَرَم[5]

(3) زيادة في **س وط** .
(4) سقط من **س وط** .
(5) [وللإمام العلامة الولي الصالح العارف بالله سيدي رضوان الجنوي رضي الله عنه ونفعنا به آمين :
جزعت من الحديدة عند بابكم ... وفتح للشفا باب [النعم] ؟
فجئت إلى ضريحكم مستغيثا ... وقد عودنا برء السقم
وذكر بعض العارفين أن من أنشد هاذين البيتين عند ضريح سيدي أبي غالب وبه ورم أو قروح شفاه الله عاجلا . انتهَى]. طرة في م .

وله في القرآآت شهرة كبيرة في سائر بلاد المغرب وتقاييد [وكلام][6] أخذ عنه القرآآت من لا يحصَى كثرة من الأعيان وغيرهم . وممن أخذ عنه الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ عبد القادر الفاسي ، قرأ عليه القرآن بالروايات العشر لنافع ، **والشاطبية** بلفظه ، **والكراريس والتفصيل** لابن غازي وأجازه في جميع ذلك ، وتوفي صاحب الترجمة يوم الأربعاء حادي عشر رمضان من العام المذكور ، ودفن بضريح سيدي علي الصنهاجي متصلا به .

محمد الحاج الدلائي

ومنهم الرئيس الامام أبو عبد الله محمد الحاج بن الإمام سيدي محمد ابن الشيخ العارف بالله أبي بكر الدلائي ، وتقدمت ترجمة أبيه وجده والتعريف بنسبه . ولي أمر الغرب ، وقام أهله بدعوته عام واحد وستين في مهل ربيع الثاني منه [وكان أقاربه كارهين لولايته ، ففي ذلك يقول أخوه العلامة سيدي الشاذلي :

بُلينا بِذي نَسبٍ شائكٍ قليلِ الجدا في زمانِ الدَّعَهْ
إذا نابَه الخيرُ لم نَرجُهُ وإنْ ضَعَّفُوه ضَعُفنا مَعَهْ

والنسب بالمهملة القرابة ، وزمان الدعة هو زمان الرخاء ، وإذا كان قليل النفع في زمن الرخاء أحرَى في زمن الشدة ، وكذلك كان الأمر فانهم قاسوا شدائد ومحنا بسبب ولايته وعند زوالها][7] . ثم نهض للخلافة أمير المومنين مولانا الرشيد ، فقام بأمر المسلمين ، فخلص له أمر المغرب كما قدمناه . ولما دخل مولانا الرشيد على محمد الحاج قال له : ما تريد يا سيدي ؟ قال له : الملك . فقال له : الآن هو في محله . فبايعه ودفع له أموالا وذخائر . ثم أمره بالخروج من الدلاء ، فخرج بحريمه وأهله وحشمه وعياله إلى تلمسان ، فأقام بها إلى أن توفي بها عشية يوم الخميس ، ودفن من الغد قريبا من ضريح الشيخ السنوسي ، فكانت مدة ولايته نحو خمسة عشر عاما . وحكَى عنه أبو علي اليوسي في **محاضراته** أمورا فانظرها . وكانت أيامه غير متمحضة للسلم ولا للحرب . والبقاء لله وحده والملك له وحده . **وتلكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بينَ النَّاسِ . والأَرضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . والعاقبةُ للمتَّقِينَ** .

(6) **س وط** : تآليف
(7) زيادة في **س وط** .

من حوادث السنة

بعث خيل للجهاد بطنجة . وخيل إلى سوس

ومن حوادث هذه السنة أن بعث أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين الخليفة مولانا الرشيد خيلا للجهاد نحو طنجة أول صفر . وبعث خيلا [للجهاد][8] بسوس وقائدها عبد الله أعراص . وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر جمادي الأولى .

قيام ابن أخي السلطان بمراكش وحبسه

وسافر لتافراطه للصيد يوم الاثنين قرب الزوال فسمع قيام ابن أخيه بمراكش فرجع ودخل فاسا ضحوة يوم السبت حادي عشر رمضان وخرج من يومه عصرا فلقيه محبوسا بيد خدامه عند فترارة فبعثه إلى تافلالت .

التأهب لحركة سوس واقبال أهلها طائعين

وسار إلى مراكش وبعث قائده زيدان لفاس يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة ليأتي بالجيش ثم أتاه أهل سوس وغيرهم طائعين ولم يبق للحركة موقع بعد أن خرجت الأخبية لوادي فاس .

وفاة الرشيد وانعقاد البيعة لأخيه

[فمكثوا به ينتظرون أمره إلى أن وصلهم خبر وفاته فرجعوا إلى فاس آخر ليلة الأربعاء خامس عشر من ذي الحجة فجر صبح يومه وهو يوم الأربعاء المذكور][9] . وانعقدت البيعة لأخيه الخليفة بعده مولانا أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو النصر المنصور بالله إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف المحمدي الحسني السجلماسي .

---

(8) سقط من س وط .

(9) سقط من س وط .

[ثم في آخر ذي الحجة سمع تحرك والد أخيه مولاي أحمد بن محرز بمراكش فخرج قاصدا له][10] .

(10) سقط من ك وم .

العام الثالث من العشرة التاسعة

قاسم بن الحاج قاسم الخصاصي

فمنهم الشيخ العارف الإمام بحر التوحيد . ومعدن التجريد والتفريد . الواصل المحقق . المقرب المستغرق . أبو الفضل قاسم بن الحاج قاسم الخصاصي الأندلسي . والخصاصي نسبة لخصاصة مدينة على شاطئ البحر بجبل القليعة لا عمارة بها الآن . كان بها سلفه . ثم انتقلوا إلى فاس . والله أعلم أي ذلك كان . وحكي عن صاحب الترجمة أنه قال : نحن من الأندلس . كل هذا في **المقصد**.

قلت : وقد سمعت من بعض أهل تلك الناحية أنه كان لبعض أسلاف صاحب الترجمة سهم في الولاية . وأن هنالك وليا مشهورا عليه قبة يدعَى بسيدي [قاسم][1] الخصاصي . وأنهم يعرفونه من قرابة صاحب الترجمة ينتسبون إليه . قلت ولولا هذا لأمكن أن ينسب لبني خصاصة وهم من العرب اليمانية بقحطان . ثم من بني الصعب بن دهمان كما في **جمهرة** ابن حزم[2] .

قال العلامة المحقق سيدي المهدي بن أحمد الفاسي في **الإلماع** بعد أن وصفه ببعض ما ذكرنا : وكان ، أي صاحب الترجمة ، من شأنه الغالب عليه الغيبة في التوحيد ، والاستغراق في بحر التحقيق . وفي نحو خمسة أيام في كل شهر تصحبه غيبة زائدة لا يعرف بها السماء من الأرض ولا الليل من النهار . انتهَى . ثم قال : ومن أجل قُوَّته وغيبته كانت له ملامات وشطحات ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها ولم يشاركه في حاله . وما يعقلها إلا العالمون . وكانت له الإشارة العالية والهمة السامية . انتهَى .

---

(1) **س وط** : مسعود .

(2) [ومن بني إسرائيل الذين هم باقون على دين اليهود قوم منهم يعرفون بالخصاصيين . وقد أسلم بعضهم واستوطن المدينة المذكورة (بالريف) فنسب إليهم . وكان خلاؤها في أيام السعديين لتحصن بعض بني وطاس بها . وانتقل أهلها عند ذلك إلى فاس] . طرة في م .

وكان فتح له على يد الزاهد سيدي مبارك بن عبابو دفين باب الجيسة ، ثم بعده على يد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، ثم سيدي محمد بن عبد الله معن ، ولقي مشايخ كأبي عبد الله الكومي دفين القليعة داخل فاس الأندلس ، [وأبي الحسن الحيري](3) وأبي عبد الله الدراوي ، وأبي عبد الله حكيم ، وسيدي مسعود الشراط ، وسيدي علي بن داود دفين مرنيسة ، وغيرهم . وكل من ذكرنا تقدمت ترجمته . وتخرج وتربى به وتكمل الإمام العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله . وله كرامات كثيرة ، ومن أراد الشفاء في ذلك فليقف على تقييدنا المسمى **بالزهر الباسم في مناقب سيدي قاسم** ، وقد اشتمل على ثمانية أبواب وهذا القدر كاف فيما أردناه هنا . وقد أفرد جدي في كتابه **المقصد** في التعريف بتلميذه سيدي أحمد ، يعني مُعَن ، بابا عرف بها بصاحب الترجمة وبأشياخه ، فقف عليه .

ولد صاحب الترجمة في حدود اثنين وألف . قال في **الإلماع** : وتوفي نصف ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وألف بموافقة ليلة التاسع والعشرين من دجنبر الأصم عن [نحو إحدَى وثمانين سنة](4) . وكان صاحب الترجمة بجوار شيخه سيدي محمد بن عبد الله خارج باب الفتوح من فاس الأندلس وبنيت عليه قبة . انتهَى . واعلم أن كل من ألف فيه تأليفا منفردا له لم يذكر كل ما وقفت عليه اتكالا على ما ألف فيه . واكتفَى فيه بما يأتي به حال السياق .

من حوادث السنة

توجيه الجيش إلى الأقطار لأخذ البيعة

ومن حوادث هذه السنة أنه لما بويع مولانا إسماعيل في اليوم الذي وصل إلى فاس خبر موت أخيه ، وهو يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وألف ، وجه الجيش لسائر أقطار المغرب يأخذون له العقد والبيعة على سائر القبائل ، والخاص والعام .

(3) سقط من **س وط** .
(4) **س وط** : نحو ثمانين سنة .

خروج السلطان لمراكش وهزم أهلها

ثم وصله بعد بيعته بفاس خبر — وهو أن ولد أخيه مولاي أحمد ابن أخيه مولاي محرز يريد التحرك إلى مراكش يطلب من أهلها أن يبايعوه ويقيموه مقام عمه مولانا الرشيد. ومولاي أحمد هذا كان خليفة عند مولانا الرشيد على سجلماسة والصحراء وتوات ودرعة ومدغرة وأنكاد وما إلى ذلك من البلاد. فلما سمع بذلك المنصور بالله مولانا إسماعيل أسرع في النهوض وخرج إلى مراكش يوم الخميس آخر ذي الحجة متم عام اثنين وألف، فوصلها، وخرج أهلها إلى قتاله، فالتقى الجمعان بها يوم الخميس سادس محرم، فهزم أهلها، وفي غده، وهو يوم الجمعة سامح أهلها ودخلها فبايعوه.

ثم نقل أخاه مولانا الرشيد إلى فاس في تابوت، فوصلها يوم الاثنين سابع صفر، ودفن بروضة سيدي علي بن حرازم.

عزم السلطان على الحركة للصحراء

وفي منسلخ ربيع الأول قدّم مولانا إسماعيل بعض وصفانه ثم دفع المرتب وعزم على الحركة للصحراء وغيرها، وصرح أنه يخرج بعد صلاة الجمعة.

قيام أهل فاس على السلطان واتصالهم بالثائر ابن محرز

فغدر أهل فاس قائد المحلة زيدان بن عبيد المالكي العامري التونسي عند مغرب ليلة الجمعة ثاني جمادى الأولى، واستمر الحرب بينه وبين أهل فاس، ثم بعثوا إلى ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز للصحراء، فأجابهم لذلك، وتوجه نحوهم، فنزل بقرب دبدو على وادي ملوية. فنادوا بنصره في الأسواق وغيرها عند الزوال يوم الخميس موفي عشرين جمادى الثانية.

وفي ليلة الاثنين رابع وعشرين من الشهر قتل أولاد مولاي سليمان الثائر بالسجن على يد مولاي أحمد بن إدريس من شرفاء دار القيطون، وقتل أخوه مولاي محمد الحفيد غدرا، قيل من جانب المقتولين، وقيل خطأ من أصحابه.

وفي مغرب يوم الأحد منسلخ جمادي الثانية خرج عشرة من الخيل للقاء مولاي أحمد بن محرز لتازة ، منهم أولاد [الطويريات](5) وغيرهم بعد ورود رقاصه .

وفي يوم الثلاثاء ثاني رجب أصبح رقاص الخضر غيلان بفاس وأنه وصل تطوان ودخلها مع أولاد النقسيس في بعض السفن من الجزائر .

خروج المولى إسماعيل لقتال ابن محرز بتازا

وخرج المنصور بالله مولانا إسماعيل بجيشه نحو تازة فقصد ولد أخيه مولاي أحمد بن محرز بعد صلاة الجمعة خامس رجب ثم خرج الخيل والرماة من أهل فاس باثره عشية اليوم المذكور لنصر ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز المذكور ، وأسروا في الليل على بني وَرِتْن ثم على غياثة ، فوصلوا إلَى تازة قبل مولانا إسماعيل ، وطال الحرب بينهما بتازة نحو شهر والحرب سجال .

ترك حرب ابن محرز والتوجه إلى غيلان والقضاء عليه

ثم بلغ مولاي إسماعيل أن الخضر غيلان غلب على تطوان وأصيلا والقصر الكبير وأَزْجَنْ وعزم على غزو بلاد ورغة . فلما وصله خبره ترك حرب ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز وسار نحو الغرب . وطال القتال بين مولانا إسماعيل وبين غيلان إلى يوم الأحد عاشر جمادي الأولى سنة أربع وثمانين وألف ، قتل غيلان ، ورجع ما كان قد غلب عليه إلى طاعة مولاي اسماعيل كما كانوا عليه ، فسامحهم .

دخول ابن محرز لفاس والخطبة له بها

وارتحل عنهم إلى فاس لحرب ابن أخيه — ولما كف مولانا اسماعيل عن قتال ابن أخيه مولاي أحمد وسار إلى حرب غيلان سار مولاي أحمد إلى فاس مع من كان معه من أهلها بتازة فدخل مدينة فاس الادريسية وبايعه أهلها وخطب له على منابرها ومضت أوامره وأحكامه بها ، واستوطن دار الملك من فاس المرينية العليا إلى

(5) س وط : الضوريات .

أن غلب عليه عمه مولاي اسماعيل فتخلّى له عنها][6] .

ارتفاع أسعـــار

وبلغ القمح أربعين أوقية للوسق . [على حسب صاع ونصف في مد ذلك الوقت][7] وبلغ الصابون أربع موزونات للرطل . ولم يظهر ، والسمن ثلاث أواق . والزيت كذلك . واللحم لم يؤكل إلا البقري ، ولم يذبح الناس في العيد أضحية وانما كان عيدهم كعيد الفطر ، والنادر ذبح عجلا أو نحوه ، وبلغ ثمن الكبش عشرة مثاقيل فما دون .

حكاية عن صدق أخبار الكشف

حكاية من أخبار الكشف من الصوفية ومصداقهم في ذلك . قال سيدي المهدي الفاسي في **الإلماع** : ولما ثار أهل فاس على مولانا إسماعيل كان سيدي أحمد بن عبد الله يقول لهم : إن أمرهم على غير شريعة وقيامهم غير جائز وأنه سيظفر بهم وإلى يده يرجعون ويكون اللطف ، ولا يُعمل إلا لمن عمل ، ولا يدخلها عنوة بل بصلح ، ولا يكون البلاء عاما . فكان ذلك . وبعد الثورة بشهرين جاء غيلان من الجزائر إلى تطوان وأصيلا وبلاد القصر الكبير ، وجاء مولاي أحمد بن محرز إلى تازة ، فذهب مولاي اسماعيل إلى محاصرة ابن أخيه بتازة ، فبقي هنالك أشهرا . فقال سيدي أحمد لبعض الناس : ان السلطان سيذهب من تازة إلى غيلان ، يسلك الدير فالدير ليقضي حاجة ويأتي ، فعجب الرجل من ذلك لكون الوقت وقت مطر ، إذ لا يمكن للسلطان الالتفات عن تازة ، فإذا بذلك قد وقع في القرب[8] . ولما قرب ابان نزول العافية خرج من البلاد بعد أن أخبر بعض أصحابنا

(6) سقط من **س وط** .

(7) **س وط** : وفي الوسق حينئذ وسق ونصف شرعي .

(8) [ولما قرب ، أي مولاي إسماعيل ، من فاس ، أبان مولانا إسماعيل للناس أنه إنما يريد السماح لهم والعافية ، ولا يعاقب أحدا بما صدر منه . وقوله خرج من البلاد يعني سيدي أحمد بن عبد الله هو الذي خرج من فاس إلى تلامذته من غمارة ليكون ناجيا مما فعل أهل فاس من الثورة . فلما بلغ فاسا مولانا إسماعيل لقيه سيدي أحمد بن عبد الله ، وأعلمه بخروجه من فاس ، فبسبب ذلك عظّم متواه ووقره هو وأتباعه . انتهى والله أعلم]. طرة في **لك وم** .

بأن الأمر قد انقضَى وأن المدينة تفتح بعد خروجه بالغرب . فكان كذلك . فان أهل المدينة ومن له الكلام منهم يوم خروج سيدي أحمد رعبوا ، وفت في أعضادهم ، وسقط في أيديهم ، وجعلوا ينظرون من يجري لهم في العافية والصلح من ذلك اليوم ، والتفتوا إلى ذلك واشتغلوا به إلى أن فتح لهم وحصلت العافية . وكان ذلك عندهم من المحال ، ولا يستطيع من يذكره ، وان ذكره أحد تهددوه وتوعدوه وقعدوا له كل مرصد ، حتّى لا ينجو منهم الا بطول عمره . مع أن كل من يعرف من فقراء المغرب ممن يدّعي ويدعَى فيه الحال واليد مع الله يزعم أن مولاي اسماعيل لا يتولى فاسا ولا يقوم له ملك أبدا . ولما خرج أخبرنا الذين كانوا معه أنه كان مهتمّا بأمر فاس جدا إلى أن أصبح اليوم الذي طلع فيه أهل فاس إلى السلطان ودخلوا يده ، وسيدي أحمد ناء ببعض بلاد سايس ، فذكروا لنا أنه أصبح في بسط عظيم وضحك وسرور قبل أن يأتيهم خبر الصلح والعافية ، فعجبوا من أمره ، ثم أتاهم الخبر بعد ذلك ، وقال لبعض أصحابنا : اني أعطيت المفتاح فوجدت بعض أسنانه معوجة فقومتها وفتحت الباب يعني باب فاس بيدي ، ومن قدر على أن يسده فليفعل .

العام الرابع من العشرة التاسعة

محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي

فمنهم الشيخ الفقيه العلامة المشارك الحافظ القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي ، وتقدمت ترجمة أبيه وجده [فمِمَّن أخذ عنه جدنا وشقيقه العربي . قال صاحب **المطمح** في فهرسته][1] : كان ، أي صاحب الترجمة ، آية من آيات الله في الحفظ ، لا يجاري في ذلك في سائر الفنون ، مع قوة الفهم وحسن العبارة ، ولين الجانب وحسن الأخلاق ، وسرعة الدمعة والاقبال على الصغير والكبير بالبشاشة والإكرام . وولي القضاء بمكناسة الزيتون مدة ، فحمدت فيها سيرته وأحبه أهلها فكأنما أشربت قلوبهم محبته ، ثم استعفَى فأعفي . واستوطن بفاس ، فولي بها الفتوَى وخطبة مسجد القرويين ، ثم أُخر عنها فلازم القراءة والتدريس ، إلى أن توفي عند غروب ليلة المولد النبوي . ودفن ضحوة يوم المولد سنة أربع وثمانين وألف . ولد بفاس سنة ثمان وألف ، وأخذ عن عميه أبي زيد عبد الرحمان وأبي عبد الله محمد العربي والقاضي ابن أبي النعيم وأبي الحسن بن الزبير وأبي محمد بن عاشر ، ويروي بالإجازة عن الشيخ أبي عبد الله القصار ، وقرأ أيضا على الفقيه أبي الحسن علي البطيوي . انتهَى . وتقدمت ترجمة أشياخه المذكورين . وصاحب الترجمة مع الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي قرينان في السن وطلب العلم والأخذ عن المشائخ . وسيدي عبد القادر أسن منه بعام ، وكلاهما في غاية الجلالة .

حمدون بن محمد المـزوار

ومنهم الفقيه العالم الكبير الخطيب القاضي الشهير سيدي حمدون بن محمد المزوار [الزجني من المدينة المعروفة بأزجن قرب وَزَّان][2] . تقدم أنه تولى قضاء

(1) سقط من **س** و**ط** .
(2) زيادة في **س** و**ط** .

فاس وأخر عنه . أخذ عن العلامة أبي العباس سيدي أحمد بن عمران . وابن عاشر والبطيوي وغيرهم . وتقدمت تراجمهم . وكان صاحب الترجمة عامر الأوقات بالتدريس . وله باع في المعاني والبيان وفي التفسير . مدقق النظر في الأبحاث وحل المشكلات [وجل **تقاييده** في النحو والبيان . وتخرج عليه جماعة من أعيان العلماء كأبي العباس بن الحاج . وأبي محمد عبد السلام جسوس . وأبي عبد الله المهدي الفاسي وغيرهم . ولي قضاء فاس الإدريسية . وأُخر عنه . فولي بعده أبو عبد الله المجاصي . وذلك كله أيام مولانا الرشيد بن الشريف الحسني ولد صاحب الترجمة عام أربعة عشر وألف . وتوفي عام أربعة وثمانين وألف . ودفن بظهر سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح من مدينة فاس . وحصل علوما على أئمة فاس كالعلامة أبي محمد عبد الواحد بن عاشر . وأبي العباس بن عمران وغيرهم][3] .

عثمان بن علي اليوسي

ومنهم العالم البارع الفاضل أبو سعيد عثمان بن علي اليوسي من [رهط][4] الإمام أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي . حكَى عنه في **محاضراته** أنه قد مدحه بأبيات منها قوله :

نَفْسِي عشيةَ قيلَ مرَّ أَبُو عَلي   مثلُ الرياحِ إذا تمرُّ بأَثْوُبِ

قرأ صاحب الترجمة على العلامة الرحالة سيدي عبد الله بن محمد أَعْيَّاش . وأجازه في **فهرسته** الموجود فيها ذكر أشياخه وأسانيده ممن لقيه شرقا وغربا . ويوجد مثلها للإمام سيدي أحمد بن سعيد قاضي المدينة البيضاء . واختلفا في محل ذكر المُجاز وفي أشياء أخرى لكنها قليلة . ونص ما أجاز به صاحب الترجمة : هذا وإن الأخ في الله والمحب من أجله . الصدوق في قوله وفعله . ذا الأخلاق التي يلين لها الصخر والكف التي يستحيي من مساجلتها البحر . العالم العلامة . المحقق الفهامة . ذا القريحة الوقادة . التي هي لمحاسن الأخلاق منقادة . أفصح أدباء عصره قلما ولسانا . وأكثرهم في نظمه ونثره إجادة وإحسانا . المشارك في الخصال الجميلة .

(3) سقط من **لك وم** .
(4) **ط وس** : من قبيل .

التارك للأخلاق الرذيلة . الدراكة المتفنن . الناسك المتدين . المستعمل جهده في القيام بوظائف الدين . السالك قدر طاقته مسالك الأئمة المهتدين . سيدي أبي سعيد عثمان بن علي اليوسي . لا زال التوفيق في سائر أحواله يعضده . والأقدار ببلوغ الآمال تسعده . كان ممن طالت صحبته معنا . ووسعه في السراء والضراء ما وسعنا . وانضاف بكليته إلينا . فصار له ما لنا وعليه ما علينا . وامتزج بنا من أيام الصغر إلى أوان الكبر . وخاض معنا في هزل القول وجده . وصوابه وضده . فسمع منا علوما خطيرة . وحضر أبحاثا كثيرة . فمما سمعه بلفظي وحدثته به : **صحيح** الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه من أوله إلى آخره مرارا متعددة . **وشمائل** الترمذي . وبعض **الموطأ** . وكثيرا من **الجامع الصغير** للسيوطي . ومن **المواهب اللدنية** للقسطلاني . ومن **سيرة** أبي الفتح اليعمري . ومن **شرح ألفية** العراقي في السير للمناوي . وبعض **ألفيته في مصطلح الحديث** . وغير ذلك من كتب الحديث . ومن **الألفية** لابن مالك . ونحوا من النصف من **شرح المرادي** عليها . وكذلك من **شرح الأشموني** . وبعض **المحاذي** لابن هشام . **واللامية** لابن مالك . **والخزرجية** . وسمع **المختصر** مرات متعددة . وبعض **التحفة** لابن عاصم . وسمع **الكبرى** للسنوسي . **والمراصد** لشيخ شيوخنا سيدي العربي الفاسي . وبعض **نظم** ابن زكرى . وسمع **المنهاج** للغزالي . **وبداية الهداية** . وبعض **الإحياء** . وبعض **القوت** لأبي طالب المكي . **والحكم** لابن عطاء الله . **والتنوير** له . **ولطائف المنن** . وغير ذلك من كتب التصوف . وسمع **التلخيص** للقزويني . وبعض **المختصر** للسعد عليه مرات متعددة . [وسمع **جمع الجوامع** لابن السبكي . وبعض المحلى عليه مرات متعددة][5] وسمع **ايساغوجي** للبقاعي . **والسلم** للأخضري . وغير ذلك من الكتب في أنواع شتّى من العلوم . وتلقّى مني الذكر . وصاحبني أزمنة كثيرة . ثم إنه أدام الله إرشاده . ووالَى عليه إمداده . طلب مني لصدق نيته وصفاء طويته وإرادته التمسك بأذيال السادات الأئمة . والانتماء بايصال السند إلى أفاضل علماء الأمة . أن أجيزه بجميع ما تحملته . وصحيح ما عن الأئمة تلقيته بأنواع التحمل كلها سماعا ورواية وقراءة ودراية وإجازة ومناولة ووجادة ومناومة ومشابكة ومصافحة

(5) سقط من **س** و**ط** .

[ولباسة ومناصحة][6] ، وعوالي ومسلسلات ، ومجملات ومفصلات ، في سائر العلوم من حديث وفقه وأدب وتفسير وتصوف . فلبيت نداه ، وقابلت بالقبول ما أبداه ، إبراما لعقد محبته ، ووثوقا بخالص طويته ، واغتناما لفرصة إجابته ، لأفوز بخالص دعوته ، وقلت : أجزت الأخ المذكور ، والعلم المشهور ، بجميع ما لي من مقروء ومسموع ، ومفروق ومجموع ، وإجازة ووجادة ، ورحلة ومشيخة وإفادة ، ومروي ومناول ، وغريب ومداول ، من سائر المؤلفات والمجموعات ، والأجزاء الصغار والدواوين الكبار ، والمقطعات والإنشاءات ، والأخبار والوجادات ، والحكايات المفرعة ، والكيفيات المنوعة . وكل ذلك بشرطه المعتبر في محله ، المقرر عند أهله ، وبالأسانيد التي أذكرها إن شاء الله تعالى . انتهَى . ثم ذكر أسانيده ومشايخه كما هو في فهرسته المتداولة .

ونوه بصاحب الترجمة شيخه أبو سالم في **رحلته** ، فذكر له مراسلات ، فمنها قوله له : ومما يوقد نار أشجانكم ، ويثير رياح أحزانكم ، ويكثر به تأسفكم على مرافقتنا وتلهفكم على عدم موافقتنا ، وتقول به : يا ليتني اتخذت معك إلى الرسول سبيلا ، يا ويلتي لم أتخذ فلانا خليلا ، وما أنعم الله به علينا من المشي في ركب قل ما تبصر مثله قوة وكثرة ونجدة ، خال من الأوباش وكثرة من يغدو في لاش ، لا تكاد تسمع فيه صوت خصومه ولا منازعة ، ولا ترَى عينك فيه مراجعة قد اشتمل على أهل البيوتات من الناس وذوي المروءات ، وأهل الحفاظ من تجار وفقهاء ورؤساء العشائر ، وفي الركب نحو من عشرة مؤذنين ، فإذا كان الثلث الأخير من الليل ارتج الركب بأصوات المؤذنين وقراءة القرآن ، فلا شغل هنا إلا مدارسة القرآن ومذاكرة الإخوان في علم الأديان . نختم كل ليلة ختمة من القرآن في خبائنا دون الحزب الراتب . انتهَى المراد منه .

(6) سقط من **س** و**ط** .

من حوادث السنة

انقطاع ماء القرويين

ومن حوادث هذه السنة . انقطاع ماء القرويين وكان انقطع قبله ورجع .

قتل غيلان

وفي يوم الأحد عشرين من جمادي الأولى قتل غيلان المذكور في الحكاية المتقدمة في العام قبله .

دخول مولاي إسماعيل إلى فاس واذعان أهلها

وفي عشية الاثنين سابع عشر أو عشرين من جمادي الثانية نزل مولانا اسماعيل بالحلة والمحلة برأس الماء ودخل فاس الجديد [بعد أن تخلّى له عنها ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز ورجع إلى الصحراء لافتقاره إلى الأموال التي بها يقوم علل الجيوش فعجز عند عدم وجوده عن مقاومة حزب عمه ، ورجع إلى الصحراء . ولما سقط ما أراده أهل فاس بين أيديهم ، وندموا على ما فعلوا ، رغبوا في الطاعة ، فدخلوا أفواجا ، فبايعه أهل فاس المرينية الجديدة ، فدخل مولانا المنصور بالله بفاس الجديد لدار الملك ، واستقر بها ، وترك قتال أهل فاس الإدريسية](7) ، فكانوا يهربون إليه شيئا فشيئا . وفي يوم الاثنين يلي ما قبله طلع فقهاء فاس وشرفاؤها إلى فاس الجديد للصلح مع مولانا إسماعيل ، وفي غده طلع الجميع ، وهو ضحوة يوم الثلاثاء ثالث عشر رجب ، وكانت ثورتهم عليه بين عشاء يوم الخميس أول يوم من جمادي الأولى في العام الذي قبل هذا وهو عام ثلاثة وثمانين كما تقدم ، فكانت مدة الحرب والحصار بين مولانا المنصور بالله إسماعيل وبين أهل فاس سنة كاملة وشهرين [وثمانية وعشرين](8) يوما .

---

(7) سقط من **س وط** .

(8) **س وط** : وثمانية عشر .

عزل البوعناني من خطبة القرويين

وفي يوم الجمعة ثاني وعشرين رجب عزل سيدي محمد البوعناني من خطبة القرويين وولي الخطبة بها القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي .

استخلاف المغراوي وتقييد التلمساني على فاس

وفي أيام عيد الأضحَى المبارك حرك لمكناسة ورجع بالقرب بعد أن استخلف على فاس عبد الرحمان بن محمد بن عبد العزيز المغراوي ، وقيد على فاس أحمد التلمساني فتصرفوا في المدينة ونهبوا وسجنوا وأخرجوا رحائل .

العام الخامس من العشرة التاسعة

محمد بن محمد الدرعي

فمنهم الإمام الكبير ، الولي الصالح الشهير ، العالم العلامة ، علم الأعلام ، ومصباح الظلام ، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمر الدرعي ثم الأغلاني . قال اليوسي : واشتهر بابن ناصر نسبة إلى جده كما ترى . انتهى . وتقدمت ترجمة أبيه في العشرة السادسة .

قال الشيخ أبو سالم العياشي في **فهرسته** في صاحب الترجمة : شيخنا الحافظ الخاشع الزاهد ، ألين أهل زمانه عطفا ، وأشدهم لله خوفا ، الموفق في السكون والحركة ، المقرونة أحواله بالبر والبركة ، كان رضي الله عنه شديد الاتباع للسنة في سائر أحواله ، حتى في لباسه وأكله ، وفي أنواع العبادات والعادات ، سلك في ذلك سبيل الشيخ المرجاني وابن أبي جمرة وابن الحاج ونظائرهم . حضرت مجالسه في كثير من العلوم فقها وتفسيرا ونحوا وحديثا وتصوفا . عديم النظير في العربية يحفظ **التسهيل** عن ظهر قلب . وجل استفادته في العلوم الظاهرة عن شيخه سيدي علي بن يوسف الدرعي ، وأجاز له سيدي محمد بن سيدي سعيد المراكشي . ولقي شيخنا سيدي أبا بكر السجستاني في رحلته إلى المشرق واستفاد منه ، ولم تتسع رحلته . وأما في طريق القوم فعن الشيخ سيدي عبد الله بن حسين الدرعي عن سيدي أحمد بن علي عن سيدي الغازي . تلقيت منه الذكر ، وأجاز لي سائر مروياته انتهى .

وقال أبو علي اليوسي في **فهرسته** : وهذا الشيخ ، يعني صاحب الترجمة ، هو الذي أخذنا عنه العهد والورد ، وإليه ننتسب ، وكل من نذكره سواه فإنه على طريق انتفاع ما . وكان مشاركا في فنون من العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف ، عابدا ناسكا ورعا زاهدا عارفا قائما بالطريقة ، شاربا من عين الحقيقة ، وكان مع إكبابه على علوم القوم وانتهاجه منهج الطريقة [لا يخلو من

العلم الظاهر ⌉[1] تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا . فنفع الله به الفريقين ؛ ونوّر به الجانبين . وصحبه الناس غربا وشرقا ، فانتفع به الخلق كما أشرنا إلى هذا المعنَى في القصيدة الدالية حيث نقول خطابا له :

وَطلعتَ في فَلَكِ الهِدايةِ والتُّقَى ... بِـجلَاءِ مَـحْلِ مِلْكَواكِبِ أَسْعَدِ
بِجدىً عَمِيمٍ غَائِثٍ بُقَعَ النُّهَى ... وَالعِلْمِ لاَ بُقَعَ السَّحَا وَالْغَرْقَدِ
بِـمُـغَـرِّبٍ وَمُشَـرِّقٍ مُـتَـيَـمِّنٍ ... مُـتَشَـائِـمٍ مُـتَـكَـوِّفٍ مُـتَبَـغْـدِدِ

قائما بالتعليم والتربية للمريدين بقوله وفعله ، والترقية بهمته ، عن همة عالية ، وحالة مرضية ، وعلم صحيح ، وبصيرة نورانية ، مع التمكن والرسوخ . فكان إذا تكلم انتقش كلامه في القلب ، وإذا وعظ وضع الهناء موضع التعب . وقد كنت بعد أن صحبته أجمعت السفر إلى ناحية الغرب ، وكنت إذ ذاك أعاشر الطلبة ، ولا نخلو عند الاجتماع كما هي العادة من كثرة اللغو والهذر ؛ فلما ودعني قال : عليك بالعزلة عن الخلق ما استطعت ، وأشاح بوجهه[2] فلم يزل كلامه قائما بين عيني . فلما بلغت الزاوية البكرية ، تزوجت فانقطعت عني تلك الخلطة ، ثم وقعت في مهاوي الشهوات ، ودخلت مداخل النساء ، فرجعت إليه مرة أخرى زائرا . فحين جلست إليه قال : عليك بمخالفة النفس . وجعل يلاحظني وكأنه يقول : فعلتَ وفعلتَ ، وأدركني خجل عظيم ، وحكَى لي عن أستاذه سيدي عبد الله بن حسين أنه كان يقول للفقراء : إذا طلبت أحدا منكم نفسه بشرب الماء فليماطلها ساعة لا لأن في شرب الماء حرجا ، ولكن لئلا يعودها المسارعة إلى ما تحب . فلم يزل كلامه هذا أيضا قائما بين عيني ، وقد وقع دواؤه في الموضعين على الداء العارض في الوقت من غير تعرض منه لما عرض ولا تعريج على مواطن الفراسة والكشف . فأكثر مما يلوح إليه ذكر الدواء الذي لابد منه ، ومن عجيب ما اتفق لي معه في هذا المعنَى أن سافرت إليه مرة زائرا ، فحين وصلت ، قيل لي إن عندهم العقيقة الليلة على مولود للشيخ من فلانة بنت فلان أمة من إماء الزاوية وأبوها من أكابر عبيدها . فقلت في نفسي : سبحان الله ، كيف توصل الشيخ إلى الاستمتاع بهذه

(1) في نسخة من **الفهرسة** التي نقل عنها : «لا يخل بالعلم الظاهر» مخ. خ. ع. ك. 1301 . ص 160 .

(2) [أي حذر بوجهه من مقابلتي ، وأقبل به على الأرض . انتهَى] طرة في **لك** وم .

الأمة ؟ وإنما هي حبس ولا ملك له فيها ، وذلك لأن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم هو حبس أولئك العبيد لخدمة الزاوية . فأشكل علي هذا الأمر ، ثم إنه خطَر لي أيضا أن أملاك الزاوية حبس من الشيخ المذكور ، فكيف تَأَتَّى للشيخ أن يتوسع فيها بالتزوج هو وأولاده . ولئن كان فيها وجه بأن يقال إنها تكون من قبيل المصالح العامة ، والشيخ عالم فيكون له مدخل في ذلك لا يرضي [له][3] أن يسلك هذه المداخل الضيقة ، ولا يسلك الا الورع التام . ثم قلت : كيف حج هو وأولاده من ذلك ؟ وهي إنما هي وقف على المساكين ليأكلوا منها في موضعها مع أنهم لا يخاطبون بالحج باعتبارها ، إذ لا ملك لهم فيها . فأشكلت علي هذه المسائل الثلاث ، فلم ألبث إلا ليلة أو ليلتين حتَّى أجابني عنها جميعا في مجلس واحد ، وذلك أني اجتمعت به في خلوة من الدار فجعلت أتضرع إليه وأطلب على العادة ، فانبسط إلي انبساطا لم أعهده قط ، وجعل يحدثني عن تزوجه وسائر أحواله ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه من الأزواج والأولاد والأحوال المستقيمة في الدين والدنيا ، ثم بشرني فقال : سيصلح الله لك ذلك كله أو سيعطيك لأنه أصلحه لي أو لأنه أعطانيه . فسرني ذلك وفهمت من التعليل إشارة إلى إرث معنوي للحالة كلها . نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك . ثم لما رآني فهمت عنه الوعد الإخباري في ذلك عبر عن الأمر فقال : هذا إنما هو رجاء منا . وذلك دأبه في التستر والتأدب . ثم إنه ألمَّ بحديث المسائل من غير أن أستطعمه حديثها ولا أن يشير إليَّ فيما وقع في نفسي ، بل على سبيل التحدث على غاية التثبت ، فقال : وكنت استسلفت من إحدَى نسائي دراهم حصلت لها من ميراث أبيها طيب ، فاشتريت بها غنما ، وقلت إن نتجت فعسَى أن يحج الإنسان بها . قال : فدفعتها إلى الضبيعة ، وهو موضع تحت درعة ، فأصلحها الله حتَّى كانت غنم الناس تباع بسوم وكان الكبش من غنمها يباع بأربعة دنانير . قال : وكانت الخلة وهي موضع أسفل درعة محرثة كريمة ، قال الشيخ وكان يقال بلسان العامة : **لو كان في المغرب خلتين ما انباع الزرع بدرهمين** ، قال وكانت ساقيتها فسدت وتعطلت فجاءني أربابها فقالوا : إن جئت[4] لنا بهذه الساقية فلك هذه الأرض فتعاقدنا على ذلك . وكتب الوثيقة

(3) سقط من **س وط** .

(4) في **الفهرسة** المنقول منها : إن حييت (أي أحييت) مخ. خ. ع، ص 161 .

الفقيه سيدي علي بن محمد الفركلي. قال : فخرجت أنا ونفر من الإخوان إليها فحركناها فسهلها الله تعالى وطلعت، فكنا نحرثها. فمن ذلك كله كان تزوّجنا وحجنا. ومن ذلك نخص من رأينا أن نخصه بكرامة أو عطية من الواردين. وهذه مسألة أخرَى كنت غفلت عنها فزادنيها وانجلت المسألتان بغاية البيان، وبقيت مسألة الأَمَة ثم قال : وإن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم حبس هؤلاء العبيد على أن يخدموا الزاوية وأن يحافظوا على دينهم ويشتغلوا بما يعنيهم، وشرط في أصل التحبيس أن من خرج عن هذا الوصف منهم يباع ولا يبقَى في الزاوية. ثم إن بنت فلان. يعني الأمة المذكورة، خرجت عن ذلك واشتغلت في الدار بأمور قبيحة، فاقتضَى شرط المحبس أن تباع فبعناها من أهل تسطا[5]. وهم قوم من خُمُس ترناتة. وذهبوا بها ومكثنا مدة بعد ذلك، فلم أشعر بهم يوما إلا وقد أتوني فقالوا : نطلب منك الإقالة في تلك الأمة فإنها لم تعجبنا. قال : وكان الحسين. يعني أخاه. حاضرا في المجلس، فلما سمع كلامهم وإلحاحهم عليَّ أن أقيلهم تكلم فقال : أما رجوع الأمة إلى الزاوية فلا سبيل إليه، فإن أراد أخي أن يأخذها منكم بماله وتصير في ملكه لا في الحبس فهو ذاك. قال الشيخ فلما ألحوا علي استحييت منهم فأخذتها لنفسي بمالي، فنويت أن أذهب بها إلى الحج فكان بأول ملاقاتي لها أن حملت بذلك المولود. فلما قضَى الشيخ حديثه اتضح العُذر وذهب كل إشكال. وقضيت العجَب من جمعه هذه الأمور المتباعدة في مساق واحد مع أنه في غاية الضبط والبعد عن فضول القول. وعلما أنه ما جاء بذلك إلا ليبين لي ويشفيني من الحيرة. واعلم أني لم أتفرغ في هذا التقييد لتفصيل مناقب الشيخ وأوصافه وأحواله في سيرته في أصحابه، فان ذلك بحر لا ساحل له. انتهَى.

ثم بين أن صاحب الترجمة أخذ عن الشيخ عبد الله بن حسين الرقي، عن أبي العباس أحمد بن علي الحاجي. عن أبي القاسم الغازي، عن أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي. عن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، عن الشيخ زروق. وأتَى بالسلسلة إلى آخرها مع بعض ما فيها من الوجوه وذكرها يطول. على أن سند طريقة الشيخ زروق معلوم في كثير من المصنفات. وفي كلام اليوسي مغمزما إلى أنه

(5) في **فهرسة**: تنسطا.

الوارث لشيخه ، ولكنه تستر عن التصريح بذلك ، وقدر صاحب الترجمة أجل من أن يعبر عنه أمثالنا ، وولايته ضرورية عند كثير من أهل المغرب والمشرق . وقال العلامة أبو العباس أحمد بن يعقوب الولالي في كتابه **مباحث الأنوار** : وهو ، أي صاحب الترجمة ، وقع عليه اتفاق من أهل المغرب ، فلا ينكر عليه إلا سخيف العقل ، لمتانة علمه وقوة ديانته . ومن طلب منه الصحبة لا يقر له بأنه شيخه بل يقول : أنا أخوك والشيخ هو السيد الغازي الذي هو أصل طريقة أشياخه . وكان كل ما يكتسبه يضيفه للزاوية يجعله حبسا بحيث يكون دلوه فيه ودلاء أولاده كدلو المسلمين . وكان مشاركا في العلوم ، وله عناية **بتسهيل ابن مالك** أقرأه غير ما مرة . وتمسك بالسنة في لباسه [وكلامه][6] وكل أموره . وكثر عنه الأخذ شرقا وغربا . وحج مرتين . وكان يواضب على قراءة الحديث ، ولا تفوته ركعة من الصلوات الخمس في جماعة . وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يرَى واقفا بباب ملك من الملوك ، ويتولَى صلاة الجمعة بمسجده ولم يخطب لملك قط . ووقع بينه وبين بعض الملوك شنآن على ذلك حتّى هم به ذلك الملك ، ثم عصم منه ، ونقل عنه حينئذ لما رأى خوف أصحابه عليه قال : رأيت كأن سورا من حديد ضرب [علي][7] من ستر الله تعالى ، فلا تخافوا علينا . وله كلام حق موجز جامع في رسائله من غير تكلف ولا تعمل ، وكل ذلك مما يدل على كمال إيمانه ، وقوة يقينه ، واستواء القريب عنده والبعيد في الحق وإن كان القريب ولدا . وكان يأذن في تلقين ذكره بالمراسلة لمن لم يتمكن من الوصول إليه بسهولة ، رغبة في نفع العباد ما استطاع . وقد كنت كتبت إليه رسالة مرتين وأبلغها له شيخنا العلامة أبو علي بن مسعود اليوسي ، وطلبت منه الدعاء فيهما ، فدعا لي في احداهما بقوله : بلغك الله تعالى من خير الدنيا والآخرة فوق الوهم والظن . وفي الأخرى بقوله : جمع الله تعالى لك من خير الدارين ما هو أهله . وهذه من جوامع كلمه التي أوتيها من بركة ترك التكلف واتباع السنة . استجاب الله تعالى له فينا ولو لم نكن نحن أهلا . انتهَى .

---

(6) **ط وس** : وسلامه .

(7) **ط وس** : علينا .

من حوادث السنة

حرائق بأسواق فاس

ومن حوادث هذه السنة . أنه وقع بفاس إحراق سبع عشرة حانوتا من سوق العطارين الكبرَى [من بابها المقابل لباب مدرستها](8) ، وسقطت حيطانها ، وضاعت أموال بذلك . ولم أدر ما سببه(9) . ووقع قرب هذه الأزمنة مثله بموضع الاحراق نفسه ، وحرق من الحوانيت أكثر من ذلك . وسببه أن بعضهم(10) ممن كان يصنع المرآة في بعض تلك الحوانيت ترك نار المجمر بحانوته ، وكان بها كبريت ، فنشبت به النار فوقع الاحراق ليلا . ولم يقدر على اطفائه أحد .

قتل ثوار بفاس

وفي ضحوة يوم السبت رابع عشر رجب قتل بفاس أولاد يفرح ، وطوف بهم مقتولين بأزقة فاس ، لكونهم كانوا سعوا في ثورة فاس على مولاي اسماعيل . فلما فتحت فاس هربوا لبعض الجبال فظفر بهم ، فقتلوا . وأصلهم من أهل فيجيج الذين دخلوا الأندلس ثم خرجوا منها عند الحدث ، واستوطنوا حومة رأس الجنان من فاس القرويين .

(8) سقط من لك وم .

(9) [هو كان بإحدَى الحوانيت بارود ، وكان صاحب الدكان يشرب طابة ، فاندفقت نار طابة من دواتها وهي في فمه على البارود ، فأوقدت النار في الحانوت نهارا . والله أعلم] - طرة في لك وم .

(10) [وهو إدريس اصْفَايْرة . قدم سلفه من الصفرة أحد حصون خيبر ، والقادم كان يرعَى الإبل في الطريق لبعض الحجاج ، فلما دخل المغرب أعجبته البلاد ، فاستقر بالمغرب ببني وانجل على إبل كان يرعاها لبعض التجار من الحجاج ، وهم أولاد الفخار الأندلسيين . فصلحت تلك الإبل بحضائه . ثم اكتسب هو شيئا من المواشي في تلك الضيعة من أجرته على تلك الابل . ثم لما كانت الفتنة بين بني وطاس والشرفاء السعديين أمراء المغرب باع مواشيه وجمع أولاده ودخلوا إلى فاس القرويين ، واستوطنوا حومة رأس الجنان ، واحترفوا خدمة الحجامة . فاتسع ذات أيديهم ، وصاروا تجارا ، وملكوا أصولا مع تقشفهم في مأكولهم وملبسهم وقلة سخائهم مع أنفسهم فضلا عن غيرهم . ولا يعرف لهم فضل ولا فضيلة مع أنفسهم ولا مع غيرهم]. طرة في لك وم . وس .

وتولى سيدي عبد الواحد الكاتب الموارثة[11] .

وقوع فتنة بتلمسان وكيف نجا منها أبناء الدلائي

وفي رجب غار أهل تلمسان على ولاتها من الأتراك ، ووقعت الفتنة بينهم . وجاءت لأتراك الجزائر إغاثة من إخوانهم فعتوا بها وسفكوا الدماء الكثيرة [ووتبوا بالنهب والوطء][12] وأخرجوا من محرم سيدي أبي مدين ، كما أخرجوا أهل تلمسان من بلادهم ، وخربوا الزاوية . ومن لطف الله بأهل الدلاء ، أي أولاد سيدي أبي بكر ، أن مولاي إسماعيل كتب لهم بالرجوع إلى المغرب ، فرجعوا إلى فاس ولم يحضروا الواقعة . وكان آذاهم بعض سفهاء تلمسان [فوصل خبرهم إلَى مولانا إسماعيل ، فكتب إليهم بالرجوع][12] ولما حصل لهم الأَذَى من أهل تلمسان رأى بعض الفضلاء منهم جدهم سيدي أبا بكر في المنام ورد على سيدي أبي مدين وتلقاه قرب روضته بموضع يسمى باب [المعراط][13] فجعل سيدي أبو بكر يلومه ، وشدَّد عليه في القول ويقول له : بعثت لك أولادي فأهنتهم ! وسيدي أبو مدين يلين له القول . فكان آخر ما انفصلا عليه أن قال سيدي أبو مدين : أنا أبلغهم إلَى سيدي علي بن حرازم بفاس . فلم يلبثوا إلا قليلا إذ ورد عليهم كتاب مولانا إسماعيل بالرجوع . فلما رجعوا كان نزولهم قرب روضة سيدي علي بن حرازم [مع أهل العمارة التي كانت هنالك بالحرم خارج المدينة . ثم بعد مدة أذن لهم في الدخول إلى مدينة فاس وأكرم مثواهم ولم يزالوا بها محترمين معظمين موقرين عند أهلها وأمرائها إلى الآن ليس لهم بها سوَى طلب العلم وبثه][14] .

(11) [سيدي عبد الواحد هذا شريف من أولاد سيدي بزيد دفين تلمسان ، ينتسب إلى مولانا عيسَى ، دفين آيت عتاب ، ابن مولاي ادريس باني فاس . ترجم له التادلي في **التشوف** ، وكان له ولد اسمه عبد العزيز من عدول فاس ، احتز رأسه سيدي محمد المدعو بن عربية من مولانا اسماعيل في أيام خلافته على المغرب ، وعلق رأسه على باب الفتوح]. طرة في **ك** وم .

(12) سقط من **س وط** .

(13) **س وط** : المعراض .

(14) سقط من **س وط** .

العام السادس من العشرة التاسعة

أحمد بن محمد المرينـي

فمنهم الفقيه الأستاذ المجود سيدي أحمد بن محمد المريني . وتوفي يوم الثلاثاء رابع صفر.

من حوادث السنـة

وقوع اللطمة بين مولاي إسماعيل وابن أخيه

ومن حوادث هذه السنة ، وقعت اللطمة بواد العبيد بين أمير المومنين الخليفة مولانا إسماعيل وجيش ابن أخيه الإمام السلطان مولاي أحمد بن محرز ، مات فيها قائد جيش ابن أخيه القائد عمر بن محمد الطويري الفاسي الأندلسي ، وذلك في عشية الأربعاء سابع ربيع الأول ؛ وانهزم عسكر مولانا أحمد بن محرز بموت قائدهم .

العام السابع من العشرة التاسعة

نور الدين الشَّبْرَاملِّسي

فمنهم الشيخ الإمام المعقولي البياني المقرئ الضرير ، نور الدين أبو الحسن [الشبرملسي][1] المصري ، بفتح المعجمة وسكون الموحدة فراء مفتوحة فألف وتشديد اللام مكسورة . قال صاحب **المطمح في فهرسته** : كان رحمه الله من أهل الجد والاجتهاد ، آية من آيات الله تعالى ذكاء وفهما ، بلغ الغاية في التحقيق والورع التام وحسن السمت والديانة ، يحكَى عنه في ذلك غرائب ، ما اغتاب أحدا قط . وكان بعض المشايخ يوثره على شيخ القراء بمصر الشيخ سلطان المزاحي ، وكانا معا على طرفي نقيض في الأخلاق . روَى عن الشيخ إبراهيم اللقاني والشيخ علي الحلبي والشيخ علي الأجهوري وأحمد بن خليل السبكي وغيرهم . توفي سنة 1087 ليلة الخميس ، ودفن يوم الخميس ثامن عشر من شوال سنة سبع وثمانين وألف بمصر ، ودفن قريبا من الشيخ خالد الوقاد الأزهري ، مقابل للشيخ شهاب الدين القيلوبي ، ويلي من الجهة الأخرَى الميموني والرشيدي وغيرهم انتهَى . وقال أبو سالم في **الرحلة** : أخبرنا شيخنا أبو بكر السجستاني أنه كان ملازما كثيرا للشيخ ، يعني صاحب الترجمة ، لِمَا بينهما من الألفة والمحبة ، قال لي : وما سمعته قط اغتاب إنسانا صغيرا أو كبيرا ، جليلا أو حقيرا ، حتَّى المشهورين بالظلم من الولاة ، إن جاء أحد يشكوهم لا يزيد على الدعاء لهم بالهداية . وهي منقبة شريفة لا تكاد توجد في زماننا إلا شذوذا ، وهي مما يدل على كمال الشيخ في طريق العرفان ودوام مراقبة الله تعالى في أقواله وأفعاله ، ونور الولاية ظاهر على وجهه وسيما العارفين بادية عليه . انتهَى .

(1) **ك وم** الشبراتسي .

رقيـة بنـت ابن عبد الله

ومنهم السيدة الولية الكاملة العلية ابنة ابن عبد الله السيدة رقية . زاهدة ورعة ناصحة متبعة ، شقيقة سيدنا أحمد بن عبد الله مُعَنّ الأندلسي رضي الله عنها . كانت مقاسمةَ أخيها في خدمة شيخهما سيدي قاسم فيما يرجع إلى الدار آناء الليل وأطراف النهار ، آية من آيات الله في رفع الهمة والزهد والحزم في الطريق والجد . في غاية الإخمال والإهمال والتقشف والإقلال ، لا تبالي بقلة ولا بمسكنةٍ وعيلة . ومع ذلك لا تقبل من أحد شيئا وإذا أعطاها أخوها شيئا ردته بملاطفة فتقول : أعطوه من هو أحوج مني ؛ وتارة يتلطف معها حتّى تأخذه . وكان يقول إنها لفارغة القلب من الدنيا مع الحزم في أمور الدين والتمسك بحبله المتين ، تعتريها أحوال لا تخرجها عن ظاهر حسها ، وأثنَى عليها أخوها بعد وفاتها وقال : كنت أتوسل بها إلَى الله . وقال : كانت تخبرني بأمور لا يجدها المتصبون للمشيخة . ويحكي عنها مكاشفات ، فحكَى عنها أنها رأت قطعة من نور قدر جزة الصوف نزلت من السماء بالزاوية على الناس وهم يقرأون الحزب بالغداة ، فعندما وقع ذلك ارتفعت أصواتهم بمرة . وحكَى عنها أنها قالت له : إني أرَى نورا ينتشر في محل سجودي كلما سجدت وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بي . قال : فقلت لها : نعم يُخاف من ذلك ، ثم قال للحاضرين هكذا شأن الصدِّيقين يخافون وإن كانوا محققين . وأخبرت بمغيبات منها إخبارها بالشيخ أبي العباس اليمني قبل قدومه باثنتي عشرة سنة ، وذكرت أنها كانت تراه بالزاوية ووصفته ، ثم أتَى من بلاده ، وكان بالزاوية كما أخبرت ، وكان تزوجها الرجل الصالح أبو الحسن علي بن محمد المكنى الأندلسي المربي من أجلة أصحاب والدها . وكانت في المرض الذي توفيت فيه مسرورة بلقاء الله ، جميلة الرجاء فيه . ولما قربت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأخبرت بدخوله فصلت وماتت . وكانت وفاتها بعد زوال يوم السبت حادي عشر ذي القعدة سنة سبع وثمانين وألف ، ودفنت بقبة أبيها خارج باب الفتوح إحدَى أبواب فاس الأندلس ، وذكر لها في **المقصد** ترجمة جليلة أوردنا منها هذه النبذة القليلة .

من حوادث العـام

ومن حوادث العام ؛ أن في ليلة الأحد تاسع عشر جمادي الثانية انفجر نور عظيم عن يمين القبلة ، ثم سقط قبل الفجر.

مقتلة على مراكش بين السلطان وابن أخيه

وفي منتصف ربيع الثاني وقعت مقتلة عظيمة بين الإمامين مولاي الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين إسماعيل وابن أخيه السلطان الإمام مولاي أحْمد بن محرز على مدينة مُراكش ، يطول شرح ذلك .

العام الثامن من العشرة التاسعة

محمد بن محمد التجموعتي

فمنهم العالم المحقق اللبيب الفاضل أبو عبد الله محمد بن محمد التجموعتي . قال الإمام أبو علي اليوسي في **فهرسته** : قرأت عليه معظم **الألفية** لابن مالك **والقرآن** . وله تحقيق في مهمات النحو وفي التلاوة ، رحمه الله وجزاه خيرا . انتهى . قُتل غدرا بملوية مع شرفاء وغيرهم قدموا من محلة السلطان مولاي إسماعيل وهم سائرون إلى تافلالت .

العربي بن عبد العزيز الفلالي

ومنهم قاضي القضاة أعدل قضاة زمانه الفقيه العلامة المشارك النوازلي أبو محمد العربي بن عبد العزيز الفلالي[1] . ولي قضاء القضاة بالصحراء وبلاد ملوية واتوات ومراكش وسائر سوس الأقصَى والأدنَى ومصامدة ولمطة من سوس ، وأسند إليه النظر في العزل والولاية ، فقام بذلك أحسن قيام ، فولى وعزل وأدب وعاتب في سائر البلاد التي كانت تحت ولاية الإمام السلطان مولاي أحمد بن محرز إلى أن توفي .

أحمد بن عبد العزيز الفلالي

ومنهم الفقيه المشارك الأديب الناظم الناثر البالغ الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الفلالي . كان رحمه الله يحسن صناعة الترسيل ، وإليه انتهت الرئاسة في ذلك . تولى خطبة الكتبية عند الإمام مولاي أحمد بن محرز فكان هو كاتب دولته [وثقة كتاب إمامته ، وله مشاركة في معرفة الأنساب والتاريخ والأخبار والمغازي

(1) هذه الترجمة والتي بعدها أكثر اختصارا في **س وط** .

والسير وأيام الناس وفهم السياسة وطبائع الملوك][2] ، إلى أن توفي في بعض الحروب على مراكش مع أخيه المذكور أعلاه في سنة الترجمة [ووالدهما ولاه السلطان مولانا الرشيد الحسني الحسبة بفاس فعدل فيها وقام بها أحسن قيام ، وسلك في أحكامه مسلك العدل والإنصاف ، وحمدت سيرته ، وأكثروا من الثناء عليه . وجرَى العمل بأحكامه بفاس من بعده ، ولم يلها منهم أحد إلى أن وليها أحمد بن المحمودي][3] .

محمد بن محمد بن عبد الرحمان الدلائي

ومنهم الفقيه الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن الشيخ العارف بالله سيدي أبي بكر الدلائي ، وتقدمت ترجمة والده محمد وجده سيدي أبي بكر . وذكر محمد هنا مرتين فقط كما رأيته بخط الشيخ أبي عبد الله المسناوي ، وتأتي ترجمة ولده الامام الحافظ الخطيب أبي عبد الله محمد ، فهم ثلاثة في نسق . كان صاحب الترجمة من العلماء العاملين والصلحاء الفاضلين يحكَى أنه لما قرب أجله قال للطلبة الذين يقرأون عليه : احضروا ختمة يوم كذا في روضة الشرفاء أولاد بن ريسون فلم يروه إلى أن مات في ذلك اليوم الذي عين ، فحفر الشرفاء في الروضة المذكورة قبرا ، وكان أهل صاحب الترجمة أرادوا دفنه بروضتهم المعروفة لهم بالكغادين من عدوة الأندلس فرغبهم الشرفاء في الدفن عندهم تبركا ، فأجابهم أهله لذلك لما لهم من المحبة في آل البيت ، كما هو معلوم منهم ، الحاملة لهم على عدم رد كلامهم سيما وقد حفروا القبر ، فدفن صاحب الترجمة في روضة الشرفاء المذكورين جبرا لخاطرهم وتبركا بهم أيضا . وكان قد حبس المطر مدة مع الاحتياج إليه فاستشفع الحاضرون لله بصاحب الترجمة وهو على النعش واستغاثوا الله به فأرسل الله المطر عليهم في الحين ، فكان في موته كرامتان إحداهما ما أشار لهم به من الختمة التي كانت ختمة عمره فكأنه أخبر بموته ، ثانيتهما نزول المطر حين توسلوا به . وترك ولده الإمام العالم الخطيب الفصيح المؤلف الناظم الناثر خطيب المدرسة المتوكلية وبجامع الشرفاء روضة مولانا إدريس بن إدريس الحسني باني مدينة

(2) زيادة في م . ويوجد في لك وم . بياض قدر نصف الصفحة .
(3) سقط من س وط .

فاس وبمساجد عديدة ، [وكان بارعا في خطبته][2] وتأتي ترجمته إن شاء الله عام واحد وأربعين ومائة وألف . توفي صاحب الترجمة ، حسبما رأيته بخط الشيخ أبي عبد الله المسناوي ، صبيحة يوم الجمعة رابع وعشرين من رجب عام ثمانية وثمانين وألف .

عبد الله بن عبد الجليل البرناوي

ومنهم ، وهو أحقهم بالتقديم ، وأولاهم بالتعظيم ، الشيخ العالم الكبير الولي [المجذوب][4] الشهير قطب الطريقة وإمامها ، وعالم الطريقة المنقاد إليه زمامها والمنشورة عليه أعلامها . أبو محمد عبد الله بن السيد الجليل أبي محمد عبد الجليل البرناوي الحميري قاطن بلاد برنو من بلاد السودان ودفينها . [قال الحلبي في **ريحان القلوب** : وأما نسبه فإنه يتصل فيما أخبرنا به السيد أبو العباس اليمني بحمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان][5] . كان رحمه الله أعجوبة وقته . وحدث عنه تلميذه أبو العباس اليمني بعجائب ، ونوه بجلالة قدره وعظيم أمره . وكان كثير المكاشفات ، وأول ما قدم عليه فوقع بصره عليه قال له : عرفتك . وحكَى السراج الحلبي في **ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب** ، عن الشيخ اليمني ، أنه قال : كانت أم صاحب الترجمة حال حملها به لا تحضر لهوا ولا زهوا ولا شيئا ، مما لا ينبغي حضورها فيه لمقتضَى الشرع ، إلا وأخذها وجع عظيم في جوفها وألم جسيم واصطراب وانعواج ونحو ذلك . ولما وضعته ورضع ثديها فتارة تأخذه حال عظيمة ويضطرب ويمتنع من الرضاع مدة ، ثم بعد ذلك يرضع ثدي أمه ، ثم تحصل له تلك الحالة أيضا إلى أن نطق وقت بلوغ النطق على العادة . فأخبر أمه بجميع ما كان يأخذها من الوجع والألم وأخبرها بأسباب ذلك . وكانت حالته رضي الله عنه الإقتار . قال له بعض أصحابه : أنا ما في ملكي شيء من الدنيا سوَى مُدَّين من الدخن . فقال له الشيخ : أنا ما عندي مد ولا أملكه . قال الشيخ اليمني لما حدث عنه بهذا : وهذه صفته حتَّى لحق بالله تعالى . قال : وكان لا

---

(4) **س وط** : المحب .

(5) سقط من **ك** وم .

يلتفت لما يأتيه من الهدايا ، فانها كانت تنزل بين يديه لا يأمر فيها ولا ينهَى ، فيجيء من والى فيأخذها أو يأخذ منها ما شاء، لكأنها ما هي بين يديه وما هي في تصريفه . وكان يذهب بأصحابه إلى موضع خال من الفلاة فيأمرهم بالتفرق ثم يقول لهم : تفكروا في ملكوت ربكم ، وينعزل عنهم وهو وحده في ناحية ، إلى وقت الظهر ، فيرجع حينئذ ثم يجتمعون عليه ، فيرجعون إلى قريتهم . هكذا كانت حالته كل يوم . وكان دأبه التواضع مع الكبير والصغير دائم البشر مستو عنده القريب والبعيد في الكلام ولا يلبس إلا قميصا واحدا ضيق الكمين إلى نصف ساقيه وكان شديد الاحتمال ، واسع الخلق . حكَى عنه الشيخ اليمني أنه ما رآه ، مغضبا إلا يوما واحدا إذ قال له رجل بحضرته : اللهم اقطع أصل التوارك ! قبيلة وافرة من العرب يقطعون الطريق ، فتغير وجه الشيخ ، وقال للرجل : لا تساكنني . ثم شفع فيه الفقراء، فسمح له. ووشَى به القاضي أبو بكر من علماء البلد إلى السلطان ، فلم يقبل حتَّى أوهمه أنه يحاول الملك ويفسد عليه الرعية ، فأثر ذلك فيه ، فأشخصه إليه . فلما دخل الشيخ على الأمير استعمل السنة النبوية في دخوله وسلامه وخطابه ، فأثر ذلك في قلب الأمير تأثيرا حسنا . وكان من قول أبي بكر للسلطان في شأن الشيخ : إنه كافر . فقال الشيخ للسلطان : صدق أبو بكر أيها الأمير ، الجهل كفر . فنسب لنفسه الجهل رضي الله عنه حتَّى لا يزكي نفسه . وكان يقول ذيلي طويل يطأه العدو والصديق . وهذا ، كما قال الجنيد ، لا يكون العارف عارفا حتَّى يكون كالأرض يطأه البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب انتهَى . والحامل لأبي بكر ، على فعله ذلك ، الحسد لأنه كان عالما، لكن أكب الناس على الشيخ دونه فكانوا يزدحمون عليه أشد الازدحام .

قال الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي **في ريحان القلوب** : وأما علومه ، أي صاحب الترجمة ، وفهومه الربانية الظاهرة والباطنة فقد حدثنا العارف الرباني أبو العباس اليمني أن الشيخ عبد الله البرناوي هو البحر المحيط في العلوم التوحيدية والفهوم الكلامية والرسوم الظاهرة من علوم اللسان الباهرة ، وأنه آية الله الساطعة الأنوار فيما للصوفية من الدقائق والأسرار ، احتوَى على الدقائق الإلهية والرقائق

الأحمدية والاطلاعات الغيبية والمطالعات الكشفية والذخائر الإلهامية والموارد الوهبية . واشتمل على العلم بالخواطر والقلوب وعلى الاطلاع على المقامات والدرجات لكل سالك مبتدئ ومنته ومتوسط من جميع البلاد في جميع الأعصار من سبق عصره ومن يأتي بعده ومقدار كل واحد وحد مقامه وما قدر له . وجيء به إلى المكتب وهو طفل صغير فكان لوحه موضوعا حذاءه . وهو جالس لا يقرأ فيه . ولكن ينظر فيه مرة واحدة فيأخذه شبه السنة فيأتي على اللوح كله مرة واحدة . فإذا أفاق حفظ ما في اللوح فلا ينساه أبدا . وهكذا دأبه حتّى حفظ **القرآن** في الزمن اليسير . وعلومه كلها كانت وهبية لم يعرف له شيخ تعليم لا في العلم الظاهر ولا في العلم الباطن . فلم يعرف له شيخ في الطريق . فلهذا قال ولده الشيخ عمر لما سئل هل للشيخ عبد الله والده شيخ في الطريق أم لا فأجاب بقوله : ومنهم من يتولاه الجليل وذلك نادر ماله مثيل . ومن غريب حاله أنه كان مشاركا في جميع علوم اللسان ، زيادة على ما عنده من علوم القلوب ، كالنحو والفقه والبيان والأصول والكلام وغيرها من جميع علوم اللسان . وكان يفسر **القرآن** كتفسير العلماء الأكابر ، ولما سمع بعضهم أصحابه يثنون عليه بذلك قال في نفسه : لعل هذا من مدح الفقراء . قال : فلما كنت معه في موضع خال أخذ بيدي وقال لي : ما أظهر الله وليا إلا أمده ونصره بالعلم ، وقال : وجدنا هذا العلم من اتباع الأوامر وترك النواهي ، وقال : إنا كنا من قبل هذا الأمر لا نعرف شيئا لكن كلما سئلنا عنه نجيب عنه باذن الله . وقال بعضهم في نفسه لما سمعه يقرأ **ألفية ابن مالك** : ما يصنع الشيخ بالنحو؟ فقال الشيخ على سبيل الكشف له : لولا الفقهاء ما نعبأ بهذا العلم . وقال في إثر ذلك : الكلب لا يخليك إلا إذا كان بيدك العصا تضربه . وقد بين كلامه السراج الحلبي في **الريحان** بأجوبة ستة بسط القول في ذلك كما ينبغي . وأجاب عن قوله : لولا الفقهاء من نعبأ بهذا العلم بوجوه ثلاثة . ونقتصر على شيء من الأول منها . وحاصله أنه لما علم أنهم لا يعظمون إلا من كان عالما بعلمهم اللساني أراد أن يرحمهم لئلا ينقصوه فيهلكوا ، ولهذا نظائر معلوم . وهو من جملة ما وجه به ما كان يستعمله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه من اللباس الرفيع . ومات

صاحب الترجمة في محاربة وقعت بين التوارك وبين أهل مدينة [كلنبر](6) من السودان التي كان بها الشيخ ، فاستشهد في تلك الوقعة هو وجماعة من أصحابه لإغارتهم أي التوارك على المدينة وإرادتهم استئصال من فيها . فتغير حال التوارك من يومئذ ، وسلط عليهم قائم من أهل السودان . فقتل منهم العدد العديد انتقاما من الله تعالى من بركة هذا الولي ؛ قاله جدنا في كتابه **نزهة الفكر**. وحكى في **ريحان القلوب** عن الشيخ اليمني عن الشيخ عمر ولد صاحب الترجمة أن الشيخ عبد الله لما قُتِل فيمن قُتِل فُتِّش عليه فلم يوجد في القتلى ولا في مصرع ثلاثة أيام ، حتَّى قال بعضهم : لعله كان له خادم من الجن فأفلته ، ونحو هذا مما يحاسبه الله عنه . ثم ظهر لولده الشيخ عمر ، فأظهر للناس حتَّى شاهدوه من كل فج وكشفوا عنه من وجهه إلى صدره حتَّى رأوه عيانا وتحققوه . وكان خرج معه ولده الشيخ عمر للقتال فرده والده وقال له : ارجع ليسكن بك قلوب النساء . فكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الاثنين سادس عشرة من شهر ربيع الثاني بموافقة ثامن عشر من مايه سنة ثمان وثمانين وألف ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ قاله ولده الشيخ عمر في بعض مراسلة للشيخ اليمني بالمغرب . وكان خرج لزيارته تلميذه الشيخ اليمني فوجده توفي .

قال في **ريحان القلوب** في صفة صاحب الترجمة : حدثنا أبو العباس اليمني أنه كان مليح الشامة ، صفيح الوجه منيره مشرقه ؛ وفيه أدمة صافية مفتوحة ، بوجهه نور الجلالة والجمال ، طويل القدر واسع العينين متوسط الجسم حاد النظر ، مع الحياء والوقار والسكينة والتؤدة والخشوع . وليس صاحب الترجمة هو سيدي عبد الله البرناوي الذي ذكر شيخنا العلامة سيدي أحمد بن مبارك الفلالي اللمطي في **كتابه** الذي ألفه في مولاي عبد العزيز بن مسعود الدباغ الشريف الحسني الذي ذكر أن الشريف لقيه في باب الجيسة وذكر حكاية وقعت له معه ، بل هو رجل آخر لا يعرفه أحد من أهل المغرب إلا مولاي عبد العزيز الذي أخبر به ؛ لأن صاحب الترجمة توفي عام ثمانية وثمانين وألف ومولاي عبد العزيز إنما ولد بعد التسعين بمثناة وألف كما في **تأليف** شيخنا ابن المبارك المذكور في قضية الشاشية والسباط التي وصَّى

(6) **س وط** : كنبر.

بها سيدي العربي الفشتالي لمولاي عبد العزيز المذكور . وتوفي سيدي عبد الله البرناوي شيخ مولاي عبد العزيز سنة ست عشرة ومائة وألف كما في **تأليف** شيخنا المذكور ، فهو من الاشتراك لفظا فقط في العلم والنسبة فقط .

وكان لصاحب الترجمة القدم الراسخ في التربية .

وقال أبو العباس بن يعقوب في **مباحث الأنوار** حاكيا عن أبي العباس اليمني : وكان الشيخ عبد الله البرناوي تهدَى له النساء فيتزوجهن يكمل غرض المهدين ، وربما ولد معهن ثم يطلقهن ويزوجهن بعد العدة [للصعاليك][7] الفقراء ، فيصير أولاده ربائبا عند الفقراء ، ومن أطوع الأشياء عنده الدال على كمال حاله أنه لا تأبَى المرأة ما أمرها به من التزوج ولو كانت بنت ملك كما لا يأباه زوجها . قال : وهو في تلك البلدة يتسبب ، ولا يبيت على معلوم ، وترَى من معه من الفقراء منقطعين إلى الله تعالى كل الانقطاع ولا يلتفتون إلى همّ رزق ولا إلى خوف خلق . ومن عادتهم بعد فراغهم من أوراد الصبح أنهم يتفرقون ويذهب كل واحد منهم إلى جهة من الغابة المحيطة بالبلد سواء كان الحر أو القر فيتعبدون هنالك ولا يهمهم ملبوس ولا مأكول إلى الزوال ، فتراهم ينزلون من الغابة كالوحش فيمتلئ بهم المسجد ليحافظوا على الجماعة والصلاة مع الشيخ وتهتز الأرض بأذكارهم ، لا يزالون كذلك بقية النهار والليل إلى الصباح فيتفرقون وهذا دأبهم .. [وتقدم قريب من هذا عن الشيخ الحلبي عن الشيخ اليمني المذكور . وهذه طريقة عزيزة الوجود غريبة لم نسمع بمثلها في كل الأغوار والنجود ، وكفَى ما برز منها في غربنا من الشيخ أبي العباس اليمني المذكور ، سمعت من شيخنا العلامة الصالح الورع سيدي الكبير السرغيني عن سيدي أحمد اليمني المذكور ، ولا أدري أَسمعه منه أو بواسطة ، ومن غير واحد ، أن الشيخ اليمني قال : لا منة عليه لأحد من أولياء المغرب أحياء وميتين إلا الشيخ ابن عباد رضي الله عنه ، قال إنه زاره يوما بضريحه بداخل باب الفتوح من عدوة فاس فقُضيت له حاجة من عند الله عظيمة][8] .

---

(7) زيادة في **س وط** .
(8) زيادة في **س وط** .

من حوادث السنة

دخول السلطان إلى مراكش ومصالحة أهلها

ومن حوادث هذه السنة(9) حركة مولانا إسماعيل إلى مولانا أحمد بن محرز. فكانت بينهما حروب بحوز مراكش إلى أن تخلّى له عن مراكش وحوزها مولاي أحمد بن محرز السلطان المذكور أواخر ربيع الأول، فصالح أهل مراكش مولاي إسماعيل ودخلها وسامح أهلها، وأصلح أحوالها، وأمّن بلادها، وقتل سبعة من رؤسائها. وكحل عيون ثلاثين من رؤسائها الذين قالوا لن تروه أبدا.

اجتماع بربر ملوية على أحمد الدلائي وتطاحنهم مع السلطان

وفي نصف ربيع الأول ثارت قبائل بلاد ملوية من البربر، واجتمعوا على الرئيس السيد أحمد بن عبد الله ابن محمد الحاج الدلائي، ونصروه، وشنوا الغارة على من لم ينقد إليهم من أهل البلاد المجاورة إليهم إلى فاس ومكناسة الزيتون. ووقعت حروب بينهم وبين عرب تادلا، فغلبوا عليهم وملكوا تلك البلاد وحوزها وأخذوا قصبتها، وأخرجوا المخازنية، وذلك في يوم الأحد أو الاثنين مهل جمادي الثانية. ثم وجه مولانا الخليفة إسماعيل ألفين من المخازنية، وجمعوا عليهم عرب تادلا مع القبائل المجاورة للبرابر من بلاد ملوية ومعهم قائده يخلف، ووقعت بينهما معركة عظيمة قتل فيها يخلف قائد الخليفة مولانا إسماعيل وانهزم جيشه، ولم ينج من الألفين إلا القليل. ثم وجه إليهم جيشاً آخر فهزم. ثم وجه الثائر أحمد بن عبد الله بن الحاج مع البرابر إلى فاس ومكناس وما بينهما من القبائل فاجتمعت قبائل حوزهما مع المخازنية، واقتتلوا قتالا عظيما، انهزم جيش فاس ومكناس ومات جماعة من كبار الجيش، ولجأوا إلى مكناسة فتحصنوا بها، وذلك ثالث عشر رجب. واختفى أهل الزاوية الذين بفاس ومن كان بفاس ممن سبق له معهم نصرة لهم في الحروب بحرم مولانا ادريس وسيدي أحمد الشاوي. واشتد الحصار عليهم والتضييق بهم

(9) ذكر حوادث هذه السنة أخصر في **س وط**.

وبأهلهم . وعزل أمير المؤمنين مولانا إسماعيل رئيس فاس على بن عياد لعجزه عن مقاومتها وضبط الإفراط . وولى عليها القائد حمدون والد الوزير القائد عبد الله الروسي والوالد المذكور نائب عن ولده في الحكم [وذلك أواخر ربيع الأول][10] .

إشخاص قاضي مراكش إلى فاس

وأخرج من مراكش قاضيها سيدي محمد بن إبراهيم الهشتوكي . وأشخصه إلى فاس فأسكن بدار بحرم مولانا إدريس .

هزم السلطان أنصار الدلائي

وفي خامس صفر توجه أمير المؤمنين مولانا إسماعيل من مراكش لقتال الرئيس الدلائي ومن معه من البربر . وقطع وادي العبيد . ووجه القائد الروسي إلى مولاي إسماعيل من فاس مائتين من الرماة . وذلك أواسط شعبان وفيه وقعت لطمة مولانا إسماعيل مع البربر وثائرهم الدلائي . فهزم مولاي إسماعيل البربر وقتلت من رماتهم في المعركة ثلاثة آلاف . وبعث بخبر الهزيمة إلى فاس القائد عبد الله الرويسي وأمر أن تضرب [النفوط][11] وتعمل المهرجات . فامتثل أمره بذلك . وبعث مولانا إسماعيل سبعين رأسا من رؤوسهم إلى فاس . فعلقت .

هـزم الحـــران

ثم اقتتل مولاي اسماعيل مع مولانا الحران بملوية . وهزم جيشه شيعة مولاي أحمد بن محرز . وقبض على مولاي الحران وقيده . ثم فر إلى الصحراء . ورجع مولاي اسماعيل إلى مكناسة .

شكوى أهل فاس من شدة الوظائف

ثم شكا أهل فاس إلى مولاي إسماعيل من شدّة الوظائف التي تضرب عليهم :

(10) زيادة في س وط .
(11) بس وط : الأنفاض .

فرد الرماة الحاركين معه ومعهم القائد عبد الله الروسي . فاستقل هو بقيادة فاس . وولي أبوه الورثة .

ثورة مولاي حمَّاد بتوات

وثار باتوات مولاي حماد بن مولاي الشريف عامل مولاي أحمد بن محرز على اتوات ثم سموه ومات مسموما .

وفي أواسط شوال عزل مولاي إسماعيل قاضي مكناسة سيدي محمد [بومدين][12] وولى مكانه سيدي أحمد بن سعيد [المجلدي][13] .

وفي رابع ذي القعدة عزل سيدي محمد بن الحسن المجاصي عن قضاء فاس وولي مكانه سيدي العربي بردلة .

قتل مساجين بتطوان

وقتل بأمر السلطان نحو عشرين من مساجين أهل تطوان كانوا بسجن فاس الجديد .

وولي سيدي أحمد بن حمدان خطبة فاس الجديد .

وفي تاسع ذي القعدة خرج الشرفاء والفقهاء والأعيان لتهنئة مولانا المنصور بالله [بالقدوم إلى مكناسة][14] .

القبض على الحران والعفو عنه

وجيء بمولاي الحران مقبوضا من تافلالت مع أشراف كانوا معه ودخلوا به لفاس . وفي الغد خرجوا به لمكناسة ثم منَّ الله عليه وعليهم بخاطر مولاي إسماعيل فأطلقهم . وما زال الحلم معه في قضايا كثيرة مثلها . وأعطَى لمولاي الحران [نخيلا ومداشر][15] بالصحراء يعيش بها فسار بالقرب اليه .

(12) **م** محمد بن بومدين .

(13)

(14) **س وط** : بالقدوم مع سيدي الفاسي من زاويتهم التي بالقلقليين عدوة فاس الأندلس .

(15) **لث وط** : خيلا ومدشرا .

وفي ثالث وعشرين من ذي القعدة قدم أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن المجاصي على فاس وطلب من قاضي فاس أبي عبد الله العربي بردلة أن يشركه معه في الفتوَى والخطبة فامتنع شحا على الأوقاف التي على ذلك .

وعزل السلطان مولاي إسماعيل خطيب المدرسة المتوكلية سيدي العربي بن ناصر ، وولي مكانه سيدي محمد المرابط الدلائي .

وأخذ أبو عبد الله المجاصي في التدريس بالقرويين في بعض الكراسي دون تولية .

وفي سادس ذي الحجة قدم السلطان مولاي إسماعيل من مكناس إلى فاس ولقيه الأعيان والكافة بوادي فاس ، ودخل مدينة فاس الجديد . ثم وقع العيد وحضره الأعيان ، وخطب القاضي بردلة وصلَّى .

كوارث وغلاء أسعار

وفي رجب بلغ القمح اثنين وعشرين أوقية للوسق على حسب صاع ونصف شرعي في مد ذلك الزمن ، أو وسق ونصف شرعي[16] . وغلا ثمن الضحايا ، وقل لحمها حتَّى بلغت الشاة ثمنا لم يعهد أصلا ، وعدمت الغنم ، وبقي الكثير من غير أضحية ، وكثير من الناس من ضحَّى ثاني العيد ، ومن أعجب ما يحكَى في هذه أن لحم العيد السمين والهزيل لم ينضج .

وفي أوائل العام ظهر طاعون بتطاون . وفي حوز بني زيات ، ثم فشا في البلد ، ووقع الموت ، وكانت الشتاء في هذا العام دافئة ، وغلب نزول المطر في الصيف ، وبرد الجو ، ووقع بفاس ريح وسعال ، وظهر الجراد بحوز مراكش إلى سلا إلى تفلالت فأفسد الجريد ، واشتد الغلاء ، وسلم الله فاسا وحوزها .

وقوع زلازل

وفي قبل نصف الليل من ليلة الخميس عاشر شعبان وقعت زلزلة فطن لها كثير من الناس ، ولم يشعر بها البعض . ثم في يوم الجمعة سابع عشر شعبان وقعت زلزلة أخرى ، ثم وقعت أخرى في سابع وعشرين من الشهر .

(16) **س وط** : ارتفع القمح فكان من نحو الموزونة ونصف للصاع النبوي .

العام التاسع من العشرة التاسعة

محمد بن علي الفلالي

فمنهم الفقيه الأستاذ قاضي فاس العليا أبو عبد الله محمد بن علي الفلالي ؛ به عرف . توفي 1089 رحمه الله بالطاعون ليلة الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع وثمانين وألف . ممن أخذ عنه جدنا ؛ ودفن خارج باب الجيسة من فاس بسيدي أبي عبد الله التاودي ، ودفن بينه وبينه نحو موضع قبر مما يلي القبلة ، وعليه دربوز صغير .

عبد الله بن إبراهيم اليِمْلَحي

ومنهم الولي الشهير الشريف الكبير عبد الله بن إبراهيم الشريف الحسني اليملحي العلمي ، صاحب زاوية وازان من بلاد مصمودة . أحد الأعلام المذكورين ، والكبراء المشهورين ، ممن له من علو المقام ما يلهج به الخاص والعام ، كثير التلامذة والأتباع ممن شاع ذكره في سائر الأقطار وذاع ، يحكَى عنه من الكرامات ما لا يحصَى . ويذكر له من المآثر ما لا يستقصَى ، وانتفع بمحبته خلق كثير وتلمذ له ولبنيه من بعده جم غفير . له الصيت العظيم ، والمجد الصميم ، والذكر الفخيم ، والرسوخ في العرفان والولاية ، والرضوخ في المكارم والعناية . أخذ عن سيدي علي بن أحمد دفين مدشر المغاص من جبل صرصر ، وتقدمت ترجمته . والصواب في وفاة سيدي علي بن أحمد ما عند الإمام سيدي المهدي الفاسي في **ممتع الأسماع** من أنه توفي أواخر العشرة الثالثة بعد الألف لا ما عند حفيد عمه سيدي الطيب في **فهرسته** من أنه توفي سنة سبع عشرة . ونقل أبو زيد ابن عبد القادر الفاسي عن محمد بن أحمد الفاسي أنه لقي سيدي علي بن أحمد هذا في ربيع الثاني سنة ست وعشرين وألف بمنزله بصرصر . وولد صاحب الترجمة عام خمسة بعد ألف سنة ، وتوفي 1089 يوم الخميس ثاني شعبان عام تسعة وثمانين وألف . ونسب صاحب

الترجمة يرجع إلى سيدي يملح بن مشيش أخي القطب الجامع مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله بهما . فهو أبو محمد مولاي عبد الله بن إبراهيم بن موسَى بن الحسن بن موسَى بن إبراهيم بن عمر بن عبد الجبار بن محمد بن سيدي يملح أخي مولاي عبد السلام المتقدم ذكره . ومن المنقول عن الضابط المؤرخ أحمد بن يحيَى الحسني العلمي الشفشاوني البوسروسي أنه قال : صح عند أهل تاصروت أن سيدي محمد بن يملح [المذكور تزوج بنت عمه القطب مولانا عبد السلام بن مشيش المذكور وولده منها سيدي عبد الجبار المذكور في عمود هذا النسب المرفوع من مولاي عبد الله بن ابراهيم إلى سيدي يملح وهو ابن سيدي يملح الحفيد المباشر لسيدي يملح](1) فالقطب مولاي عبد السلام بن مشيش جد مولاي عبد الله بن إبراهيم من الأم . وعليه ولادته كما أن مولاي يملح جده من الأب وعليه ولادته .

والحاصل أن أشراف العلم يرجعون إلى أبي بكر والد مولاي مشيش . فهو مشيش بن أبي بكر بن علي بن [حرمة](2) بن عيسَى بن سلام بن مزوار بن علي حيدة بن الإمام أمير المومنين مولانا إدريس بن الخليفة مولانا إدريس بن المحدث عبد الله الكامل بن المحدث الحسن المثنَى(3) بن أمير المؤمنين الخليفة الحسن السبط بن أمير المؤمنين أحد الخلفاء الراشدين مولانا علي وفاطمة سيدة نساء العالمين البضعة بنت مولانا محمد رسول الله ﷺ .

قال العالم الحافظ أبو محمد الحسن بن علي بن ريسون العلمي الحسني رحمه الله : أبو بكر بن علي هذا منه تفرعت الأشراف بجبل العلم ونواحيه . ولا يعرف لغيره من الأدارسة عقب بتلك النواحي الهبطية سوَى جماعة بني عمران وجماعة أحمد(4) بن أبي العيش بن القاسم جنُّون وجماعة أولاد جنُّون بن عيسَى . أما جماعة

---

(1) سقط من **س وط** .

(2) **ك وم** : حرملة .

(3) [أخرج له النسائي ، وكان من ثقات التابعين . انظر ابن حجر في **الفتح** عند قول البخاري : **ولما مات الحسن ضربت على خيمة . انتهَى**] .

(3) طرة في **ك وم** .

(4) [هو أحمد بن أبي العيش بن عيسَى بن الحسن ميمون بن أحمد جنون بن محمد بن قاسم بن إدريس باني فاس بن إدريس دفين زرهون] – طرة في **ك وم** .

بني عمران فنسبهم إلى عمران لا مزية فيه . وأما جماعة أولاد جُنُّون بقبيلة بني مسارة وهم معظمهم وفريق منهم ببلاد طليق بقبيلة بني شقران وهو أولاد [منقد][5] بقبيلة بني يدر ، وأما جماعة أولاد أبي العيش أحمد القاسم فاستيطانهم بجل العلم : فريق بالحصن ، وهم أولاد القمُّور وأولاد شتوان ، وفريق بتاصروت ، وهم أولاد العمري ، وفريق منهم [بتاصروت][6] انتهى كلام سيدي الحسن بن ريسون . وفي اليونسين أولاد القمُّور أيضا ، فهو من المشترك .

قلت : ومن بني أبي العيش أولاد الصَّرُوخ القاطنون ببني جرفط . رأيت ذلك منصوصا لمن يرجع إليهم في هذا الأمر من شرفاء العلم كالفقيه الخير الصالح البركة سيدي أبي مدين بن ريسون ، وجماعة من أبناء عمه من أهل الثقة والضبط ممن لا يختلف في صدقهم . وأما جد بني عمران فقال في **الدر السني** : وجد بني عمران الذي يدعون النسب إليه فهو عمران بن يزيد بن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبد الله بن ادريس باني مدينة فاس .

قلت :وهذا هو التحقيق في رفع نسبهم هذا من طريق عبد الله بن ادريس كما هو موجود بخط الشيخ القصار ، وعليه عول القاضي ابن عرضون ، وهو الموجود بأيدي بعض أعقابه ونقائبهم كالفقيه سيدي عيسَى النجار وابن أخيه الفقيه الأديب سيدي المهدي ، وفي بعض الرسوم لبعض بني عمران المذكورين أن عمران[7] هو ابن صفوان بن خالد بن يحيَى بن عطاء بن رباح بن يسير بن العباس بن حسن بن الحسن بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، فعلَى هذا يكونون في ذرية الإمام محمد بن إدريس باني فاس ، لا من ذرية أخيه عبد الله ، وهذا لا شك أنه تحريف وإن صدر به العلامة الأديب أبو عبد الله محمد بن زاكور في **تأليفه في شرفاء العلم** ، فاعتمد الأئمة غيره الذي قدمناه . قال ابن زاكور في التأليف المذكور : والعمرانيون الذين تكرر ذكرهم في

(5) **ط وس** : قنفذ .

(6) **ط وس** بتاجزرت .

(7) [وممن ينتسب إلى عمران هذا أيضا ، وأنا لست على حكم تقليد في صحة نسبهم ، فرق آخرون منهم أولاد الحاج ، وأولاد أبي قيلة ، وأولاد أبي شعيب ، وأولاد الهوري ، وجعبان ، وبالدشر أولاد علي ، وأولاد بن الحسن ، وأولاد قاسم بن ابراهيم] طرة في **لك وم** .

أشراف الحرم هم في حكم العلميين الذين قصدنا ذكرهم انتهى . وقد ذكر جماعة منهم ، فهم قاطنون بحرم مولاي عبد السلام . والعمرانيون كثيرون جدا متفرقون في القبائل الهبطية وأمرهم متصعب جدا ، وبتلك النواحي شرفاء يعرفون بأهل خندق البئر من عمل القصر الصغير قصر مصمودة عمل أجزن ، وهم قاطنون فيه وبغيره . ومرجعهم إلى عمر بن إدريس باني فاس . فهذا مرجع جميع من يقابل الهبط وما والاها والله أعلم . ورهط صاحب الترجمة من أكابر قبائل العلم [وبفاس شرفاء يدعون العمرانيين ليسوا من هؤلاء وانما هم جوطيون من بني القاسم بن ادريس ، وهم في غاية الشهرة والوضوح وصراحة النسب](8) . نفعنا الله بجميعهم آمين . ويأتي ما بقي من الكلام على هذا المعنى في تراجم بعض بني أبيه ان شاء الله .

عبد العزيز بن علي بن يوسف الفاسي

ومنهم الفقيه الأستاذ المجود البركة أبو محمد عبد العزيز بن علي بن يوسف الفاسي . تقدمت ترجمة أبيه وجده . قال فيه **في ابتهاج القلوب** : بحظ رجل متوسم فيه الخير ، عاكف على ما يعنيه ، محمود السيرة ، مجود القرآن بالجمع الصغير للعشر ، أخذ في ذلك بحظ غير نزر ، ومولده سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وليس له من الولد إلا من توفي صبيا . ولم يزل مستوطنا تطوان ، خيِّرا مرضيا.انتهى . وتوفي 1089 أوائل جمادي الأولى عام تسعة وثمانين وألف ، ودفن بتطاون ، بمسجد طلحة ، وبني عليه رحمه الله .

محمد المرابط الدلائي

ومنهم الشيخ الإمام خاتمة النحاة وعلامة الأعلام القدوة الصالح البركة الحاج الأبر الخطيب البليغ حائز قصب السبق في العلوم اللسانية أبو عبد الله محمد الشهير بالمرابط بن الإمام محمد بن الشيخ أبي بكر الدلائي . تقدمت ترجمة والده وجده . ونسبه في ترجمة جده.كان أحد الأعلام الأكابر والفصحاء المشاهير . وسبب شهرته بالمرابط أنه كان متقشفا في الملبس ، يلبس ملبس الزهد في الدنيا ، كارها لما يلبسه إخوانه الرؤساء ، منقبضا عنهم . فكان إخوانه الرؤساء يلقبونه بالمرابط ، فجرت

(8) زيادة في **س وط** .

التسمية عليه بالمرابط . وكان له التعظيم التام لأهل البيت ، ويسعَى في مرضاة الحي منهم والميت ، له في مدحهم أنظام . كان أحد المشهورين بالجود والسخاء ، عالي الهمة حليما رقيق القلب سليم الصدر متواضعا ، لا يمسك معروفه عمن يعرفه وعمن لا يعرفه ، دائم البشر ، شديد الصبر ، حسن الخلق في الشدة والرخاء .

قال أبو علي اليوسي رحمه الله : كان صاحب الترجمة إماما في علم النحو ، ومشاركا في كل الفنون ، له **شرح على التسهيل** حافل ، وشرح **على البسط والتعريف في علم التصريف** سماه : **فتح اللطيف** ، **وشرح الورقات** لإمام الحرمين في الأصول ، وله في العربية غير ذلك من أجوبة ومباحث وتقاييد ، وله **خطب وعظية** بنَى فيها على منزع ابن نباتة ، وله القلم البارع في الإنشاد نظما ونثرا مع سمت ونزاهة وحلم ومروءة . انتهَى . يروي ما اشتملت عليه **فهرسة** ابن غازي عن الإمام أبي حامد الفاسي عن القصار عن أبي النعيم الجنوي عن سُقِّين عن مؤلفها ابن غازي ، وما اشتملت عليه **فهرسة** المنجور عن المحدث الزاهد العارف بالله مولاي عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي عن والده الإمام مولاي عبد الله عن القصار وأحمد بابا السوداني وأبي العباس بن القاضي وغيرهم ، حسبما بيَّن ذلك في إجازته لأبي علي اليوسي . ورأيت في بعض **المقيدات** أنه **شرح ألفية ابن مالك** النحوية في سفرين ، وله أنظام رقيقة ، وسهام في البلاغة راشقة ، يجيد الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ، ممن لا يجارى في البلاغة والبراعة والاقدام في ميادين اللسان والشجاعة . فمن ذلك قوله يخاطب عمه العلامة سيدي أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي :

أَيَا بَحْرَ هَذَا ٱلْعَصْرِ عِلْماً وَمَنْ بِهِ   تَبَسَّمَ ثَغْرُ ٱلْجَدِّ بعدَ عُبُوسِ
وَمَنْ جَزُلَتْ بِحُسْنِ تَحْرِيرِهِ ٱلنُّهَى   وَعَادَ شَذَاهُ عَابِقاً بِدُرُوسِ
بِحَقِّ ٱلَّذِي أَبْدَاكَ رُكْناً لِوَقْتِنَا   إِذَا مُعْضِلٌ أَوْدَى بِكُلِّ نُفُوسِ
إِذَا أُهْمِلَتْ إِنْ هَلْ بِشَرْطٍ لِحَاقُ لاَ   م فَرْقٍ لَهَا أَمْ أُطْلِقَتْ بِطُرُوسِ
فَلاَزِلْتَ تَنْفِي ٱللَّبْسَ عَنْ كُلِّ مَنْ لَجَا   إِلَيْكَ وَتَسْقِينَا بِخَيْرِ كُؤُوسِ(9)

(9) في **مخطوط** خ. ع. من **البدور الضاوية** ص 216 :

فَلاَ زِلت تشفِي غُل كُلِّ الذي لَجا   إِلَيْكَ وَتَسقينا بخَيْر كؤوس

فأجابه عمه المذكور بقوله :

نَعَمْ شَرْطُها معْهَا كَمَا كَانَ قَبْلَهَا ... مَعَ ٱلْأَصْلِ نِلْتَ ٱلْعِزَّ يوْمَ عُبُوسِ
ولكنها إذْ أُلْبِسَتْ ثوبَ مُلْبِسٍ ... أَفَادُوا لها حُكْماً لِنَفْيِ لُبُوسِ
كَإِنْ زَيْنَبٌ لَازْدَادَ حُسْناً جَمَالُهَا ... وَإِنْ فَاقَ عِطْرُهَا لَعِطْرُ عَرُوسِ
فَلاَ زِلْتَ تَرْقَى فِي ٱلْمَحَامِدِ صَاعِداً ... وَتُحْيِي رُسُومَ ٱلْعِلْمِ بَعْدَ دُرُوسِ(10)

وأما فصاحة اللسان في الإنشاد والنظم وحفظ الأدب وتحقيقه فممن لا يجارى فيه . وقال فيه ولده فيما كتبه على نسخة من **مطلع الإشراق** لسيدنا الجد : ولله در والدي عبيدكم المقيم على عهدكم ، وذلك أنه لما احتل بالحرم الشريف ، المقابل بالاجلال والتشريف ، بمكة المشرفة ، والمعاهد المفوفة ، لقيه شيخ الإسلام وقدوة ذوي الاستسلام العالم العلامة الحبر الفهامة البركة المدرس الورع الزاهد أبو مهدي عيسَى بن محمد بن محمد الجعفري الثعالبي نزيل مكة المشرفة فتفاوضا في الحديث المتلقَى في القديم والحديث ، حتَّى أخبره الشيخ المذكور ذو السعي المشكور ، وأنا شاهد ، بالفقيهتين الجليلتين [المصونتين](11) السيدة مباركة والسيدة زين الشرف بنتي الشيخ العلامة المتفنن عبد القادر بن محمد بن يحيَى بن مكرم بن المحب الطبري الحسيني فأجازتا له جميع ما يجوز لهما روايته ، فجرَى ذلك الحديث المسلسل بالأولية كما هو مرسوم الآن عندنا . **وسورة الفاتحة** عن الشيخ الخطيب العلامة المعمَّر عبد الواحد بن إبراهيم الحصار المصري إجازة عامة لفظا وخطا سنة إحدَى عشرة بعد الألف بمكة المشرفة ، ورفعتا له السند إلى قاضي الجن شمهروش . قال : سمعت رسول الله ﷺ وكان السماع والإجازة من الشيختين للوالد المذكور يوم الاثنين الموفي عشرين من ذي الحجة الحرام بالبلد الحرام سنة تسع وستين وألف بتقديم التاء في التسع ، والسين في سبعين ، وكتبت قريش عن اذن اختيها السيدة مباركة والسيدة زين الشرف ، ومن خطها نقلت ، فما رأيت والدي رحمه الله سُرَّ بإجازة عالم قط ما سُر باجازة هاتين الشيختين الحسينيتين ، قال : لا أدري بأيتهما أفرح الإجازة الشريفة أم بوجود هاتين الشريفتين الفقيهتين الكائنتين أهلا للأخذ عنهما

(10) سقط من **ك** وم .
(11) **ط** وس : الحسنيتين .

[لا سيما وهما من سلالة سلسلة الذهب ، لأن وجود سلالة هذه السلسلة الذهبية على هذه الصورة أشهَى للنفس من الماء البارد . انتهَى كلام صاحب الترجمة](12) . وهو يروي عن والده وعن أبي العباس وأخيه عبد القادر ابني علي بن يوسف الفاسي [وعن مولاي عبد الهادي بن عبد الله بن طاهر عن أبيه المذكور](12) وبالمشرق عن أبي الحسن الشبراملسي والشيخ إبراهيم الكردي والسيدتين مباركة وزين الشرف المذكورتين [قاله في **المنح البادية** ، وذكر أنه يروي عنه الفاتحة وغيرها ، وأجاز له](13) .

ومن نظم صاحب الترجمة :

لاَ تُفَاخِرْ بِمَا مُنِحْتَ مِنَ ٱلْيُسْـ … ـرِ وَلاَ تَـزْدَرِ بِـهِ ٱلْإِخْوَانَـا
وَٱسْتَكِنْ تَحْتَ سَطْوَةِ ٱلْقَاهِرِ ٱلْعَدْ … لِ وَحَـاذِرِ ٱلْبُعْدَ مِنْ مَوْلاَنَا
وَٱرْتَقِبْ يَوْمَ لاَ يُنَاضِلُ عَنْ مَرْ … ءٍ سِوَى مَـا ٱسْتَعَدَّهُ إِيمَانَا
وَٱغْرِسِ ٱلْوُدَّ تَقْتَطِفْ ثَمَرَ ٱلنُّجْـ … ـحِ وَتَـهْصِرُ غُصْنَهُ ٱلْفَيْنَانَا
فَأَخُو ٱلْمَجْدِ مَنْ إِذَا رُزِقَ ٱلْفَضْـ … ـلَ ٱسْتِمَالَ وَأَكْبَرَ ٱلْخلاَّنَا
وَدَنَـا وَٱجْـتَـلَـى ٱلْمَعَارِفَ وَٱقْتَا … دَ(14) ٱلْمَحَامِدَ وَٱرْتَدَى ٱلْإِحْسَانَا
وَٱلـلَّـئِيمُ إِنْ نَحَوْهُ ٱلدَّهْرُ يَثْنِي … وَجْـهَهُ يَنْثَنِي بِهِ شَيْطَانَا(15)
فَغَدَا نَاظِراً لِعِطْفَيْهِ يَمْشِي … ٱلْـخُـيَلاَءَ تَـخَـالُـهُ خَـاقَـانَـا
شَامِخَ ٱلْأَنْفِ دَهْرَهُ يَتَسَامَى … فِي ٱنْحِطَاطٍ كَمَا رَمَقْتَ دُخَّانَا
يَتَـهَـادَى ، كَأَنَّهُ يَخْرِقُ ٱلْأَرْ … ضَ ٱزْدِهَاءً وَيَمْلأُ ٱلْبُطْحَانَا
رامَ رَفْعاً فَجَرَّ بُرْدَيْهِ عُجْباً … سَفَهاً مِنْهُ فَٱجْتَنَى ٱلْحِرْمَانَا
والـكـريم كَالْبَدْرِ يَسْمُو جَلاَلاً … فِي بَهَا سَمْتِهِ وَلاَ كُفْرَانَا

وكلامه في أعلى البلاغة مشهور ، ما بين منظوم ومنثور . ومما كتب به إلى خليفة

(12) سقط من **ك وم** .
(13) سقط من **س وط** .
(14) **ك وس وط** : واقتانَى .
(15) في مخطوطة الخزانة العامة من **البُدور الضاوية** للحوات ، ص 224 ، ورد البيت هكذا :

وَٱللَّئِيمُ ٱلَّذِي إِذَا نَحَوْهُ الدَّهْـ … ـرُ انْثَنَى وَجْهُهُ ٱنْثَنَى شَيْطَاناً

العصر ما نصه : بعد افتتاح الحمدلة والتصلية ، أدام الله عز الحضرة الإمامية ، والمثابة الهاشمية الهامية ، وأيدها بسيرة العمرين كما حاطها تعاقب الملوين ، وأسبل عليها سوابغ إجماله ، كما فرغ عليها سحائب إجلاله ، ووقاها مقاصم الأخطار ، كما أتاها بمغانم الأوطار ، المقام الذي انثالت إليه وجوه الميامن تتهلل ، كما تهايلت اليه المكرمات تتهادى وتتململ ، ودانت له رقاب الأمم إعظاما ، كما ازدهت في معالم المعارف إكبارا وإكراما ، وطافت به الأنام ، كما دارت به التمام ، ووسع امتنانه البدو والحضر ، كما استخدم سلطانه ربيعة ومضر ، وأقام عمود المملكة بعد إشرافه كما استنقذ أسيرها بعد إفلاسه وإيجافه ، إذ تفرع من شجرة شماء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وانتهج الحنيفية البيضاء حسا ومعنًى فأقر مآبة للرعية وأمنا ، وصار من كل انسان بمثابة انسانه من أوسانه ، وأقرب للسانه من أرسانه ، وبيانه من بنانه :

هُوَ ٱلْبَدْرُ وَٱلنَّاسُ ٱلْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يُشْبِهُ ٱلْبَدْرَ ٱلْمُنِيرَ ٱلْكَوَاكِبُ

لا زالت مآثره مخلدة في صحائف الطروس كما وخطة عضبه ترتسمه في صفائح الجسوم والنفوس ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وقد ورد علينا من حضرتكم العالية ومكانتكم السلطانية كتاب منور الأرجاء ، رافع الحجاء ، مطمع المسالك ، فائت المدارك ، قد طابقت ألفاظه معانيه ، وخالفت أجناسه مبانيه ، فتصفحناه تصفح مغتبط ، وتعرفنا ما فيه تعرف منتشط ، فألفيناه قد أسفر عن غرر المودات ، والصفات المؤدات ، وقد دان بما صدر عنه من المفاخر المخلَّدة ، والمآثر المؤيدة ، التي جمعت الأهواء المتفرقة على محبته ، وألفت الآراء المختلفة على مودته ، ولا غرو في ورود الفضل من معدنه ، وإنما يستغرب صدوره عن غير موطنه ، وكيف لا وهو غرة الزمان ، وناظر عين الأوان ، وينابيع الجود تتفجر من أنامله ، وأزاهر السماح تضحك عن فضائله وفواضله ، ومواقفه شهيرة ، وسيره لا تفضلها سيرة ، إذ صار في ذروة المجد صدرا ، وفي هالة الفخار بدرا . خلد الله ملكه . ونظم في عقد المعالي سلكه ، والسلام .

وكانت ولادة صاحب الترجمة سنة إحدَى وعشرين وألف ، وتوفي يوم السبت الخامس والعشرين من جمادي الأخيرة سنة تسع بتقديم المثناة وثمانين وألف ودفن

بروضة أهله الكائنة بضفة وادي الزيتون من عدوة فاس الأندلس رحمه الله .

محمد بن سعيد السوسي المرغثي

ومنهم الشيخ العلامة المشارك المحقق أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغثي [صاحب النظم المشهور المسمى **بالمقنع** في التوقيت . والمرغثي من غير ياء . كذا حُرِّف على الألسنة . ورأيت بخط سيدي المهدي الفاسي الميرغثي بالياء قبل الراء][16] . أخذ عن الإمام أبي محمد عبد الله بن طاهر الحسني السجلماسي وأبي العباس الجنان وأبي القاسم الغول الفشتالي وأبي مهدي عيسَى بن عبد الرحمان السجستاني صاحب **الحاشية على الصغرَى** لمؤلفها . والأستاذ محمد بن يوسف التاملي [وأبي العباس المديد][17] وغالبهم تقدمت ترجمته . قال الإمام أبو العباس الولالي في **مباحث الأنوار** : وصاحب الترجمة هو الذي وضع نظما في علم التوقيت وشهور العام وأيامه سماه : **المقنع** وشرحه **بشرحين** : الصغير والكبير . وقد جعل الله الإقبال على كتابه . فاشتغل به الناس في المدن والقرَى ببركة صحة نصحه وصلاح طويته . ووضع في الجدول المخمس خالي الوسط نظما وقع عليه الإقبال أيضا . كانت له دراية في كل فن حتَّى في علم الطب . ثم إنه ترك الطب بسبب أن انسانا أتَى بالهراقة فيها بول وأدخلها عليه في المسجد . فقال : إن علما يؤدي بي إلى أن أكون سببا لدخول المسجد بالنجاسة لا أشتغل به . وقد كان مقصودا به قبل ذلك . وكانت له محبة كاملة في آل البيت . وكان الناس يرون أن له نجاحا في الجدول وبركة في الأمور . وكان إماما لمسجد بمراكش.ومن دعاته تأخير صلاة الصبح إلى الإسفار بناء على أنه لا ضروري لها وأن مختاره إلى طلوع الشمس . فروي أنه كان أُنكر عليه [في] ذلك . فقال : إني رأيت النبي ﷺ فقال لي : أصبت في تأخير الصبح . وذلك أن قصده في ذلك الرفق بالضعفاء وبمن تفوته الجماعة في مساجد التغليس . وحين جاور الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي في تلك السنين بالحرمين الشريفين اشتاق إليه كما اشتاق إليه الفقراء وشكوا إليه أمر بطئه عنهم إذ كانوا يرجون إيابه للمغرب . فنظم أبياتا يطلب فيها النبي ﷺ ويسأله تسريح

(16) زيادة في **س وط** .
(17) سقط من **س وط** .

الشيخ إلى المغرب ، لأنه كان يعلم أنه لا يأتي إلا عن اذن ، وأمر الفقراء بقراءتها ، وبلغت إلينا بالزاوية البكرية حينئذ ، ولم يتعلق الآن لطول العهد بحفظي منها إلا ثلاثة أبيات هي أولها وهي هذه :

يَا رَسُولَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلْفُقَرَا قَدْ شَكَوْا مِنْ فَقْدِ خَيْرِ ٱلنُّظَرَا
شَيْخِهِمْ وَهْوَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ قَدْ حَمَلُوا مِنْ شَوْقِهِ مَا بَهَرَا
يَا رَسُولَ ٱللَّهِ سَرِّحْهُ لَنَا أَنْتَ ذُو ٱلْحَقِّ وَخَيْرُ ٱلنُّظَرَا

كان رحمه الله تعالى معمّرا ، بقي بعد الشيخ مع كبر سنه سنين ، ولم يزل إماما مقصودا بمراكش [موقرا عند العامة والخاصة إلى أن توفي بمراكش](18) . وترك ولده الفقيه محمد ، وبقي بعده يسيرا من الزمن ثم توفي ، ولم يعقب ذكرا ، رحمة الله عليه وعلى أبيه ، انتهى .

وقال أبو علي اليوسي في **فهرسته** : حضرت عنده ، أي عند صاحب الترجمة ، مجلسا واحدا في **ألفية ابن مالك** أيام الحداثة ، ثم لقيته بالزاوية البكرية فجالسته مرارا ، وصافحني عن شيخه أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحَسَني وقال بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ، فأفصح بالحديث ولم يفصح بالسند ، وبعد ذلك بزمان عثرت على **فهرسته** ، فألفيت فيها المصافحة بسندها وحديثها الذي ذكر ، فلم أشك في أنها هي التي أراد يوم صافحني ، فكتبتها منها بحمد الله ونصها من خطه نقلت : صافحني الإمام الحافظ شيخنا الإمام أبو العباس المنجور ، قال : صافحني شيخنا الإمام أبو زيد ابن سُقِين ، قال : صافحني الإمام شيخ الإسلام أبو يحيَى زكرياء الأنصاري ، قال : صافحني شيخ الإسلام ابن حجر ، قال : صافحني الزين العراقي وصافحني رضوان المستملي ، قالا : صافحنا الشرف أبو الطاهر الربعي ، قال : صافحنا أبو إسحاق الغطي وأنا في الربعة ، قال : صافحني النجيب أبو عبد الله الخولي ، قال : صافحني أبو المجد القزويني ، قال : صافحني أبو بكر المقري ، قال : صافحني القاضي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي زرعة ، قال : صافحني أبو منصور عبد الرحمن بن عبد الله البزار ، قال :

(18) سقطت هذه العبارة من نسخ النشر واستدركت من مخطوط **مباحث الأنوار** بالخزانة العامة ص 149 .

صافحني أبو محمد عبد المالك بن محمد بن نجيد بن عبد الكريم البغوي ، قال : صافحني أبو القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنيجي بحلب ، قال : صافحني عمر بن سعيد بن سنان المنبجي ، قال : صافحني أحمد بن دهان ، قال : صافحني خلف بن تميم ، قال : دخلنا على هرمز نعوده فصافحنا ، وقال : دخلنا على أنس بن مالك نعوده فصافحنا ، وقال : صافحت بكفي هذه كف رسول الله ﷺ فما مسست خزا ولا حريرا ألين من كفه ﷺ . انتهى من خطه . وكتبت إليه مستدعيا من الزاوية البكرية فأجازني في العلوم كلها ونص الإجازة : الحمد لله ولي الحمد ومليكه .. المثيب لطالب العلم ومعينه وشريكه ، المجيز لهم على الصراط السوي بتوفيقه وتسليكه ، المرسل بالهدَى ودين الحق رسوله فبلغ بقوله وفعله وتسكينه وتحريكه ، وقال : **ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعَى** ، صلَّى الله عليه صلاة تعم أصلا وفرعا ، وسلم تسليما ، وبعد ، فيقول عبيد ربه وأسير ذنبه محمد بن سعيد المرغثي ثم السوسي : إن أخي وحبيبي السيد الحسن بن مسعود اليوسي ، قد استجازني في كل شرعي من العلوم ، مع أن مقامه الذي سما سماءها مشهور ومعلوم ، وفي مثله قيل : قد استسمن ذا ورم ، ونفخ في غير ضرم .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلْأَذْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَى دَلِيل

وفي مثلي قيل : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا نُسِبَ ٱلْمُعَلَّى ... إِلَى كَرَمٍ وَفِي ٱلدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَـكِنَّ ٱلْـبِلَادَ إِذَا ٱقْشَعَرَّتْ ... وَصُوِّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ ٱلْهَشِيمُ

ولكن لم يسعني لفرط مودته إلا الإذعان والاستسلام ، وهي شنشنة الآباء الكرام ، فقلت والسلام ، والله المستعان على التمام قد أجزت لأخي وحبيبي أبي علي السيد الحسن بن مسعود اليوسي جميع مروياتي من مقروء ومسموع ومتناول وموجود ، وكلما صح عنده أنه من ذلك ، وأجزت له أيضا كلما جاز لي بأي نوع من الإجازات حصل لي ، وأجزت له أيضا كلما وقع لي من مقطعات في العلوم من منثور ومنظوم ، هذا على الجملة ، وأما على التفصيل فأذكر بعضه خوف التطويل ، فمن ذلك كف الإسلام ومعصمه **الموطأ والصحيحان والترمذي والنسائي وأبو داوود**. **أما صحيح البخاري** فبالسند الذي لا يوجد في الدنيا أعلى منه عن الشيخ الحافظ

الحسني أبي محمد مولاي وسمط محياي سيدي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي رحمه الله . سماعا عليه لنحو نصفه بقراءة ولده العلامة أبي عبد الله مولاي عبد الهادي . وباقيه بالإجازة عن عدة من شيوخه . منهم الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم القصار القيسي . عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي . عن قاضي القضاة الطويل القادري . عن شهاب الدين عن ابن أبي المجد الدمشقي . عن [الحجازي][19] [عن الزبيدي][20] عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسَى [السجنوي][21] عن الداوودي عن أبي حمُّوية السرخسي عن ابن مطر عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله . قال : بسم الله الرحمن الرحيم . كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ إلى آخره . ومن ذلك علم الحديث على العموم . ومن ذلك علم الفقه المالكي على العموم . منه **المدونة السحنونية ومختصراتها** . ومنه **رسالة ابن أبي زيد القررواني** . **وفرعيّ الإمام ابن الحاجب وأصليّه** . **ومختصر خليل** ابن إسحاق . ومنه كتب علم الأصول وكتب التفسير وكتب علم البيان . وكتب القراءات رسما وتلاوة . وكتب السيرة النبوية منها كتاب **ابن اسحاق ومختصره لابن هشام والكلاعي** وغيرهم . **وكتاب ابن سيد الناس اليعمري . والروض الأنف للسهيلي . والزهر الباسم في سيرة أبي القاسم** ﷺ . وغير ذلك من المختصرات فيه . ومن كتب الحديث **المسانـد والسنن كمسند أحمد . ومسند الشافعي . ومسند الدارمي . وسنن ابن ماجة . وابن حبَّان . والحاكم . والبيهقي . وابن خزيمة . والمصابيح** للبغوي . وغير ذلك ككتاب **الأنوار السنية** لابن جزي . ومنها في علم العربية : **كتب ابن مالك** كلها . المنثور منها والمنظوم . **وكتب ابن الحاجب** كذلك . **وكتب ابن هشام . ومنظومة ابن معطي . ومقدمة ابن آجروم . والجزولية** . ومنها كتب **الفرائض** منظومها ومنثورها . وكتب **الحساب** كذلك . **وكتب الهندسة . وكتب المنطق . وكتب الطب كالقانون ومنظومه** . ومن ذلك كتب علم الكلام منظومها ومنثورها كالإرشاد . **وكتب ابن زكري . وعقائد السنوسي** الخمس . وما له من غير ذلك . ومنه **مناسك خليل**

(19) **س وط** : الحجار (وكذا في فهرسة اليوسي) .

(20) سقط من **س وط** .

(21) **س وط** : السجزي . وهو الصحيح في الفهرسة المنقول منها .

والحطاب. وما للشيخ زروق عليها. ومن ذلك كتاب **إحياء علوم الدين** للغزالي. **وقوت القلوب** لأبي طالب المكي. وغير ذلك مما لم نذكره ككتب التنجيم والترقيم. **وكتب السيمياء** كالجداول باختلاف أنواعها. وما وضع عليها كالجزنائي الحمادي. **ومنظومة** شيخنا السيد أبي القاسم الغول الفشتالي. من فشتالة غمارة. **ومنظومة في الجمع** بين الأحاديث النبوية وكلام الأطباء في الطواعين. ونظم **كتاب الشيخ الحطاب** في ذلك. **وكتب خواص الأسماء الحسنَى**. **وخواص الآي القرآنية ككتب البوني**. **والإدريسية**. وما لابن عباد. **وكتاب الوادياشي** وغير ذلك. **ومنظومتنا** في الخالي الوسط المخمَّس التي اختصرت بها **كتاب المرجاني**. وغير ذلك. وأجزت له أصلحه الله كلما اشتملت عليه **فهرسة** ابن غازي. **وفهرسة** تلميذه عبد الرحمان بن علي سُقِين السفياني. **وفهرسة** شيخ الإسلام أبي جعفر بن الزبير. **وفهرسة** المنجور. **وفهرسة** المنثوري. **وفهرسة** ابن القويم. **وفهرسة** ابن يعيش. **وفهرسة** الحافظ الأسيوطي. **وفهرسة** شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني. **وفهرسة** أبي عبد الله القصار. **وفهرسة** شيخنا المعمر أبي عبد الله الجنَّان الأندلسي. كل ذلك مما حدثني به وأجازه لي مولاي أبو محمد الحسني المذكور. والعلم المشهور. سيدي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني رحمه الله. إلا أبا عبد الله الجنان فعنه بلا واسطة. وليسمح لنا في إيراد الأسانيد لما ذكر أو بعضه. إذ لا قدرة لأخيكم على ذلك لما علمتم من كبر السن والمرض الملازم للسِّن وفتن الوقت التي أوجبت كل مقت. نسأل الله لنا ولكم العافية والمعافاة الكاملة في الدين والدنيا والآخرة. وليسمح وليتفضل علينا بفضل دعائه الصالح لعل الله تعالى يمن علينا باللطف الجميل. في المُقام والرحيل. وهو حسبنا ونعم الوكيل. وإن سألتم عن المولد فهو في عام سبعة وألف. نسأل الله الكريم أن يختمه بالحسنَى بمنه آمين يا رب العالمين. وكتب في منسلخ ربيع الثاني عام ثلاثة وثمانين وألف. رزقنا الله خيره. ووقانا ضيره. مصرحا بالإجازة المذكورة لمن ذكر. متلفظا بها عبيد ربه وأسير ذنبه محمد بن سعيد المرغيتي ثم السوسي لطف الله به آمين. وقد توفي رحمه الله ليلة السبت السادس عشر من ربيع الثاني سنة تسع وثمانين وألف انتهَى من **فهرسة** أبي علي اليوسي.

محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر

ومنهم الفقيه العلامة الأستاذ أبو عبد الله محمد بن العالم المتبحر أبي محمد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي . تقدمت ترجمة والده . [أخذ عن والده وغيره][22] أخذ عن صاحب الترجمة جماعة . قال الحافظ أبو زيد الفاسي : لزمته في القراءات الثلاث من رواية أبي جعفر المدني الأول ويعقوب الحضرمي وخلف بن هشام البزار من طريق **الدرة والتحبير** لابن الجزري ، وسمعت عليه **الدرة** بتمامها بلفظي ، وأجازني في ذلك كله . وذلك في رجب سنة سبعين وألف . وذكر سيدي الحسن اليوسي في **المحاضرات** عنه حكاية وعبر عنه بالولي الصالح قال : ما لعب باخواننا ، يعني شرفاء سجلماسة ، إلا رجل جاء البلد ، وانتسب للصلاح ، ووقع الاقبال عليه ، فكان يأتيه رجل فيعده بأن يبلغه إلى مكة ، ويحج به طرفة عين . واستمر على ذلك مدة ، ثم قام نفر من الأشراف فاتفقوا على اختباره ، فمكثوا قريبا منه ، وتقدم إليه أحدهم ، وعنده خمسون مثقالا ، فقال له : يا سيدي ، إن هذه الصلاة تثقل علي ، فعسَى أن ترفعها عني ، وأفرغ تلك الدراهم بين يديه ، فكأنه هش لذلك ، فبادره الآخرون قبل أن يستوفي كلامه وأوجعوه ضربا ، وطردوه . ثم بعد مدة ، سافر بعضهم إلى ناحية المغرب ، فمر بعين ماء هناك ، فإذا الرجل عندها يسقي قربة ، وإذا هو يهودي من يهود يعرفون هنالك . نسأل الله العافية . [ومعنَى لعب بهم ، أنه غرهم وثبطهم عن القيام بالتكاليف ، فصار منهم من يتكل على الوعد من غير القيام بسببه . وهذا شأن من يغر الخلائق ويكذب على ربه بادعاء الخصوصية أن يعاقب والعياذ بالله بسلب الايمان كصاحب هذه القربة . وقد قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالي : ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منها . قيل هي عقوبة دعوَى الولاية والكرامة بالافتراء . انتهَى][23] .

(22) زيادة في **س وط** .
(23) زيادة في **م** .

محمد العربي بن محمد بن محمد بن أبي عنان

ومنهم الفقيه العالم أبو عبد الله محمد العربي بن محمد بن محمد بن أبي عنان الشريف. تقدمت ترجمة جده. وتأتي إن شاء الله ترجمة والده كان صاحب الترجمة خطيبا عالما فقيها أديبا. انتفع على الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي. وتولى إمامة مسجد الأندلس. ودرس بالقرويين. ثم ولي قضاء تازا. توفي بالطاعون سنة تسع وثمانين وألف.

الصغير بن القاضي

ومنهم الفقيه البركة سيدي الصغير بن القاضي. تقدمت نسبتهم لابن أبي العافية المكناسي. كان رضي الله عنه من الفقهاء المعتبرين، وعدول فاس المهديين المشتهرين. له القدم الراسخ في الديانة، والقدر الكبير في الصدق والأمانة. كان إماما بمسجد الحوت من عدوة فاس القرويين، ثم أراد التخلف لمشقة الإمامة. فلم يتركه من ذلك أهل حومتها إلى أن يجعل مكانه من يرضاه لهم هو، فلم يجد بعد الفحص. فتحرَّى أن يتقلد ذلك. فالتزم إلى أن وجدوا من يرضونه لذلك، ثم دفع لهم أربعين مثقالا جمعها من خراج المسجد منذ توليه تحريا عن تمليكه ليكون قيامه بذلك لله تعالى. ومثله سمعناه عن الشيخ العارف بالله سيدي أبي عبد الله محمد بن عباد خطيب مسجد القرويين وإمامه، فإنه أوصَى بربيعة كانت عنده، أن يُخرج ما فيها بعد موته، ويُشترَى بها ربع، فوجدوها دراهم، فحسبت فوجدوها هي عدد خراجه منذ ولي. سمعنا أن الربع المشترى بها هو حمّام القلعة، ومن عجائبه أنه يقصده أهل المرض المعروف بالحب الذي يشق على الناس، نسأل الله السلامة، للغسل فيه، فيشفون. ومن العجب أنه لا يتأذَّى به فيه من غسل معهم فيه حتَّى صار هو المعين الآن لهم ولغيرهم من سائر الأمراض، سوَى من مرض بالجذام أو البرص، فان المحتسب الموجه لذلك يمنعها من الغسل به وفي غيره من سائر الحمامات لسرعة الأذَى به. نسأل الله السلامة من الجميع. وما يحصل لهم من الشفاء من الغسل به من بركة هذا الامام، لأن علمه كان لله. ومن كان لله كان الله له، ويكون التوسل به خالصا فتقع الاجابة فورا.

محمد بن عبد الله البكري

ومنهم الفقيه الجليل أبو عبد الله محمد بن عبد الله البكري[24] كان خطيباً بجامع الحمراء من المدينة البيضاء. توفي يوم السبت ثاني عشر جمادي الأولى عام تسعة وثمانين وألف.

محمد بن قاسم الغـول

ومنهم قاضي فشتالة أبو عبد الله محمد بن قاسم الغول بمدشر امرجو [وعقبه هنالك معروفون، ومنهم من يتولى الإمامة والخطبة بجامع المدشر المذكور، يتداولون ذلك بينهم، ويرثونه (كذا) عقبه من بعده إلى الآن، ويوثرهم بذلك أهل المدشر المذكور دون غيرهم من الناس، ولا يتركون غيرهم يتولى ذلك، وهم عندهم معظمون موقرون مكرمون ...][25].

عبد الرحمان بن يوسف[26]

ومنهم العالم العلامة سيدي عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان بن عبد المومن بن بركة بن خليفة بن عثمان بن أحمد بن عيسَى بن مسعود بن إسماعيل، من ذرية القطب سيدي مصال بن هارون الشهير ضريحه بتدمانت بسوس الأقصَى. له قصيدة لامية في بحر الطويل نظم فيها جملة من قواعد الفقه. توفي رحمه الله صبيحة يوم الاثنين عيد الأضحَى سنة تسع وثمانين وألف وذفن بمراكش بموضع يسمَى جنان رحمة خارج باب الدباغ حيث مدفن ابن سعيد صاحب **المقنع**.

---

(24) [قوله البكري غير أهل الدلاء، ولا أدري إلى أين ينتسب وأخبرني بعض المسنين من عدول طالعة فاس وأنه وقف على عدة رسوم مسجلة على شكله في الأحكام والنسخ و [...] عليه وذلك كله يدل على عدله في الأحكام]. طرة في **م**.

(25) زيادة في **م**.

(26) سقطت ترجمته من **س** و**ط**.

عيسَى بن علي الشريف

ومنهم قاضي شفشاون أبو مهدي عيسَى بن علي الشريف.

يوسف بن محمد العربي الفاسي

ومنهم الفقيه سيدي يوسف بن الإمام محمد العربي الفاسي. تقدمت ترجمة والده وجده والكلام على نسبه.

أبو مدين بن عبد القادر الفاسي

ومنهم الشاب سيدي أبو مدين بن الإمام بن الشيخ عبد القادر الفاسي. توفي عن نحو سبعة عشر عاما.

مولاي أحمد بن إدريس العمراني

ومنهم مولاي أحمد بن ادريس به عرف. الشريف العمراني الجوطي الحسني. ولما خرج أهل فاس حاركين مع أمير المؤمنين مولاي إسماعيل بن السلطان مولاي الشريف الحسني السجلماسي عاشر ربيع الأول عام تسع وثمانين وألف خرج معهم حاركا صاحب الترجمة على عادة أهله مع مولانا الرشيد ومولانا إسماعيل ومن تقدم قبلهم من خلفاء السعديين شرفاء درعة الحسنيين، ثم ان صاحب الترجمة وصله الخبر أن بعض أهله أصابه الطاعون ومات بداره بفاس، فأعلم مولاي إسماعيل بذلك فطلب منه أن يأذن له في السفر إلى المشرق في هذا العام عام الترجمة فقدم صاحب الترجمة إلى فاس، فأصابه الطاعون بفاس ومات بها ودفن بجربة بالكغادين من عدوة فاس الأندلس، واتخذها مقبرة من بعده أسلافُه لدفن موتاهم.

سعيد السوسي

ومنهم الفقيه الأستاذ سيدي سعيد السوسي. توفي بالطاعون في رابع عشر جمادي الثانية بالمدرسة المصباحية من عدوة فاس القرويين.

عبد الرحمان بن محمد الصدراتي

ومنهم الفقيه الأستاذ سيدي عبد الرحمان بن محمد الصدراتي توفي بالطاعون بفاس .

عبد المالك الـدراوي

ومنهم الفقيه الأستاذ عبد المالك الدراوي توفي بالطاعون بفاس الجديد المرينية .

محمد بن محمد بن علي الشامي أعلوج

ومنهم الطالب محمد بن محمد بن علي الشامي شهر بأَعْلُوجْ . توفي بالطاعون بفاس الإدريسية .

المهدي الليرنـي

ومنهم قائد الزمان بفاس المهدي الليرني توفي بالطاعون بفاس ، ودفن بروضتهم قرب سيدي الكومي بين القليعة داخل عدوة فاس الأندلس .

من حـوادث السنـة

ظهور الطاعـون بالمغـرب

ظهر الطاعون أولا قليلا ، ظهر بتطاون إلى أن بلغ الموتَى بها خمسين نفسا في اليوم الواحد ، وظهر بالقصر إلى أن بلغ موتاهم مائة وخمسين في اليوم الواحد . فبلغ خبره إلى مولانا الخليفة إسماعيل الحسني ، فوجه عبيده إلى وادي سبو وأمرهم أن لا يُترك أحد يعدوه . وخرج أمير المؤمنين مولانا إسماعيل من مكناسة إلى الحركة . وخرجت المحلة من فاس في رابع عشر ربيع الأول فقدمت عليه . وظهر الطاعون بفاس الجديد المرينية فصلي بها ليلة المولد على عشرين ، وكثر بها ، وخلت مدرستها وسدت في ثامن ربيع الأول ، وكثر بالقرَى المجاورين لها بعين الخميس وبموضع

الخميس اليوم وبتلك القصابي وإفركَّان حتَّى خليت ، فوجه السلطان مولانا إسماعيل عبيده إلى إحراق تلك القرَى التي أخلاها الطاعون ، فأحرقوها عن آخرها وخربوها وتركوها خرابا في خامس عشر ربيع الأول . وأمر عبيده أن لا يتركوا من يريد المرور بفاس إلى مكناسة الزيتون ، فكانوا يحرسون الطرق ليلا ونهارا ؛ ومن لم يسعفهم في الرجوع عن المسير إلى مكناسة قتلوه . وظهر الطاعون بفاس وكثر إلى أن بلغ الموتَى في اليوم الواحد من أربعمائة إلى ثمانمائة إلى ألف وأزيد ، إلى أن ضعف في منسلخ رمضان ، فبلغ الموتَى في اليوم الواحد عشرة . ثم ظهر الطاعون في مكناسة الزيتون دار الملك إلى أن بلغ الموتَى بها ثلاثمائة ، إلى أن ضعف فبلغ الموتَى في اليوم الواحد خمسين ، وظهر بمراكش فبلغ الموتَى بها ألفين في اليوم الواحد وأكثر ، ومات بمدغرة وتافلالت وتوات وسائر بلاد الصحراء ما لا يُحصَى .

تولية المجَّاصِي ثم عزله

وفي ثامن ربيع الأول قدم فاس العلامة سيدي محمد المجاصي بتولية الإمامة والفتيا بالقرويين فوليها إلى آخر رجب ، فأخره مولانا إسماعيل عن ذلك ، وولي مكانه السيد العربي بردَّلة . ووجه مولاي إسماعيل المجَّاصي المذكور قاضيا إلى مكناسة الزيتون . وفي مهل شعبان ولي قضاء فاس الجديد سيدي أحمد بن سعيد .

إصلاحات بفاس

وفي هذه السنة أصلح الوزير القائد عبد الله الروسي جامع الأندلس مع مدارسها ، وبدأ بتزليج صحنها ، وكان غير مزلج مغروسا بأشجار النرنج ، فحفروا عروقها ، وكان الطيور يهولون المسجد بصوتهم ويزبلونه بأرواثهم فأشار عليه الناس بقطع الأشجار وتزليج الصحن حيث كان يصلح المسجد ، فلما فرغ من إصلاحه قطع الأشجار وزلج الصحن .

وفي هذه السنة جلب الماء لزاوية سيدي عبد الرحمان الفاسي التي بالقلقليين ، ولك أن تقول زاوية سيدي عبد القادر الفاسي لأن الزيادة فيها التي زادها مولانا

إسماعيل كانت لأجل سيدي عبد القادر ، وهي من محاربها اليوم إلى محراب صحنها وهو النصف الأيسر للمستقبل مع جميع الصحن والميضة والسقالب والصومعة .

خروج إخوان السلطان عليه وارسال العسكر لضرب أنصارهم آيت عْطَّة

وفي تاسع عشر رمضان ورد إلى فاس خبر خروج إخوان مولانا الخليفة إسماعيل بن السلطان مولاي الشريف الحسني عليه وهم مولاي الحران ومولاي هاشم ومولاي أحمد ثلاثة ، ويظهرهم بعض بني عْمِير ، وساروا إلى آيت عْطَّه من البربر ، ونادوا في البربر بالحركة وإعطاء الراتب والأخبية وآلات الحروب ، فوجه إليهم مولانا إسماعيل المحلة ، وخرجت المحلة من فاس في سادس شوال ، فالتقَى الجمعان بموضع يعرف بغيطه من بلاد آية عطة ، فوقع القتال بينهما مات فيه من رماة فاس نحو أربعمائة ، وقتل قائد رماة فاس موسَى ابن أحمد من بني يوسف الأندلسيين ملوك الأندلس الذين ألف ابن الخطيب السلماني في التعريف بدولهم كتابه **طرفة العصر بدول ملوك بني نصر**.

العام العاشر من العشرة التاسعة

محمد بن محمد عاصم الأندلسي

فمنهم الرجل الصالح الخيّر المكين ذو الحال الصحيح والمدد الواضح والدين المتين أبو عبد الله سيدي محمد بن الرجل الصالح أبي عبد الله سيدي محمد عاصم، دُعي به، الأندلسي. من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله مُعَنّ رضي الله عنه.

قال في **المقصد**: صحبه أولا ثم صحب بعده خليفته الشيخ سيدي قاسم الخصاصي ثم بعدُ خليفتَه سيدي أبو العباس (كذا) أحمد بن محمد المذكور إلى أن مات في حجره وهو راض عنه، وربما كان يثني عليه أيام حياته بظاهر الغيب منه ويصفه بالصلاح والدين. وكان رضي الله عنه مقبلا على شأنه، تاركا لما لا يعنيه، واقفا على حدود الله. متبعا للسنة، قوي الحال كثير الذكر. يغلبه الوجد أحيانا فيتحرك ويهيم ويصيح صيحات. توفي رحمه الله سنة تسعين بتقديم الفوقية وألف، ودفن بالجنان الذي اتخذه سيدي أبو العباس مدفنا لأصحابه زمن الوباء الواقع في هذه الأعوام خارج باب الفتوح أحد بابي عدوة فاس الأندلس.

محمد أدرَّاق

ومنهم الطبيب الماهر المسن أبو عبد الله محمد أدراق السوسي، به عرف. تقدمت ترجمة بعض أقاربه. توفي في ضحوة يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة تسعين وألف ودفن في العصر بإزاء سيدي مسعود الدراوي رحمه الله تعالى.

محمد البكري الصديقي

ومنهم الفاضل ذو القدر الكامل سيدي محمد البكري الصديقي المصري، دارهم بمصر مشهورة بالنسب للصديق في غاية الوضوح. وهو محمد زين العابدين بن محمد

بن أبي بكر وأبي المكارم زين العابدين بن محمد بن الحسن تاج العارفين بن محمد بن أبي البقاء جلال الدين بن محمد جمال الدين بن عبد الرحمان وجيه الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيَى بن الحسن بن موسَى بن يحيَى بن يعقوب بن نجم بن عيسَى بن شعبان بن عيسَى بن داوود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ذكره تلميذه ابراهيم بن عامر العبيدي المالكي في كتابه **عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق**، والفقيه الخير الحسن بن علي العجيسي القاطن بمكة في **مؤلف** له. نقل هذا عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري الحسني في **كناشه**. وقد عرَّف العبيدي بشيخه المذكور في **التأليف** المذكور وذكر له كرامات وآيات، قال: وله ديوان أودع فيه بعض أسرار الطريق. وله رسائل في التوحيد وفي الاسم الأعظم انتهَى. وذكر قبل هذا أن سند صاحب الترجمة عن والده عن جده إلَى الحسن بن الحسن ثالث عشر عن أبي الحسن الشاذلي.

عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي

ومنهم العلامة الكبير المحقق النحرير الفاضل المشارك في أنواع العلوم والمدارك الرواية الرحالة الجوال الفصيح القوال أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي تقدمت ترجمة والده. قال أبو عبد الله المسناوي [في **رسالته النضرية**][1]: والعياشي نسبة لآل عيَّاش قبيلة من البربر تتاخم بلادهم الصحراء من أحواز سجلماسة، ويقال للواحد منهم بلغتهم فلان أَعيَّاشْ. وقد أدركنا هذا السيد بالسن، يعني صاحب الترجمة، بنحو عشرين سنة. وكانت وفاته ضحوة يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة تسعين بتقديم التاء وألف بالطاعون عن ثلاث وخمسين سنة وأشهر، لأن ولادته كانت على ما قيده بخطه ليلة الخميس أواخر شعبان سنة سبع بتقديم السين وثلاثين وألف. **ورحلته** جمة الفوائد عذبة الموارد، غزيرة النبع، جليلة القدر، جامعة من المسائل العلمية المتنوعة لما يفوت الحصر. سلسة المساق والعبارة، مليحة التصريح والإشارة، كرحلة العلامة الضابط أبي عبد

(1) **س وط**: في كتابه المسمَّى **بجهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر**.

الله محمد بن رشيد الفهري السبتي الولادة الفاسي الوفاة المسماة **بملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الكريمة إلى مكة وطيبة**. انتهى كلام المسناوي.

وكان صاحب الترجمة يشتهي أن يمر به الشيخ اليوسي، فلم يتفق له إلا أن كتب له الشيخ اليوسي بهذه الأبيات معتذرا:

أَبَا سَالِمٍ مَا أَنْتَ إِلاَّ كَسَالِمٍ لَدَيْنَا ولم يُقْضَ اللقاءُ فَسالِمِ
وَزَوِّدْ غَرِيباً طَالَ مَا قَذَفَتْ بِهِ ضُرُوبُ النَّوَى من كُلِّ أَفْيَحَ قَاتِمِ
مُداماً لِشُرْبِ ٱلْكَأْسِ وَهْيَ مَنُوطَةٌ بِكَفِّ الثُّرَيَّا أَوْ بِكَفِّ ٱلنَّعَائِمِ
بِوُدٍّ وإِنَّ ٱلْوُدَّ مِنْ أَطْيَبِ ٱلْقِرَى وَدَعْوَةِ صِدْقٍ عِنْدَ عَقْدِ ٱلْعَزَائِمِ
وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ ثَمَّ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْمَلاَ تَحِيَّةَ ذِي وُدٍّ إِلى ٱلْكُلِّ دَائِمِ

قال الشيخ اليوسي في **محاضراته**: وقولي كسالم تلميح إلى قول الشاعر:

يُـدِيـرُونَـنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُدِيرُهُم وجِلْدَةُ بينَ العَيْنِ وَٱلْأَنْفِ سَالِمُ

وكتب عبد المالك بن مروان إلى الحجاج: أنت عندي كسالم، فلم يفهم مراده حتى أنشده البيت المذكور. ومراد الشاعر أن سالما المذكور الذي يدافع الناس عنه ويحامي عنه في محبته له وعزمه عليه بمنزلة الجلدة التي بين الأنف والعين لأن تلك الجلدة هي سالم فهو تشبيه تام. انتهى[2].

وكان صاحب الترجمة من العلماء العاملين، والعباد الكاملين. وتقدم ما ذكره في **رحلته** في ترجمة سيدي عثمان اليوسي عن نفسه أنه كان يختم **القرآن** كل ليلة في خيمته حين توجهه للحج. وأخذ رضي الله عنه عن عدة مشايخ كما تضمنته فهرسته المسماة **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر**. وانتفع بشيوخه كما في رحلته المتقدم ذكرها، وتقدم لنا النقل منها مرارا، وكذا **فهرسته**، وكان لنا فيها عون على تراجم كثيرة كما تقدم. وأجازه الشيخ أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي بعد أن كتب له صاحب الترجمة استدعاء نصه: حمدا لمن يسبح كل شيء بحمده، ومرسل الرحمات من عنده، ومنزل الفرقان على عبده، وصلاة وسلاما على أفضل من أوفى لله بعهده، وأنجز له الرحمان بوعده، وعلى آله وأصحابه وجنده، حزب

(2) موضع الأبيات به فراغ في **ك**. والفقرة كلها سقطت من **ط** و**س**.

الهدَى ووفده ، وعلى تابعيه حماة الدين وأسده . أما بعد ، فيقول أفقر الخلق لربه وأوجلهم من سوء كسبه ، أسير خطيآته ورهين سيآته . فقد طال ما ترامت بي الأعصار ، وتداولتني قسي الأسفار بأوتار الاصفرار والإسفار ، أجول في كل تنوفة ، وأقطع المحال المخوفة ، وأتوسم بفراستي المشايخ شرقا وغربا ، عجما وعربا ، أطلب طبيبا من أدواء الجهل شافيا ، وماهرا لخرق الغباوة رافيا ، فلم أر إلا من شكا كشكواي ، ومن ابتلي بمثل بلواي ، ومن له تفطن لبعض الأمر ، لا يبرد عن الأحشاء لهيب الجمر ، يثير الداء ولا يحسمه أو يهينه ، بلفظ تلقاه من غيره ولا يفهمه ، إلى أن أقبل السعد منشورة أعلامه ، وزمان الإقبال مشرقة لياليه وأيامه ، فألقتني الرحلة ، وأدتني النقلة ، إلى كعبة الآمال ومحط صالح الأعمال ، بقية صالح السلف ، ودرة عقد الخلف ، طبيب يدير كيف شاء الكلام ، ومن هو قاطع لابراء الكلام ، تحسم يده أصل الإلام ، شيخ الإسلام ، خاتمة المحققين ، ونادرة الأئمة الموفقين ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، ومحيي رسوم الطريقة ، المهاب في أعين الخليقة ، والمحبب إلى كل سليقة ، وأعرف كل فن بأصوله وفصوله ، وأرسخهم قدما في فهمه وحصوله ، تنازعه أرباب المذاهب وأصحاب المواهب ، فقال للشاذلي : أنا شاذلي ، وقال مالك : هو لمذهبي مالك ، وقال سيبويه والخليل : ما سواه من خليل ، وقال الأشعري والفخر : لنا حصل به الفخر ، وقال أئمة الحديث : بنا اشتهر في القديم والحديث ، وقال المفسرون : إنا به موسرون . ولقد صدقوا كلهم فيما وصفوا ، ولعمري ما أنصفوا . أليس هو جمع جوامعها ، وحلية مجامعها ؟ فلا وجه لتخصيصه ببعضها وهو مالك سمائها وأرضها ، عفا الله عنهم . ألم يعملوا بأنه الفتَى الوارد الصادر ، أبو محمد عبد القادر ، نجل السادة الأئمة الكاشفين للكروب المدلهمة ، سيدي أبي الحسن علي بن العارف بالله ، المتشرف بحب مولاه ، سيدي محمد بن يوسف :

نَسَبٌ كأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ ٱلضُّحَى   نُوراً وَمِنْ فَلَقِ ٱلصَّبَاحِ عَمُوداً

نظمنا الله في سلك طريقتهم ، وجعلنا من حزبهم وفريقهم . فلما وقع بصري عليه ، وقادني نور التوفيق إليه ، علمت بأنه ليس بوجه مموه ، وأن الله به منوه ، فملأ عيني جمالا وحبورا ، وقلبي مهابة وسرورا ، فحمدت الله شكرا ، وشكرته

ذكرا . فعلمت أنه من الذين إذا رُؤوا ذُكر الله . وإذا تحركوا وسكنوا فبالله . فعلمت أني قد أتيت البيوت من أبوابها . ولبست المعالي بأثوابها . وأعطيت القوس باريها . والصحيفة قاريها . والزند واريها . فنادتني المعالي : على خبير سقطت . وبلغت الذي أردت . فدونك وما تشتهي . فقد ظفرت بالكنز الذي لا ينتهي . فشمرت على ساعد الجد . وجررت أذيال الجَد . فمنَّ الله علي . فقرأت عليه **السُّلَّم وإيساغوجي** للبقاعي . **وورقات** إمام الحرمين اختلستها من يد الدهر . ثم ابتزتها مني بالغلبة والقهر . فعاقبني على ذلك الاختلاس [بالإيحاش بعد الاستيناس . فصرفني عن ذلك الجناب الفسيح . والمتجر الربيح](3) . صارف القدر الذي لا يرد . ولا ينفع ذا الجد من الله الجد . فكابدت مشاق البين شهورا عديدة . ومدت مديدة . ثم إني تذكرت بعد ذلك تلك المعاهد . وحننت إلى تلك المشاهد . فثنيت العزم إليه ثانيا . وأقبلت لا متوانيا . فألفيت بحره كما عهدته وأزيد . وعلمه كما تركته وأفيد . فحضرت عنده مجالس كثيرة في التفسير من قوله تعالى : **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سواءٌ عليهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** . إلى قوله تعالى : **ليس ٱلْبِرُّ**. إلا مواضع قليلة منه . **والنخبة** لابن حجر . **والسُّلَّم** مرة أخرى . ومجالس في **الصغرى** . ونحو من نصف **ابن زكري** . وجملة صالحة من **تلخيص المفتاح** . وسمعت عليه **الشمائل** بلفظي . إلى غير ذلك من تقريراته وأبحاثه في فنون شتَّى . فلما رأيت رياح البين قد هبت . وعقارب التفرق قد دبت . وآنت الأوبة وانقضَى زمن القربة . وأزعجني للسفر . بعد أن قاربت الظفر . من بيده الملك والأمر والقهر والجبر . مددت يد الافتقار إليه . وأنزلت ركائب الآمال لديه . ورغبت إليه خاضعا . وتقدمت بطلبتي نحوه خاشعا . أن يسند لي ما قرأته عليه ومالا . وأن يطيل في الرواية عنه والتحديث جلالا . بإجازة عامة في جميع مروياته . وإذن مطلق في مسموعاته ومقروآته . يشرف به قدري . ويرفع به ذكري . وينظمني في سلك من روَى وروي . وإنما لكل امرء ما نوَى . وأتمسك بحبله المتين المتصل بالنبي الأمين . وبالسلف الصالح من أئمة المسلمين . وما قصدي بذلك إلا التعلق بآثارهم . والتمسك بأذيالهم . وإن كنت بمعزل عنهم وبأبعد مكان منهم .

إنْ لَـمْ أَكُـنْ مِـنْـهُـمْ فَلِـي بِـحُـبِّـهِـمْ عِـزٌّ وَجَـاهُ

(3) سقط من لـ وم .

وأطلب من سيدي إن مَنَّ بذلك المطلوب ، أَنْ يختم ذلك بوصية أتخذها جليسا ، وفي محل الوحشة أنيسا ، مما يراه لائقا بأحوال الوقت ومبعدا من أسباب المقت ، ويسرد بذلك الأسانيد إن تيسر عليه تبركا بأهلها ، وما تيسر من ذلك يكفي .

قَلِيلٌ مِنْكَ يُغْنِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لاَ يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

أُدِيمُ لَهُ ٱلْقَرْعَ حَتَّى أَجَابَ وَأَعْصِي إِذ لاَمَنِي عَادِلاً(4)
وَلَمَّا بَدَا فَضْلُكُمْ سَائِلاً أَتَيْتُ إِلَى بَابِكُمْ سَائِلاً
مَدَدْتُ يَدَ ٱلْفَقْرِ نَحْوَكُمْ وَلَمْ أَكُ عَنْ بَابِكُمْ عَادِلاً
وَحَاشَاكُمُ قَطْعَ مَنْ لَمْ يَزَلْ لِأَبْوَابِكُمْ دَائِماً وَاصِلاً
فَإِنْ تَمْنَعُوهُ فَأَجْدِرْ بِذَاكَ لِمَنْ لَمْ يَزَلْ يَجْتَرِي جَاهِلاً
وَإِنْ جُدْتُمُ مِثْلُكُمْ مَنْ غَدَا لِأَنْفَسِ مَا عِنْدَهُ بَاذِلاً
يُؤَمِّلُ أَنْ تَرْفَعُوا قَدْرَهُ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ ٱلْوَرَى خَامِلاً
وَأَنْ تَمْنَحُوهُ إِجَازَتَكُمْ يُحَلِّي بِهَا جِيدَهُ ٱلْعَاطِلاَ
وَيَجْعَلُهَا وَصْلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْأَئِمَّةِ فِيمَا خَلاَ
وَتَدْفَعُ فِيمَا تَلاَ أَوْقَرَا يُحَدِّثُ أَنْبَاءَنَا ٱلْبَاطِلاَ
وَأَنْ تَنْظِمُوهُ بِسِلْكِ ٱلرُّوَاةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمُ دَاخِلاً

وعُذْراً إليك سيدِي في اجترائي عليك في مثل هذا ، والله يبقي لنا وجودكم ، ويديم لنا جودكم ، وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

ثم أجازه الإمام سيدي عبد القادر المخاطب بهذا الاستدعاء بما نصه : الحمد لله ولا معبود سواه ، الذي من يتوكل عليه كفاه ، ومن أعرض عنه شقي في دنياه وأخراه ، ولقد ضل سعي من رجا غير الله ، وقصر على التفرقة آماله وهواه ، وصلَّى الله على سيدنا محمد المسارع إلى حبه ورضاه ، وعلى آله وصحبه الذين آثرهم بمحبته وهداه ، وبعد ، فان ما ذكره الأخ في الله الفقيه النجيب الفاضل الأديب المشارك المحصل الفهامة الدراكة الألمعي الذكي اللوذعي العلامة أبو محمد عبد الله بن السيد الخاشع الناسك المتواضع بركة العصر وفاضله أبي عبد الله سيدي محمد بن

(4) سقط هذا البيت من **س** و**ط** .

أبي بكر العياشي . أمدنا الله وإياه بمعونته . وشغل قلوبنا بالاستغراق في محبته . ونور بصائرنا بنور تأييده وهدايته ، وحققنا بتحقيق القرب على العكوف بحضرته آمين . من السماع والقراءة . صحيح على أنه قد استسقَى جهاما ، ورجا من الوشل أن يبرد أواما . واستسمن ذا ورم . ونفخ في غير ضرم . ومع ذلك فقد ساعدته على مرغوبه . وتجشمت هذا الأمر بتحصيل مطلوبه . فرارا من تهمة الضنة . واغتناما لما يرجَى بركته ، ولا سيما عند وجود المظنة . وإن لم أكن لذلك أهلا ، ولا تحققت مني المنة . والله المسئول أن يجعلنا في ذلك من الأحسنين أعمالا . وأن لا يجعله علينا وبالا . وأن يلحفنا من جميل عفوه جلبابا . وأن يجعل لنا من رحمته ورضوانه مصابا ، فأقول ، وبالله أعتصم مما يصم : قد أجزت الفقيه المذكور في جميع ما ذكره مما قرأه معنا وسمعه منا ، وفي جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع ومجاز ومنظوم ومنثور . وما ثبت أنه لي . كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهل الأثر ، فأذنت له أن يحدث عني بذلك من شاء وكيف شاء . وأن يروي ذلك عني كله . بأخبرني وحدثني وبأي لفظ شاء ، كما رويته عن أشياخي رواية أو دراية .

أما الحديث فأرويه عن شيخنا الإمام عالم الأعلام ، العارف الهمام ، أوحد زمانه ، وفريد أوانه . الولي الكامل ، المتحلي بسني الفضائل والفواضل ، صاحب العلوم اللدنية . والمواهب الربانية . والإشراقات العرفانية ، والمنازلات العيانية ، المتفنن العلامة المحقق الفهامة الجهبذ الجحجاح ، قدوة أهل الفلاح ، عم أبي سيدي ومولاي أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي . أفاض الله عليه شآبيب الرحمات ، وضاعف لديه سجال الأنعام والبركات ، حسبما أخذ **صحيح البخاري** عن شيخه الإمام النظار العلامة النحرير الرواية شيخ الإسلام . حسنة الليالي والأيام . أبي عبد الله محمد بن قاسم القيسي نسبا ، الغرناطي أصلا ، القصار لقبا ، عن جار الله الإمام المحدث الرحلة المنفرد بالعلوم العقلية في وقته أبي عبد الله محمد خروف التونسي الأنصاري ، عن شيخ الإسلام الكمال الطويل القادري . عن الحجازي عن أبي المجد عن الحجار عن الزبيدي عن أبي الوقت عن الداودي عن السرخسي عن الفربري ، وكذا روَى القصار المذكور **البخاري** عن الشيخ الصالح الزاهد المحدث [أورع أهل زمانه . ولي الله أبي النعيم سيدي رضوان بن عبد الله

الجنوي عن شيخه الامام الرحلة سيدي عبد الرحمان بن أحمد بن محمد العاصمي][5] عرف بسُقِّين عن القلشندي وزكرياء عن ابن حجر عن السرخسي عن الحجَّار بالسند المذكور ، ورَوَى القصار المذكور **البخاري** أيضا عن أبي الطيب الغزي إجازة عن زكرياء بالسند المتقدم . وأما **صحيح مسلم** فأخذه شيخنا المذكور عن شيخه القصار المذكور عن سيدي رضوان عن سُقِّين عن زكرياء عن الزركشي عن البياني عن العساكري عن المؤيد [عن الفراوي][6] عن عبد الغافر عن الجلودي عن الشيخ الصالح إبراهيم بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ، وله فيه رواية أعلى عن القصار عن أبي الطيب الغزي إجازة عن زكرياء بالسند المذكور عن خروف عن الطويل القادري عن العم البلقيني عن التنوخي عن ابن ضمرة عن ابن مقير عن ابن ناصر عن ابن قيدة عن [الخدرفي][7] عن مكي عن مسلم . وأروي **الصحيحين** أيضا وسائر **الكتب الصحاح** إجازة ، ما عدا **صحيح البخاري** وبعض **صحيح مسلم** فإنه سماعا ، عن شيخنا الإمام الأصولي المعقولي البياني النحوي المفسر المسن ملحق الأحفاد بالأجداد العلامة الجليل الفاضل الأصيل القاضي أبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الأندلسي الغساني نسبا ، الفاسي دارا ، عن شيخه العلامة المحدث الفقيه [أبي العباس أحمد المدعو بابا بن العلامة الرحلة الحاج أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام الرحلة الحاج الأبر أبي العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت][8] السوداني التنبكتي عن والده المذكور عن جماعة من الشيوخ مشارقة ومغاربة ، وأرويها أيضا إجازة عن شيخنا المحصل المحقق الصدر الأوحد المتبحر في علم المعقول والمنقول ذي التواليف الشهيرة والمباحث النفيسة الخطيرة والفكر النقاد والذهن الثابت الوقاد، صنو أبي عبد الله محمد العربي بن شيخ الإسلام وحجة الله بين الأنام نخبة الواصلين وعالم العارفين الولي الكبير الشهير الخطير أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي عن أخيه العالم الحافظ الرواية أمير المحدثين أبي العباس أحمد بن يوسف عن الشيخ القصار أيضا وأروي البخاري أيضا ، سماعا ، بقراءة غيري عن

---

(5) زيادة في **س** و**ط** .
(6) سقط من **لك** و**م** .
(7) **س** و**ط** : الجوزني .
(8) **ط** . **س** : أبي العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت .

الشيخ الفقيه الحافظ مفتي الحضرة الفاسية أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني .

وأما علم الكلام وأصول الفقه فعن شيخنا العلامة أبي القاسم بن أبي النعيم عن شيخه أبي العباس أحمد بن التاجر علي بن التاجر عبد الرحمان المنجور عن أشياخه المذكورين في **فهرسته** .

وكذا أروي عنه علم البيان قراءة **تلخيص المفتاح** . وأما العربية فعن شيخنا النحوي الأديب الأريب نحوي عصره أبي الحسن علي بن الزبير عن شيخه أبي زيد أعراب ، وأخذتها أيضا عن الشيخ أبي النعيم سماعا لجل **المغني** ، وإجازة لباقيه ولغيره ، عن شيخه شيخ الجماعة وملحق الأحفاد بالأجداد العلامة الأستاذ عبد الله محمد بن مجبر المستاري عن الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم القدُّومي وغيرهما .

وأما الفقه فعن شيخنا الإمام أبي زيد المذكور ، عن شيخنا ابن أبي النُّعَيم وعن أبي العباس المقَري ، وعن الشيخ الأستاذ الفقيه النظار الناسك شيخ الجماعة الحاج الأبر أبي محمد عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الأنصاري ، وعن الشيخ الفقيه النحوي الفرضي العددي المسن أبي عبد الله محمد الجنان الأندلسي ، عن شيوخهم الأجلَّةِ الأعلام الذين يطول سردهم في هذا المكتوب ، واقتصرنا على سند **الصحيحين** للتبرك بهما ، وأجزت الفقيه المذكور إجازة تامة عامة وشاملة موصيا له ببذل المجهود ، وفراغ الوسع في النظر والتثبت في الفتوَى في دين الله ، وأن لا يقطع فيما لم ينص عليه الشرع العزيز إلا ببرهان كالشمس ، وأن يجعل الوقف حصنا حصينا عند عدمها ، وليحذر أن تكون همته مجرد الرواية والدراية ويهمل ما هو المقصود بالذات من الرعاية ، فان ذلك شأن من يطلب العلم للمباهاة والمطاولة على الأقران ، وهذا العلم الذي يكسب النفس طغيانا وكبرا واحتقارا للغير ، وليس من زاد الآخرة ولا من العلم النافع في شيء ، وإنما العلم النافع الذي يصحبه الخشية لله ، والتواضع لجلال الله ، واحتقار النفس ، وعدم الرضَى عنها بحيث لا يستحسن شيئا من أحوالها ، ولا يرَى في الوجود أحقر منها ، لمعرفته بقدره ، وجهله بعاقبة غيره ، وليستعن الإنسان على ذلك بالتفرغ من الشواغل وترك ما لا يعني وإيثار السلامة على غيرها كما قيل :

وَقَائِلَةٍ مَا لِي أَرَاكَ مُجَانِباً أُمُوراً وَفِيهَا لِلتِّجَارَةِ مَرْبَحُ

فَقُلْتُ لَهَا ما لِي برِبْحِك حاجةٌ   فَنَحْنُ أُناسٌ بِالسَّلاَمَةِ نَفْرَحُ

ولا يَضعْ نفسه في المزاحمة على الدنيا والتنافس فيها وفي رياستها ، فان ذلك مُذهب لنور العلم ، مفسد للدين ، مُكدِّر لِصفو اليقين ولذا قيل :

أَلاَ إِن حُبَّ ٱلْمَالِ وَٱلْجَاهِ مُفْسِدٌ   قَبِيحٌ بِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ ذَلِكَ أَقْبَحُ

وأي شيء رياسة الدنيا حتَّى يُتنافس فيها ويُبذَل فيها أنفس شيء وهو عمر الإنسان الذي هو رأس ماله مع أنها كثيرة العناء سريعة الانقضاء عرضة للفناء ! وانه لابد لبناء هذه الدار أن تُهَدَّ دعائمه وتُسلب كرائمه ، فلا يشتغل العاقل بما يفني عما يبقَى . لذا قال الناصح الأكبر ﷺ لأبي در رضي الله عنه : **إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلاَ تَتَأَمَّرَن عَلَى ٱثْنَيْنِ وَلاَ تَتَوَلَّيَن مَالَ ٱلْيَتِيمِ** . وما ينبغي الاعتناء به المحافظة على الصلوات الخمس في أوقات الجماعة لأنها عماد الدين ومفتاح أبواب الهداية ، ولقد كان عمر رضي الله عنه يكتب لعماله : **إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي ٱلصَّلاَةُ فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا حَافَظَ عَلَى غَيْرِهَا وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعَ** . وهي بمثابة الوجه من الإنسان ، وأول ما يُرَى من الإنسان وجهه ، ولا يهملها ويؤكد الاشتغال بطلب العلم عنها كما يظهر في كثير من طلبة الوقت ، فإن ذلك من دواعي الخسران والمقت . والعلم رفيق بالعمل ، فإن وجده ، وإلاَّ ارتحل ، ولا يترك الجماعة ويضيعها إلا خاسر ، وقد قال الشيخ زروق : وإن فاتتك تكبيرة الإحرام فلا كلام معك لأن ذلك من التقصير والتفريط ، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، ويجنبنا مواقع الغلط في سبيل هداه ، ويجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقاه ، وينهج بنا مناهج المقربين والأبرار ، ويرضي عنا في هذه الدار . وفي تلك الدار ، فإنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . قال ذلك وكتبه عبد ربه اليائس الفقير ، الراجي عفو ربه القدير ، عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، أصلح الله قلبه ، وغفر ذنبه ، وستر عيبه ، أواسط شعبان عام ثلاثة وستين وألف ، وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما انتهَى .

وأجاز أيضا صاحب الترجمة عدةُ شيوخ مغاربة ومشارقة من طرابلس ومصر والحرمين والشام وغير ذلك [منهم والده وأبو محمد عبد القادر الفاسي المذكور ، وأبو العباس الأبَّار ، وأبو الضياء ، وأبو بكر السجستاني المراكشي ، وأبو عبد الله

محمد بن ناصر](9) ومن المشارقة أبو الحسن الأجهوري وإبراهيم الميموني والشهاب الخفاجي وعبد القادر المحلي والطربني [والسمروسي والثعالبي](9) والزمزمي والبابلي وخلائق . ومن أراد الوقوف عليهم فليطالع **رحلته وفهرسته** . ورحل للمشرق صاحب الترجمة رحلتين ، واستفاد علما جما في النقلتين . ورجع ممن يُرجع إليه في الفوائد . ولما حج جاوز بالمدينة المشرفة . ودرس فيها طرفا من خليل من أوله إلى الأذان . قال في **الرحلة** : فابتدأت قراءته في مؤخر المسجد بالجانب المغربي منه . وكانت قراءته بعد صلاة العصر إلى المغرب فقرأنا لهم قراءة لا بأس بها ، زعموا أنهم لم يروا مثلها منذ زمان . انتهى . ومنعه من ختمه مرض نزل به . ودرّس **الشمائل** ولم يختمه للمرض أيضا ، ودرّس **المقدمات** للشيخ السنوسي **والنقاية** للجلال السيوطي . قال في الرحلة : [طلبني](10) بعض أصحابنا المحبين من أهل السودان قراءتها ، وما كنت قرأتها قبل ولا أقرأتها ، إلا أنها لما كانت مبادئ علوم قد قرأنا فيها ما تيسر وحصلنا منها النصيب الذي قد جسرنا على قراءتها ، إلا فنين منها لم أقرأهما ولم أقرئهما وهما فن التشريح والطب ، لهذا امتنعت من إقرائهما حين الوصول إليهما . فألح علي فيهما وقال اني أقنع بما فهمتُ من كلام المصنف ، فقلت : إن الله يقول **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**، وأنا لا علم لي بهاذين العلمين، ولم يتقدم لي فيهما قراءة على شيخ ، وما يظهر من العبارة لا يكفي في تفسير العلم ، إذ لكل علم اصطلاحات لا يعلمها إلا أربابه ، وأنا أكره إن تعاطيتُ ذلك الكذب خصوصا في حرم رسول الله ﷺ وحول قبره بمرأى منه ومسمع . [والنقاية كتاب للسيوطي ضمنه حدود أربعة عشر علما](11) . قال وأقرأت أيضا **القرطبية** في فقه المالكية ، وأقرأت أيضا نحو ربع **الألفية** ، وبعض مختصر العصامي في الاستعارة . كل ذلك في محل جلوسنا عند الأسطوانة التي هي عن يسار السرير الذي يقوم عليه المؤذنون في الصف الذي يلي صحن المسجد وكان عامة جلوسنا هناك . وبعدما خرجت من المدينة كتبت لأصحابنا بأبيات ثلاثة في رق وأمرتهم بإلصاقها في الأسطوانة التي كنت أجلس إليها تذكرة بي لأنال من دعائهم وهي هذه :

(9) سقط من **س وط** .

(10) **س . وط** : كلفني (هكذا في الرحلة)

(11) سقط من **لك وم** .

أَجِيرَانَ خَيْرِ ٱلْخَلْقِ مُنُّوا بِدَعْوَةٍ لِمَنْ نَابَ عَنْهُ فِي ٱلْخِطَابِ بَنَانُهْ
لَئِنْ غَابَ عَنْكُمْ شَخْصُهُ فَفُؤَادُهُ لَدَيْكُمْ رَهِينٌ لاَ تُفَكُّ رِهَانُهْ
فَإِنْ خِفْتُمْ نِسْيَانَهُ فَكِتَابُهُ يُذَكِّرُكُمْ بِهِ وَهَذَا مَكَانُهْ

وقرأ على عدة مشائخ ذكرنا من تيسر منهم في تراجمهم فيما تقدم ؛ ويأتي إن شاء الله . وتدريسه في أرض الله كثير ، ولكن اعتنينا بذكر تدريسه في المدينة لفضلها . وحج سنة تسع وخمسين ، ثم حج سنة أربع وستين ، وجاور ، ودخل الشام ، وله مخاطبات ومراجعات مع [أعيان أدباء وقته ، منهم][12] الأديب سيدي أحمد بن عبد الله الدلائي .

عبد السلام بن الشاذلي الدلائي

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد السلام بن الشاذلي بن سيدي محمد بن الشيخ أبي بكر الدلائي ، توفي مطعونا ثالث المحرم فاتح عام تسعين وألف .

علـي الجـاري

ومنهم الفقيه سيدي علي الجاري . توفي في خامس المحرم عام تسعين وألف .

محمد بن فاضل الأندلسي

ومنهم الفقيه سيدي محمد بن فاضل الأندلسي رحمه الله تعالى .

علـي المـراكشـي

ومنهم الفقيه سيدي علي المراكشي . توفي بمكناسة الزيتونة فجأة ؛ سقط بباب المسجد إثر صلاة الظهر ليلة العيد رحمة الله عليه .

علي بن عبد الوارث

ومنهم المرابط سيدي علي بن عبد الوارث ، وتقدمت ترجمة أبيه . توفي سابع جمادي الأولى ، ودفن بزاوية أبيه بزقاق الحجر من فاس القرويين .

(12) سقط من ك وم .

دفع الله بن محمد العِرَاكي

ومنهم الشيخ العارف المتمكن سيدي دفع الله بن الشيخ العارف أبي عبد الله محمد العراكي بكسر أوله وفتح ثانيه ممدودا ، قال في **المقصد** : هو عمدة الشيخ العارف الشهير الصديق الكبير أبي العباس اليمني ، وعلى يده فُتح له ، وإليه ينتسب ، ومن بلاد أريجي بقطع همزة فراء ساكنة فياء فجيم مكسورتان فياء النسب ؛ وهو أخذ عن والده ، ووالده عن عمه الشيخ عبد الله ، وهو عن الشيخ حبيب الله العجمي بالسند المتصل إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، كما قاله سيدي أحمد اليمني . انتهَى . ومن خط عم والدنا أبي عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني أنه سمعه من سيدي أحمد اليمني . وذكر الحلبي أن الشيخ عبد الله البرناوي لما أراد توديع الشيخ أحمد اليمني وإرساله إلى هذه البلاد بلاد المغرب بحسب الإشارة قال له : إن الشيخ دَفْع الله شيخ في الباطن . انتهَى . قال وكان الشيخ دفع الله هذا إماما عارفا عالما في الظاهر والباطن ، قادريا في الطريقة ، من أهل بيت في بلاد الشيخ اليمني يقال لهم العِرَاكيون ، وهم من هوازن في الأصل قبيلة شهيرة ، قال : وبيتهم بيت علم وعمل وتصوف وولاية وسيادة [وفضل ودين وحسب وطريقة ، يتصل سندهم بالقطب الأكبر مولانا عبد القادر الجيلاني إلى الآن ، وذلك طائفة موروثة عندهم من][13] الأسلاف ، وذلك بركة عظيمة . انتهَى . توفي عام تسعين كما يظهر من بعض المقيدات ، وجزم في **المقصد** بأنه توفي قبل هذا العام بأربع سنين . رحمه الله تعالى ونفعنا به .

أحمد الصادق بن أُوَيْس

ومنهم الشيخ الولي الجليل الشهير القدوة العالم العارف بالله الكبير أبو العباس أحمد المدعو بالصادق ، لقبا له ، ابن الشيخ الولي الكبير أويس بن عبد القادر التاركْي اللمتوني القاطن بأكْزر بكاف معقودة والزاي بعدها ، مدينة بطرف بلاد السودان ، زاويته هناك مشهورة ، وهو ووالده بها ، مزارة كبيرة . وممن أخذ عنه الشيخ الفقيه العارف أبو العباس اليمني . كان كثيرا ما يعظم صاحب الترجمة ويثني

(13) سقط من ك وم .

عليه التعظيم البالغ والثناء الكثير ، ويذكر مآثره ومفاخره ، وسمعه عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري الحسني يقول : ان طريقته سهروردية . رأيت ذلك بخطه .

قال سيدي الجد في **نزهة الفكر** : وأخبرني بعض الفضلاء الثقات الضابطين للأثبات ممن دخل بلاد السودان ، ومر ببلاده التوارك . ولقي أولاد الشيخ الصادق، أنه كان يقول : إن لنا بالمغرب الأقصى دارا مشهورة هم منا وهم أولاد الشيخ أبي بكر الدلائي ، وناهيك به صدقا وبصيرة وهو العمدة فيما يقول ، وإليه منتهَى صدق هذا المنقول . فقوله هم منا يحتمل من عشرته وبني عمه الأقربين وأن بين الدارين نسبا قريبا [وإما أن يكون نسبهما لقرابة العلم ، إذ كل من الدارين دار علم وولاية](14) ، ويحتمل أنه من جملة لمتونة جماع جميعهم ، والتوارك بالكاف المعقودة كلهم من لمتونة بلا ريب حسبما ذكره المؤرخون ، وهو معلوم أيضا عند جميعهم وهم ذوو عدد وشوكة وجرأة . انتهَى . وتقدم منهم الشيخ عبد الله البرناوي والشيخ دفع الله وصاحب الترجمة ،وهؤلاء الشيوخ الثلاثة كلهم مالكي المذهب ، وتوفي عام تسعين كما في **المقصد** .

فـارس السَّناسِـن

ومنهم الشيخ العالم الولي الكبير ، المجذوب الخطير ، ذو الكرامات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، أبو النجدة فارس السَّناسِن بالنون بعد السين الأولى والثانية ،،قال في **المقصد** : اسم طعام هنالك سمي به هذا الشيخ لأنه لا يزال يُطعِمه الناس ولا يطعمهم غيره . من أشياخ الشيخ الولي الفقيه أبو العباس اليمني ، يَحكي عنه تصريفات عظاما وآيات وإخبارات ، وحدث عنه أنه قال مرارا : إن طريق الصوفية الموجودة في هذا الزمان محصورة في أربع لا خامس لها كالمذاهب الأربعة ، وهي : الطريقة الغزالية والقادرية والرفاعية والشاذلية . والشيخ فارس هذا حنفي المذهب نازل بمدينة أريجي على النيل ، وكان حيا في حدود التسعين ، ومن صاحب الترجمة تعلم الشيخ اليمني اسم الله الأعظم ، سبب ذلك أنه ذهب إليه ليسأله عنه ،

(14) زيادة في **س وط** .

فلما وصل إليه جلس بين يديه وتكلم معه واستحيى منه . فانصرف راجعا ولم يسأله ، فكاشفه الشيخ بذلك وأرسل بطاقة مكتوبا فيها الاسم الأعظم فعلمه إذ ذاك وأخذه عنه .

من حوادث السنة

تفاقم الوباء

ومن حوادث هذه السنة تفاقم [الوباء][15] وتوالي المطر ، وتهدمت الدور به بفاس ، ومات به أقوام . [واجتهد الحاكم بإخراج الرماة عن ستمائة من فاس . وبعث بها إلى السلطان][16] .

وفي رابع وعشرين من المحرم وقعت غزوة بطنجة مات فيها من المسلمين خمسون ومن النصارى ثلاثمائة وخمسون وأخذت قصبة العدو بأربعة أبراج .

كارثة المحلة السلطانية

وفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول ورد شخص بخبر ما وقع بالمحلة إلى فاس ، فأخبر بما قاسى السلطان والناس مع الثلج والوعر ، وهلك نحو ألف من الخيل [وطوى الناس على الجوع أياما ، وتقطعت الأخبية ، وبقيت الأموال وغيرها ، وأنه خرج إلى الوطاء بعد شدة ، ولم يخرج معه إلا][17] مائتان من الخيل ، فنزل نحو سيدي رحال[18] .

وفي يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الأول خرج ستمائة من الرماة من فاس مع القائد الروسي .

هزم القائد الكوش

وجاء الخبر بهزم القائد الكوش بمحلته ، فأطلق السلطان السبيل فيهم لكونهم

(15) **س وط** : الطاعون .
(16) سقطت من **س وط** .
(17) زيادة في **م** .
(18) بقية الأخبار لم ترد في **س وط** .

خرجوا جائعين فانطلقوا في أموال الناس في حوز مراكش ، فمات منهم ثلاثمائة وجرح البعض فقط . ثم ورد القائد الروسي مع الرماة الغائبين وعزل وكلاء القاضي .

وفي سابع عشر جمادي الأولى ورد الخبر بنصارَى ظهروا في البحر ، وجهة العرائش ، بسفن كثيرة ، ثم كفَى الله أمرهم .

بناء على يد القائد الروسي

وفي جمادي الآخرة كان بناء ميضاة جامع الزليج على يد القائد الحاج حمدون الروسي وبنَى أيضا سيدي أبا غالب الصاريوي نفعنا الله به ، وزاد فيه بشراء ، وأعانه على ذلك رجل بدراهم على يد القائد حمدون الروسي المذكور ، وبنَى قبل ذلك روضة سيدي الحاج أبي درهم .

وفاة القائد الروسي

وفي مهل رمضان توفي القائد حمدون الروسي المذكور ودفن بروضتهم بجوار سيدي أبي غالب .

قتل الوزير المنزاري

وفي هذا اليوم قتل الوزير المنزاري وأصحابه بالرصاص ، وأُتِي بهم على البغال ، فجُر بمكناسة وفاس ثم أُلقِي على مزبلة ، وكان على سلا وأحوازها ومكناسة ، وكان يكلف تجار فاس بنفقة أسرَى النصارَى يطعمونهم ، فانتقم الله منه .

القبض على قائد فاس الجديد

وقبض العربي الغشام قائد فاس الجديد المرينية مع جماعة من رؤسائها ، وسلسلوا ، وأمر برحيل الباقين ، ونهبت ديارهم ، فنزلوا بفاس البالي بعد أن أمَّن رقابهم وأسكن فيها العلوج .

وورد الأمر من السلطان بولاية العربي بردلة على القضاء .

إخلاء دار مرابط

وفي آخر رمضان أخليت دار المرابط سيدي علي بن عبد الرحمان ، وجيء به للمحلة ، فأخرج جميع ما عنده من الأمانات .

سجن قاضي سلا

وثُقف القاضي موسَى بسلا بسبب ذكر بعد الوشاة فيه بسوء السيرة ، وشدوا عليه ، فكان يخرج ليصلي بهم الجمعة ويخطب ثم يرد إلى سجنه .

القبض على بعض ثوار فاس

وفي ثامن وعشرين من شوال قبض ثوارَ فاس أولاد الأندراشي بفاس الروسي وسجنهم بأولادهم ، وثقفت ديارهم ومتاعهم ، ومنع من زيارتهم إلى أن ورد من السلطان صبيحة سابع وعشرين بالأمر بقتل ثلاثة منهم فقتلوا ، وبقي الباقي مع أولادهم الصغار مسجونين .

وفي مهل ذي القعدة تمت قنطرة وادي النجاة بالبناء .

اختفاء الخطيب ثم تأمينه وتعيينه بفاس

وفي ثاني عيد الأضحَى اختفَى الخطيب من ثوار فاس هو وأولاده بزاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين، فبالغ الروسي في البحث عنه في حرم مولاي إدريس وسيدي أحمد الشامي .

ثم رجع السلطان لمكناسة فخرج الناس للقائه فتلقوه بعد صلاة الجمعة وبعث بالأمان للخطيب ليخرج بأولاده لمكناسة الزيتون فخرج إلى مكناسة ثم مَنَّ عليه ورده إلَى فاس خليفةً عليها ، ولله عاقبة الأمور يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

العشرة العاشرة من القرن الحادي عشر
العام الأول منهـا

عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي

فمنهم الإمام قدوة الأنام ، وحجة الإسلام ، محيي الدين ، وعمدة السالكين . العلامة المشارك المحصل للمفهوم والمنقول ، غيث البادي والحاضر ، أبو محمد عبد القادر بن علي بن الشيخ يوسف الفاسي . تقدمت ترجمة أبيه وجده وذكر نسبه . قال حفيده وتلميذه العلامة أبو محمد الطيب بن الإمام سيدي محمد بن صاحب الترجمة في **فهرسته** : هو الفقيه الإمام المحدث الحافظ المفسر الأصولي المتكلم النحوي اللغوي المنطقي الأديب الجدلي الحكيم النظار الصوفي فريد الدهر ووحيد العصر جامع أشتات فنون العلوم ، والمبرز في سائر أنواع المعقول والمفهوم ، إمام الأئمة وشمس الأمة ، وشيخ المشائخ وصدر الأكابر ، ذو القدم الراسخ والنسب الباذخ ، ركن الإسلام وعلم الأعلام وكهف الأنام ، المحلى بحلية أولياء الله الكرام ، الداعي إلى الله في السر والإعلان ، والمناضل عن الحنيفية السمحاء بالقلم واللسان ، محيي سنة النبي عليه السلام ، وقامع بدعة أهل الزيغ اللئام ، بحر عرفان لا ساحل له ، وينبوع علم وحكمة ما رأى الزمان مثله :

حَلَفَ ٱلزَّمانُ لَيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ ۝ حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِ

أستاذ الأستاذين ، وعماد الدين تاج العارفين ، أبو محمد عبد القادر بن علي بن الشيخ يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمان القصري أصلا الفاسي ولدا ودارا وشهرة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه . ولد رحمه الله بمدينة القصر الكبير قصر كتامة عند زوال يوم الاثنين ثاني رمضان سنة سبع وألف وهي سنة وفاة أبي زكرياء يحيى بن محمد السراج رحمه الله ، وقرأ هنالك على والده ، ومن أدرك من أهل بلده ، ثم ارتحل إلى فاس أوائل رجب سنة خمس وعشرين ألف ، وهي سنة وفاة

الشيخ الراوية الحاج شهاب الدين أبي العباس أحمد بن القاضي . وأكب على التعلم والتعليم والاجتهاد ، فحصل علما غزيرا ، وانتفع في أقرب مدة ثم تأهل بفاس ، وبعد صيته في جميع الآفاق . وسارت بحمل حديثه الركبان والرفاق . وتنافس في الرواية والأخذ عنه العلماء الكبار ، وأعمل الناس الرحلة إليه من بعيد الأقطار ، لما شاع وعلم من سرعة الانتفاع بعلمه وانتشار بركته . ووفور اتساع عارضته في الفهم والحفظ والتحقيق في سائر الفنون ، مع ما ضم إلى ذلك من رشاقة العبارة وبلاغتها ، وإذلال عويص المسائل ، حتّى يستوي في فهمه الذكي والغبي . وثبتت له مناقب وكرامات قد ألف الناس في استقصاء عدد وافر منها . وكانت له همة عالية في قيام الليل والدؤوب على نشر العلم وقراءة القرآن في غالب أحيانه لا يكاد يفتر لسانه عن الذكر وتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار . وقد وقع الإطباق من مشائخ عصره على تبحره في علمي الظاهر والباطن ، وأنه الإمام في ذلك في هذا العصر الغابر ، لا ينكر ذلك إلا جاحد أو معاند حاسد خاسر ، فلا يلتفت إليه .

مَا ضَرَّ بَحْرَ الْفُرَاتِ يَوْماً أَنْ بَالَ بَعْضُ ٱلْكِلاَبِ فِيهِ

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ ٱلشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

وَإِذَا لَمْ تَرَ الْهِلاَلَ فَسَلِّمْ لِأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِٱلْأَبْصَارِ

وكان ملجأ الخاصة والعامة في عويص مسائلهم الدينية ، تنفصل المجالس عن قوله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، قوالا للحق ، يواجه به الكبراء والملوك ، قد أعطي قوة على التلطف في توصيل ذلك وإبلاغه على أجمل صورة ، حتّى تنفعل له النفوس الأبية ، وتذعن لسامعها آذان الأغيال الجبابرة ، ولا تستنكف عن الانقياد له الأنوف الشامخة ، مهابا في الأعين ، معظما في القلوب ، قلما تجد عالما أو متعلما بافريقية والمغرب إلا من تلامذته أو من تلامذتهم أو يروم التمسك في الانتساب إليه بأي وجه أمكنه . توفي رحمه الله ظهر يوم الأربعاء التاسع من رمضان ، ودفن من الغد يوم الخميس في زاويته بمحل تدريسه بوصية منه ، وذلك بالقلقليين من فاس القرويين ، سنة إحدى وتسعين وألف ، واحتفل الناس بجنازته ورثي بقصائد كثيرة ولم يتصد لتأليف كتاب مخصوص

ولا لشرح ، وإنما كانت تصدر منه أجوبة يُسأل عنه فيجيب بأفيد من تآليف المؤلفين فيبدئ فيها ويعيد ، وهي كثيرة موجودة أكثرها بأيدي الناس اليوم ، يجتمع منها نحو السفرين الضخمين. وله **العقيدة** المشهورة المنسوبة إليه ، **وكراسة في الفرائض والسنن** مشهورة أيضا بأيدي العامة ، وهو يروي الحديث أيضا عن عم أبيه الإمام العارف أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، وعن القاضي الشهير أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني من أكابر المشائخ. تضلع في الفنون وتمهر في المعقول والبيان والتفسير. ولد في رمضان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة ، وأخذ عن المنجور وابن مجبر وأحمد بابا السوداني والسراج والحميدي وغيرهم ، وتوفي قتيلا ظلما على يد بعض المتلصصين في ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وألف. وعن الإمام الحافظ الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني ويروي التفسير والبيان والعقائد واللغة والسير والتصوف وسائر الفنون عن عمه أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، وعن أبي عبد الله محمد العربي [بن يوسف بن محمد الفاسي ، والقاضي ابن أبي النعيم ، ويروي الأصول عن عميه أبي زيد عبد الرحمان ، وأبي عبد الله محمد العربي ، والقاضي ابن أبي النعيم ، وأبي محمد عبد الواحد ين أحمد بن عاشر الأنصاري. ويروي النحو عن أبي الحسن علي ابن الزبير السجلماسي والقاضي ابن أبي النعيم وعميه أبي زيد عبد الرحمان وأبي عبد الله محمد العربي][1] ووالده الفقيه أبي الحسن علي بن يوسف الفاسي. وكان ديِّنا خيّرا ، أخذ عن المشايخ كالحميدي والسراج والقدومي وابن مجبر وغيرهم ، وأدرك جملة من الصوفية وتبرك بهم وانتفع ببركاتهم كوالده أبي المحاسن يوسف الفاسي والشيخ أبي زيد عبد الرحمان المجذوب والشيخ أبي الحسن علي الشلي. وكانت ولادة أبي الحسن علي الفاسي سنة ستين وتسعمائة ، وتوفي 1030 سنة ثلاثين وألف ، ويروي الفقه[2] عن والده أبي الحسن

(1) سقط من لك وم.

(2) [قوله الفقه نحوي رسالة ابن **أبي زيد القيرواني ، ونظم المقنع. فانه كان يقرئه للعوام بين العشاءين زمن الشتاء ، ويحضر معهم بعض الطلبة من تلامذته الذين يقرأون عليه غير فن الفقه مما طال فيه باعه. وأما الفقه فانه قصير الباع فيه ، وابتدأ مرة تدريس مختصر خليل** فبلغ فيه إلى الفوائت وانقطع الطلبة عنه ، ولم يبق منهم إلا اليسير ، فقطعه ولم يزد على الفوائت شيئا ، ولم يختمه بالتدريس قط حتّى للمبتدئين ، وإنما ابتداًه هذه المرة الواحدة فبلغ فيه إلى الفوائت وانقطع الطلبة عنه فقطعه لعجزه عن ......] طرة في لك وم. وفي آخرها نحو ثلاث كلمات غير مقروءة.

علي وعميه أبي زيد ومحمد العربي وابن أبي النعيم والمقري وأبي محمد عبد الواحد ابن عاشر والجنَّان . وانتسب في طريق القوم ، وفهم كلامهم للشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي . وعليه اعتمد ، ومن أنواره العرفانية استمد ، وكان كثيرا ما يلهج به ويستشهد بكلامه ويقتني آثاره ، ولما توفي ارتبط بعده بالشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله معنّ الأندلسي رحمه الله . ولقي قبل ذلك جماعة من المشايخ الصوفية وتبرك بهم ، كالشيخ أبي القاسم بن الزبير المصباحي دفين القصر المتوفَّى 1018 في محرم سنة ثمان عشرة وألف . من أصحاب أبي مهدي عيسَى بن الحسن المصباحي تلميذ الشيخ الغزواني ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن موسَى السريفي الفجَّاج المتوفَّى 1022 سنة اثنين وعشرين وألف من أصحاب سيدي أبي الشتاء وغيره وكالشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الصرصري المتوفَّى سنة 1017 سبع عشرة وألف من أصحاب أبي مهدي عيسَى بن الحسن المصباحي ، وكالشيخ أبي عبد الله محمد القجيوي القصري المتوفَّى سنة 1044 أربع وأربعين وألف من أصحاب سيدي أبي محمد عبد الله بن حسون السلاسي دفين سلا ، وكالشيخ أبي زيد عبد الرحمان الشريف اللجائي المتوفَّى بعد الأربعين وألف ، وكالشيخ سيدي جلول بن الحاج المتوفَّى سنة 1037 سبع وثلاثين وألف من أصحاب سيدي الحاج محمد الرامي التواتي دفين باب الجيسة من فاس القرويين . وكالشيخ سيدي حسين الزرويلي المتوفى 1031 في الثاني والعشرين من صفر سنة احدَى وثلاثين وألف . من أصحاب سيدي أحمد بن جامع [وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي التُّجِيبي وغيرهم][3] . لكنه ما كان ينتسب إلا للشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، وعليه اعتمد ، والله أعلم انتهَى بحذف منه .

وسقت كلام سيدي الطيب هذا لأنه حفيده المباشر ، وقريبه المعاشر . فقد أدركه بالسن نحو خمس وعشرين سنة ، وقرأ عليه . فأهل مكة أدرى بشعابها ، وأهل الدار أعرف بمن بها ، والدخول للبيوت من أبوابها . وكثير مما قاله فيه فهو في الخارج معروف ومشهور مقرر لدَى الكل وموصوف [وكان تلميذه][4] العلامة أبو عبد الله المجاصي إذا كتب اسمه عبر عنه بالعارف بالله ، ولا شك أن المعرفة بالله هي

(3) سقط من **س وط** .

(4) **س وط** : كان تلامذته ومنهم أبو عبد الله المجاصي .

أعلى المقامات كما في **بغية السالك** للساحلي **والرسالة** وغير ذلك . ومن أرجوزتنا المنظومة في رهط صاحب الترجمة في وصفه :

أَوَّلُهُمْ هُوَ الإِمَامُ الـمَاهِرُ العالـمُ المفردُ عبدُ القادرِ
شيخُ الشيوخِ وفريدُ المنصبِ مُحيي العلومِ في جميعِ المغربِ
قَد أشرقتْ من أُفْقِه أنوارُ واتَّضحتْ من علمِه أسرارُ
وانعقدَ الإجماعُ في تقديمِه واتفقَ الكلُّ على تعظيمِه
علومُه مشهورةٌ جَلِيَّه موهوبةٌ جليلَةٌ قُدْسية
يَعلُو به المكانُ والمقدارُ ويعظُم التفخيمُ والوَقَارُ
مقامُه بفاسَ ذو اشتهارِ مُؤَمَّلٌ لحاجَةِ الزُّوَّارِ
محترمٌ من أعظمِ المشَاهِد مَأْوَى لِذِي عبادةٍ مُجَاهِد
تُتْلَى به الأحزابُ والأورادُ وتُرتجَى من عندِه الأمدَادُ
يُنال من جوارِه الإعظامُ ويُكسب العِزُّ والاحترامُ
يَشْفِي مَعينُه غليلَ الصادِي ويُرتجَى منه مُنَى القُصَّادِ
قَدْ أوضحَ الطريقةَ الصوفية وجدَّد المحجَّةَ الجَلِيَّة
ومهَّدَ العلومَ والعرفانَ وبَيَّن الحُجَّةَ والبرهانَ
تَلَمَّذَتْ له شيوخُ المغربِ قاطبةً فهو العَلِيُّ المَنْصِبِ

وقد علمتَ ما تضمنته الأبيات من استقراء كلام تلامذته فيه كسيدنا الجد . رحمه الله . فإنه كان مهما ذكره يعبر عنه بالشيخ الإمام أو بشيخ الجماعة ونحوه ، ذلك مما يقتضي تقدمه على الجميع[5] . ورأيت في كلام كبراء أهل وقته التلمُّذ له والإذعان لمنصبه والانتساب إليه ما أمكن . وكل يفرح بالقرب إليه والانحياش إليه . مع المبالغة في الثناء عليه . ومن الجاري على الألسنة [وحكاه بعضهم عن شيخنا أورع أهل زمانه سيدي الكبير بن محمد السرغيني رضي الله عنه قولهم :][6] إنه لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي

(5) [أي في معرفة علوم الحديث والتدريس لكتب طريق القوم أي السادات الصوفية] طرة في **لك** وم .
(6) سقط من **لك** وم .

ظهرت فيه ، وهم سيدي محمد بن أبي بكر في [ملوية من بلاد فزاز](7) وسيدي محمد بن ناصر [في الصحراء](8) وسيدي عبد القادر الفاسي بفاس(9)

وقال أبو العباس الولالي في **مباحث الأنوار** : وكان عالم وقته ، وبحر الفنون في أزمنته ، وكان أزهد العلماء بوقته فيما في أيدي الناس . وكان مع اتساع علمه وعظم جاهه يأكل من عمل يده ، فكان ينسخ **الجامع الصحيح** للبخاري كثيرا . وكان يبيعه يتعيش به ، وكان الناس يرغبون في النسخ التي تكون بخطه للتبرك والاتقان . ولما تولى السلطان مولانا الرشيد رحمه الله تعالى . وهو حينئذ كبير السن ، أراد أن يمده بشيء من الدنيا . فبلغه ذلك فقال : قولوا له يشغل نفسه بغيري . فالذي رزقني من المهد إلى أن ابيضت لحيتي هو يرزقني . ثم جعل يحكي ما قاله الشيخ السنوسي لبعض ملوك وقته حين عرض عليه شيئا من الدنيا وهو أنه قال له : أما نيتك فالله يجازيك عليها خيرا ، وأما أنا فأخاف أن تفيض علي بحور الآخرة ، فأردت أن تجدني حينئذ خفيفا من الدنيا لعلني أقطعها بخفة . وكان ملازما لما ينبغي له ، لا يوجد له وقت إلا في مذاكرة علم أو توصية بعمل ، وكل من عاشره شهد له بقوة الإيمان ، وهو مشارك في الفنون : فله خط وافر في المعقول ، وباع واسع في المنقول ، وكان يدرس الحديث والتصوف دائما ، وينتفع الحاضرون بحاله ومقاله . وأخذ عنه مشاهير العلماء والإجازة شرقا وغربا . ولم يقبل تلقين الذكر(10)

(7) **س وط** : في الدلاء .

(8) [أما الأول وهو محمد بن بكر الدلائي فانه يكرم طلبة العلم ويواصلهم بالعطاء الجزيل إعانة لهم على طلب العلم كما هو معلوم . كان مرتبا عنده بباب داره من طلبة العلم أزيد من ثلاثة عشرة مائة . وأما الثاني ، وهو سيدي محمد بن ناصر ، فانه كانت له مواصلة يسيرة لم تبلغ عشر من ذكر قبله . وأما الثالث ، وهو سيدي عبد القادر الفاسي ، فإنه اعتنَى بتدريس علوم الحديث والمغازي والسير . فان أهل فاس كانوا اشتغلوا بطلب علم الفقه والعلوم العقلية وتركوا علوم الحديث . فاعتنَى بالتدريس لها حتَّى أحياها رحمه الله . وأما علم كتب القوم فقد شركنا الشيخين المذكورين معه فيه . ولا نعرف له مواصلة لأحد بطعام ولا بغيره] . طرة في **لك وم** .

(9) **س وط** : في درعة .

(10) [كان لا يلقن الناس الأوراد ، لأنه لم يكن عنده إذن في ذلك من شيخ . فكان يمتنع من التلقين لعدم الإذن له به . بل الإنسان على نفسه بصيرة . وإنما كان تلقين على سبيل الرواية بعد العلم بها وبشرها للملقن له رحمه الله تعالى] طرة في **لك وم** .

على عادة مشايخ الفقراء إلا أن كان ذلك على وجه الرواية.[11] وأنت لا تتكلم معه في شيء، من أمور العلم إلا وجدت له نورا قلبيا. وكان مقبولا عند العامة والخاصة، لا يجد أحد من شدة تحافظه واشتغاله بما يعنيه وسعة علمه ما يقول فيه. وكان له صيت ديني وعلمي في المشرق والمغرب، وكان له أخلاق شريفة. فلا يستدعيه أحد إلا خرج إليه ووقف معه وأوسع له فيما يريد حتَّى يكون المستدعي هو الذي ينصرف عنه باختياره، ولا يشكل على أحد مع وجوده حديث ولا مسألة صوفية. ولما مرض مرضه الذي توفي فيه دخلتُ عليه أنا وواحد من أهل البيت لنعوده فوجدناه في علية له، فسلمنا عليه وقلنا له: كيف تجدك؟ فقال: بخير والحمد لله، أنا لا أجد في نفسي وجعا، ومرضي هذا الهرم، وهو لا يبرأ، ومع كوني لا أجد وجعا طال بي أمر الصلاة بالايماء، ومسست يده فوجدت عليه حمَّى قوية، ومع ذلك يقول لم أجد وجعا. ثم قال: لكني أقول اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي. مثلنا كما قال الثعالبي وغيره كمثل عبيد أمرهم سيدهم بشغل على أنهم إن بعث إليهم وقد فرغوا منه فلهم من التكريم ما لا يحصَى، ومن فرَّطَ في شغله حتَّى بعث إليه فله من الانتقام ما لا طاقة له به، فنهم من خاف أن يبادره السيد بالإرسال قبل الفراغ فبادر إلى شغله، وبعد فراغه أعد لسيده هدايا زائدة على شغله، والشغل الفرائض، والهدايا النوافل. فلما جاء الرسول وجده كما يحب السيد فبشره بأن خبره عند السيد، وقد أعد له ما وعده، فذهب إلى الكرامة مع الرسول مسرورا. ومنهم من سوَّف العمل حتَّى جاءه الرسول فوجده على غير ما يحب السيد من التفريط، فأغلظ له الرسول، وأعلمه أن السيد عالم بتفريطه، فأخذه بعنف واستشفع إليه بالسيد في التأخير فلم يمهله، وذهب به

(11) [لم يأذن سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي لابن أخيه وزوج ابنته سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي في قبول الخلق وجمعهم على الله وتلقينهم الأذكار والأوراد وتلاوة الأحزاب وغير ذلك من طريق التحكم والارادة السالكة [...] ولم يأذن أيضا سيدي محمد بن عبد الله معن إلى سيدي عبد القادر الفاسي في جمع الخلق على الله وتلقينهم بالأوراد وبالجماعة، فلم يأذن أحد من المشائخ إلى سيدي عبد القادر الفاسي بزاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بالقلقليين في جمع الخلق على الله وتلقينهم بالأوراد، ولذلك كان يمتنع من ذلك التلقين، وانما كان يروي ذلك لمن يشاء بطريق الرواية بالشرط المعتبر في ذلك]. طرة في لـ. وم.

إلى الانتقام . قال : هكذا نحن والله تعالى ينظر إلينا برحمته ، فقلت له : يا سيدي أريد منك أن تقبل لي الصحبة لله . وأخذ بيدي وقال : تقبل الله منا جميعا ، ثم التفت إلَى الذي معي من أهل البيت فقال له : هذا مولاي فلان ؟ قلنا : نعم ! فقال : ما كنا نرجو إلا محبة أهل البيت ، فقال : تشهدون لنا بأننا ما ادعينا دعوَى ، وإنما كنا نتعاطَى حروف العلم مع أصحابنا . فخرجنا عنه مودعين . وفي الغد توفي رحمه الله تعالى . وسمعت بعض الناس رأى في المنام بعض أجداده مع الشيخ عبد الرحمان المجذوب الذي هو أصل كرامتهم يخوضون قبل موته في موضع دفنه ، فقال لهم المجذوب : هنا يدفن في موضع تدريسه العلم ، مشيرا إلى موضع من زاويته ، فدفن هنالك ، وهو الآن مزارة لأهل فاس . نفعنا الله بمحبته وأمثاله انتهَى كلام الشيخ أحمد بن يعقوب بنصه .

وممن أخذ عن صاحب الترجمة إجازة ومذاكرة الإمام أبو علي اليوسي ، وعبر عنه لذلك بشيخنا ، وعده في أشياخه في **فهرسته** فقال : ومنهم الإمام الهمام القدوة العلامة الصوفي شيخ الجماعة بالحضرة الإدريسية الفاسية في وقته أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي لقيته بزاويته ، وجالسته مرارا عديدة ، وذاكرته في مسائل مهمة ، وعقدت معه عهد المحبة والأخوة في الله تعالى ، واستدعيت منه الإجازة في فنون العلم كلها ، فأجازني وذكر نص الإجازة ، وتاريخها عام واحد وثمانين وألف ، وهي عامة في كل ما يصح له وعنه بما اشتملت عليه **فهرسة** القصار والمنجور بإجازة عم أبيه سيدي عبد الرحمان الفاسي وعمه سيدي العربي عن القصار وبإجازة شيخهما ابن أبي النعيم عن المنجور وفي إجازة غيرهما له وعبر عنه آخر **المحاضرات** بشيخنا أيضا. وما ذكره بعض الأشياخ[12] من أن الشيخ اليوسي لم يأخذ عن صاحب الترجمة[13] يعني على الكيفية المعروفة من الجلوس بحلقة التدريس في جملة تلامذته، والملازمة له. وهذا لم نحفظه عنه، ولم يحك الشيخ اليوسي شيئا منه لمَّا

(12) **س وط** : المقيدات .

(13) [قوله : بعض الأشياخ ، هو عبد السلام بن الطيب القادري جد المؤلف . فالمؤلف هو محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الذي قال ذلك في **فهرسته** فلذلك نبه عليه المؤلف هنا والله أعلم بحقيقة ذلك . وقد وقعت بين ولد صاحب الترجمة الحافظ عبد الرحمان مع الحسن مخاطبات أدت إلى الهجو بينهما بأبيات ، وأجاب عنهما عبد السلام القادري بأبيات يستحيي من ذكر ذلك ، فتركته] طرة في **لك** وم .

عد جميع مقروءاته في **فهرسته**. وأما الأخذ عنه بالإجازة والمذاكرة واللقي فهو واقع. كما حكاه عن نفسه في **فهرسته** المذكورة. وفي **مقيدات** ولد صاحب الترجمة وهو الحافظ أبو زيد ما نصه:

وفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سمع صوت قراءة ونحوه من قبر صاحب الترجمة بعد صلاة العشاء، وحضره نحو الأربعين. وكان سمعه قبل ذلك نحو اثنين في الشهر الذي قبله(14).

ورثي صاحب الترجمة بمراثي، فمن ذلك قول ولده أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر:

يَقُولُونَ مَاتَ الْحَبْرُ وَهْوَ كَوَاحِدٍ ... لَعَمْرُكَ ذَا قَوْلٌ لِمَنْ كَانَ أَخْرَقَا
ووَهَيْهَاتَ مَا حَبْرٌ يَمُوتُ كَوَاحِدٍ ... وَلَـكِنَّـهُ جَمْعٌ لِقَوْمٍ تَفَـرَّقَـا
وَمَا كَانَ إِلاَّ مَلْجَئاً لِذَوِي النُّهَى ... وَحِصْناً لِدِينِ ٱللَّهِ لَمْ يَكُ يُرْتَقَى
مُطِيعاً لِأَمْرِ اللَّهِ كَانَ وَمَنْ يَكُنْ ... مُطِيعاً لِأَمْرِ ٱللَّهِ يُخْشَى وَيُتَّقَى
إِمَاماً هُمَاماً زَاهِداً مُتَوَاضِعاً ... جَوَاداً جَلِيَّ ٱلْحِلْمِ وَٱلْعِلْمِ وَالتُّقَى
يَحِقُّ لِعَيْنِي أَنْ تَسُحَّ لِفَقْدِهِ ... دُمُوعاً تَعُمُّ ٱلْأَرْضَ غَرْباً وَمَشْرِقاً
وَلِمْ لاَ وَقَدْ عَمَّ ٱلْبَلاَ بِمُصَابِهِ ... وَأَصْبَحَ طَرْفُ الدِّينِ لِلْكَرْبِ مُطْرِقاً
وَقَدْ شَمَلَ ٱلْإِسْلاَمَ يَوْمَ فِرَاقِهِ ... أَسىً قَيَّدَ ٱلْأَشْجَانَ وَٱلدَّمْعَ أَطْلَقَا
يَقُولُ لِسَانُ ٱلْعِلْمِ أَيْنَ نَظِيرُهُ ... لِحَمْلِي وَمَنْ يُلْقَى لِفَهْمِي مُحَقِّقاً

(14) [وهذا شبيه بما أخرجه الحافظ أبو نعيم الإصبهاني بسنده في **حليته** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، في ترجمة أبي الجوزاء قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباء على قبر ولا يحسب أنه قبر فإذا هو بإنسان يقرأ سورة **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ** حتّى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ضربت خباء لي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة تبارك حتّى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر. وقال أبو نعيم: غريب، من حديث أبي الجوزاء لم نكتبه مرفوعا مجردا إلا من حديث يحيى بن عمر عن أبيه. انتهى.

وردت أحاديث صحاح وغيرها في فضلها: قال الجلال السيوطي في **حاشية الموطأ**: وعرف من مجموعها أنها تجادل في القبر وفي القيامة معا لتدفع عنه العذاب وتدخله الجنة.

ولعل الشيخ صاحب الترجمة لما كان ديدنه القرآن، كما قدمناه، جعله الله أنيسه في قبره، نفعنا الله به] طرة في **لك وم**.

فَقُلْ لِلَّذِي لَمْ يَقْدُرِ ٱلْحَبْرَ قَدْرَهُ   وَرَبِّي مَا أَبْصَرْتُ مِثْلَكَ أَحْمَقَا

[وهو كذلك ، فقد تفرقت لموته جموع ، وضاعت فيه من العلوم أصول وفروع ، وكان جل قراءته التفسير ، **والصحيحين** ، **والشمائل** ، **والرسالة** ، لابن أبي زيد ، **والإحياء** للغزالي ، مرجوعا إليه في الفتيا ، ولم يتفق له ختم اقراء **مختصر** خليل ، وإنما درس منه إلى السهو][15] . وأنشد أبو علي اليوسي رحمه الله في التعزية لولديه أبي زيد سيدي عبد الرحمان وأبي عبد الله سيدي محمد فقال :

مُصَابٌ لَو أَنَّ ٱلْأَرْضَ نَالَ أَدِيمَهَا   لَمَا أَنْبَعَتْ نَهْراً وَلاَ أَنْبَتَتْ زَهْراً
وَلَوْ أَنَّ آفَاقَ السَّمَاءِ أَصَابَهَا   لَمَا أَطْلَعَتْ شَمْساً وَلاَ أَنْزَلَتْ قَطْراً[16]

ويأتي إن شاء الله نص هذه التعزية بتمامها في ترجمة ولد صاحب الترجمة . وحكَى أبو سالم العياشي في **رحلته** حيث زار بعض مشايخ الاسكندرية وهم أبو العباس المرسي والشيخ ياقوت العرشي وأبو عمرو بن الحاجب ، قال : جئت لزيارة الشيخ ، فلما جلست أخذت في الدعاء لي ولإخواني ومشايخي ولشيخنا سيدي عبد القادر الفاسي ، لحقني أمر ما كنت أعهده من نفسي قبل ذلك ، وحضرني من الخشوع والأدب ما لم آلفه ، حتَّى خيل لي أن شيخنا أبا محمد حاضر هنالك ، فعلمت أن شيخنا ممن تحقق بحال الشيخ وسلك مرامه ، وورث علومه وأحوال الشيخ المرسي وسيرته وهديه . انتهَى بحذف .

الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي

ومنهم المتدارك العالم الفقيه الصوفي الزاهد الولي ، أبو محمد الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي الأغْلاني ، شَقيق الشيخ أبي عبد الله المتقدم . كان رضي الله عنه عالما مشاركا ، وزاهدا محصلا للعلوم ، قرأ على شيوخ بيَّنهم في **فهرسته** منهم أخوه أبو عبد الله المذكور ، ختم عليه **مختصر خليل** ست مرات ، **وتسهيل** ابن مالك نحو خمس مرات وغير ذلك ، منهم أبو الحسن بن جبور الفركلي ، قرأ كتابا في علم

(15) سقط من لك وم .
(16) لما أنزلت بدرا .

الكلام والنحو والحديث ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغثي ناظم **المقنع** قرأ عليه **الروضة** في التوقيت **ومختصر خليل وصحيح البخاري والموطأ** وعلم الحساب **المنية** وغير ذلك ، ومنهم الشيخ سلطان المصري والشيخ الزعتري كلاهما بالأزهر ، وأخذ التصوف والطريقة عن مشائخ منهم أخوه أيضا ، ومنهم شيخاهما الشيخ عبد الله بن حسين ، والشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم ، وجل هؤلاء تقدمت تراجمهم . وأخذ عن آخرين كالبابلي وعبد المعطي المالكي المصري . ولما قرب استقراره بإغلان ، سلَّم على سيدي أحمد بن ابراهيم يوما ضحىً ، قال صاحب الترجمة في **فهرسته** : فرفع بصره إلي وتبسم وقال لي : ان أردت سكنَى إغلان عند قضاء حاجتك من طلب العلم أذنا لك . فوقع في قلبي ما الله أعلم به من مفارقة الأشياخ ، إذ عزت علي مجاورتهم ومجاورة أوطانهم ، واستشعرت من كلامه وقوع السكنَى . قال لي : وسيِّدي محمد أخوك ليس له مندوحة عن هذا الموضع واستيطانه . وتواطأت أنا وصاحب لي على الدخول على القطب سيدي عبد الله في روضته عام وفاته والاستشفاع به في رؤية المصطفَى ﷺ ، فلما كان بعد ثلاث دخلات عليه رآه صاحبي ﷺ وبقيت أنا . ودخلت على سيدي أحمد وأخبرته بما وقع لي أنا وصاحبي وقلت : لعلني لست مسلما ، فقال لي : لا تقل ذلك ، ولكن ادخل على الشيخ واطلب حاجتك منه ، ففعلت ، فرأيته ﷺ بكراع بلاد المغاربة بتمجروت ، وماشيته إلى اغلان قرب مسجد آيت سيدي علي ، فدخل موضعا وقال : انتظرني حتَّى أرجع . فانتبهت وتيقنت سكنَى اغلان ومفارقتي شيخي وشقيقي بإشارة الشيخ سيدي أحمد بن ابراهيم ومماشاة المصطفَى ﷺ من تمجروت إلى اغلان . انتهَى . قال أيضا صاحب الترجمة في **فهرسته** : ثم بعثني الشيخ الشقيق عام ثلاثة وخمسين لزيارة رجال مراكش ورجال أغمات ، وعام أربعة وخمسين لزيارة ولي الله سيدي أبي يعزَى ، ثم عام ثلاثة وستين لحج بيت الله الحرام وزيارة المصطفَى ﷺ ، وما جُعنا ولا عطشنا قط ، وكان أهل الركب وأميره يعجبون من سهولة سفرنا . قال : ثم لما شيعنا أحبتنا إلى المراكب وأخذوا في وداعنا طرقني من وحش الشقيق ما لا أطيق فقلت :

حَلَلْنا بِوَادٍ لِلْمَرَاكِبِ يُنْسَبُ فَهَيَّجَ لَوْعَاتٍ تُذِيبُ وتُشْجِبُ
فَقُلْتُ وَنَارُ ٱلْبَيْنِ تُوقِدُ حَرَّهَا حَبِيبِي رَسُولُ ٱللَّهِ أَحْلَى وَأَعْذَبُ

هَنِيئاً لَنَا إِذْ صِرْنَا أَهْلاً لِوَفْدِهِ ... تُزَاحُ بِهِ عَنَّا ٱلْكُرُوبُ وَتَذْهَبُ
هَـنِيئاً لَنَا نِلْنَا ٱلسَّعَادَةَ وَٱلْمُنَى ... بِوَفْدٍ عَلَى هَذَا ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُقَرَّبُ

قال : وما دخلنا لبلد قط الا أحبنا صلحاؤها وأكرمونا وأطعمونا وسقونا ، وما نزلنا بيداء معطشة إلا وجدنا فيها غديرا بفضل الله وبركة الأشياخ ، وأراد بعض أصحاب الأخ الشقيق ممن كان معنا زيارة رجل صالح يقال له سيدي محمد بن أبي علي في بسكرة ، واسترفقني فكرهت مخالفته فزرناه ؛ وطلب منه الصاحب الضمان في الطريق . فرأيت في النوم الأستاذ سيدي أحمد بن إبراهيم فقال لي : زلقت وزللت يا صبي ، إن البركة التي يشرب فيها الإنسان يواضبها ويقيم عليها ولا يكدرها ، فكيف يطلب غيرها ! أتحسب وتظن أنك لم تبلغ في تعب ومشقة ، والله لقد كنت تنام معوجا فآتيك حتَّى أقومك ؛ أتريد ملاقاة سيدي عبد الله ؟ فقلت نعم ! فذهب بي حتَّى لقيته ، فسلمت عليه وقال لي سيدي أبو العباس : إن حانت وفاة أحدكم يعني في الطريق فان لم أحضره أنا فسيدي عبد الله بن حسين يحضره لا محالة . ثم مات جماعة من الفقراء في الطريق وهاج علي شوق الأخ الشقيق أيضا يوما فقلت :

فَيَا رَاكِباً إِذَا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... شَقِيقِيَّ مَنْ حَازَ ٱلْبَهَاءَ مُحَمَّداً
وَقُولاَ لَهُ يَا ثَمْرَةَ ٱلْقَلْبِ إِنَّنِي ... أَسِيرُ ذُنُوبِـي أَوْرَثَتْنِـي تَمَرُّدَا
فَـمُنْ بِـدَعْوَاتٍ بِنَـيْلِ سَعَادَةٍ ... وَإِلا أَرَانِي صِرْتُ فَحْماً مُخَلَّدا

ورأيت الشيخ أبا العباس يوما في عالم النوم يبكي فقلت له : يا سيدي ما يبكيك ؟ قال : أبكاني الفقراء لم يقوموا لنا حتَّى بالصلوات .

وقمت ليلة لوردي فوجدت وقت قيامي لم يئن فرجعت فنمت ، فرأيت الشيخ سيدي عبد الله بن الحسين معرضا عني إعراضا شديدا ، فقلت له : يا سيدي أستغفر الله وأتوب إليه ، ماذا أذنبت ؟ فقال لي : لِمَ قمتَ ورجعت إلى النوم . وكان سيدي أحمد بن إبراهيم يقول : قال سيدي أحمد بن علي بن داود شيخ الشيخ عبد الله بن حسين : نوم السنة قيمته ربع مد نخالة . انتهَى .

[انتهَى كلام صاحب الترجمة في **فهرسته** ، وتركت منه كثيرا ، وبعضه نقلته

بالمعنَى ، وهو في غاية اللطافة ، وعليه طلاوة بديهة الفطرة ، وأخذه بمجامع القلب ، وذلك من أنوارهم المشرقة وغيوب معارفهم المغدقة . وفي كلام صاحب الترجمة هذا فوائد منها : إنهم لا يريدون مريدهم يتشوف لغيرهم . ومنها : شدة اعتنائهم بأصحابهم . ومنها الاعناء بهم من قبل الحق تعالى حتَّى قيض لهم من ينفعهم غيبا ويحرسهم في حالة أسفارهم البعيدة . فهذه غاية العناية وأكبر الولاية . زرقنا الله محبتهم وأنالنا بركتهم][17] .

عبد الله بن محمد بن ناصر الدرعي

ومنهم الفقيه النحوي العالم العامل الناسك الخاشع أبو محمد عبد الله بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي . تقدمت ترجمة والده وتراجم لأقاربه .

وفي **محاضرات** أبي علي اليوسي ما نصه : ولما صنعت القصيدة الدالية في مدحه وتهنئته بالحج ، يعني الشيخ محمدا بن ناصر ، أدخلها إليه ولده الفقيه الناسك الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد عبد الله بن محمد ، فخرج إلي وقال لي : يقول لك الشيخ جعلك الله عينا يستقي منك أهل المشرق والمغرب وشمسا تيستضيء بك أهل المشرق وأهل المغرب . انتهَى . أخذ صاحب الترجمة عن والده الشيخ محمد ، ثم عن أبي سالم العياشي ، ولزمه وأجازه ، ونشأ في صيانة ومروءة وديانة ، وتوفي سنة 1091 بالطاعون في ربيع الأول عام إحدَى وتسعين وألف .

أحمد بن أحمد بن محمد الحاج الدلائي

ومنهم الأديب البارع ، المحلى بايجاد النظم بأنواع البدائع ، العذب المورد فيها والمشارع ، الرئيس أحمد بن السيد أحمد بن الرئيس الإمام الأجل الفقيه العالم أبي عبد الله محمد الحاج بن الإمام محمد الشيخ بن أبي بكر الدلائي[18] . أديب خطير وبليغ شهير ، يأتي في منظومه بالعجائب ، وفي منثوره بما يسحر الألباب . فمن ذلك رسالة يخاطب بها مولانا الخليفة الإمام السلطان الملك المظفر الهمام أبا النصر والفداء

(17) زيادة في **س وط** .
(18) لا ترد ترجمته في **ط وس** .

المنصور بالله أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن الإمام السلطان مولانا الشريف بن المجاهد المثاغر بالأوقاف والصدقات مولانا إسماعيل بن الإمام السلطان مولانا الشريف بن المجاهد المثاغر بالأوقاف والصدقات مولانا علي الشريف الحسني السجلماسي في أيام تخلفه عن أهله بتلمسان نصها : بسم من يضع الملك حيث يشاء . فاختار له على علم قريشا . يتفيأ الرسوم وارف ظلال الدوحة النبوية . ويتنسم عرف أزهار عوارفها المصطفوية . ويترقّى إلى حيث النجوم الشوابك . والمعالي أرائك . من تحمرُّ من هيئة جلاله الأنفاس على خدود الأطراس . ويتشرف بلثم يد طالما ازدحمت على تقبيلها الأملاك . وانجابت بحسن صنيعها على بني الآمال الأحلاك . أبقاها الله آخذة بيد من زل به الزمان . ولحل ربقة كل عان . ولتقبيل أفواه وإعطاء نائل وإمساك هندي وحبس عنان . وشيد لراقه في كنف الدولة الهاشمية كنفا . واستوهب له منها عفوا لا يعقب ندامة ولا خوفا . دولة مولانا الذي ملك البواطن بحسن بشره وعفوه . والظواهر بشدة بأسه وسطوه . محيي الدولة . ودريئة الأبطال عند الجولة . قاهر الملوك وواسطة عقد السلوك . من دانت لهيئته فتاكة الأقطار . وترنمت بمآثره حذاة الأقطار . ظل الله على بريئته الظليل . أبو الفتوحات مولانا اسماعيل . لا زالت رياح العز تنشر خوافق ألويته وراياته . والنشر يتلو في مآزق الحرب محكم آياته . آمين . وليث شعري بما أحيي ذلك المقام النبوي والجانب العلوي . وأي عبارة أرتضيها للإفصاح عن قدره أو تقوم بواجب حقه وبره . وغاية جهدي يستغرقه عفو فضائله . ولو كنت سحبان وائل . ويخجله أيسر فواضله . حتّى أكون في الفهاهة كباقل . فان قلت تحيَّة كسرَى في السناء وتبَّع . جف القلم استحياء من سلوك هذا المهيع . وأولى ما يُحيي به ذلك المقام الذي اتخذ الأفلاك مِهادا . والنجوم وسادا . بالتحيَّة التي أضاء الشرع نبراسها . وأدار على أمته كأسها . وأغفل الله عنها الأمم وأجناسها . وحباها لهذه الأمة المحمدية تكرمة لها . فلم تستنشق أمَّة وَرْدَها ولا آسها. سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته من عبد له يخر على طرف بساطه لاثما . ويقضي من حقوق الخدمة فرضا لازما . أحمد بن عبد الله أوجبها إلى الحضرة الكريمة التي يتلقّى فيها الصادرُ الوارد بالبشائر . ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن ملاطفتها عن الأهل

والعشائر ، الإعلام لسيدنا بعذري عن التخلف ، فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجبه ما معي من عيال أبي ، فكرهت أن أفتات عليه في عياله وهو غائب ، فلم أزل أستدنيه حتَّى بلغ الجزائر ، ولما خرج منها برسم الوصول إلى العُبَّاد حرم القطب الغوث أبي مدين وجد هذه الفتنة بين يديه ، فتأخر حتَّى يسكن هرجها ويخمد وهجها ، ولا يصغي مولانا نصره الله إلى أقوال الوشاة فينا ، إن بلغه غير هذا ولا يقبله ، فان الله سبحانه لم يقبل في مولانا أقوالهم ، ولا وافق شهواتهم ، ولو وافق أغراض البعض في البعض ، ما أدي نفل ولا فرض ، ولا يضيق علينا مولانا من عفوه ، ما وسع أهل المغرب من فضله ، فقد مددنا إلَى سيدنا يد الضراعة مستشفعين اليه بجده صاحب الشفاعة ، يَمُنُّ علينا بعفو يزيل إيحاشنا ، ويسكن جأشنا ، أبعثه إلى والدي فان أجاب فذلك هو المطلوب والأمل المرغوب ، وإلا ركبت إلى سيدي عَزْماً يحكي الريح في الهبوب ، فقد طالت في انتظاره الغربة ، ونالتني من ذلك كل كربة ، والله سبحانه هو المسؤول ، أن يبلغني ما أرجوه بكم من كل مطلوب وسول ، فأنا عبدكم المستشرق لخدمة جنابكم ، والنبات الذي ربت تحت رباب سحابكم .

وَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ قِلىً لَكُمُ   وَلَكِنَّ مَا يُقْضِيَ فَسَوْفَ يَكُونُ

والسلام على سيدنا ومولانا ورحمة الله تعالى وبركاته .

ومن رسائله أيضا رسالة أخرى يعاتب بها بعض أصدقائه نصها : بعد الحمد لله والتصلية ، ونسأل الله أن يكحل بإثمد الهداية عين بصيرته ، ويجعله ممن يقتدي بالسلف الصالح في نطقه وصمته ، وهديه وسيرته ، أخونا فلان(19) صانه الله في معارج شهوده عن ملاحظة الأغيار ، وحفظه في مدارج سعوده عن بت الأسرار ، آمين . سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وقد بلغني عن أخي كتاب ، فلتعلم أني والله ما أمرت ولا قصَّرت ، ولقد امتثلت جهدي ما به أمرت ، غير أني عثرت فيه على كلمات موغرة مؤلمَات ، ولكن نجعلها مكانك من قلوبنا على وجه الأخوة كالشامات ، أما قولك سأنتقم ، فأقول : واعجبا لقد تعست العجلة :

(19) في **البدور الضاوية** أنه سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي . (مخ. خ. غ. رقم د 261، ص 441) .

وَمَاذا بِمِصْرَ مِنَ ٱلْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا

فهذه القدرة التي بها تبرق وترعد ، وتهدد توعد ، كيف وسعك صونها واذخارها . وقد رأيت نيران الظلم قد أحرق ضعفة المسلمين أوارها . وهذه منذ أحوال . وأموال المسلمين على غير القانون الشرعي تُوزَّع . والقتل يأخذ فيهم أكثر مما يدع ، لا يقر بهم من الخوف مضجع ، وكل ذلك بمرأى منك ومسمع[20] . فلا غضبت لربك . وقمت في نصرة المساكين بحمايتك وذبك . يا رب إن فيهم عبدك الصالح ، يا جبريل أهلكه معهم ، فإنه قط ما تغيَّر لي وجهه.

ومن رسائله[21] أيضا : بعد الحمد لله والتصلية ، وبالله يا أخي كيف ينالني سطوك ، ويسعهم مع تمردهم وطغيانهم عفوك ، تلك إذاً قسمة ضيزي ، هذا والعقد والحمد لله أشعري ، والمذهب ليس بقدري ، فإذا صحَّ لم أخف ، وأعوذ بجلال وجهه من جبار السماوات والأرض ، ومن ديان الخلائق يوم العرض ، فما فوق البسيطة من يراجى . أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ وانما أعد أقوالك تذكرة وعِظاتك تبصرة .

ومن رسائله[21] أيضا نصها بعد الحمد لله والتصلية : وأخوك ، والحمد لله ، إبراهيمي الاعتقاد ، محمدي الدين والوداد ، أما إليك فلا . وأما إلى الله فبلَى . حسبنا الله ونعم الوكيل . أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه . انتهَى المراد منها .

وله رسائل أخر تركتها لكثرتها . وله قصائد كثيرة ، وأنظام جيدة بليغة شهيرة ، فلنورد منها هذه القصيدة خاطب بها بعض إخوانه يتشوف إلى ما مضَى له من أيامه وزمانه ومكانه . ومع هذا كله رمته الأقدار مع أهله إلى تلمسان ، وافترق عن العشائر والاخوان ، إلى أن كان من أمره ما كان . وتوفي غريبا مطرودا في البلدان والقصيدة المشار إليها هي هذه :

أَرِيحاً سَرَتْ بَيْنَ ٱلْحَدَائِقِ وَٱلنَّهْرِ مُعَنْبَرَةَ ٱلْأَذْيَالِ مِنْ نَفْحَةِ ٱلزَّهْرِ

(20) زاد في مخطوط **البدور الضاوية** بالخزانة العامة ، ص 442 : «ونساؤهم بين أفخاذ العبيد شرعَى ، وأعراضهم مهتوكة وقد حُرِّمت شرعا» .

(21) إن هي إلا فقرة من نفس الرسالة العتابية المذكورة قبله .

وَبَانَتْ بِوَادِي ٱلْغُدُورِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا ... وَلِلصُّبْحِ غَارَاتٌ عَلَى ٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ
وَزَارَتْ رِيَاضَ ٱلْحُزْنِ وَالطَّلُّ قَدْ غَدَا ... يُقَلِّدُهَا عِقْداً نَفِيساً مِنَ ٱلدُّرِّ
وَمَرَّتْ عَلَى أَكْنَافِ دَارِينَ فَٱنْثَنَتْ ... تُفَاوِحُ عُرْفَ ٱلْمِسْكِ وَٱلْعَنْبَرِ ٱلشُّحْرِ
إِذَا مِلْتِ نَحْوَ ٱلْغَرْبِ يَوْماً فَبَلِّغِي ... تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إِلَى ٱبْنِ أَبِي عَمْرِ
خَلِيلِي وَمَنْ صَافَيْتُهُ ٱلْوُدَّ فِي ٱلْهَوَى ... وَأَرْعَى لَهُ فِي ٱلسِّرِّ عَهْدِي وَفِي ٱلْجَهْرِ
وَأَهْتَاجُ شَوْقاً إِنْ سَرَى ٱلرَّكْبُ نَحْوَهُمْ ... وَأَهْفُو كَمَا تَهْفُو ٱلْحَمَائِمُ لِلْوَكْرِ
وَقُصِّي عَلَيْهِ مَا لَقِيتُ مِنَ ٱلنَّوَى ... غَدَاةَ ٱسْتَقَلُّوا وَٱلرِّكَابُ بِهِمْ تَسْرِي
وَأَنِّي عَلَى ٱلْعَهْدِ ٱلْقَدِيمِ لَثَابِتٌ ... وَحَاشَى لِعَهْدِي أَنْ يَحُولَ إِلَى غَدْرِ
وَفَرْطَ اشْتِيَاقِي نَحْوَهُ وَتَذَكُّرِي ... لِأَيَّامِنَا ٱلَّتِي غَدَتْ غُرَّةَ ٱلدَّهْرِ
زَمَانَ ٱلصِّبَا إِذْ عَيْشُنَا ٱلْغَضُّ رَائِقٌ ... يَرِفُّ رَفِيفَ ٱلزَّهْرِ فِي عَقِبِ ٱلْقَطْرِ
وَإِذْ نَحْنُ فِي ظِلٍّ مِنَ ٱلْعِزِّ وَارِفٌ ... وَغُصْنُ ٱلصِّبَا يَهْتَزُّ فِي حُلَلٍ خُضْرِ
وَقُولِي لَهُ لَا تَنْسَى مَا كَانَ بَيْنَنَا ... فَحِفْظُ عُهُودِ ٱلْوُدِّ مِنْ شِيَمِ ٱلْحُرِّ
وَعَرِّجْ عَلَى رُبْعِ ٱلدِّلَاءِ وَحَيِّهِ ... تَحِيَّةَ مَشْبُوبِ ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ
يَمِيناً لَقَدْ خَلَّفْتُمُونِي بَعْدَكُمْ ... أَخَا وَلَهٍ حَيْرَانَ فِي مَهْمَهٍ قَفْرِ
كَئِيباً كَأَنَّ ٱلْأَرْضَ حَلْقَةُ خَاتَمٍ ... عَلَيَّ وَمَنْ لِي بِٱلتَّجَلُّدِ وَٱلصَّبْرِ
فَلَوْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَا بِي مِنَ ٱلْأَسَى ... وَمَا بِضَمِيرِ ٱلْقَلْبِ مِنْ لَهَبِ ٱلْجَمْرِ
لَأَحْزَنَكُمْ حَالِي وَفَرْطُ تَشَوُّقِي ... وَشِدَّةُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ فَادِحِ ٱلضُّرِّ
يُمَثِّلُكَ ٱلْفِكْرُ ٱلْمَرُوعُ مِنَ ٱلنَّوَى ... فَأَرْتَاحُ إِذْ يَبْدُو خَيَالُكَ فِي فِكْرِ
وَيُدْنِيكَ مِنِّي ٱلْوَهْمُ حَتَّى كَأَنَّنِي ... أُنَاجِيكَ مِنْ فَرْطِ ٱلتَّشَوُّفِ وَٱلذِّكْرِ

[وَحَقِّكَ مَا أَرْضُ ٱلْجِدَارِ بِمَوْطِنِي](22)
وَلَكِنْ قَضَاءٌ حُمَّ مِنْ مَالِكِ ٱلْأَمْرِ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى ذَلِكَ ٱلْحِمَى ... وَأَنْتُمْ بِأَفْلَاكِ ٱلسِّيَادَةِ كَالزُّهْرِ
وَهَلْ أَتْرُكَنْ يَوْماً تِلِمْسَانَ رَاحِلاً ... عَلَيْهَا إِلَى تِلْكَ ٱلْمَعَاهِدِ وَٱلْوُكْرِ
فَتُدْرِكُ آمَالِي وَتُقْضَى [مَآرِبِي](23) ... وَيُنْسَخُ حُكْمُ ٱلْبُؤْسِ وَٱلْعُسْرِ بِٱلْيُسْرِ

(22) فِي نسخة البدور الضاوية المشار إليها أعلاه : وَحَقِّكَ مَا أَرْضُ تِلِمْسَان موطنا ولا يختلف المعنى إذا قصد أكادير الذي بتلمسان وترجمه بالجدار.

(23) في البدور : مآرب

عَلَى أَنَّنِي لَوْ سِرْتُ عَنْهَا لأَصْبَحَتْ ... نَـوازِعُ أَشْوَاقِي لهَا دائِماً تَسْرِ
وَلِمْ لاَ وَلِي فِيهَا إِمَامٌ مُعَظَّمٌ ... أَبُو مَدْيَنَ قُطْبُ ٱلْمَشَايِخِ وَٱلْعَصْرِ
إِمَامٌ لَهُ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ مَقْعَدٌ ... يُنَزَّهُ عَنْ زَيْدٍ هُنَاكَ وَعَنْ عَمْرو
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ يُكْرِمُونَ جَلِيسَهُمْ ... وَيُـولُـونَـهُ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ ٱلْبِرِّ
وَخُذْهَا عَلَى مَا فِي ٱلْحَشَا مِنْ كَآبَةٍ ... حَدِيقَةَ شِعْرٍ جَادَهَا صَيِّبُ ٱلْفِكْرِ
مِنَ ٱلأَنْـدَلُسِيَّـاتِ طَـبْـعاً وَرِقَّةً ... تُحَاكِي ٱطِّرَادَ ٱلْمَاءِ فِي صَفْحَةِ ٱلنَّهْرِ
مِنَ ٱلْكَلِمِ ٱلْمَنْخُولِ بِالطَّبْعِ لَفْظُهُ ... يَرُوقُ كَمَا رَاقَتْكَ صَافِيَةُ ٱلتِّبْرِ
تَـوَدُّ ٱلْـغَوَانِي لَوْ ظَفِرْنَ بِدُرِّهَا ... لِـيَجْعَلْنَهُ عِقْداً عَلَى لَبَّةِ ٱلنَّحْرِ
كَلاَماً كَمَا نَمْنَمْتَ وَشْياً مُفَوَّفاً ... صَنِيعَ فَتىً قَدْ فَاقَ فِي صِنْعَةِ ٱلشِّعْرِ
تَمَيَّلَ ٱبْنُ زَيْدُونٍ لَهَا طَرَباً بِهَا ... كَمَا مَالَ نَشْوَانٌ نَزِيفٌ مِنَ ٱلسُّكْرِ
وَلَوْ رَاسَلَ ٱلأَحْبَاب يَوْماً بِشِعْرِهَا ... لَمَا ذَاقَ مِنْ وَلاَّدَةَ مَضَضَ ٱلْهَجْرِ
وَيَهْوَى ابْنُ عَمَّارٍ صِنَاعَةَ حَوْكِهَا ... وَطِـبْـقَ مَـعَـانِـيـهَا لِأَلْفَاظِهَا ٱلْغُرِّ
هَدِيَّةَ مَنْ قَدْ شَطَّ عَنْكُمْ مَزَارُهُ ... تَجُوبُ إِلَيْكُمْ كُلَّ مُسْتَخْشَنٍ وَعْرِ
سَبَاسِبُ جُرْدٌ تَعْزِفُ ٱلْجِنُّ حَوْلَهَا ... وَيَخْفُقُ فِيهَا ٱلْقَلْبُ مِنْ شِدَّةِ ٱلذُّعْرِ
صَحَاصِحُ تَشْكُو ٱلْخَيْلُ مِنْ طُولِهَا ٱلْوَجَا
مَجَاهِلُ ضَلَّتْ فِي فَلاَهَا ٱلْقَطَا ٱلْكُدْرِ
تَحِنُّ إِلَى مَأْوَى السِّيَادَةِ وَٱلْعُلاَ ... فَقَابِلْهَا مِنْ مَعْهُودِ بِرِّكَ بِٱلْبِشْرِ
وَحَيِّي عَلَى بُعْدِ ٱلْمَدَى بِتَحِيَّةٍ ... مُـعَـطَّـرَةِ ٱلأَذْيَـالِ طَـيِّـبَـةِ ٱلنَّشْرِ
أَجِلَّةَ أَعْمَامِي وَأَهْلِي وَمَنْ لَهُ ... ٱنْتِمَاءٌ إِلَى غَوْثِ ٱلْوَرَى ابْنِ أَبِي بَكْرِ
وَقُلْ لَهُمُ إِنِّي عَلَى ٱلْعَهْدِ ثَابِتٌ ... مُقِيمٌ عَلَيْهِ مَا حَيِيتُ إِلَى ٱلْحَشْرِ
وَعُذْراً فَإِنَّ ٱلْبَيْنَ [خَبِيرٌ بِفِكْرَتِي](24) ... وَلِلَّهِ أَشْكُو مَا تَضَمَّنَهُ صَدْرِي
فَلاَ زِلْتَ فِي أَمْنٍ وَعِزٍّ مُؤَبَّدٍ ... مُوَقًّى مَدَى ٱلأَيَّامِ مِنْ نَكْبَةِ ٱلدَّهْرِ

كتب صاحب الترجمة لما ثار بجبل فزاز واستقر بقصبة تادلا ، فكتب إليه ابن عمه الفقيه الأديب سيدي محمد بن أبي عمر الإمام سيدي محمد بن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي وهو يعاتبه على سوء فعله ، ويأمره بالرجوع عما انتصب إليه فأجاب صاحب الترجمة ابن عمه المذكور بهذه القصيدة .

(24) في البدور : غيّر فكرتي .

وكان صاحب الترجمة لما أُخذت زاويتهم وخُربت وصارت براحا ، فرَّ إلى مدينة تلمسان من جملة من فر إلى حوز تلمسان من أنصارهم وشيعتهم ، ثم لحق بالجزائر ثم لحق أهله مع رئيسهم السيد محمد الحاج بن محمد بن الشيخ بن أبي بكر الدلائي إلى مدينة تلمسان فاستقروا ، ثم لحقهم من ولاتها أذىً كثير ، فكتبوا بذلك إلى أمير المؤمنين مولانا الخليفة المنصور بالله إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسني السجلماسي ، فبحث عمَّا كتبوا به له من أخبارهم ، فكشف له عن حقيقة أمرهم ، فرقَّ لهم ومنَّ عليهم بالرجوع إلى المغرب ، فرجعوا فأنزلهم بإزاء سيدي علي بن حرازم خارج باب الفتوح من مدينة فاس الأندلس ، ثم أذن لهم في الدخول إلى مدينة فاس فدخلوها واستوطنوا حيث ما شاؤوا منها ، وأكرم مثواهم الخليفة المذكور بالعطاء والتوقير والاحترام ، كما يرجَى من نسبه الشريف وحسبه المنيف ، فخرج الدر من معدنه . فكان ذلك من لطف الله تعالى بهم . فبعد خروجهم من تلمسان ورجوعهم إلى فاس ، ثار أهل تلمسان على ولاتها من الأتراك بسبب ما نالهم منهم من الجور والظلم وتعطيل الحقوق والنهب والوتوب على النساء والولدان بالوطء ، وربما باعوا بعض أولادهم وهم أحرار ، فلما ثار أهل تلمسان وأخرجوا عنها الأتراك وبايعوا مولاي علي الشريف السجلماسي من شرفاء عين الحوت قرية بإزاء تلمسان ، ثم اجتمع الأتراك بالجزائر وكروا إلى تلمسان ، فرجع صاحب الترجمة معهم على إن أخذوا تلمسان يسيرون معه إلى الدلاء ويقيمونه سلطانا بعد مراسلات له من البربر بذلك . فلما دخل الأتراك تلمسان واستباحوها وأهلها وخربوا حرم سيدي أبي مدين ولم يجيروا من استجار به ، وملكوا تلمسان وأعمالها في خبر يطول ذكره ، طلب من الأتراك ما وعدوه به فلم يوفوا معه ما وعدوه به ، وأحس منهم عدم النهوض لذلك ، سار إلى دعاته من برابر ملوية ، فقدم عليه ومعه بنو أبيه ، فرأسه البربر عليهم وشنوا الغارة على من لم يدخل في حزبهم من جيرانهم إلى سجلماسة ودرعة وسوس وفاس وزرهون ومكناسة وتادلا ، وملك قصبتها. فوجه إليهم مولانا الخليفة جيشا مع قائده يخلف، فوقعت بينهما حروب قتل فيها من جيش الخليفة نحو الألفين وقائده يخلف، وانهزم الجيش. ثم وجه جيشا آخر، ووقعت مقتلة عظيمة بينهم، ثم وقعت مقتلة أخرَى بمكناسة، ثم توجه إلى حربه مولانا الخليفة إسماعيل بن مولانا الشريف الحسني فنزل عليه بتادلا وحاصره بقصبتها

ووقعت بينهم حروب هائلة إلى أن توفي صاحب الترجمة بالطاعون أو مسموما ، وبلغ خبر نعيه إلى فاس يوم الخميس حادي عشر المحرم عام أحد وتسعين وألف ، فأراح الله تعالى منه البلاد والعباد . ومن ما سعَى فيه من الضلال والفساد ولله عاقبة الأمور .

وأما أهل صاحب الترجمة الذين تقدم أنهم رجعوا من تلمسان إلى فاس ، فلما بلغهم ما سعَى فيه من الفساد اختفوا بحرم مولانا إدريس وغيره من حرمات فاس . واشتد حصارهم من أهل فاس من غير إذن من الخليفة لهم في ذلك إلى أن بلغهم خبر موته ، ورجع الخليفة إلى فاس ، فخرجوا إليه مستشفعين ، فرق لهم ومنَّ عليهم ولم يعاتبهم على ما فعل أخوهم صاحب الترجمة ، وأكرمهم بفاس وعظمهم . وهم إلى الآن كذلك عند من وليها من الخلفاء أولاده ، وكذلك هم اليوم عند حفيده خليفة العصر مولانا أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين المنصور بالله أبي عبد الله سيدي محمد بن مولانا الخليفة الغالب بالله والمتوكل عليه أبي محمد عبد الله بن إسماعيل الشريف الحسني السجلماسي . ولما صدر من صاحب الترجمة ما ذكر كان أهله الذين بفاس يكتبون له ينهونه عن سوء فعله فيجيبهم بالرسائل والقصائد التي ذكرنا بعضها .

الغزواني بن محمد بن أبي بكر الدلائي

ومنهم الفقيه الصوفي المشاكف السيد الغزواني بن محمد بن الشيخ أبي بكر الدلائي . توفي بالطاعون بمكناسة ، ونقل إلى فاس ، ودفن في ظهر يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادي الثانية ، ودفن بروضة أهله أسفل الكغادين من عدوة فاس الأندلس .

أحمد بن حمٌّ ادرخيسي

ومنهم الصوفي المشارك السيد أحمد بن حمٌّ أدرخيسي . توفي في اليوم الذي توفي فيه الذي قبله .

محمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي

ومنهم الشيخ الفقير أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي ، قال العلامة سيدي محمد بن أبي زيد بن سيدي عبد القادر الفاسي في **فهرسته**: سمعت عليه ، أي صاحب الترجمة ، أوائل **الصحيحين** والمسلسل بالأولية **وسورة الصف** وغير ذلك ، وأجازني فيما له ، وكتب ذلك بخطه ، وسمعت عليه **ألفية** ابن مالك ، **وتلخيص المفتاح** ، وهو يروي عن خاله شيخنا أبي سالم العياشي ، وعن أبي البركات عبد القادر الفاسي ، وعن والده سيدي محمد ، وعن المشارقة المذكورين في ترجمة سيدي محمد المذكور. توفي سنة إحدَى وتسعين وألف. انتهَى وفيه تصرف قليل مناسب.

علي بن عبد الرحمان الدراوي

ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الرحمان الدراوي[25] ، نزيل تادلا ودفينها ، وله بها صيت ، وعلى مقامه مزارة ، وله أتباع وقوم ينتسبون إليه وينوهون به كثيرا ، وهو شهير الذكر شهير المزارة ، لقي من أهل ذرعة ، فيما ذكر ، سيدي محمد ابن ناصر وصاحبه الأستاذ سيدي أحمد بن إبراهيم ، وانتسب أيضا أنه انتفع من الشيخ سيدي أبو يعزَى ، ولقي سيدي محمد بن محمد الورغيتي ، تقدمت ترجمته ، نقل ذلك أبو العباس بن يعقوب في **مباحث الأنوار** وبالغ في الثناء عليه. وقال عم والدنا محمد العربي القادري في **كناشه** : وكانت لصاحب الترجمة بتادلا شهرة كبيرة ، وأتباع كثيرون ، وكان له في مقام الولاية دعوَى عريضة ، وكان أهل البصائر من أهل وقته لا يسلمون له ذلك ، وكان بعض إخوانه في الشيخ ينكر عليه أشياء ويقولون : إنه قد خالف شيخه في أشياء كان أوصاه بها ، وتكلم معه في ذلك فلم يرجع فتركه ، ثم فتحت له الدنيا ، وقصده الناس بالهدايا الجليلة والعطايا الجزيلة ، فجمع من ذلك أموالا عريضة وتولَّى عبيدا وإماء وحرثا ونسلا ونساء ، فامتحنه السلطان مولانا الرشيد لأجل ذلك وأخذ ماله وأهانه ، وقاسَى شدة وظلما. تردد في محلة السلطان ، حيث كان بتادلا ، وتملق بين يديه فلم يعبأ به ولم يرد عليه

(25) ترجمة وردت في **س** وط مختصرة في تراجم عام 1092هـ.

شيئا من ذلك . وأخبرني سيدي أحمد اليمني أن صاحب الترجمة حصل في يده ، يعني غيبا ، قال : فما أفلت من يدي[26] إلا بالحراير ، يريد أنه أراد أن يستلبه فتفلت منه ولم يقدر له حينئذ بشيء . انتهى بحذف .

وقول الشيخ اليمني حصل في يدي يفهم منه بدلالة الالتزام أنه من أهل السر ، إذ السلب مع السر متقابلان تقابل العدم والملكة ، فالسلب فرع السر . وأخبرني به أنه لم يسلبه حينئذ ، ومثل هذا السلب لا يفهمه أمثالنا ، لكن أقول :

وإذا لَمْ تَرَ ٱلْهِلَالَ فَسَلِّمْ لِأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِٱلْأَبْصَارِ

وللشيخ اليمني في صاحب الترجمة عبارة صعبة ينبغي إلغاؤها ، ويجب تحسين الظن بصاحب الترجمة وبكل منسوب ، إذ ينبغي أن لا يقبل الطعن إلا بالثبوت مع دلائل القرائن الدالة على الحجة الظاهرة ، ولا يقبل في الطعن الخبر بالباطن والمغيبات ، وإنما يقبل في ذلك ما ثبت بالعيان . وفي علمكم أنه لا يقبل قدح المفتي في المفتي فضلا عن غيرهما . وتوفي صاحب الترجمة بالوباء في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وألف ، وأمر مولانا الخليفة إسماعيل الشريف الحسني

(26) [أخبرني والدي أنه لما سمع ما قاله الشيخ اليمني في صاحب الترجمة ، سأل عنه مولاي الطيب بن محمد بن عبد الله الشريف العلمي الحسني دفين وزير من بلاد مصمودة ، فأخبر مولاي الطيب والدي أن صاحب الترجمة من أكابر أولياء الله وأنه أحد الأقطاب الأربعة ، ثم سأله عن قول من قال : إنه خالف طريق شيخه ، فأجاب بأن مخالفته لشيخه لا تقدح فيه ، إذ كل شيخ يسلك بما ظهر له باجتهاده ، كما أن المجتهد لا ينقض حكم المجتهد ، فلو كان للمجتهد أن ينقض حكم المجتهد لنقض الشافعي مذهب مالك لمخالفته في بعض رأيه ولم يُسمع قولان مشهوران وأقوال وخلاف . انتهى . ولما أخذت أمواله فأخذ من جملتها جارية له أم ولد منه ، فلما أراد غاصبها الذهاب بها أمسكت بيده وقالت له : يا سيدي اني أم ولدك فلان الذي توفي ، وهؤلاء أرادوا الذهاب بي ، وخشيت أن يثبوا علي بالوطء فقال لها صاحب الترجمة : إنهم لا يصلون إلى ذلك إن شاء الله ، ثم ساروا فأرسل إلى رئيسهم وقال له إنك لما نهبت أموالي وقرتك لوجه جدك رسول الله ، والآن حيث غصبت حريمي فلا نوقرك ، إما أطلق إلي أم ولدنا أو سترَى ما تكره ، ولا تصل إلى أم ولدي إن شاء الله . فساروا بها إلى مراكش وامر الرئيس من يصلح شأنها ويدفعها له ، ثم لعب مع خيل له فأصابه ، عود زيتون فتوفي منه ، ولم يصل اليها وسرحها أصحابه ، إلى سيدها ولم يصل إليها أحد لا بوطء ولا بغيره] طرة في لـ وم .

بأخذ داره . وبفاس طائفة ينتسبون إلى صحبته يجتمعون بالزاوية المنسوبة لسيدي رضوان التي أخذها أصحابه الكائنة بزنقة الجياف من فاس القرويين .

أحمد الحاج العجّالي

ومنهم الطالب السيد المجذوب أبو العباس أحمد من ذرية القائد إبراهيم السفياني ويعرف بالحاج العجالي . أخذ عن سيدي محمد بن عطية الأندلسي السلاوي دفين الرميلة ، عدوة فاس الأندلس ، على دفة واد الجيل بازاء القنطرة المتخربة الآن التي كانوا يعبرون عليها من إزاء الرميلة من فاس القرويين إلى شوارة من فاس القرويين أيضا . وكان يلبس ثوبا واحدا في الشتاء والصيف والسفر والحضر ، عاري الرأس ، حافي القدمين . حج حجتين لم يحمل معه زادا . وكانت تعتريه أحوال ، ورويت عنه أخبار ، وتوفي ظهر عاشر جمادي الثانية عام واحد وتسعين وألف ، ودفن بخربة بزقاق الرمان من عدوة فاس القرويين ، وبنيت عليه قبة باقية إلى الآن عليه .

من حوادث السنة

انحباس المطر وارتفاع الأسعار

ومن حوادث هذه السنة حدوث غلاء بسبب تأخر المطر : فبلغ القمح أربعين أوقية للوسق ، والمد صاع ونصفه في المد . وصلّى الناس الاستسقاء مرارا . وأول خطيب هو إمام القرويين محمد العربي بردلة ، وكرر الصلاة ثلاث مرات ، فنزل فجاج لم يبل الأرض ، ثم صلّى الناس وخطب سيدي محمد البوعناني ، ثم أعاد بردلة المذكور ، ثم صلّى بالناس سيدي محمد المرابط بن محمد الدلائي ، ثم أعاد أبو عنان المذكور ، وصلّى الناس وخطب سيدي محمد العربي الفشتالي . ومن عشية الغد نزل المطر ومعه رعد وبرق ، ورويت الناس وفرحوا وحمدوا الله على ذلك بعد أن بلغ القمح ستين أوقية للمد .

نزول المطر وانحطاط الأسعار

ثم احتاج الناس إلى المطر أيضا فصلوا صلاة الاستسقاء أيضا والإمام.والخطيب

بردلة . وخرج مع الناس الشيخ البركة أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي راكبا على حمار . وقدم بين يديه الأشراف أهل البيت متوسلا ومستشفعا بهم إلى الله تعالى . فنزل عند رجوعهم مطر قليل . ثم من الغد نزل . من عند أذان الصبح إلى طلوع الشمس . المطر الغزير المقنع الكثير . فانحطت الأسعار : ونزل القمح إلى خمس وثلاثين أوقية للوسق . فكانت هذه الصلاة تاسعة الصلوات . وأول صلاة كانت يوم الاثنين خامس المحرم [وقد كان قصده الشرفاء ووالي البلد بالرغبة للخروج . فخرج . فجعل الله فرجا للمسلمين . وليلة واعدهم بالخروج أنزل الله المطر من قيام المؤذن الأول إلى طلوع الشمس . فالحمد لله على عفوه ورحمته][27] .

وفـــاة علي الفاســي

[ثم بعد ذلك توفي سيدي علي الفاسي في رمضان من هذا العام كما تقدم][28] .

دفع فضة إلى التجار لسبكها

[وفي ذلك اليوم دفع مولانا الخليفة إسماعيل الحسني إلى التجار فضة قبضها من النصارَى في فداء أسرَى منهم . في كل مثقال سبعة مثاقيل . فزعموا أنهم ينقصون لمن يسبكها دراهم الوقت في التصفية . وأجرة الضرب مثقال ونصف][28] .

خروج الشيخ عبد القادر الفاسي للقاء السلطان

ثم ورد الأمر بخروج سيدي عبد القادر الفاسي للقاء مولانا الخليفة بمكناسة الزيتون . فركب في محفة لكبر سنه وعجزه على الركوب . فخرج بكرة يوم الأربعاء[29] . ولقيه عند الزوال يوم الخميس غدوة بروضة سيدي عبد الرحمان

(27) سقط من ك وم .
(28) زيادة في ك وم .
(29) [وما خرج حتّى تصدق بجميع ما يملكه في داره من قوت وكسوة وغير ذلك . وما ترك لداره إلا التي هي مثل سترته كاللباس أو كتبه الذين المرجوع إليهم مثل حرفة يحترفها

المجذوب ، وأنزله بداره الجديدة بالقصبة ، وسرح المساجين الذين في طاعته كافة فرحا به . وصرفه يوم السبت ثالث ربيع الأول ، ووصل فاسا من الغد يوم الأحد .

توسيع الزاوية الفاسية

[وفي عشرين من ربيع الأول شرع في توسيع زاوية عمّ أبيه العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين ، إذ كان أصلها له ، فأمر الخليفة مولانا المنصور بالله إسماعيل بن مولانا الشريف الحسني المذكور أن يزاد فيها ، فاشترَى نائب الخليفة المذكور بعض الدور المجاورة لها ، وهدمت وبنيت على الكيفية التي هي الآن عليها . ومقدار ما زيد فيها نصف البلاطين الذي من جهة يسار المستقبل من محرابها والصحن والميضة ، وجعلوا السقلابيتين على الصيب على المحج والصومعة ولم تكن لها قبل ذلك . ولما توفي سيدي عبد القادر أوصَى بأن يدفن بها ، فدفن بها هو وأولاده ، فنسبت إليه ، وأصل وضعها الأول كان لعم والده سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، والزيادة وبناء الجميع على الهيئة التي هي الآن باقية عليها لأمير المومنين مولانا إسماعيل الحسني السجلماسي] (30) .

احترام الثائر الليمانوا بالزاوية الفاسية

[ثم لما رأى القائم عبد الكريم الليمانوا اعتناء السلطان ببنائها ، خرج من حرم سيدي أحمد الشاوي خفية واحترم بها . ثم سار إلى الخليفة منها ، فسمح له ورجع من الغد إلى فاس ، فعظم حينئذ حرمها ، واشتهر أمر أهلها ، لما رؤي من تعظيم مولانا المنصور لها ببنائها . ثم إن عامل السلطان رصد الليمانوا المذكور وقبضه ، وهو خارج من داره برحبة الزبيب ، واحتز رأسه ، وعلقه على باب داره ، وسجن ابنه وابن أخيه . ثم بعد يومين صالحوا العامل على مال يؤدونه له ، وهم يبيعون أصولهم وأموالهم في أمن من النهب فأعطوه ضمانا في الأموال التي صالحوه بها] (30) وسرحوا .

يطلب منها كسب ما يتقوت به ، وخرج مفتقرا إلى الله تعالى ، أخبرنا بهذا والدي الخياط عن عمه إدريس تلميذ سيدي عبد القادر] طرة في لك وم .

(30) هذه الحوادث سقط ذكرها من س وط .

الجهاد في طنجة

وفي أواسط ربيع الثاني وصل لفاس خبر أخذ المسلمين طنجة على يد قائد القصر عمر بن حدُّ البطيوي . ثم في جمادي الأولى اصطلح البطيوي مع النصارَى ووقعت المهادنة . واستمر الطاعون بفاس الإدريسية والمرينية وبمكناسة الزيتون .

وفي نصف جمادي الثانية حرك مولانا إسماعيل لحمة الظهرا .

ثم وقع البريح بخروج المحرَّرين من شُرفاء وفقهاء إلى الجهاد مع القائد عمر بن حدُّ ، ثم جاء العفو من الخليفة مولانا إسماعيل ثامن يوم البريح .

غلاء القمح

وغلا القمح ولم يوجد غد البريح بالجهاد فبيع سرّاً بدرهمين شرعيين للصاع النبوي .

انهزام محلة السلطان بناحية تلمسان

ثم ورد خبر انهزام محلة السلطان في ناحية تلمسان .

وفي عشية الأحد رابع وعشرين من جمادي الثانية كان ريح عظيم هدم الحيطان وأقلع الأشجار وغير ذلك .

الصلح بين السلطان وصاحب تلمسان

ثم وقع الصلح بين مولانا إسماعيل وصاحب تلمسان بعد أن وصل إلى باب تلمسان ورجع إلى المغرب ، فوصل إلى فاس في شعبان . ودخل فاس الجديد في تلك الليلة ثم من الغد سار إلى داره بمكناسة .

استشفاع الشرفاء والعلماء في مولاي محرز

وفي واحد وعشرين خرج من فاس الشرفاء والعلماء وأعيان فاس مع ولد

مولاي إسماعيل وهو مولاي محرز يستشفعون فيه بأن يبقيه بفاس الجديد لأن والده أشخصه إلى تافيلالت مع أولاد مولانا الرشيد فاعتذر لهم وساروا إلى تافيلالت.

وبعث عوضا عنه خليفةً إلى فاس المرينية ولده مولاي محمد.

الجهاد في طنجة

وفي منتصف رمضان ورد خبر خروج النصارَى من طنجة. وقاتلوا مع المسلمين. فمات من المسلمين أزيد من مائة.

وقوع زلزلة

وفي ضحوة خامس عشر شهررمضان وقعت زلزلة.

وخرج من فاس رماة إلى طنجة بقصد الجهاد، ثم ورد خبر موت في قتال في الجهاد. ثم ورد خبر قتال آخر فيه. ثم ورد خبر قتال آخر كبير مات فيه كثير من المسلمين.

وفي آخر رمضان ظهر في الأفق مثل العلم مستطيل بالمشرق آخر الليل، ثم ظهر بالعشي، وتمادَى مدة من الليل في آخر الحجة.

العام الثاني من العشرة العاشرة

العربي بن أحمد الفشتالي

فمنهم الفقيه العلامة المدرس الفهامة الصوفي الأورع الولي الصالح الأنفع الهائم في الجلال ، العاكف في الجمال ، أبو محمد سيدي العربي بن أحمد الفشتالي . كان رضي الله عنه أحد أكابر الزاهدين ، ومن مشاهير العلماء العاملين ، ومن أهل الأحوال الواصلين . كان أول سكناه بزنقة الرطل ، ثم في رابع ربيع الأول سنة أربع وسبعين انتقل لرأس الجنان بقصد الإمامة في مسجده وتدريس **الرسالة وغيرها** . **وكان يقرئ هنالك الصبيان القرآن** ، والأماكن المذكورة من عدوة فاس القرويين . ولم ير قط في أحواله شبهة(1) .

ومن مقيداته ما وجدته بخطه رحمه الله تعالى :

يَا مَنْ أَيَادِيهِ عِنْدِي غَيْرُ وَاحِدَةٍ
وَمَنْ مَوَاهِبُه تَنْمِي عَلَى [الْعَدَدِ](2)
مَا نَابَنِي فِي الزَّمانِ قَطُّ نَائِبَةٌ
إلاَّ وَجَدْتُكَ فِيهَا [آخِذاً بِيَدِي](3)

ومنه : اعلم أن ملاقاة الناس أمر عظيم ، وخطر جسيم ، ومضر للدين ، ومهيج للغضب الكمين ، ومظهر للصغائر ، وجالب لحقد المثافن . فدع عنك الملاقات ،

(1) [ومن ورعه أنه لم ير قط ماراً بصحن مسجد القرويين منذ زلجوه ، تورعا من كسب من أنفق على تزليجه ، فكان إذا دخله من غير صحنه فقيل له إن النفقة من مهر امرأة وهو حلال فقال : هو المهر ولكن أصله من شبهة لأن المرأة كانت من أولاد أعراص الذين قاموا في الفتنة ، وكانت زوجة السلطان مولاي الرشيد ، ووهبت ما دفعه لها في الصداق على ذلك] . طرة في لك وم .

(2) لك : العباد .

(3) لك : أحد أيادي .

واشتغل بالقربات ، وتذكر الحديث الوارد في الخلوات ، واسأل من الله تعالى التثبت على الخيرات وعلى المتابعات آمين. ومنه : اعلم أن إصلاح الملاحات هو الإقلال من فضول الكلام ، والإقبال على الملك العلام ، فإن لم يكن سليقة فليكن استعمال لا لرياء ولا لسمعة بل تكلف فعسَى أن يكون حالا. وأيضا : إذا أقبل العبد على الآخرة صغرت في قلبه الدنيا واستحقرها وتذكر ذنوبه ومساويه فيحتقر نفسه ويعيبها كما قال القائل :

لَمَّا تَحَقَّقْتُ أَنِّي لاَ أُشَاهِدُكُمْ ... غَمَّضْتُ طَرْفاً فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ

وسأله بعض عن خطة القضاء فأجاب بما نصه : أما إذا سألتني عن خطة القضاء فالذي يظهر لي فيها أنها صداع الرأس ، وسم قاتل في الجوف ، وسلسلة في العنق ، وسنارة في الحلق ، وهذا ما ظهر لي فيها ، وقد علمت أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح. والسلام.

أخذ صاحب الترجمة عن غير واحد ، منهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، وعن سيدي الحسن بن مسعود اليوسي حسبما رأيته بخطه ، وعن سيدي عبد القادر بن علي الفاسي. وأخذ عنه غير واحد في الابتداء منهم : جدنا سيدي عبد السلام بن الطيب القادري [وأخوه محمد العربي][4].

ومن رسائله إلى شيخه سيدي محمد بن محمد بن ناصر الدرعي : إلى محل الروح ، وشفاء القلب المجروح ، أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر ، نصر الله بكم دينه ، وأعز بكم كلمة نبيه ، ﷺ. من عبد الله تعالى الذليل الحقير ، البائس الفقير ، المتبرئ من حوله وقوته حالا ومآلا ، العربي ابن أحمد الفشتالي ، نور الله بصيرته بمعرفته ، وفتح قلبه لسلوك طريقته ، ومن عليه بنفحات أهل الكمال ، وطمس عنه كل باب سوَى بابه ، ومنَّ عليه بكشف حتَّى لا يشاهد في الظاهر والباطن إلا الله. **ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا**. **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.** هذا سيدنا والحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام ، وجعلنا من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومنَّ علينا بالانخراط في تربيتكم التي ظهر علينا والحمد لله فضلها. فجَدِّد سيدَنا لعبدك ، وكثر

(4) سقط من **س** و**ط**.

ما يعرض على عبدكم الكلام في طريق القوم والخوض في ذلك ، حتَّى ربما يتوهم متوهم أنه سلك شيئا من ذلك ، وهو بعيد من ذلك ، وأخشَى من المقت . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقبل هذه الأيام اعتراني وسواس عظيم ثم شفاني الله منه . وأما الورد سيدي هاني في بعض الأيام تغلبني عيني عنه ، ويظهر علي أثره في مسائل دنياي فضلا عن مسائل ديني . ورأيت في منامي قبل هذا القريب أني أصلي بغير وضوء ، ثم رأيت بعد ذلك أني توضأت وفاتتني الصلاة . انتهَى المزاد منها .

وأجابه الشيخ بن ناصر بإثر كلامه بخطه بما نصه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد ، **وثبتك بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** . فاتق الله وأبشر ، ولا تخل نفسك من مطالعة كلام القوم ، فان فيه شفاء من الداء العضال ، ومن تشبه بقوم فهو منهم . وكتب محمد بن ناصر كان الله له .

وكان صاحب الترجمة مقترا ، فإذا اضطره الحال إلى المعاش انتصب للشهادة بحانوت من حوانيت عدول فاس القرويين . فإذا تناول منها ما يقوم به عيشه وأتاه من يشهده صرفه لغيره من الشهود الذين بقربه إيثارا له واكتفاء بما ناله من الأجرة التي يقوم بها عيشه . وكان يوما بحانوته بالشهود إذ سمع أصوات بعض خدامين (هكذا) البناء ببعض سطوح الدور ، وعادتهم يرقصون مع الذكر ويغنون بارتفاع أصواتهم كما هو معلوم ، فاعترَى صاحب الترجمة حال بالحانوت . فلما أحس بمباديه طلب من بعض المارين بالمحجة أن يغلق عليه الحانوت ، فأغلقها ، وبقي بها يرقص إلَى أن سري عنه ورجع لحسه .

وحكَى لنا شيخنا أبو عبد الله محمد المدعو الكبير السرغيني [في مجلس إقرائه][5] عن صاحب الترجمة أنه مر مع بعض الناس لشهادة في رهن ، فلما ذكر الشاهدان صورة الرهن تخيل فيه بعض الفساد ، فأرشدهم إلى وجه الصحة . فما نشب إلا وواحد من المشهدين يشتمه بأقبح الشتم وينسبه للتلبس والتقول . فلم يتغير منه شيء ، وبقي ساكتا فلم يجبه بشيء أعياه الكلام فسكت ، وبقي مطرقا إلى أن طال الحال فقال صاحب الترجمة للمشهد المذكور : ألم نكمل هذا الأمر لنخرج إلى

(5) سقط من ك وم .

شغلنا ؟ ولم يزد على ذلك . فهذا شأن من يحتسب الحركات والسكنات لله ، ومن له قوى على نفسه رضي الله عنه .

توفي صاحب الترجمة في حادي عشر جمادي الأولى عام اثنين وتسعين وألف . ودفن بجوار سيدي علي حماوش تحت مصلّى باب الفتوح إحدَى أبواب مدينة فاس الأندلس .

وكان من أكمل أهل زمانه علما وعملا وورعا . مشهور بذلك . وله قدم راسخ في الطريقة ، وتظهر عليه أحوال . ومما يحكَى عنه أنه أشهد على بيع دار وقال البائع للمشتري عند التبايع : إن بها بقيقا بلفظ تصغير بق تعضله ، وأشار بأصبعه . فلما كتب وثيقة البيع كتب بآخرها : وذكر البائع أن بالدار بقا وجعل يعضله بيده . ومن المحكي أيضا أنه لما اجتمع عليه طلبة بموضع مجلسه الذي يدرس به وأخذه حال وجعل يصفق بيده ويذكر بعض الأزجال في المدح النبوي حتَّى أغمي عليه ، ففر عنه جميع الطلبة وتركوه إلا واحدا منهم كان هو قارئه ، فبقي ينتظره حتَّى أفاق ، فسأله عن الطلبة ، فقال له : ذهبوا إلى أماكنهم . فقال له : ما لك لم تذهب أنت معهم ؟ فقال له : يا سيدي ؟ ولمن أتركك هكذا ؟ فقال له : لا تقرأ على أحد من اليوم ، واشتغل بالتدريس فينتفع بك الناس . يذكر أن هذا البعض هو سيدي عبد الرحمان بن عمران ، فقد كان يدرس العربية كثيرا وكان آية فيها .

محمد بن مبارك المغراوي

ومنهم الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن مبارك المغراوي . توفي ظهر الأربعاء خامس ربيع الأول عام اثنين وتسعين وألف ، ودفن ظهر الخميس مع الشرفاء الطاهريين بروضة الكغادين من فاس الأندلس .

أحمد بن محمد المحمودي

ومنهم الفقيه سيدي أحمد بن محمد المحمودي . توفي حادي عشر جمادي الأولى عام الترجمة .

محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي

ومنهم المرابط سيدي محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي . من الشرقويين النازلين قرية بجَّعَد من بلاد تادلا . وتقدم الكلام على نسبهم في بعض تراجمهم . توفي ببجعد في ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف .

العربي السقاط

ومنهم الفقيه السيد العربي السقاط . توفي ثالث شعبان عام الترجمة .

أحمد بن حمدان التلمساني الدلائي

ومنهم الفقيه الشهير سيدي أحمد بن حمدان التلمساني ثم الدلائي توفي في مهل رمضان عام اثنين وتسعين وألف .

من حوادث السنة

أخذ المسلمين قلعة المعمورة

ومن حوادث هذه السنة : في خامس ربيع الثاني دخل مولانا المنصور بالله فاس الجديد المرينية ، فصار منها ، فنزل على قلعة المعمورة الكائنة على حلق وادي سبو حيث يجتمع مع البحر أقصَى المغرب ، فحاصرها وأخذها عنوة عند صلاة الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني . قيل : قَطَع الماء عنهم وأخذها عنوة بغير قتال . وقيل : قاتلهم بعد قطع الماء عنهم وأخذها عنوة . ولم يمت أحد من المسلمين في أخذها ، فلذلك قيل بغير قتال . وغنم جميع النصارَى الذين كانوا بها وأموالَهم وسِلاَحهم وآلات حربهم ، وأتَى بجميع ذلك إلى مكناس .

استفحال أمر ابن محرز في سوس

وورد الخبر بأن صاحب سوس السلطان مولاي أحمد بن مولاي محرز بن السلطان مولانا الشريف الحسني السجلماسي ، وقد تكرر ذكره في الأحداث في هذا

المسطور مرارا ، فورد الخبر بأنه أخذ بعض البلاد التي كان لنظر مولانا إسماعيل ، وعظمت شوكته ، وعزم على الاستيلاء على غيرها . فوجه له مولانا إسماعيل جيشا وفيه رماة من فاس .

مطر وغلاء ووباء

وكانت هذه السنة كثيرة المطر الغزير والغلاء والوباء نسأل الله السلامة .

تولية الفقيه أبي عنان الفتيا وتنازعه مع بردلة

وفي ربيع شوال تولي الفقيه سيدي محمد أبو عنان الفتيا بالقرويين من قِبَل السلطان . ولما ورد فاسا تنازع مع القاضي سيدي محمد بن عبد الله العربي بردلة على الإمامة بالقرويين ، ومنعه بردلة من الإمامة ؛ وقال له : إنما وليت الفتيا فقط . وبقي في ولاية القضاء والخطبة والإمامة . ثم تنازعا على مقصورة المفتي ؛ وقال له أبو عنان : إن مقصورة الخطيب والإمام هي التي أمام المحراب والمنبر التي منها يُدخل لخزانة الكتب ، وللخزانة التي بها الكتب مدخل آخر عن يسار الداخل الذي عن يسار المحراب ، والمقصورة التي على هيئة الدار التي مدخلها عن يسار مدخل خزانة الكتب إنما هي موقوفة على المفتي فقط ولاحظ للقاضي والخطيب والإمام في ذلك. فتبين أن المقصورة إنما هي وقف للمفتي فقط ، فطلب منه القاضي أن يبقيها بيده إلى أجل ، فمنَّ عليه بها إلى الأجل المطلوب منه .

العام الثالث من العشرة العاشرة

عنتر الخلطي

فمنهم البهلول سيدي عنتر الخلطي . ظهرت له كرامات ، وتواترت عنه أخبار بمغيبات ، ولهج به عامة فاس كثيرا . ومن المحكي عنه أنه رئي يطأ أثانا ، فقال له بعض الحاضرين : ما هذا يا سيدي ؟ فقال له : إني أصلح السفينة ، فلبث قليلا فجاء قوم كانوا ركبوا سفينة في البحر فعرض لهم فيها فساد أيقنوا منه بالغرق ، فجعلوا يستغيثون بسيدي عنتر لأنهم كانوا يعرفونه ، فسهل لهم إصلاحها . وربما ذكر البعض منهم أنه شاهده يصلحها ، فنجاهم الله تعالى ببركته ، فكان ظاهر فعله خراب ، وباطنه صواب . سبحان العالم بالأسرار . توفي سادس عشر شعبان ، ودفن قرب سيدي أبي غالب بحومة مريدة من عدوة فاس الأندلس ، بينه وبينه المحج المرور عليه لسيدي ابن عباد ، وبنيت عليه قبة مربعة بالقرمود الأخضر ، وبعد وفاة الولي هدمت ثم جددت الآن كما كانت .

محمد بن علي البقال

ومنهم الولي الصالح سيدي أبو عبد الله محمد بن علي البقال ، دفين الحرايق بين قبيلة غصاوة والأخماس من جبال الهبط . أخذ عن أبي عبد الله محمد المجول ، عن أبي عبد الله الحاج دفين أوطا بن فرقاجة بين الزربطانة ودرب ابن زيان من فاس القرويين [وقتيل أميرها][1] ، عن أبي الشتاء دفين مرجو من فشتالة من وادي ورغة ، عن الغزواني . وتقدمت بعض تراجمهم .

---

(1) زيادة في س وط .

أحمد بن محمد الزياتي

ومنهم البهلول سيدي أحمد بن محمد بن الحسن الزياتي . مات عصر تاسع رجب عام ثلاث وتسعين وألف ، ودفن بروضة المنقوشي الزناتني .

عبد الله بن إبراهيم القَلِّيز[2]

ومنهم السيد عبد الله بن إبراهيم بن هلال الشهير بالقليز بفتح قافه وتشديد لامه فياء ساكنة فزاي . وهو ينتسب [في الطريقة] إلى سيدي أحمد بن عمر دفين روضة داخل باب الجيسة . قاله عم والدنا محمد العربي في **كناشه** . توفي سادس وعشرين من رمضان عام ثلاث وتسعين وألف ، ودفن بداره قرب رحَى الحناء من زقاق الحجر من عدوة فاس القرويين [وأضيف له زاوية نسبوها لأبي القاسم بن رحمون بعد أن دفن بها وتأنقوا فيها بالبناء والتزويق][3] عن نحو ثمانين سنة ، ووقعت له قضية مع سيدي أحمد بن عبد الله مُعَن .

من حوادث السنة

امتحان قضاة المغرب

ومن حوادث هذه السنة : وصف قضاة أقطار المغرب بالجهل ، ومُحنوا وسجنوا أياما بمشور فاس الجديد على أن يتعلموا ، ثم خرجوا أيام المولد لمكناسة فهددوا أيضا حتَّى أمر على بعضهم بالحبس وبعضهم بالقتل ، حتَّى شفع فيهم وعفي عنهم وأطلقوا معزولين .

أخذ النصارَى شرشال ثم تخليصها

وجاء الخبر بأن النصارَى دمرهم الله أخذوا شرشال من عمل الجزائر ، ثم أغاث

(2) **لك** : القلير (بالراء) .
(3) سقط من **لك** وم .

المسلمون أهل الجزائر ، فأخرجوا النصارَى منها واستمرت لأهلها بعد أن مات في القتال عليها نحو سبعمائة .

بناء ملاح مكناس

وأخرج السلطان مولانا إسماعيل اليهود من مكناسة ليبني لهم بخارجها ، فبنَى لهم الملاح الذي بخارجها اليوم ، وأخليت ديارهم ، فطولب أهل تافيلالت الذين بفاس ممن كان ساكنا بفاس الجديد وغيرهم بسكناها . فلم يزالوا يخرجون فيسكنون بالكراء ، وضاقت عليهم المنازل .

ظهور نجم مذنب

وفيها ظهر طلوع نجم مذنب في جهة المشرق بالليل ؛ ولم يعرف له طلوع قبل ذلك .

العام الرابع من العشرة العاشرة

أحمد بن سعيد المجِلْدي

فنهم العلامة الأمثل القاضي المبجل المحقق الأديب الأكمل سيدي أحمد بن سعيد المجلدي ، قاضي فاس العليا . من أكابر الأعلام وأعيان مشايخ الإسلام ، أَجاز له أبو سالم العياشي ، وله كتب **فهرسته** التي استوعب فيها معتمد أشياخه ، وتقدم أنه كتب مثلها أيضا للشيخ عثمان اليوسي . وحلّى أبو سالم فيها صاحب الترجمة بما نصه : هذا وإن الأخ في اللّهِ والمحب من أجله ، الصدُوق في قوله وفعله ، ذَا الأخلاق التي تلين لها الصخر ، والكف التي تستحيي من مساجلتها البحر ، العالم العلامة المحقق الفهامة الذي تشرفت به خطة القضاء حين أوقعه فيها غالب القضاء ، الموفق السعيد ، سيدي محمد بن سعيد ، أسعدنا الله وإياه بمعرفته ، وأعاننا على ما كلفنا من خدمته ، كان ممن له بهذا الأمر عناية ، ورام الوصول فيه إلى أقصَى غاية ، مبالغا في التنقير عن ذويه ، والفحص عن صحة السند فيما يرويه ، بصدق نيته ، وحسن طويته ، وشدة رغبته في الإفادة والاستفادة ، وكثرة شغفه بالعلوم التي بها تُنال السعادة ، وتواضعه في التعلم والتعليم ، وتحلية بالإنصاف والتسليم ، وتحصنه بسلامة القلب عرضه ودينه ، ولم يستنكف عن الرواية عمن دونه ، لعلمه أن رواية الأعلَى عن الأدنَى من شأن أهل هذا المبنَى ، طلب من هذا العبد الفقير البائس الحقير ، أن يجيزه بما صح له تحمله من رواية وقراءة ودراية وسماع واجازة ومناولة ووجادة ومصافحة ونسبة ومشابكة ولباسة ومسلسلات بأنواع طرقها ، ومصنفات على اختلاف فرقها ، في الأحوال برمتها ، والعلوم بجملتها ، من حديث وفقه وآداب وتصوف وفروع وأصول وسائر العلوم الإسلامية ، والأحوال العرفانية . فأكبرت ذلك إجلالا وأعظمته استصغارا لنفسي أن تكون أهلا له .

فلما ألح علي ، وعظمت رغبته لدي ، أجبته إبراما لعقد محبته ، ووثوقا بخالص طويته ، واغتنمت فرصة إجابته ، لأفوز بخالص دعوته ، فلبيت نداه ، وتلقيت بالقبول ما أبداه ، فأجبت إلى ما سأل بعد اللياد بعسي ولعل ، فقلت : أجزت السيد المذكور ، والعلم المشهور ، بجميع ما لي من مقروء ومسموع ، ومفرق ومجموع ، إجازة ووجادة ، ورحلة ومشيخة وإفادة ، ومروي ومناول ، وغريب ومداول ، من سائر المؤلفات والمجموعات ، والأجزاء والمقطعات ، والأخبار والإنشاءات ، والحكايات والكيفيات والوجادات ، كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهله ، المقرر في محله ، وبالأسانيد التي أذكرها بعد أن شاء الله تعالى . انتهَى المراد منه ، ثم ذكر الأسانيد وبينها ، وأجاد فيها وأتقنها . فمن أراد الوقوف عليها فليطالعها في موضعها . وقد قدمنا جماعة منهم في ترجمة المجيز أبي سالم المذكور .

وممن أخذ عن صاحب الترجمة الشيخ ، أبو علي الحسن اليوسي . قال في **فهرسته** : حضرت عنده **مختصر خليل**، وقرأت عليه **رسالة الأسطرلاب**، وشيئا من **القلصادي**. وكانت له ممارسة **لمختصر خليل**، واستحضار للنوازل الفقهية ، ومخالطة تامة لعلم السير ، ومشاركة في فنون من العلم . حميد العشيرة ، محمود السيرة في ولاية القضاء . انتهَى .

وألف صاحب الترجمة كتبا مفيدة منها : **شرح مختصر خليل** ، سماه **إمام الحواشي** . وقد أجاد فيه فبيَّن فيه أولا الصورة بما فهمه منه ، ويتصل بذلك بما يناسبه من نصوص الأئمة ، وينقل كلام الحواشي عليه السابقة عنه ، ومنها **اختصار المعيار** في مجلد كبير ، وغير ذلك .

أحمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي

ومنهم المرابط أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي . قال في **الابتهاج** : مولده في رجب سنة إحدَى وعشرين وألف بعد موت أبيه ، وهو الآن مستوطن القصر ، منتسب إلى طريقة الفقر ، مولع بإطعام الطعام وأفاعيل من خصال البر . انتهَى . أخذ عن ولد عمه الشيخ أبي عبد الله أبي عسرية بن علي بن أبي المحاسن ، وتوفي بالقصر ، ودفن بروضته بحومة القطانين من القصر ، ورثاه

القاضي محمد بن إبراهيم الآتي ذكره سنة سبع عشرة ومائة وألف بقوله :

هَطَلَتْ بِوَبْلِ نَجِيعِهَا ٱلْأَحْدَاقُ وَتَعَزَّزَتْ بِجُمُوعِهَا ٱلْأَشْوَاقُ
وَتَنَاشَدَتْ وُرْقُ ٱلْحَمَائِمِ شَجْوَهَا وَتَمَايَلَتْ بِشُجُونِهَا ٱلْعُشَّاقُ
وَتَفَتَّقَتْ كَبِدٌ لِفَرْطِ تَحَسُّرٍ وَتَأَسُّفٍ صَدَعَتْ لَهُ ٱلْأَطْوَاقُ
وَبَرَتْ صَوَارِمُ جُثَّةٍ قَدْ طَالَمَا نَعِمَتْ بِحُسْنِ جَمَالِهَا ٱلْأَحْدَاقُ
وَفَشَا ٱلتَّوَلُّهُ وَٱلتَّوَاجُدُ حَيْثُمَا قَمَرُ ٱلسِّيَادَةِ مَا لَهُ إِشْرَاقُ
فَخْرُ ٱلْأَفَاضِلِ أَحْمَدُ نَجْلُ ٱلْأُلَى نَشَرُوا ٱلْمَفَاخِرَ لِلْعُلاَ سَبَّاقُ
رُكْنُ ٱلْفَضَائِلِ مَاجِدٌ مُتَوَرِّعٌ جَمُّ ٱلْفَوَاضِلِ نَاسِكٌ مِصْدَاقُ
سَامِي ٱلْمَنَاصِبِ سَائِرٌ مَسْرَى ٱلْأُلَى مُنِحُوا ٱلْمَعَارِفَ زَانَهَا أَخْلاَقُ
طَوْدُ ٱلنَّزَاهَةِ بَارِعٌ كَهْفُ ٱلتُّقَى سَامِي ٱلنَّبَاهَةِ أَمْجَدٌ مِرْفَاقُ
عَظُمَتْ مَآثِرُ نَالَهَا عَنْ أَنْ تُرَى تُحْصَى بِطَرْزٍ حَازَهُ أَوْرَاقُ
فَٱحْرِصْ عَلَى تَحْصِيلِ بَاهِرِ وِرْدِهِ تَجِدِ ٱلنَّجَاحَ زَهَتْ لَهُ أَسْوَاقُ
وَأَدِمْ تَعَاهُدَ رَمْسِهِ تُكْسَى حُلىً نَظَمَتْ بسر رامَهُ أَحْداقُ
فَتَصَبَّرَنْ بِجَلَا فَكُلُّ مُلِمَّةٍ وَعَلَيْهِ بِرٌّ لاَ مَحَالُ يُطَاقُ
مَنَعَ ٱلْجَوَانِحَ أَنْ تُبِيحَ نَجِيعَهَا طَلَبُ احْتِسَابِ قَوْلُهُ ٱلْخَلاَّقُ
فَسَقَى ضَرِيحاً حَلَّهُ صَوْبُ ٱلرِّضَا يَهَمُ بِنَشْرٍ زَانَهُ إِطْلَاقُ (1)

عبد الواحد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي

ومنهم الفقيه الأسمَى الوجيه أبو عمر عبد الواحد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي. كان صاحب الترجمة من أهل العدالة والتوثيق ، وممن صحبه فيها بفضل الله اليمن والتوفيق ، وسلك في الطريقة أسلم طريق ، قصده الناس في مصالحهم ، وانتفعوا به في معاملتهم ، وعقد مناكحتهم . قال في **الابتهاج** : وتفنن في إحكام الرسوم وصناعتها ، واستعمل نفسه في استفادة ما بقي من اختلال شرائطها وإضاعتها ، مولده سنة ثمان وعشرين وألف. وله أولاد أصلحهم الله . وهو بفاس . وفي **مقيدات** صاحب **الابتهاج** المذكور : وتوفي عمنا سيدي عبد الواحد في

(1) سقطت الأبيات الثلاثة الأخيرة من **س** و**ط** .

الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر ؛ يعني من عام الترجمة ، ودفن من الغد رحمه الله .

أحمد بن عيسَى آدم

ومنهم الشيخ الحافظ الخطيب الشريف القاضي أبو المكارم أحمد بن عيسَى آدم(2) ، نزيل رباط الفتح من سلا ، المتوفي سنة أربع وتسعين وألف . قال في **المنح البادية** : سمعت عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وأحاديث من الصحيحين ، وأجازني فيهما وفيما له من مقروء ومسموع ، وأضافني على الأسودين ، وصافحني ، وشابكني ، وألبسني ، وناولني السبحة . وهو يروي عن شيوخ فاس كالإمام أبي البركات عبد القادر الفاسي ، وأبي الضياء محمد بن أحمد ميارة ، وأبي البقاء الأبار ، وغيرهم ، ورحل إلى الجزائر ، وأخذ بها عن العلامة سعيد بن إبراهيم التونسي النجار الجزائري الدار الشهير بقدورة . انتهَى .

علي بن سعيد اللملوشي

ومنهم أبو الحسن علي بن سعيد اللملوشي . توفي عام الترجمة ، ودفن بداره بالتناكين عدوة فاس القرويين .

من حوادث السنة

محاربة ابن محرز ثم مصالحته

ومن حوادث هذه السنة(2م) ما وقع للإمام السلطان أبي العباس مولاي أحمد

(2) ترجمته وترجمة الذي بعده غير واردتين في **ك** وم .

(2م) عثر الباحث نورمان سيكار على مخطوطة فريدة بمكتبة البودليان بأكسفورد تضمنت حوادث نشر المثاني دون التراجم ، ابتداء من عام أربعة وتسعين وألف . وقد اعتنَى الباحث المذكور بتحقيق تلك المخطوطة وبتقديمها ، وقام المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط بنشرها سنة 1978 تحت عنوان **حوليات نشر المثاني** (140 صفحة). وقد ارتأينا بعد مقابلة حوادثها بالحوادث الواردة في نسخ **النشر الكبير** هذا ، أن نستدرك منها ما لم

بن مولاي محرز ابن السلطان مولاي علي بن مولاي الشريف المحمدي الحسني السجلماسي . كان استعمله عمه الخليفة أمير المومنين مولانا الرشيد على وادي درعة وبلاد سجلماسة وما في سمتها من بلاد الصحراء وتوات وما يتصل بذلك من بلاد القبلة وبلاد أنكّاد . فلما توفي الخليفة المذكور نهض لطلب السلطنة وملك جميع ما كان عاملا لعمه عليه ، ثم ترامى على جبل بني زناتن ودسول وملوية وأكارت والريف وتازة ، فاستولى على ذلك وملك مدينة فاس ، إلى أن طرده عن ذلك الخليفة أمير المومنين مولانا المنصور بالله إسماعيل بن مولاي الشريف ، فتخلّى له عن فاس والريف ودسول وملوية وزناتة وأنكاد وبلاد القبلة واتوات والصحراء وسجلماسة ، وبقي بيده واد درعة ، وغلب على الفايجة وبلاد لمطة من ناحية سوس وجبل درن والمصامد وجزولة وسوس الأقصَى وواد نون وسواحلها ، ثم ملك مدينة مراكش وجبل مسفيوة وآيت عتاب وواد النفيس . فقصده عمه الخليفة مولانا إسماعيل المذكور ، وطرده عن مراكش وأحوازها ، فاستقر مولاي أحمد بن محرز المذكور بمدينة تارودانت . فلما اشتدت شوكته وعزم على الاستيلاء على ما يليه من البلاد ، وبلغ خبره إلى مولانا الخليفة المذكور ، سار إليه إلى سوس ، فالتقَى الجمعان ، وكانت بينهما حروب ، ومات كثير من الجيش ، وانهزم مولاي أحمد بن محرز وجيشه ، ورجع إلى تارودانت في تاسع عشر جمادي الأولى ، ثم سار إليه أيضا مولانا إسماعيل إلى تاردانت في أواسط جمادي الثانية ، ووقع القتال بينهما مات فيه خلق كثير ، وأُحصي عدد من مات فيه من جيش الخليفة مولانا إسماعيل ممن حمل على النعش أو الأعواد ، سوَى من أثخن بالجرح والتمثل ولم يحمل وبقي في المعركة ، فكان بلغ عدد ذلك سبع عشرة مائة رجل ، وجرح الخليفة مولانا إسماعيل ومولاي أحمد بن محرز معا[3] . ثم تحصن مولاي أحمد بن محرز المذكور بمدينة تارودانت وهو جريح ومعه جيشه ، واستمر القتال والحصار ، وفر كثير من جيش الخليفة مولانا إسماعيل وضاق بأهل المحلة الأمر فأكثروا الهروب منها وأكثر قواد بلادهم

= يرد في هذا الأصل مع العلم بأن بعض الحوادث وقع ذكره في **النشر** ولم يرد في تلك المخطوطة أو ذُكر فيها بصفة مختصرة .

(3) زاد في **الحوليات** : (وفي ذلك الوقت انحط من سوم القمح نحو الثلث) .

فيمن يأتي منهم فارا عليهم الضرب والسجن والرد إليها . وفي منتصف رمضان ورد الخبر بالصلح بين الخليفة مولانا إسماعيل مع ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز واستعمله على مدينة تارودانت وحوزها وسوس الأقصى ، وارتحل عن حصاره .

رجوع السلطان من حرب ابن محرز وتأخر أهل فاس في التسليم عليه

ورجع مولانا الخليفة من الحركة إلى مكناس ، فدخل داره بها يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة ، وتأخر في الخروج أعيان أهل فاس إلى التسليم عليه إلى يوم الثلاثاء ، فخرجوا من فاس إليه ، إلى مكناسة ، فلم يلقهم ورجعوا من غير ملاقاة معه .

انهزام السلطان العثماني

ثم ورد الخبر بأن السلطان العثماني هزم من حربه مع الروم ، وأخذ ثمان عشرة مدينة من مدن النصارَى ، وقتل منهم بين القتال والاستيلاء عليهم نحو سبعين ألفا ، وتوجه إلى قتَال الافرنج .

انحباس المطر وارتفاع الأسعار

وتأخر المطر في هذه السنة فبلغ القمح درهما شرعيا للصاع . وصلَّى سيدي محمد البوعناني صلاة الاستسقاء خارج باب الجيسة ، ثم صلَّى قاضي فاس خارج باب الفتوح خامس عشر صفر ، ثم صلَّى صلاة الاستسقاء سيدي محمد بن محمد المرابط الدلائي بباب الفتوح أيضا ، ثم أعادها بمصلَى وادي فاس ، ورش مطر خفيف فورا ثم نزل المطر وتتابع ثلاثة أيام ، وأطعم الطعام مولاي محمد بن الخليفة مولانا إسماعيل بزاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بالقلقليين بقصد الصدقة والشفاعة في نزول المطر . ثم ارتفع المطر واحتاج الناس إلى نزوله ، فصلَّى الاستسقاء سيدي محمد المرابط الدلائي أيضا بباب الفتوح ثالث ربيع الثاني ، ثم أعاد قاضي فاس صلاة الاستسقاء بباب الجيسة ، وطال ارتفاع المطر ، وارتفعت الأسعار فبلغ القمح درهما ونصفا للصاع ، واشتد الأمر من رجب إلى ذي [القعدة](3م) وكثر ،

(3م) ك وم : ذي الحجة .

وحملت الأنهار وحمل وادي ورغة على سواحله ، فأخذ من كان قريبا منه ؛ قيل حمل منهم نحو ستة آلاف نفس.

عزل بردلة عن الإمامة والخطبة

وفي آخر شعبان عزل سيدي العربي بن عبد السلام بن إبراهيم [بردلة](4) عن الإمامة والخطبة بمسجد القرويين(4)م ؛ ووليها سيدي عبد الواحد بن محمد بن أبي عنان ؛ وكان ولي قضاء فاس الجديد وخطبتها بعد موت سيدي أحمد بن سعيد.

---

(4) **حوليات** : الدكالي.

(4م) [وسبب عزله عن الإمامة ؛ كانت سارية من رخام في باب السبوع الذي عن يسار الداخل لمسجد القرويين من الباب المدرج الذي فوق فران السبع لويات ، وفي باب السبوع المذكور شباك من خشب ، وفي وسطه هذه السارية ؛ ويزعم العوام أن السبوع المذكور يُرى به الشيخ عبد القادر بن موسَى الحسني الجيلاني متكئا على تلك السارية ، ويأتون العوام إلى تلك السارية بما يوعدون به الشيخ المذكور ، فنفّذ لبعض أهلنا ما يُوتَى به إلى الخلوة المذكورة ، فحسدهم في ذلك القاضي المذكور ، ولم يقدر على منعهم من ذلك خوفا من السلطان الذي نفذ لهم ذلك ، وقال : أخاف إن طال الزمان ينسبون الجهلة من العوام إلى هذه السارية شيئا أعظم من هذا . ووافق ذلك أن ميضة جامع اللبارين كان بها قوسان على سارية واحدة تشبه ذلك ، وأشار المعلمون على ناظر الأحباس أن يجعل القوسين ثلاثا على ساريتين فلا يعب لأنه كان قُبي وعُلب ، ثم بُني وعلب ، وتكرر ذلك ، فيكون أوثق وأحسن . فأمر القاضي بردلة الناظر أن يأخذ السارية التي بباب السبوع ويجعلها مع الأخرى التي تليها ؛ فأخذها وجعل على باب السبوع شباكا من خشب من غير سارية ، وجعل السارية مع الأخرى في الميضة عليها ثلاثة أقواس ؛ فقال القاضي برد له : لو جعلناها في موضع آخر لسرتم إليها وزرتموها ، وحيث جعلناها في الميضة تركتموها ؛ ولم لا ترون الشيخ الجيلاني بها اليوم؟ فسلط الله عليه نوعا من أنواع مرض الاستسقاء يمنعه من حبس الاستبراء ، وأطلق العوام ألسنتهم فيه بذلك ، وشهدوا فيه بذلك الحكماء وغيرهم بينة فيها خمسة وسبعون رجلا ؛ أخذها أبو عنان وسار بها الى مولانا إسماعيل ، فعزله عن الخطبة والإمامة وولاه مكانه . وكان أبو عنان المذكور بلغه أن مولانا إسماعيل يبني ضريح سيدي رضوان الجنوي دفين خارج باب الفتوح أحد شيوخ القصار ويعظمه السلطان من أجل الدين والورع ، فأخذ أبو عنان الحجرة التي كان يتيمم عليها سيدي رضوان من عند حفدة ابنته أولاد ابن مبارك وأهداها إلى مولانا اسماعيل مع البينة ، فولاه الخطبة والامامة بالقرويين بسبب تلك الهدية] . طرة في لك وم .

[ورد الخبر من مصر بظهور جسم مجتهد المذهب أبي زيد سيدي عبد الرحمان بن قاسم العتيقي صاحب الإمام مالك رضي الله عنهم ، بمصر ، فوجد كما دفن لم يتغير منه شيء ، بسبب بناء عليه أوصى به الفقيه العلامة أبو الحسن سيدي علي الدادسي لما مات هناك. رحم الله الجميع بمنه وكرمه آمين][5] .

(5) استدراك من **حوليات النشر**.

العام الخامس من العشرة العاشرة

عبد السلام بن أبي حامد العربي الفاسي

فمنهم الفقيه الأجل أبو الفرج عبد السلام بن أبي حامد محمد العربي الفاسي[1] . قال في **الابتهاج** : مولده عشية الجمعة تاسع جمادي الثانية سنة خمس وعشرين وألف . ونشأ في حجر والده متأدبا بآدابه ، مقتبسا من شهر معاشرته ، ولين خطابه ، ممتع المؤانسة ، رقيق الحاشية ، طيب المجالسة . سمع من أبيه كثيرا ، واستفاد منه آدابا . وأجازه الأستاذ ابن يوسف أن يروي عنه **القرآن** وكذا سائر إخوانه . وأخذ طريق المصافحة عن أبيه ، بسنده الذي في **المرآة** ، كما أخذها عنه إخوته كذلك ، ودخل في إجازته العامة التي كتبها بخطه ونصها : أجزت لجميع من هو موجود الآن من عقب والد الشيخ أبي المحاسن بن محمد وبني بناته جميع ما تصح له وعنه روايته إجازة تامة مطلقة عامة . قال هذا وكتبه بخط يديه ليلة سابع وعشرين صفر سنة اثنتين وخمسين وألف عبد ربه تعالى محمد العربي لطف الله به . انتهى من خطه .

محمد بن سليمان الروداني

ومنهم الشيخ العالم ، حكيم الفقهاء ، أبو النبهاء محمد بن سليمان الروداني . قال في **المنح البادية** : وهو يروي عن سيدي محمد بن سعيد المراكشي وسيدي محمد بن ناصر الدرعي ، وسيدي سعيد قدورة ، والشيخ علي الأجهوري وغيرهم ، وأجازني وكتب لي ذلك بخطه . وفي **مقيدات** ولده جاء خبر موته بالشام عام خمسة وتسعين وألف . [[2]نسبته إلى رودانة . ويقال لها تارودانت قاعدة السوس الأقصى . خرج

(1) ترجمة غير واردة في **س وط** .
(2) بقية الترجمة غير واردة في **وم** .

من بلاده فارا من والديه إلى درعة ، فأقام عند عالم صلحائها وصالح علمائها أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، فاقتبس من علومه ، ثم جال في المغرب ، ودخل سجلماسة وغيرها ، ثم وصل إلى مراكش ثم تادلا ثم فاس . ولقي بها الإمام الصالح سيدنا محمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي الفاسي ، بعد أن مهر في علوم الحكمة وغيرها كالهيئة والتنجيم والحساب والمنطق ، كل ذلك . فزجره سيدنا محمد بن عبد الله عن تعاطي هذه العلوم وما أشبهها أشد الزجر ، وألزمه الرجوع إلى والديه والأخذ بخاطرهما ، فرجع حتَّى طابت نفوسهما ، وأذنا له في السفر ، فرجع إلى مراكش ، فانتفع بعلمائها كسيدي محمد بن سعيد ثم ارتحل إلى الجزائر فانتفع بالشيخ سعيد قدورة وغيره ، ولقي بها بعض الصالحين ، والتزمه . فلما تحيَّر أن يذهب قال له : أنت مسجون عند النبي ﷺ ، وقد آل الأمر به إلى ما قال ، فإنه انتهت سياحته إلى المدينة المشرفة ، ولم يخرج عنها منذ وصلها إلا إلى مكة بعد أن دخل كثيرا من البلاد الإفريقية ، وركب البحر إلى اسطنبول] .

[وكان صاحب الترجمة ينهى عن لباس الصوف الذي يأتي من بر الروم منسوجا ، ويرَى بطلان الصلاة به لأنه تيقن أنهم ينتفونه عن الغنم وهي حية ، وأنه لا يكون إلا كذلك ، وإذا ثبت ذلك فهو نجس . وكتب سؤالا في ذلك لشيخ المالكية بمصر سيدي علي الأجهوري ، فأجاب على ما قال صاحب الترجمة : أنه إن ثبت ذلك لا يخرج على أحد الأقوال في النجاسة : سنية واستحباب لعموم البلوَى به . فراجعه صاحب الترجمة بأن القول بالسنية مرجعه إلى الوجوب على ما حقق الحطاب ، والقول بالاستحباب لم يقل أحد بتشهيره فلا يعول عليه . فأجاب بأنه قد شُهر أيضا وممن شهره الفاكهاني . قال صاحب الترجمة ولم أر للفاكهاني تشهيرا في ذلك . وكان يحطُّ من قدر الشيخ الأجهوري وأصحابه بمثل ذلك ، لأن أصحابه في ذلك الوقت هم المتولون لجواب ما يرد عليه من الأسئلة لكبر سنه وأضراره المانعة له من الكتابة] .

قال أبو سالم بعد أن نقل جميع ما ذكرناه مختصرا من أول الترجمة عدا الجواب فبالنص ما نصه : ويمكن البحث في كلام صاحب الترجمة بأحد ثلاثة أمور :

أحدها : ما كان يورده على نفسه ولا يرتضيه . وقال لي لأن بعض الناس قد نقل ذلك عن محقق المغرب سيدي أحمد بن عمران ، وكان إذ ذاك بالقاهرة وهو أن الصنوف المذكور إن سُلِّم أنه كان منتوفا فالمتنجس منه جزء قليل من أصله ، وهو أضعف ما فيه ، وما سواه يطهر بالغسل . ومن المعلوم أن هذا الصوف لا يصير إلى هذه الحال التي يُلبس فيها إلا بعد أعمال كثيرة من غسل ودق ونفش وقصر وغسل ونسج وغير ذلك ، ومعلوم أيضا أن ذلك الجزء الضعيف لا يصبر على ملاقاة هذه الأعمال ولا يبقَى معها ، بل يضمحل بالكلية . وإذا تحقق أن عين النجس قد ذهب فلا معنًى لمنع ما سواه ، ولو نُفشت قطعة من هذا الصوف ، وتُتبعت شعراتها ، لم يُوجد فيها ما يتوهم أنه من أصل الشعر إذ لم يبق إلا الصحيح المشابه للحرير . وهذا الذي قاله صحيح . وصاحب الترجمة يقدح في ذلك بتدقيقات عقلية ويقول إننا قد تحققنا نجاسة هذا المحل فلا يطهر إلا بيقين ولا يقين مع احتمال بقاء جزء ولو مثل رأس الإبرة في جميع الجبة الكبيرة ، وتفتيش قطعة منها ولم يوجد فيها شيء لا يدل على سلامة الجوخة كلها ، ولو فتشت جوخة ولم يوجد فيها فغيرها محتمل لأن يوجد فيه .

قلت : ومثل هذه التدقيقات بالاحتمالات العقلية تنبو عنها الفروع الفقهية المبنية على غلبة الظن القريب من القطع ، إذ لو بنينا الأمر عليها ما صحت لنا عبادة ، إذ ما من ماء ولا ثوب إلا وهو محتمل عقلا أن يكون تعلق به شيء من النجاسة ، وبعد غسل المتنجس أيضا على هذا التدقيق لا يطهر ، لأن الغسل لا ينفي احتمال بقاء جزء قليل من النجاسة في خلال المغسول احتمالا عقليا ، لكن الأحكام إنما نيطت بما يغلب على الظن مستندا في ذلك إلى حكم العادة لا إلى مجرد التجويز العقلي الذي لم يستند إلى عادة في الغالب ، فمن غسل ثوبه حتَّى غلب على ظنه أن أجزاء النجاسة كلها قد خرجت مع الماء فقد طهر ثوبه ، مستندا في ذلك إلى أنَّ العادة في ملاقاة هذا القدر من النجاسة مع مثل هذا العرك وتوالي الصب أن لا يبقَى شيئا من النجاسات في هذا المحل ، ولا نبالي مع ذلك بما يجوزه العقل من بقايا شيء من الأجزاء غير مستند في ذلك إلى عادة ولا إلى أَمارة من لون أو طعم أو ريح . ولا أظن الفقهاء يختلفون في مثل هذا ، وأشباه هذا كثير ، ومنه غسل

المخرج في الاستنجاء، فليس بمرئي، بل إذا غلب على ظنه النقاء مستندا إلى أمارة كحروشة المحل وذهاب الرطوبات فقد أنقي، وكذلك تعميم العضو في الوضوء والجسد في الغسل، فإذا غلب على الظن إيصال الماء إلى المحل المطلوب وصوله إليه، وإن كان غير مرئي ولا ملموس باليد، بل بحبل وعصا مستندا في ذلك إلى أن العادة أن هذا القدر من الماء إذا مر بمثل هذا العضو يغمره، فقد تطهَّر المحل بذلك. وما يجوِّزه العقل من بقاء شيء لم يصل الماء إليه لا عبرة به؛ واعتباره هو عين الوسوسة المنهي عنها، وقالوا إن أصلها خبال بالعقل أو جهل بالسنة. فلولا أن السنة هي الجري مع المعتاد والظن الغالب في أمثال هذه الأمور لما عدوا هذا جاهلا بها، وحيث عبر الفقهاء في الصلاة والطهارة وسائر أنواع العبادات باليقين فالمراد به هذا الظن الغالب الذي يعد مقابله وسوسة لمرجوحية احتماله لا اليقين الذي هو أقوَى أنواع العلم كما عند المتكلِّمين، إذ ذاك عزيز الوجود في العقائد التي هي أصل الدين، فما بالك بفروع الفقه المبنية على الظن والاجتهاد في كثير منها. فإذا علمتَ ما قررناه فمن رأي الصوف المذكور وإتقان صنعته الغريبة الدالة على تعدد الأعمال والأشغال المتداولة عليه إلى أن صار لا يميز بينه وبين صافي الإبريسم إلا من عرفه قبل ذلك، وأخبر بعد ذلك بأنه نتف لا يكاد يرتاب في بقاء شيء من أصوله فيه، فإذا غلب على الظن غلبة قوية عدم بقاء شيء من أصوله فيه مستندا إلى العادة الواضحة في أن بقاء ذلك الجزء الضعيف الرخو فيه مما يخل بإتقان تلك الصنعة، فلا معنًى للتوقف في طهارته، إذ بهذه الطريق حكمنا بطهارة كل متجنس، ويزيد هذا وضوحا أن الصوف المجزوز الاتفاق على طهارته مع أنه في الغالب لا يخلو من شعرات متعددة منتوفة في حال الجز وقبله وبقيت في خلال الصوف، بل العادة قاطعة بوجودها. ومن باشر ذلك ورأى الصوف على ظهر الغنم وحضر جزازها علم ذلك وتحققه. ومع ذلك فقد ألغينا ذلك القليل الذي لا يمكن الاحتراز منه عن الاعتبار مع تحقق وجوده لعدم العلم بعينه وللمشقة الفادحة في تمييزه عن غيره. فليكن مثله هذا الجزء الذي احتمل بقاؤه على تقدير بقائه.

ثانيهما: إذا سلمنا أن هذا الصوف منتوف، فمن قال لنا بأنهم لا يجزون الأصول بعد النتف؟ والغالب أنهم يجزونها، إذ لا غرض لهم في بقائها، بل تعين

لهم الغرض في إزالتها لتجويد الصنعة وإتقانها . وإذا كان المباشرون لذلك مسلمين . كما قال ، فالأصل فيهم توقي النجاسات وإزالتها عن أن تلابسهم سيما حيث لا غرض لهم فيها ، فيكون الأصل فيها الطهارة حتّى يثبت عدم الجز أو ما يقوم مقامه ، وما أبعد اثباته .

ثالثها : سلمنا نتفها وبقاء النجاسة فيها . إلى الآن ، ولم نلاحظ أيضا ما ذكرنا في بقاء مثلها في الصوف المجزوز بالمشاهدة . فلا يبعد قول الشيخ الأجهوري يخرج على القول بعدم وجوب زوال النجاسة لأمور أحدها : أن ما ذكره الحطاب من كون الخلاف في الوجوب والسنية لفظيا غير مسلم لورود ظواهر في جزئيات كثيرة تدل على أن القائل بالسنية يقول بلوازمها من عدم الإثم حيث لم يقصد التهاون وصحة الصلاة وغير ذلك ، وثانيها : ما ذكر من القول بالاستحباب لم يشهرهُ أحد شهادة على النفي ، والمُثبت مقدم على النافي ، سيما مثل الشيخ الأجهوري في جلالته وسعة اطلاعه على فروع المذهب التي سلم له فيها المناظر ، فانه لم يبلغنا عن أحد في عصرنا وما قرب منه أنه جمع من كتب المذهب ما جمعه ، فلا يبعد أن يكون اطلع على تشهير هذا القول سيما وقد عزاه ، والناقل أمين ، ثالثها : سلمنا عدم مشهوريته ، وليس ببدع قول مخرج في مسألة عمت البلوَى بها وعسر الاحتراز عنها وجرَى في أقطار الأرض العمل بها من غير نكير على قول في المذهب صحيح غير منكر ولا غريب ولا مردود لولا أنه لم يشتهر كغيره ، وكثيرا ما يكون القول المخرّج هو المشهور في المذهب والمخرّج عليه ضعيف ، فيقولون هذا مشهور خرج على ضعيف . ومن تأمّل فروع المذهب واستقراها من أماكنها علم صحة ما ذكرنا ، وشيخنا الأجهوري أمثل من له في زمانه الترجيح في فروع مذهبه والتخريج . على أن هذه المسألة من فروع قاعدة أصولية ، وهي [تفاضل][3] الأصل والغالب ، وقد علم ما فيها من الخلاف ، وشهرت جزئيات كثيرة من كلا القولين ، نعم يمكن أن يقال إن هذه الجزئية مما أُلغي فيها الأصل اتفاقا لما اعتضد به الغالب من الوجوه التي قربته من القطع عادة ، وقد قيل بذلك في أشياء إن لم تكن هذه أقوَى منها فمثلها والله الموفق للصواب . انتهَى كلام أبي سالم بنصه .

(3) س : تعارض

قال مقيده العبد الفقير محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني : وكلام سيدنا الشيخ أبي سالم مع طوله واستطالته في غاية الضعف : إذ جعلُه نتف هذه الصوف من الاحتمالات العقلية مخالف للموضوع ، لأنه نقل عن صاحب الترجمة في كلامه السابق أنه استيقن أنهم ينتفونه عن الغنم وهي حية ، وكيف يتصور الاستيقان بالاحتمال العقلي ؟ بل لا يفهم منه إلا تحققه نقلا أو عيانا ، وما نقله عن سيدي أحمد بن عمران من أنه يَطْهُر بالغسل ، فيه نظر ، لأن الذي يطهر بالغسل هو المتنجس . أما فرض المسألة ، وهو النتف ، فهو نجَس بالفتح أي عين النجاسة . لأن الصوف المنتوف أصوله متصلة بأجزاء من المنتوف منه ، وتلك الأجزاء عين النجاسة ، واتصالها يمنع زوالها بصب الماء ولو كثر عليه العمل من الغسل والعرك ، بل لا يزول إلا بجز الجزء النجس منه ، وتنظيره المسألة بمسائل من المعفو عنه لعسره بعيد أيضا ، لأن الاحتراز عن لبس الصوف المنتوف لا مشقة فيه ولا عسر لوجود غيره من المجزوز بكثرة ، إلا أن يدعى ذلك في بعض الأقطار كمصر وغيرها . أما في غربنا فلا يلبس الملف فيه إلا أهل الرفاهية أو من في معناهم . وكثير من أهل المغرب لا يلبسه أصلا ، نعم ما ذكره من أن المجزوز لا يخلو من شعرات منتوفة غير بعيد ، وهو ما يعفى عنه لعسر الاحتراز منه لوجود احتماله في جميع المجزوز ، واعتبارُه حرجٌ في الدين ، لأنه يؤدي إلى عدم الانتفاع بالصوف في اللباس أصلا بمجرد احتمال عقلي ، وهو مما لا يثبت به حكم شرعا بمجرده ، مع شدة الحاجة إلى لبس الصوف . ولم ينقل عن أحد من السلف التوقف في لبسها وهي كانت زيهم ، وهو أيضا معلوم من لباسه ﷺ ، وهذا مما يتعلق بالأمر الأول من الأمور الثلاثة التي بحث فيها الشيخ أبو سالم مع صاحب الترجمة .

وأما بحثه الثاني باحتمال أنهم يجزونها بعد النتف فبعيد ، إذ لو قصدوا جزها لجزوها أولا ، على أنه احتمال مخالف لما نقل من النتف ، ولو نقل جزها ثانيا جزا يستوعب جميع الأصول المنتوفة لما احتيج إلى الكلام على المسألة ، وقوله ان المباشر لها هم المسلمون والأصل توقيهم النجاسة صحيح بلا شك ، ولكنهم تحت أيدي الكفرة وعملة لهم فلا تصرف لهم معهم فلا يكون حينئذ الأصل هو الطهارة ، وفرض المسألة تيقن النجاسة .

وأما بحثه الثالث بأنه لا يبعد تخريج الشيخ الأجهوري المسألة عن القول بعدم وجوب زوال النجاسة ، ورجح ذلك بكون الخلاف حقيقيا ، وبأنه يكفي في تشهير القول بذلك الشيخ الأجهوري لاطلاعه ، وبأنه ليس ببدع تخريج مسألة عمت بها البلوى على ذلك ، إلى آخر ما ذكرناه عنه ، فهو بعيد أيضا : لأن القول باستحباب زوال النجاسة ضعيف ، ولم يقل به الشيخ الأجهوري على أنه مشهور . وعلى أنه مرجح عنده ، بل للضرورة التي هي من شروط العمل بالقول الضعيف . والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المآب .

والذي يقع الانفصال عنه في المسألة أن الملف بكل أنواعه طاهر ، وتحقق صاحب الترجمة أنه معمول من الصوف المنتوف لا نسلم أن ذلك واقع في كثير من الأقطار ، بل الذي تحققناه من النقل أنه يعمل من الصوف والمجزوز ، ونقل لنا الكثير من الناس أن أهل المغرب يبيعون الصوف الحاصلة لهم من مواشيهم بالمراسي المغربية وغيرها للروم الذين يصنعون الملف وغيرهم ، وليس ذلك إلا من المجزوز كما هو معلوم ، وأكثر مصنوعهم من الملف منها ، وهذا هو الغالب على الأقطار . وتحقق صاحب الترجمة صنعته من المنتوف لا يدل على استقرائه ذلك في جميع الأقطار ، بل تحققه خاص بالأرض التي جال فيها ، وهي من النادر قطعا ، والنادر لا حكم له . فالملف محمول على الطهارة ولا بأس بلباسه من غير توقف كما هو معلوم لأئمتنا والله الموفق .

وفي **الأبي** ، عند كلامه على حديث : **هلك المتنطعون** ، من كتاب العلم ، أن تقي الدين كان لا يلبس الملف ، وكان الشيخ الفقيه أبو محمد المرجاني لا يصلي بالملف لما يذكر أنهم يرطبونه بشحم الخنزير فانظره . وهذا محذور آخر لكن يمكن الاحتراز عنه بغسل الملف وإن كان منه ما يفسده الغسل والله أعلم .

وقد طال الكلام في هذه المسألة فلنرجع إلى المقصود فنقول : كان صاحب الترجمة رحمه الله استوطن المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وكان منعزلا عن الناس شديد الانقباض ، يتعاطى أسباب معاشه في بيته بيده ، وقلما يخرج نهارا ، فحصلت له هيبة في القلوب وترك التدريس متعللاً بفساد الوقت

ونيات أهله ومشاهدة المناكر كلبس الحرير وتعاطي الدخان وأكل المكوس، وكان شديد الورع، وقد كثر عليه القالة حتّى أدّى ذلك إلى خروجه من المدينة إلى مكة.

ومن ورعه أنه كان لا يتقوت في الغالب إلا من عمل يده، وكانت له حرف يحسنها كالطرز العجيب والصياغة المتقنة وتسفير الكتب والخرازة. ولما كان بمراكش كان لا يتفرغ إلا يوم الخميس، فيطلع ثلاثة من أصناف والمكّانات(3م)، حكى كل ذلك عنه أبو سالم، وقال: من ألطف ما أبدعه وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه الآلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيئة، ولم يسبق إلى مثلها ولا حذا أحد على شكلها، بل ابتكرها بفكره الفائق وصنعه الرائق، وهي كرة مستديرة الشكل منعمة الصقل، مغشاة بياض الوجه المموه بدهن الكتان، يحسبه الناظر بيضة من عسجد لإشراقها، مسطرة كلها دوائر ورسوم، وقد رُكبت عليها أخرى مجوفة منقسمة النصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها، مصقولة مصبوغة بلون الأخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ومخبر فائق، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينهما مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها. وحاصل القول فيها أن القول لا يكاد يحيط بها ولا يعلم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها. ثم قال بعد ذكره **رسالة في الكرة**: نقلناها في غير هذا المحل، وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، الا أنه يتحامَى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلة ديانة منه رضي الله عنه. وكان يقول لي إن ما يتبجح به فلان، يعني ابن التاج، من علم حوادث الجو من الخسوفات والكسوفات ونزول الأمطار والصواعق وما هو بسبيل ذلك، قريب المدرك سهل التناول والتحقيق في هذا العلم من وراء ذلك، والتشاغل بمثل ذلك بطالة وتمويه على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذموم شرعا.

(3م) أي الساعات

وله **منظومة في التوقيت** أكبر من **الروضة** بناها على إرصاداته فلم يقلد فيها أحدا من المتقدمين ، وله **شرح عليها** ، ولو اطلعنا على هذه المنظومة لكانت من الذخائر . وبالجملة فهو من عجائب الزمان رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به آمين .

أحمد بن عمر السلاوي

ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر السلاوي . قال في **الرحلة الفاسية** : كان فقيها واقفا على الحدود ، معلما الصبيان ، ومتولي النظر على روضة سيدي الحاج ابن عاشر . حدثني شيخنا قال : قدم إلي مرة بعد زيارة الشيخ أبي يعزى فأخبرني أنه كلمه يقظة وأقرأه السلام إليه ، وكلام آخر . توفي سنة خمس وتسعين وألف .

من حوادث السنة

استرجاع طنجة من يد النصارَى

ومن حوادث هذه السنة : ففي أول ربيع الأول اشتد الحصار على النصارَى في قصبة طنجة فتركوها بعد أن هدموا دورها وجميع ما هو داخل سورها وهربوا عنها[4] ، فأخذها المسلمون والحمد لله ، وشرع المسلمون في بناء سورها أول جمادى الأولى[5] .

(4) [غوَّروا مياهها وهدموا المنار المتصل بها ، ومنها إلى البوغاز في البحر . وهذه الأمة التي كانت بها تدعَى عند المغاربة الآن بالانكليز ، ويدعون قديما بالأقلش ، وبلادهم جزيرتان عظيمتان ، عرض إحداهما سبعمائة ميل ، وتدعَى جزيرة برطنية ، أي برطال سبعمائة ميل أو [عدل برو وكله][5]م ودار ملكهم تدعَى [ا ك] طيرة أي الجندق الذي أهله فوق الروم كالباز فوق الطيور ، وهذه الأمة هي أفخم [بياض] الروم وأوسعهم ذات يد ، ويخالفونهم في ديانتهم وفي متابعتهم للبيابي الذي يزعمون أنه خليفة المسيح القاطن برومية الذي يزيد وينقص ويغير في ديانتهم] . طرة في م. وبها كلمات غير مقروءة تركنا مكانها بياضا .

(5) ورد ذكر هذه الحوادث في **حوليات النشر** ضمن حوادث عام ستة وتسعين وألف. لكن ما ورد عند الزياني في الترجمان (المطبوع ص 26) وعند صاحب **الاستقصا** (ج 7، ص 67) يتفق مع النشر الكبير على أنها من حوادث عام خمسة وسبعين .

سفينة بساحل سبتة

وجاء الخبر بأن سفينة عظيمة حرثت بساحل سبتة وفيها ذخائر عظيمة وأنفاض عظيمة[5] . أمر السلطان مولانا اسماعيل أهل تطاون يحرسونها ويقاتلون مع النصارَى عليها ، وقبيلة غمارة ينقلون ما فيها ، فلم يزل أهل تطاون يحرسونها ويقاتلون عليها النصارَى إلى أن أفرغوها . وفي رجب خرج رماة فاس لجلب أنفاضها من ناحية تطاون إلى مكناسة ، فوصلوا بعد أربعين يوما ، ومات بعضهم وانكسروا وانجرح بعضهم . وعدة الأنفاض مائة وخمسون .

وأمر السلطان قائد تطاون ببناء الجامع بطنجة ، وقائد قبيلة غمارة ببناء دور طنجة .

كسوف وخسوف وزلازل

وفي سابع وعشرين من رجب كسفت الشمس ، ثم خسف القمر[5] . وفي ليلة الخميس ثامن عشر شعبان بعد سبع ساعات من الليل وقعت زلزلة ثم أخرى عند طلوع الشمس من بعد يوم ، ثم أخرى بعد ذلك. وأما الصغار التي لم يشعر بهم إلا البعض فكثيرون (هكذا) ثم في الساعة الرابعة تاسع رمضان وقعت زلزلة أخرى .

خروج الشرفاء والفقهاء والمرابطين للجهاد

وفي الثاني من المحرم من عام خمسة وتسعين[6] بمثناه وألف وقع البريح[7] بخروج الشرفاء والفقهاء والمرابطين يوم الأحد السادس من الشهر نفسه لطنجة بقصد حركة الجهاد . فأصبح ذلك اليوم حاكم البلد مريضا هالكا ، ثم من الغد وجد بعض الراحة وأمرهم بالخروج فخرجوا ووصلوا وقضوا من الأجر وطرا .

(5م) هكذا وردت ولا يدرك لها معنًى .
(6) هذا الحادث وما بعده استدراك من **حوليات النشر**.
(7) البريح : النداء

وفي أواخر ربيع الأول النبوي من العام رجع الشرفاء والفقهاء والمرابطون من طنجة وقد فازوا بأجر عظيم.

الخروج مع ولد السلطان للجهاد

وفي ثالث رجب العام وقع البريح بالخروج للجهاد مع ولد السلطان مولاي زيدان. وفي ثاني عشر منه خرج الناس معه لطنجة. وفي ثالث عشر شوال رجعت المحلة التي كانت مع مولاي زيدان بطنجة.

العام السادس من العشرة العاشرة

عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي

فنهم الإمام العالم العلامة الحافظ المشارك المقرئ أبو زيد عبد الرحمان ابن الشيخ عبد القادر الفاسي. شاع أنه سيوطي زمنه، لأنه اتسعت مشاركته في العلوم، وشاعت براعته في المنظوم، أحد الأعلام الحفاظ، له الذوق السليم، والفتح العظيم، والغوص على الدقائق، والاهتداء للطائف الرقائق، يأتي بالعجائب، ويحيط بما يدانيه من الغرائب، كثير التقييد، متسع لكل مفيد، مقرب مشكار، شامخ العز والمقدار، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وأخذ عن عدة شيوخ منهم عمه أحمد بن علي والقاضي محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسيين وحمدون الأبار وأحمد بن محمد الزموري وأبي الضياء ميارة وأبي عبد الله البوعناني وعبد الرحمان بن أبي القاسم بن القاضي والقاضي أبي عبد الله ابن سودة ومحمد بن عبد الله بن طاهر وعبد الوهاب بن العربي بن أبي المحاسن الفاسي. وقرأ علم التعديل على أحمد بن محمد القلصادي ومحمد بن أحمد الصباغ وأبي محمد عبد القادر بن علي الطليطي الأندلسي، وتقدمت تراجم غالبهم. وأجاز له من المشارقة جماعة كزين العابدين الطبري وأخيه أبي الحسن وأبي مهدي الثعالبي وياسين بن غريس الدين الشافعي وإبراهيم الخياري وعمر بن عبد القادر المشرقي وخير الدين الحنفي وابن حجازي وابن القصير الميموني والبابلي وتقدم تراجم بعضهم، ولقي جماعة من الأخيار والصالحين، وفاق أهل عصره بحسن خلقه وتواضعه وإنصافه، وكان متجلدا في الحق لا يخفي شيئا مما اطلع عليه ولو خالفه الناس واقتتلوا عليه، لا يحابي قريبا ولو كان له قريبا. وانفرد بحفظ الغرائب، وتتبع العجائب، واتسعت عارضته في الاطلاع والرسوخ في ملكة العلم وقوة الباع، فأفتى في كتابه **الأقنوم** بنحو مائة علم وخمسين علما أو أزيد، واستوفى حدودها بأوجز عبارة وأفيد،

واستوعب جملا من أخبار أهل زمانه ومن تقدمه بقريب في كتابه **الابتهاج** ، فأتى فيه بالعجب العجيب ، بين فيه الانصاف طريقا ، وأجاد ما شاء فيه اتفاقا وتحقيقا ، وحسنه ترتيبا وتوثيقا ، فجاء مجلدا كبيرا ، حوَى علما غزيرا ، وذكر خاتمة له من ذاته استطرد فيها نسب الشرفاء ، ثم شجرة الأولياء ، ثم شجرة العلماء ، [ثم وقعت فتنة عليه ممن لم يذكره من الشرفاء على ذلك المنهج الذي سلك][1] فأخذه أخوه سيدي محمد وأزال الكراسة التي فيها ذكر الشرفاء وأسقطها من التأليف أصلا [لتخليط وقع له في ذلك ، وانفراد بما هو غير متعارف ، وارتكاب ما هو لما عليه الناس مخالف][2] فصادف أن كان خرجت منه نسخ فيها ذكر الشرفاء كما فعل المؤلف . [ولم نر النسخة التي وقع فيها الإسقاط][2] . ورأيت نسخة من ذلك مكتوب فيها برنامج الكتاب وفيه ترجمة ذكر الشرفاء بخط مؤلفه . واستوعب في هذا الكتاب وفي كتابه **الأقنوم** السابق ذكر غالب شرفاء فاس ، وبين مراتبهم ، فظهر ذلك في نسخ عديدة وشاع وذاع ، وتبينت الحجة بعد الاطلاع ، فوقع الإنصاف ولم يبق توقع للفتنة ، وانقطع الكلام لموت المؤلف . والآفة في مثل هذا هو إظهار التأليف في حياة مؤلفه . وقد وقع امتحان لجمع من المؤلفين بذلك لأن الحسدة يدسون عليهم الزيادات في كتبهم أو النقص منها ليلزموهم أمرا منكرا من تفسيق أو تبديع أو أقبح من ذلك . قطع الله دبائر الحاسدين ، وأهلك بمنه القوم الظالمين . وبالجملة فهذا التأليف من أفيد الكتب وأتقنها وضعا ، وأحسنها وأكملها صنعا .

ولما ذكر أبو الحسن الزقاق في **لاميته** مسائل تقرب من العشرين ، جرى بها العمل في الأحكام عند قضاة فاس ، زاد عليها صاحب الترجمة في رجز نحو ثلاثمائة ، فجاء كتابا جليلا ، وأقبل الناس عليه جيلا جيلا ، ثم شرحه ناظمه ، لكنه لم يرتبه ، وشرحه في هذه الأزمنة الفقيه الأوحد الأوان ، وأعدل قضاة الزمان ، أبو القاسم بن الشيخ العلامة الكبير المحقق المشارك الشهير أبي عثمان سعيد العمري التادلي شرحا فريدا مختصرا مفيدا ، وأقبل الناس في هذا الزمان على **الشرح**

(1) كذا ورد في **لك** وم وفي **س** وط : «ثم لما تلمح أخوه العلامة سيدي محمد رضي الله عنه وقوع فتنة عليه من ذكره الشرفاء على المنهج الذي سلكه أزال الكراسة ...» .
(2) سقط من **لك** وم .

والشروح، واتضح النفع به غاية الوضوح. ومن تآليف صاحب الترجمة : **كتاب أزهار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمان** ، **وشرح المرصد** لعم والده ، **وتأليف في فضائل سيدي** محمد بن عبد الله معن **ومفتاح الشفاء** في سفرين ، وهو آخر ما ألف ، **وشرح الطالع** المشرق في المنطق ، **والباهر في اختصار الأشياء والنظائر** ، وألفية سماها **وعاية الوطر في علم السير** ، **واللمعة في قراءة السبعة** ، **والقطب الداني في البيان والمعاني** ، **وشرحه** ، **ونظم الصغرى** ، **والمقدمة** ، وألف في [الأصول][3] وفي مصطلح الحديث ومصطلح التفسير والفرائض والحساب والجدول والعروض [والسياسة والارفاق والسيميا والهيميا وأسرار الحروف][2] والهندسة والتكسير والتوقيت والاسطرلاب والربعين وعلوم غريبة ومحفوظات نفيسة عجيبة . والحاصل أن تآليفه كثيرة جدا ، سمى منها شارح **نظمه** في العمليات أزيد من أربعين .

والحاصل أن صاحب الترجمة ممن فاق جميع أهل عصره ، وشهد له شيوخ أهل وقته ، وقرأ عليه كثير من أقرانه ، وأرسل إليه وإلى شقيقه سيدي محمد أبو علي اليوسي في تعزية والدهما ما نصه : إلى البدرين النيرين والبحرين الزاخرين والدرتين الفاخرتين والهضبتين الشامختين الإمامين المحترمين الفاضلين أبي زيد عبد الرحمان وأبي عبد الله سيدي محمد ابني الإمام الهمام تحفة الليالي والأيام شيخنا أبي محمد سيدي عبد القادر ابن علي الفاسي ، سقى الله تراه . سلام على ساداتنا ورحمة الله وبركاته وعلى كل من احتوت عليه الأندية العاطرة الرائقة ، من فروع شجرتكم المباركة الفائقة ، وسائر من احتوت عليه تلك الزاوية الكريمة من الاخوان الملازمين والمحبين الزائرين ، قدس الله الجميع ، وحشرنا كلنا في زمرة الرفيق الرفيع بمنه وفضله ، أما بعد . فنسأل الله تعالى أن يوجرنا ويوجركم وسائر المسلمين في المصاب بوالدكم شيخ الجماعة وسراج الملة وقدوة الوقت وبركة الوجود ، فإنه مصاب عم فجعه وعظم وقعه .

مُصَابٌ لَوْ أَنَّ ٱلْأَرْضَ نَالَ أَدِيمَهَا ... لَمَا أَنْبَعَتْ نَهْراً وَلاَ أَنْبَتَتْ زَهْرَا
وَلَوْ أَنَّ آفاقَ ٱلسَّمَاءِ أَصَابَهَا ... لَمَا أَطْلَعَتْ شَمْساً ولا أَنْزَلَتْ مَطَرَا[4]

---

(3) **س وط** : الأصلين
(4) في **س وط** : لما أَنْزَلَتْ قَطْرا

وكيف وهو عماد أمة تحطم ، وبنيان قوم تهدم ، وسراج أطفى عند إطباق الرجاء ، وحسام غمد عند قيام الهيجان ، نسأله سبحانه أن يحشرنا في الرعيل الأول من زمرة المقربين ، يلحقنا به وإياكم آمين ، ونسأله سبحانه أن يجبر بوجودكم ثلمه ، ويخلف بعلومكم علمه ، ويفتح أبواب الهداية لمستقيم منهاجكم ، وينور أرجاء الديانة بمضيء سراجكم ، فما ضل بعون الله ما كان له مثل ذلك الشيخ سلفا ، ولا هلك بحمد الله من كان مثلكم خلفا ، فقد زاحمتم بحمد الله أنجما بعود ، واستنزلتم الخيرات لمطر جود ، نسأل لنا ولكم التوفيق ، وتوسط الطريق . وقد كنت وافاني هذا المصاب عند أوبتي من غيبتي ، فأحببت إذ تعذر ما هو الأحق من أعمال الإقدام ، أن أكتب بما عسى أن يقوم بشيء نزر لا ينبغي لذلك المقام ، فوقع ما لا يستغرب في هذه الدار من عوارض أكدار ، شغلت غيلان عن مي في هذا الأوان ، وحالت بين العير والنزوان ، فاكتفينا بهذه الأحرف عن شغل استعمال ، اقامة لرسم التعزية في الحال . والمطلوب من سيادتكم أن تتحفوا هذا العبيد المظلوم لنفسه بدعوة في ذلك المجمع صالحة من قلوب حاضرة .

ولد صاحب الترجمة سنة أربعين وألف وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر سنة ست وتسعين وألف . [ودفن بزاويتهم المعروفة لهم بالقلقليين عدوة فاس القرويين عند رجلي أبيه ملتصقا بيمين المستقبل لمحرابها ، وعليه مقبرة من خشب ، رحمه الله . وما نقلناه في بعض الحوادث ممن لم نعرفه فهو من تقييده من أول الكتاب إلى هذا المحل . وكان امتحن آخر عمره بالزمانة فبقي مقعدا ملازما للفراش نحو ستة أعوام ، يذكر أن سبب ذلك من تعاطيه استخدام الجان . والمرجو من الله أن يكون ذلك من غير تسليط مخلوق ، بل من تطهير الله إياه لدار كرامته ، والله الموفق][5] . وأرسل أبو سالم العياشي إلى صاحب الترجمة برسائل وحلاه بشيخنا فيها ومدحه بقصيدة مطلعها :

مَا فِي ٱلْبَسِيطَةِ طُرّاً مَنْ يُبَارِيكَا ... يَا أَطْيَبَ ٱلْمُنْتَمَى سُبْحَانَ بَارِيكَا
وَقَدْ سَبَرْتُ ٱلْوَرَى فَلَمْ أَجِدْ أَحَداً ... مِمَّنْ يَرُومُ ٱلْعُلاَ مِنْهُمْ يُوَازِيكَا
شَرْقاً وَغَرْباً فَلَمْ يَطْرُقْ مَسَامِعَنَا ... مَنْ فِي سِنِينِ ٱلصِّبَا يَجْرِي مَجَارِيكَا
مَنْ أَلَّفَ ٱلْكُتْبَ فِي سِنِّ ٱلْبُلُوغِ وَمَنْ ... لَهُ بِكُلِّ ٱلْعُلُومِ كَفَتَاوِيكَا

غُصْنُ ٱلْمَجَادَةِ فِي دَوْحِ ٱلسِّيَادَةِ مَنْ رَوْضُ ٱلْوِلاَيَةِ قَدْ جَلَّتْ مَعَالِيكَا
رُقِيتَ فِي رُتَبِ ٱلْمَجْدِ ٱلْأَثِيلِ فَمَا فِي عَصْرِنَا أَحَدٌ يَرْقَى مَرَاقِيكَا

وهي مشتملة على عشرين بيتا. ومدحه أبو مروان التجموعتي بقصيدة مطلعها:

رحْمَاك يَا عبد الرَّحمان رحْمَاك لَوْلاَك مَالَذَّ لي القريض لَوْلاك

وخاطبه أيضا برسالة فيها مقطعة مطلعها في رسالته:

يَجِلُّ سَلاَمِي أَنْ تُؤَدِّيَهُ ٱلْكُتْبُ إِلَى مَنْ زَهَا فَخْراً بِهِ ٱلشَّرْقُ وَٱلْغَرْبُ

منصـور أبو حفـرة

ومنهم البركة الصالح سيدي منصور أبو حفرة. توفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي الحجة ودفن بداره بحومة الحفارين عدوة فاس القرويين. [وأظنه ممن ينسب لسيدي قاسم بن لُّوشة][5].

محمد العربي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي

ومنهم الفقيه الأستاذ سيدي محمد العربي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي. قال في **الابتهاج**: مولده ليلة رمضان سنة خمس وخمسين وألف، وحصل بعض الأمهات، وهو الآن طالب علم يجود القرآن بروايات السبعة، وتوفي في أواخر رجب عام ستة وتسعين وألف. [قلت: وكفاه مزية من تجويده برواية السبعة، فليهنأ بذلك أجل الهناء، كما قال الأستاذ أبو القاسم الشاطبي رحمه الله:

فَكُنْ أَيُّهَا ٱلْقَارِى بِهِ مُتَمَسِّكاً مُجِلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاً
هَنِيـئاً مَرِيئاً وَالِـدَاكَ عَلَيْهِمَا مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ ٱلتَّاجِ وَٱلْحُلاَ
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ أُولَئِكَ أَهْلُ ٱللَّهِ وَٱلصَّفْوَةُ ٱلْعُلاَ

ومعنَى الأبيات: ما ورد عند أبي داود وغيره من حديث سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا**؟ وأخرج البزار وابن ماجة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ

(5) زيادة في س وط.

قال : **إنَّ لِلَّهِ تعالى أهلين من الناس** ، **قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** . وأي منقبة أعظم من هذه ؟ جعلنا الله في حرمتهم آمين] [6] .

عبد العزيز بن عبد الرحمان الفلالي

ومنهم الفقيه العدل الأرضى ، محتسب فاس ، العدل أبو فارس عبد العزيز ابن عبد الرحمان الفلالي [7] . كان رحمه الله قائما على حدود الله ، لا ضرار ولا ضرر للبائع ولا للمشتري ، لا يبخس الناس أشياءهم ، ولا يترك أهل الباعة يقبضون شيئا أكثر من المعروف شفقة على خلق الله تعالى .

وكان عامل فاس القائد عبد الله الروسي أراد وضع المكوس على أبواب فاس وأسواقها ، وطلب في ذلك من السلطان ، ويتولى قبض ذلك فساعفه في مطلوبه ، وكتب له مكتوبا في ذلك إلَى أهل فاس ، وقرئ بها على أن يسمع له ويطيعه ، ولا يعارضه أحد في ذلك . فسار المحتسب المذكور إلى السلطان مولانا الخليفة أمير المومنين إسماعيل الحسني ، وطلب منه صاحب الترجمة المذكور أن يسامح المسلمين في ذلك لله تعالى . فلما رأى الخليفة أن ذلك جد من المحتسب سمح في وضع ذلك على المسلمين لله تعالى ، وكتب إلى الروسي أن يرجع عما شرع فيه ، وأن لا يمضي ما أراد . ولما وعده مولانا الخليفة بأن يكتب إلى الروسي في ذلك ، ورجع صاحب الترجمة إلى فاس ، كلم الروسي في ذلك ، فامتنع من الرجوع عنه ، فتكلم مع سيدي أحمد بن عبد العزيز أن يكلم الروسي في ذلك ، فامتنع سيدي أحمد من ذلك وقال لصاحب الترجمة : لا تتعرض للولاة . فأخبره صاحب الترجمة بأنه كلم الخليفة في ذلك ووعده بأن يكتب إلى الروسي ببطلان ذلك ، وانما أردت أن تكلم الروسي إذا كتب له الإمام أن يبطل ما شرع فيه ولا يراجعه بإبقاء ذلك . فلما تحقق سيدي أحمد بذلك أرسل إلى الروسي ووعده أن يلتقي معه خارج باب الجيسة . فاجتمعا معا بخارج الباب ، وكلمه وخاصمه خفية من الناس ، فوعد الروسي

(6) سقط ما بين معقفين من **س وط** .
(7) ترجمة غير واردة في **س وط** .

سيدي أحمد بن عبد الله بان يسقط المكس ولا يراجع السلطان في ذلك . فلما قدم عليه كتاب السلطان أسقطها . وكانت هذه من حسنات صاحب الترجمة . وليس هذا من التعرض للإمام لأنه قال له ذلك سرا منه إليه وحده ولم يعلم به أحد ؛ ولا علم للروسي بأنه هو الذي كلم الخليفة في ذلك حتَّى قاله الخليفة للروسي ، وأخبر الخليفة جلساءه بأنه هو الذي تشفع له في ذلك ، ومشَى حينئذ خبر ذلك بين الناس .

تولى الحسبة يوم الأحد الثاني من المحرم فاتح ثلاث وثلاثين وألف ، وتوفي محتسبا يوم الاثنين الثاني وعشرين جمادي الأولى سنة ست وتسعين وألف . وكان تولى قبل ذلك ثم عزل . فلما رأى الخليفة قيامه بحقوق الناس وعدله بين البائع والمشتري آثر توليته على غيره ، فولاه ثانيا ، فعدل إلى أن توفي ، وتولى بعده مولاي أحمد الشريف الشفشاوني الفاسي من الشرفاء الشفشاونيين القاطنين بأقصَى درب الطويل زنقة حجامة وغير ذلك من عدوة فاس القرويين .

أحمد بن محرز

ومنهم الإمام السلطان أبو العباس أحمد بن مولاي محرز بن السلطان مولاي علي بن مولاي الشريف الشريف المحمدي الحسني السجلماسي[8] . كان استعمله عمه الخليفة أمير المومنين مولانا الرشيد على وادي درعة وبلاد سجلماسة وما في سمتها من بلاد الصحراء واتوات وما يتصل بذلك من بلاد القبلة وبلاد أنكاد .

فلما توفي الخليفة المذكور نهض لطلب الملك ، فملك جميع ما كان عاملا عليه ، ثم استولَى على جبل بني زناتن ودسول وملوية وأكارت والريف وتازة ، فاستولَى على ذلك وملك مدينة فاس إلى أن طرده عن ذلك الخليفة أمير المومنين مولانا المنصور بالله إسماعيل بن مولانا الشريف عمه ، فتخلَّى له عن بعض ذلك : فاس وتازة والريف ودسول وملوية وزناتة وأنكاد وبلاد القبلة واتوات والصحراء وسجلماسة ، وبقي تحت ولايته وادي درعة . فتوجه إلى بلاد سوس فاستولى على الفايجة وجبل درنة والجزولة والمصامد وبلاد لمطة من سوس ووادي نون وسواحله

(8) لم ترد ترجمته في نس وط .

وسوس الأقصى وسائر سواحله مما يلي البحر إلى أن خرج إلى مراكش فاستولى عليها ، واتخذها دار ملك له ، واستولى على جبل وريكة ومسفيوة وآيت عتاب ووادي نفيس ، وعظمت شوكته ، وعزم على الاستيلاء على جبل تادلا .

فبلغ خبره إلى عمه الخليفة مولانا إسماعيل ، فخرج إليه من مكناسة ، ونزل عليه بحوز مراكش ، ووقعت بينهما حروب ومواقف كان الظفر في أواخرها للخليفة مولانا إسماعيل ، فتخلى مولاي أحمد بن مولاي محرز عن مراكش ، ورجع إلى مدينة تارودانت فاستقر بها . وملك مولاي إسماعيل مراكش ودخلها ، وعفا عن أهلها وأمنهم ، ورجع إلى مكناس . ثم إن مولانا أحمد ابن محرز عزم الاستيلاء على البلاد وأراد مدينة مراكش ، فبلغ خبره إلى الخليفة مولانا إسماعيل ، فخرج إليه من مكناس ومن مدينة مراكش ، ثم سار نحوه إلى تارودانت ، فالتقى الجمعان ، وكانت بينهما حروب ومواقف انهزم فيها مولاي أحمد بن محرز ، وذلك في اليوم التاسع عشر جمادي الأولى عام أربعة وتسعين وألف ، ورجع مولاي أحمد بن محرز إلى تارودانت .

ثم في أواسط جمادي الثانية سار إليه مولاي إسماعيل ووقعت بينهما حروب ومواقف ، وجرحا معا : مولانا إسماعيل ومولاي أحمد بن محرز ، وأحصي من مات من جيش الخليفة مولانا إسماعيل ممن مثل به بحيث لا يحمل فبلغ عدد ذلك ألفا وسبعمائة رجل . ولما ثقل الجرح بمولاي أحمد بن محرز دخل إلى مدينة تارودانت وتحصن بها ، وحاصره الخليفة مولاي إسماعيل بها ، واستمر القتال بين الجيشين ، واشتد الحصار ، وفر كثير من جيش الخليفة مولانا إسماعيل ، وضاق بجيشه الأمر ، وأكثروا من الفرار والهروب والرجوع إلى المغرب فأكثر قواد بلادهم على من يأتي منهم فارا من الضرب والسجن والرجوع إلى المحلة .

وفي منتصف رمضان ورد الخبر بالصلح بين الخليفة مولاي إسماعيل وابن أخيه مولاي أحمد بن محرز ، واستعمله على ما كان استولى عليه من البلاد ، وارتحل عنه ، ورجع إلى مكناسة بعد أن أنزل على حدود البلاد التي لم يوله عليها زرارة ، وأمرهم أن يمنعوه إن أراد أن تنفذ أوامره فيما لم يوله عليه هو أو عماله ، فمكثوا كذلك إلى عام الترجمة ، فخرج مولاي أحمد بن محرز مع بعض عبيده من

تارودانت لزيارة بعض الصالحين في غير البلاد التي صالح عمه عليها ، ولم يتهيأ للقتال ولا استعد له ، ولم يعلم جيشه بذلك ، فتعرض له زرارة مع رئيسهم ونشب القتال فطلب منهم أن يتركوه يرجع إلى تارودانت عن الزيارة التي قصد ، أو يصير معهم إلى عمه مولاي إسماعيل ، فأبوا إلا القتال ، فقاتلهم هو وعبيده إلى أن اختفوا أجمعين رحمة الله عليهم(9) .

وأبلغوا خبره لمولاي إسماعيل وكان في بعض بلاد سوس وقالوا له لا علم لنا بأنه ابن أخيك وإنما ظننا أنه بعض قواده ولبسوا عليه الأمر ، فصدقهم في ذلك ، فذهب إليه وأمر بتجهيزه ودفنه إلى جانب خديمه الغرناطي ، كان قُتِل معه . ثم بعد أيام جاء شيعته من أهل تارودانت بالليل وحفروا عليه وعلى الغرناطي حتَّى أحرقوا جثته وجعلوها في تابوت ، وتركوا الغرناطي على ظهر القبر ، وساروا به إلى تارودانت ، ووقع النياح على جثته ، واجتمعوا ورأسوا عليهم مولاي الحران بن مولاي الشريف بن علي الحسني ، ودفنوا مولاي أحمد بن محرز بتارودانت ، وقبره الآن مشهور بها معروف . والبقاء لله الواحد القهار يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

من حوادث العام

حصار تارودانت

ومن حوادث هذا العام : نزول مولانا الخليفة إسماعيل على تارودانت ، وحصار مولاي الحرَّان وأهلها .

وقوع زلزلة

وبعد العشاء رابع عشر ربيع الأول وقعت زلزلة بفاس .

ظهور الوباء بالمغرب

وفي هذا العام ظهر الوباء في أكثر بلاد المغرب .

(9) ورد خبر ابن محرز وخبر مقتله ضمن حوادث عام سبعة وتسعين في **حوليات نشر المثاني** وهو خطأ حسبما ورد عند الزياني وصاحب الاستقصا إذ الصحيح أنه قتل في هذه السنة وهي ست وسبعين .

العام السابع من العشرة العاشرة
من حـوادث العـام

قتلَى في حصار تارودانت

ومن حوادث هذه السنة : استمر الحصار على أهل تارودانت ورئيسهم مولاي الحران ، ودامت الحروب والوقائع والفتوكات والمواقف . ومات من رماة فاس ستمائة والباشا حمدان والقائد الزيتوني وغيرهما ، والجرحَى كثيرون .

العام الثامن من العشرة العاشرة

محمد بن محمد البوعناني

فمنهم العالم الحافظ الفقيه الأستاذ الخطيب الفصيح أبو عبد الله محمد ابن محمد بن محمد بن سليمان البوعناني . تقدمت ترجمة والده وولده العربي . خطب صاحب الترجمة بالأندلس ثم ولي الإمامة بالقرويين وخطبتها ، وولي قضاء فاس الجديد وخاطبتها [وكانت له وجاهة عند العامة والخاصة][1]. ولد سنة ثمان وعشرين وألف وتوفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادي الثانية عام ثمان وتسعين وألف .

محمد بن سعيد قدورة

ومنهم العالم العلامة مفتي الجزائر أبو عبد الله محمد بن سعيد قدورة . تقدمت ترجمة والده .

قال الأديب العلامة ابن زاكور في كتابه **نشر أزهار البستان** في شأن صاحب الترجمة : هو شيخ الفقه والحديث ، ووارث الشرف القديم والحديث ، تفرع من شجرة علم ، وتدرع برود وقار وحلم ، فحله من الجزائر محل السواد من الناظر ، انتهت إليه خطابتها وفتياها ، وحصلت في يده آخرتها ودنياها ، فإليه يهرع عند اشتباه النوازل ، ويفزع عند اشتداد الزلازل ، وعليه يعتمد في رواية الآثار ، وتصحيح أسانيد الأخبار ، إلى فصاحة ولسن، جرَى بهما في ميدان الإبداع طلق الرسن ، وحلاوة وطلاوة ألان بهما قلب ذي قساوة ، وعبارة عليها رونق ونضارة ، ولسان خلوب ، يقود عصابات القلوب ، هذا مع أنه يرتضع أخلاف الأدب ، ولم يصطبح بسلافه المزري بالضرب ، أما لو التبس بمود ذلك المود ، واقتبس من نور ذلك الغور ، فلا يمترى في أنه يطاول أهل المشرق والمغرب ، ويصير نظيره كعنقاء

---

(1) زيادة في **س** و**ط** .

مغرب ، وإمامة والده أبي عثمان هي التي أرقته على غيره من الأعيان ، وأولته المراتب الخطيرة ، والفضائل الشهيرة .

سَعَى مَعْشَرٌ كَيْ [يَمْحَقُوهُ] (2) فَبَرَّزَتْ بِـهِ غُـرَرٌ مَشْـهُورَةٌ وَعَلاَئِـمُ

وهذا البيت لإبراهيم بن سهل الإسرائلي من قصيدة يمدح بها آل خلاص من أهل سبتة ثم قال ابن زاكور بعد كلام : وكتبت إليه :

قَدْ آنَ أَنْ يُنْجِزَ ٱلْوَعْدَ ٱلَّذِي وَعَدَا مَنْ لاَ نَرَى حَازَ مَا حَازَهُ أَحَداً
وَمَنْ حَوَى ٱلْعِلْمَ وَٱلْمَجْدَ ٱلصُّرَاحَ مَعاً وَمَنْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ ٱلْبِرَّ وَٱلرَّشَدَا
سَمِيُّ خَيْرِ ٱلْوَرَى مُفْتِي ٱلْجَزَائِرِ مَنْ مِنْ بَحْرِهِ ٱغْتَرَفَتْ أَحْبَارُهَا مَدَداً (3)
مَوْلاَيَ أَسْرَفْتَ فِي إِنْظَارِ مُنْتَظِرٍ إِجَازَةً وَهْيَ أَسْنَى مَا بِهِ ٱعْتَضَدَا
لاَ تَمْطِلَنْهُ فَفِي مَطْلِ ٱلْغَنِيِّ أَتَتْ آثَارُ صِدْقٍ بِأَنَّ ٱلظُّلْمَ فِيهِ بَدَا
وَأَنْتَ أَعْلَمُ أَهْلِ ٱلْعَصْرِ قَاطِبَةً بِهَا وَمَنْ لَمْ يَقُلْ هَذِي فَقَدْ جَحَدَا
أَجِزْ وَأَفْخِرْ فَلاَ عُرِّيتَ مِنْ شَرَفٍ إِجَازَةً لَـمْ تُغَادِرْ لَكُمْ سَنَدَا
إِذَا ظَفِرْتُ بِهَا أَنْشَدْتُ مِنْ طَرَبٍ بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ ٱلْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا
يَـأَيُّـهَا ٱلْبَـحْـرُ إِلاَّ أَنَّ لُـجَّتَهُ تَرْمِي ٱلْفَوَائِدَ وَٱلْأَحْكَامَ لاَ ٱلزَّبَدَا

قال وهذا آخر من أجازني بمدينة الجزائر من ولاة الأحكام ورقاة المنابر بتاريخ أوائل رجب سنة أربع وتسعين بعد الألف . وتوفي عام ثمانية وتسعين وألف .

محمد بن محمد السبع

ومنهم الفقيه الخير محمد الملقب السبع ابن محمد السبع أيضا بن محمد بن أبي المحاسن الفاسي . قال في **الابتهاج** فيه : لم يخلف والده غيره ، وهو الآن أعزب ، وإلى الشيخوخة أقرب . مولده تقريبا سنة ثلاث وعشرين وألف . وأكب على القراءة قدر المستطاع ، واقتصر على التعلم والانتفاع . توفي صاحب الترجمة عام ثمانية وتسعين وألف عن غير عقب . وبه انقرض فرع الشيخ محمد بن أولاد الشيخ أبي المحاسن .

(2) في كتاب ابن زاكور المنقول منه : يلحقوه .
(3) لم يرد ما بعده في **س** و**ط** .

الحسن بن إبراهيم السفياني

ومنهم الولي الصالح المتبرك به أبو علي سيدي الحسن بن إبراهيم أبو اسحاق السفياني. دفن بزاويته بعين اصليتن من عدوة فاس القرويين. له أصحاب وأتباع يروون عنه كرامات ومكاشفات. وفتحه ونفعه للعباد، معلوم عندهم للحاضر والباد. توفي في خامس ذي القعدة من عام ثمانية وتسعين وألف.

سليمان بن عبد القادر الزرهوني

ومنهم الكاتب الأسمَى، صاحب القلم الأعلى، كاتب الدولتين الرشيدية والإسماعيلية، المطلع على سر الحضرتين، أبو الربيع سليمان بن عبد القادر الزرهوني. وصفه في **الدر السَّني** بالخيّر وثقة الكتاب ودينهم.

وفي **المقصد** عن أخ المؤلف محمد العربي قال: كنا جلوسا بالزاوية ومعنا الكاتب الأرضي صاحبنا أبو الربيع، يعني صاحب الترجمة، وسيدي أحمد بن عبد الله معن جالس مع بعض الفقراء قريبا منا. ثم قال ليذهب. فقام أبو الربيع يتلقاه، فلما وصله قال له سيدي أحمد، ونحن نسمع: أنت مرهون. فلم يسمع ما قال له هيبة منه. وقال له ما تقول يا سيدي: فقال له ثانيا: أنت مرهون. وانصرف وتركه. فبقي أبو الربيع متحيرا في أمره، ولم يدر ما معنَى ذلك. فلم يكن بعد ذلك إلا يومان وإذا الخبر جاء من مكناسة الزيتون بقبض ابن أخته الكاتب عبد الواحد وسجنه بدار هنالك، وأمره أن يعطي مالا كثيرا، وكان الكاتب عبد الواحد هذا قد أغضب سيدي أحمد بن عبد الله معن في شيء من ماله فتوعده بشر. فعرف أبو الربيع حينئذ أن المراد بكونه مرهونا هو رهين ابن أخته، إذ هما شيء واحد، وخاف إذ ذاك على نفسه أن يناله مكروه من السلطان من أجله، فجاء إلى سيدي أحمد فزعا وقص عليه الخبر. فقال له: أنت لا بأس عليك، فلا تخف. فسكن عند ذلك روعه. ولم ير مكروها من بركته. وجعل السلطان يقول لابن أخته عبد الواحد لولا خالك سليمان لأهلكتك ولفعلت بك كذا وكذا. وبقي محبوسا أياما، وأعطَى مالا كثيرا، وقاسَى شدة، وتيقن أبو الربيع أن ابن أخته المذكور إنما أتاه لطف من الله من شفقة سيدي أحمد عليه، وهو لا يعلم، لعلمه بقصة ما نهب

ابن أخته من مال سيدي أحمد ووعده له . وكان يخاف على ابن أخته ويترقب ما ينزل به . كما أخبرني هو بذلك . ثم جاءت أم الكاتب عبد الواحد بابن له صغير وأدخلته على سيدي أحمد وقالت له : ابني بعث إليك ابنه هذا شفيعا فيه . فاستحيى سيدي أحمد وأشفق عليه وقال لها : نتشفع إلى الله فيه . وكان ذلك عقب صلاة الجمعة . فمن الغد عند طلوع الشمس جاء الرسول إلى أبي الربيع من عنده من مكناسة مبشرا له بتسريحه في ذلك الوقت من دون شفاعة من أحد فيه إلى السلطان وبلا سبب . وأخبر أن تسريحه كان بعد صلاة الجمعة(4) . وتوفي صاحب الترجمة يوم السبت الثالث عشر من جمادي الثانية سنة ثمان وتسعين وألف بتارودانت .

أبو القاسم بن محمد الدكالي

منهم الفقيه نائب القضاة بمدينة فاس . أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الدكالي(5) . توفي عام الترجمة ودفن في الروضة المدفون فيها ابن غازي . قريبا منه . الكائنة بالكغادين داخل باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس .

محمد الهشتوكي

ومنهم قاضي مراكش أبو عبد الله محمد الهشتوكي . توفي في أواخر رجب من العام المذكور .

---

(4) هذه الحكاية مختصرة في **ش وط** .

(5) [ابن إبراهيم الدكالي هذا ابن بنت ابن غازي . فهو جده للأم . وابن غازي من بني عثمان فخذ من بني حسن . نزل سلفه مكناسة . ونزل هو فاسا . ودفنه تلميذه الوربي الزرهوني بروضته بالكغادين عن يسار الطريق المرور عليها لواد الزيتون . ويعرفون أعقاب ابن ابراهيم هذا اليوم بفاس بابن ابراهيم غازي . نسبة إلى الأب وإلى الجد من الأم . وهو ابن غازي . جمع بين النسبتين لابن غازي وابن ابراهيم الجد المذكور لصاحب الترجمة وليس لجد آخر أعلى منه . والروضة المذكورة ليست لأحد منهما] طرة في **ك وم** .

من حوادث السنة

فتح تارودانت

ومن حوادث هذه السنة : اشتد الحصار على أهل تارودانت من السلطان بنفسه وجيوشه . إلى أن دخلها عنوة ليلا على أهلها قائده عبد الله الرويسي ومعه خمس عشرة مائة من رماة فاس . ومات من جيش مولاي إسماعيل في القتال عند الدخول عليها مائتان . ودخلوا قصبتها رغما على من بها . وأخرجوا من القصبة رئيسهم مولاي الحران ومعه الجيش . ولم يترك السلطان بالمدينة من الجيش أحدا إلا الرعية . فأمَّنهم ولم ينهبهم ومنَّ عليهم وأمنهم . فالله يجازيه على ذلك خيرا وإحسانا .

قدوم أولاد النقسيس على السلطان

وفي تاسع عشر رجب العام ورد الخبر بخروج أولاد النقسيس من سبتة(6) الذين كانوا هربوا إليها وذهابهم إلى السلطان مولانا إسماعيل وهو بسوس . وكان مات كبيرهم عيسَى بن عبد الله بسبتة في ربيع الأول العام ، وتنصر بعضهم والعياذ بالله .

وفي أوائل شعبان العام وقع البريح بأن لا يضع أحد كتابا بالأرض وهذا أحسن ما يكون من الأدب .

قتل أولاد النقسيس

وفي أوائل رمضان العام أمر مولانا إسماعيل بقتل أولاد النقسيس الذين خرجوا من سبتة . فقتلوا بتطاون . وفي يوم الخميس خامس عيد الفطر من العام قتل ثلاثة من أولاد النقسيس الذين بسجن فاس الجديد . وفي يوم السبت سابع عيد الفطر من العام قتل أيضا أربعة من أولاد النقسيس الذين كانوا في السجن بتطاون . والحول والقوة بالله .

---

(6) هذا الحدث وبقية حوادث العام مستدركة من **حوليات نشر المثاني** .

نسخ أخبار الشجعان

وفي يوم الأربعاء ثالث ذي الحجة العام بعث السلطان مولانا إسماعيل لفاس بإزعاج النساخين منها لحضرته بمكناسة الزيتون . فأشخصوا وهم نحو من أربعين رجلا بقصد نسخ أربعة وعشرين سفرا من **العنترية والفداوية** وما يتصل بها من أخبار الشجعان على ما قيل فيها . وسأل عنها فأخبر بما نهي عنه منها وفتاوي **المعيار** وغيره فيها . فلم يقدر أن يخاطب بذلك المكتوب . وطلب الكتاب بما يكون كالتورية موجها لها . وأعدوا الكاغيط والألوان العديدة والذهب المحلول ، وأحضر كل كاتب ، ومن لم يكتب المبسوط يملي على كاتبه ويصلح الأقلام والمداد وغير ذلك ، فانتسخ ذلك في أيام قلائل حتّى إن بعضهم رجع لداره ليلة العيد .

العام التاسع من العشرة العاشرة

عبد القادر بن عبد الله الشبيه الجوطي

فمنهم الشريف الأمجد . الصدر الأعمد . السيد الأوحد . الفقيه العالم النزيه الموثق النوازلي الفقيه الحافظ النسابة المؤرخ الفاخم الوجيه عدل النقباء وثقتهم . من إليه يرجع في وظيفهم . نقيب الدولتين . وشريف النسبتين الرشيدية والاسماعيلية . نقيب أشراف المغرب بوقته . وفريد وصفه ونعته . أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الشبيه الجوطي الحسني .

بيتهم من أعيان الأشراف المشاهير ، ومن صدور المآثر والمفاخر . يعرفون ببني الشبيه نسبة لجدهم سيدي أحمد الشبيه . قال في **الدر السني** : وهو الشيخ الولي الجليل الشريف الكامل الأصيل أبو العباس أحمد المدعو بالشبيه . أحد مشايخ الشيخ الفياض الولي الشهير العارف الكبير قطب الأحوال أبي زيد عبد الرحمان المجذوب نفعنا الله بهما . أخذ الطريقة عن سيدي بن عبد الرحيم بن يجبش التازي رضي الله عنهما . ودعي بالشبيه للشبهة بجده ﷺ بسبب ما كان بين كتفيه من صورة الخاتم النبوية . ويا لها من بركة عظيمة ، وسمة مصطفوية كريمة . وبنوه هم الولاة لضريح جدهم الإمام إدريس الأكبر بزرهون . انتهى .

ومثله في **ابتهاج القلوب** للحافظ الفاسي ، وزاد : ابن يجبش عن عمه أبي الحسن علي . وعن الشيخ أبي عبد الله الزيتوني دفين المسيلة من بلاد الجريد . وطريقته تنتهي إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وعن عبد العزيز القسمطيني عن الشيخ زروق . ثم قال : ولقي الشيخ أبو العباس الشبيه الشيخ عبد الله الغزواني فأخذ عنه . ثم قال : توفي . أعني الشيخ الشبيه . في شعبان سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ، ودفن خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون . وقبره قريب من الدثور نفعنا الله ببركاته . انتهى باختصار .

ويحتمل أن يكون دعي بالشبيه لشبهه بذاته ﷺ وبزيادة الخاتم . فيكون الشبه حصل من جهتين : بالذات وبالخاتم .

قلت : والشبهاء بالنبي ﷺ متعددون بالذات وبالخلق في بني هاشم . منهم يحيَى . وهو المعروف بالشبيه . كان يقال : كان يشبه النبي ﷺ في صورته . وهو يحيَى بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين . وكان من ذرية بني الشبيه بمصر . ومنهم عبد الرحمان بن محمد بن عقيل بن أبي طالب . كان يشبه النبي ﷺ في صورته . وكان رجلا صالحا . وبنته زينب بنت علي بن أبي طالب . ومنهم القاسم ابن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عقيل بن أبي طالب . كان يشبه النبي ﷺ في صورته . وروَى عنه الحديث . ومنهم عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم . ولاه مروان قضاء المدينة . كان يشبه رسول الله ﷺ . وهو أول من ولي القضاء بالمدينة . فهؤلاء أربعة ذكرهم الحافظ ابن حزم في **جمهرته** .

ورفع عمود نسب صاحب الترجمة . فهو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الشبيه ابن عبد الله . جده غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن السيد عبد الواحد المجاهد بن عبد الرحمان بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن حمود بن يحيَى بن يحيَى مرتين . ويحيَى الأول نبه ابن حزم على أن أولاده كانوا بفاس في زمنه . وهو أواسط المائة الخامسة . لأن ابن حزم توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة . ثم يحيَى الثاني هو ابن إبراهيم بن يحيَى بن محمد بن يحيَى العوام بن القاسم بن الإمام إدريس الأصغر . باني فاس ودفينها . ابن الإمام ادريس الأكبر . نزيل جبل زرهون ودفينه[1]

ولم تزل النقابة في بيت الجوطيين في المغرب من قديم كما في قضية الشريف العمراني مع الإمام أبي عبد الله المقري في مجلس السلطان أبي عنان المريني . ذكرها صاحب **كفاية المحتاج** وصاحب **نفح الطيب** وغيرهما . وكقضية عبد الحق المريني الأصغر إذ بويع للشريف العمراني .وتداولها آخرون من الجوطيين أيضا . وتداولها غيرهم من أشراف العلم وأشراف سجلماسة . وتداولها غيرهم من الأشراف . ووليها

(1) الكلام الوارد أعلاه حول «الشبهاء» غير وارد في **س وط** .

كثير من العامة الذين لا حظ لهم في النسب . لأن حاصلها ولاية في رفع المنكر خاصة بالانتساب للجانب النبوي لئلا يتمكن أحد من التقول على نسب النبي ﷺ . وهي يصلح لها كل من يقدر على دفع من يدعي الكذب إلى رسول الله ﷺ . مع أن المدعي لذلك إن كان كذبا . فليتبوأ مقعده من النار .

ويشترط فيمن يتولى ذلك أن يكون عالما باصطلاح تلك الخطة لأن المتولي على من يدعي أنه من آله ﷺ يكون كالعبد يؤدب ابن سيده فيقوم بأمر السيد ولا يهمل فضل الولد . ومن الاصطلاح في ذلك أن يكون عالما بعلم النسب والتاريخ والوفيات والخطوط والأشكال . أي علامة الاشهاد . وإصلاح الإشهاد . وكتب الوثيقة . ومعاني الألفاظ . والنوازل التي يفتقر فيها إلى التوصل بالنسب الذي يدعي إليه أو ما يثبت النفي به . مع معرفة شروط النهي عن المنكر . لأن من يدعي ذلك كذبا فيه من أعظم المناكر . إلى غير ذلك من الشروط التي يطول سردها . والغالب في هذا الولي على العادة أن يكون من أهل البيت النبوي عسَى أن يكون أنفع لأهل البيت من غيرهم . لأنهم أحرص على دفع من ينتسب كاذبا . وأتقى من أن يخرجوا من هو منهم عنهم . فإذا لم يتحقق هذا في الولي الذي هو شريف ثم تحقق في غيره ممن ليس بشريف فهو أحق بولاية ذلك . [والنظر في تعيين من يقوم بذلك من الأشراف أو من غيرهم لمن ولاه الله أمر عباده . وليس للأشراف أن يعينوا من يقوم بذلك إلا إذا أسند النظر لهم في ذلك من ولاه الله عليهم .

ولما علم مولانا الخليفة إسماعيل بن مولاي الشريف السجلماسي الحسني أنه ليس في الأشراف من يعلم شروط ذلك على الحقيقة ولى غيرهم من العوام ممن علم بشروط ذلك . وقد فعل ذلك مرارا : فولى مرة الفقيه النسابة الأعدل الأديب الصوفي أبا عبد الله محمد الطيب المريني . وولى مرة أخرى غيره أيضا][2] . وحاصل المراد من تلك الخطة خدمة الجانب النبوي . وحمايته من التقول فيه . واخراج قوله ﷺ : **من انتسب إلى غير أبيه أو انتهَى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا** . وفي لفظ : **من ادعَى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام** . رواه سعد بن أبي وقاص . وعن أبي

2) سقط من **س** وط .

هريرة : **لا ترغبوا عن آبائكم . فمن رغب عن أبيه فهو كافر** . وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **ليس من رجل ادعَى لغير أبيه . وهو يعلم . إلا كفر . ومن ادعَى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار** . وكل هذه الروايات متفق عليها . ولفظ مسلم عن علي في الصحيفة التي فيها أسنان الإبل التي أوردها في كتب العتق : **ومن ادعَى إلى غير أبيه أو انتمَى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا** . ولفظه في كتاب الايمان عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **ليس من رجل ادعَى لغير أبيه . وهو يعلمه . إلا كفر ومن ادعَى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار** . قلت : والكاذب في ادعائه النسبة النبوية يشمله هذا الوعيد من وجهين : الأول . كونه ادعَى لغير أبيه . والثاني كونه ادعَى ما ليس له . وتفصيل الوجهين : قال علماؤنا : قوله من ادعَى لغير أبيه الخ . هو إما قذف أو كذب وعقوق . ولا شيء من ذلك بكفر . فلابد من التأويل أيضا . فيحمل على المستحيل والمراد جحد النعمة أي حق أبيه . قال القرطبي : أو أنه لو أنه أطلق الكفر مجازا لشبهه بفعل أهل الكفر . لأنهم كانوا يفعلونه في الجاهلية . قال الأبي : انظر لو انتسب لغير أبيه لضرورة كالمسافر ينزل به الخوف فيقول : أنا ابن فلان لرجل محترم لصلاح أو غيره والظاهر أنه لا يتناوله الوعيد بخلاف ما لو انتسب لغير أبيه ليكرم أو ليعطَى . هذا الأظهر أنه يتناوله الوعيد . [وانظر لو انتسب لأبيه من زنًى وكان الشيخ يقول : انه أخف لأنه أبوه لغة لا شرعا . ويدل على أنه أبوه لغة حديث جريج حيث قال : **الولد وأبي الراعي فلان** . وأما عكس ما في الحديث . وهو أن ينتسب الرجل إلى نفسه غير ولده . فيحتمل أنه من الباب ويحتمل أن لا . لأن ما في الحديث عقوق . والعقوق كبيرة . كان لبعض ذوي الخطط ربيب وكان يناديه : يا ولدي . وكان معارضوه يعدونها من جرحاته](3) . وقوله من ادعَى ما ليس له يعني في كل شيء سواء تعلق به حق لغيره أو لا . قال الأبي : فيتناول من يدعي علما لا يحسنه . ويرغب في خطة لا يستحقها . وكل ذلك كان الشيوخ يعدونه جرحة . انتهَى . [ولفظ مسلم أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر** . ومعنَى الرغبة ترك الانتساب إليه أنفة عنه

وانتسابا إلى غيره](3) . والمراد من جلب هذه النصوص هنا بيان أن من علم نسبة آبائه وأجداده بالشرف النبوي يجب عليه التمادي عليها ، ولا يكون تركها من الزهد ، بل هو معصية ، إلا إذا جاوز احتمال عدم صحتها . وأحواله في ذلك ثلاثة : راجحية النسب أو مرجوحيته أو تساويهما . فالراجح سواء كان رجحانها بطريق اليقين ، وكذلك الظن الواجب عليه التمادي في الانتساب ، لأن الأحكام الشرعية مبنية على اليقين ، وكثير منها مبني على الظن ، والمراد باليقين هنا باختيار الشرع ، كأن يكون ذلك متواترا ، لا باعتبار العقل لأنه لا اعتداد به في هذا المحل . لأن الحكم الشرعي بخلافه ، والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ، والمراد بالظن ما هو نازل عن المتواتر ، فيشمل المستفيض والمشهور والثابت بالرسوم السالمة من الريب المستوفية لشروط الحكم بها ، وان اختل أمر منها كعدم إمكان الرفع على خطوطها لقدم العهد وبعد زمان كتبها ، ولم يبق من يعرف الأشكال التي فيها ولا خطوطها ، كانت الرسوم شبهة لنسبة حائزها ، تترجح بالقرائن الدالة على صدقها ، كأن لا يكون تناف بينها وبين الدعوَى ، ولا أثر لمحو ولا ضرب ولا تشطيب ، سيما ان انضم لذلك قرائن خارجية كأن يكون لصاحبها جد معلوم في ذلك الوقت ثبت العلم به بتقييد أو حكاية إرث ممن يوثق به ، وتتابعت القرائن بالعلم به إلى الزمن الحاضر ، أو يكون ممن نبه بعض الأئمة على نسبه في تقييد أو مؤلف . ثم إن الرسم لا ينافي الشهرة بكونه أنزل منها لاحتمال اتخاذه وإنشائه لأمر عرضي كإرادة انتقال ونحوه عن محل الشهرة بموضع لا يعرف فيه . ثم إن الرسوم المتضمنة الشهادة بالنسب النبوي غالبها يكون شهادة السماع وهي عاملة في النسب كما في محله .

وفي **تبصرة** ابن فرحون أنها ، أي الشهادة السماعية ، على ثلاث مراتب :

الأولى : ما مستندها السماع المتواتر المفيد للعلم كالشهادة بأن مكة موجودة .

الثانية : ما مستندها الاستفاضة المفيدة للظن القوي القريب من القطع ، ومنها الشهادة بالأنساب المشهورة الشائعة ، ككون مالك هو ابن أنس .

وهذان يجوز للشاهد فيهما القطع بالشهادة .

(3) سقط من **س وط** .

الثالثة : شهادة السماع الاصطلاحية . ولها شروط مذكورة في كتب الفقه . وهي تفيد ظنا دون الاستفاضة ولا يقطع بالمشهود به . انتهَى .

وقال ابن الحاجب : وأما السماع المفيد للعلم . فقال ابن القاسم : هو مرتفع عن شهادة السماع . مثل : ان نافعا مولى ابن عمر وان عبد الرحمان ابن القاسم . وان لم يعلم بذلك أصلا . فقيل له : أيشهد أنك ابن القاسم من لا يعرف أباك ولا يعرف أنك ابنه إلا بالسماع ؟ قال : نعم . يقطع بها ويثبت النسب . انتهَى .

قال ابن عبد السلام : هذا النوع من السماع المفيد للعلم متفق على قبوله . ومنهم من قصر شهادة السماع عليه ومنع ما عداه . وظاهر كلام الفقهاء عموم حكمه في الأبواب . وأنه من العلم التواتري . وقد علم أن خبر التواتر لا يفيد العلم في كل باب . وأنه مما يشترط فيه أن يكون خبرا عن محسوس . انتهَى **من شرحه لابن الحاجب** بنصه . واقتصر عليه في **التوضيح** .

قلت : وهذا إشكال أبداه في تواتر النسب . ومعناه أنه لا يمكن فيه النقل عن أمر محسوس كمشاهدة وضع النطفة في الرحم . وفي هذا نظر . فانهم اعتبروا في مثل هذا قرائن الأحوال وأقاموها مقام المحسوس . فإذا تعددت القرائن وقويت . أفادت القطع . كعفة الأمهات وصيانتهن وديانتهن . فإن هذه الأشياء تنفي الريب حتَّى تلحقه بالمحسوس [بحيث لا يدخل شك كما لا يدخله شك في البياض الذي يرَى ببصره . وفي الصوت الذي يسمعه بأذنه . وفي الطعام الذي يدخله في فمه . والماء الذي يشربه . وفي الثوب الذي يلبسه عليه . فان القرائن فيما مثلنا به حاسة سادسة كما قال الغزالي . وكما أنه يستحيل . عقلا . أضداد هذه المشاهدات التي مثلنا بها . فكذلك يستحيل . عقلا . ضد الصيانة والصفة ما دامت القرائن مستمرة . ولا شك أن غالب بنات أهل الخير والنسب الرفيع على الصفة بالقرائن التي تلحقه بالمحسوس][4] . [وقد عد الأصوليون القرائن حاسة سادسة][5] .

قال الغزالي في **المستصفى** : لا شك أنا نعرف أمورا ليست بمحسوسة . فإنا نعرف من غيرنا حبه الإنسان وبغضه له وسائر الأحوال في نفس المبغض والمحب لا

(4) سقط من **س وط** .

يتعلق بالمحس بها . وقد يدل عليها واحدة من هذه القرائن دلالة ليست بقطعية بل يتطرق إليها الاحتمال . ولكن تميل النفوس بها إلى اعتقاد ضعيف . ثم الثاني والثالث ولا يؤكد ذلك حتّى يحصل القطع عند اجتماعها . كما أن كل واحد من عدد التواتر يتطرق إليه الاحتمال لو قدر منفردا ويحصل القطع بسبب الاجتماع . انتهَى كلام الغزالي . [ثم قال : ومع هذا فاقتران هذه القرائن واجتماعها كاقتران الأخبار وتواترها . فكل دلالة شاهدة يتطرق إليها الاحتمال . كقول كل مخبر عن حاله . وينشأ من الاجتماع العلم . فالمجموع يفيد اليقين والقطع . والآحاد لا تفيده وكأن هذا مدرك سادس من مدارك العلوم سوَى ما ذكرنا في المقدمة من الأوليات والمحسوسات والمشاهدة الباطنة والتجريبات والمتواترات . انتهَى][5] .

فذلك النسب فإنه إن اعتبر فيه مجموع القرائن أدَّى ذلك إلى القطع لا محالة . وقولهم الأحوال الشرعية مبنية على اليقين وإن كان كثير مبنيا على الظن . وقرائن الأحوال الشرعية تلحق بالمحسوس . فإنهم نصوا على أنها تفيد القطع كما صرح به إمام الحرمين في **البرهان** والغزالي في **المستصفى** . ومثلوا له بأمثلة منها : أنا نشاهد الصبي يرضع فيحصل لنا علم قطعي بوصول اللبن إلى جوفه وإن لم نشاهد اللبن في الضرع فانه مستور لكن فيه من القرائن ما يلحقه بالعيان . وإذا كان هذا كذلك . فالقطع في بعض الأنساب حاصل بالنظر إلى المجموع ولا إشكال . وكذلك لبعض الأفراد الذين اشتهروا على لسان الأمة في مشارق الأرض ومغاربها . وهذه المرتبة هي أعلَى مراتب الأشراف وسبحان الحكيم العليم. وهذه الأقسام الثلاثة كلها [موجودة في شهادة الانتساب التي بأيدي أشراف فاس وغيرها][6] . وفيهم قسم رابع وهو شهادة لكنها غير مستوفية للشروط فترجح بانضمام مرجح آخر كظواهر الملوك وتنفيذ الخراجات السنية وغير ذلك . وقسم خامس وهو التحلية في رسوم الأشرية والمعاملات ونحو ذلك . [وان كان ذلك ليس من الشهادة خلافا لابن عرفة . وعلى كل لا يخرج عن كونه خبرا][7] . وقد يوجد مجرد الانتساب لكن يشترط فيه أن يتقدمه بذلك آباؤه وأجداده [ولم يشعر منهم بما يوجب ريبا وأحرى

(5) سقط من **لك** وم .

(6) **س** **وط** : موجودة في الأنساب الشريفة وكلها معمول بها شرعا .

(7) سقط من **لك** وم .

صريح الاختراع][7] ، إلا أن يكون هو اخترع ذلك من غير تقديم لسلف له ، إما عمدا واما بسبب واه ، ولم يعلم بها أصلا قبل ذلك . فمثل هذا داخل تحت الوعيد المدلول عليه بالنصوص المتقدمة ، ويقضى عليه بالأدب الوجيع والتعزير الفظيع . ولا ينافي من ترجحت عنده نسبته فيجب عليه التمادي على الانتساب ولو لم يكن بيده إلا مجرد انتساب آبائه لأنه مأمور بالتمادي على انتسابهم . وقد قال سيدي أحمد زروق : إن من وجد بيد آبائه شيئا فليتمسك به للبركة ، وإن لم يقف على صحته للحديث : **تبرؤ من نسب وإن دق كفر**. والناس مصدقون في أنسابهم ما لم يعلم خلاف ما قيل . انتهَى . وعبارته في **شرح الوغليسية** لما تكلم على فضائل آل البيت : والناس مصدقون على أنسابهم حتَّى يتصرف ذلك بيقين . انتهَى . ذكر ذلك في **الجامع** من شرحها . [وما ذكره التتائي من أن الناس مصدقون فيما عدا الشرف قيده الشيخ علي الأجهوري بغير المشهور بذلك][8] لكن قول سيدي زروق للحديث . **تبرؤ من نسب وان دق كفر** ، لم أقف عليه بهذا اللفظ ، والموجود في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال : رسول الله ﷺ : **كفر بالله من تبرأ من نسب وإن دق وادعَى نسبا لا يعرف** . عزاه الحافظ المنذري في **الترغيب** لأحمد والطبراني في **الصغير**. وفي رواية أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ : **من ادعَى نسبا لا يعرف كفر بالله**. عزاه المنذري أيضا للطبراني في **الأوسط** . فالواجب اعتبار هذا في حق المنسوبين للنبي ﷺ على هذا التفصيل . ولا يقبل المعارض إلا بالبرهان والدليل ، ولا يعتبر بما يتعاطاه الفسقة المتعصبين والعصبة المتلصصين بالقضايا التي لا أصل لها إلا ذكر وقيل ، وإلا كان متعرضا للوعيد والمقت الشديد ، المدلول عليه بقوله ﷺ فيما أخرجه الترمذي والبيهقي والطبراني وابن حبان في **صحيحه** والطبراني والحاكم ، وقال : صحيح ولا أعرف له علة : **ستة لعنهم الله ، وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل عترتي ما حرم الله ، والتارك للسنة** . روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا فيما أخرجه أبو نعيم وغيره بسند ضعيف : **اشتد غضب الله على من آذاني في**

(8) سقط من **ك** وم .

عترتي . قال المنوي في **البيض** : فأي وجه من وجوه الإيذاء مثل سب أو لعن أو طعن في نسب أو تعرض لنقصهم أو جفاء لبعضهم . انتهَى . والعترة بكسر العين وسكون الفوقية نسل الرجل وأقاربه ورهطه وعشيرته الأدنون . انتهَى .

ولما سئل مفتي وقته الإمام الحجة الولي الصالح أبو القاسم بن خجّو عن نسب بعض القبائل الهبطية فنفَى النسب النبوي عنهم ووصل إلى يد صاحب الترجمة بعض من ينتسب إليها فنازعه واستشهد عليه بكلام أبي القاسم ، ردَّ عليه العالم العلامة القاضي الأجل محمد بن الحسن المجَّاصي ، وكتب له ما نص الحاجة منه : وهذا ابن خلدون نظار هذا الباب لم يلتفت لنفي من نفَى نسب العبيديين مع كثرة الطاعنين فيهم في كل قرن وجيل ومن القواعد أن من أثبت مقدم على من نفي في دعوَى مدعي النسب ، وأقول : الغلط في إدخال ألف أهون من إخراج واحد قياسا على ما قالوا في الكفر . ثم قال : الأمر معتبة ، وهل النقيب الا محتسب في شيء خاص . ونصوا على أنه لا يحتسب إلا فيما أجمع على أنه منكر . **والله يقول الحق وهو يهدي السبيل** . إلا أن ما أقرّه من كلام ابن خلدون في العبيديين فيه نظر ، فان لهم تلونا في النسب وانتقالا من أب لأب . نبه على ذلك ابن حزم في **جمهرته** .

وفي **الاكتفاء** للسيوطي عن القاضي أبي بكر الباقلاني أن القداح جد العبيديين الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيا ، وصعد المنبر يوم الجمعة العزيز بن المعز منهم في أول ولايته فوجد هنالك ورقة مكتوبا فيها :

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَباً مُنْكَراً يُتْلَى عَلَى ٱلْمِنْبَرِ فِي ٱلْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقاً فَٱذْكُرْ أباً بَعْدَ الْأَبِ الرَّابعِ
وَإِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ فَٱنْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ لاَ دَعِ ٱلْأَنْسَابَ مَسْتُورَةً وَٱدْخُلْ بِنَا فِي ٱلنَّسَبِ الْوَاسِعِ
فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ ٱلطَّامِعِ

وقال القاسمي : إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء أربعة آلاف رجل ليردهم عن الترضي عن الصحابة ، فاختاروا الموت . وصعد العزيز على المنبر فرأى ورقة مكتوبة فيها :

بِٱلظُّلْمِ وَٱلْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا   وَلَيْسَ بِٱلْكُفْرِ وَٱلْحَمَاقَةْ
إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ   فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ ٱلْبِطَاقَةْ

لأنهم كانوا يدعون أن عندهم علم الغيب مما لا ينبغي ذكره . وقال الرعيني : أجمع علماء القيروان أن حال بني عبيد حال الزنادقة . والعجب من ابن خلدون حيث عد نفيهم من النسب من الأخبار الواهية . واحتج بطول ولايتهم وخدمة الشيعة إياهم . وكتب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب . وكل ذلك لا حجة فيه ، معَ أن الذي نفى نسبهم كابن حزم نفاه من جهة النقل الذي هو أصل هذا الباب . [فتعرض ابن خلدون لهذه المسألة تعد من سقطاته][9] ومراد المجاصي أنه لا يلتفت للطعن وان كثر قائله مع ثبوت الموجب الكافي في ذلك لأن من أثبت مقدم على من نفى ، وأما إذا كان من أثبت أكثر أو أرجح ممن نفَى . فلا يلتفت لمن نفى ويجرح بالثبوت . قال [ابن السكاك][10] في كتابه **نصح ملوك الإسلام** : والواجب على من اعتراه شك في مستنده في الشرف ولم يجد ما يوجب له غلبة الظن بل احتمل عنده الأمران أن يترك التظاهر بالشرف مخافة أن لا يكون شريفا في نفس الأمر فيكون قد عرض نفسه لِللعنة والغضب . نسأل الله العافية . وكيف تكون حيلة من يكون خصمه في عرصات القيامة سيد الأكوان وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام . وكل واحد منهم يقول : هتكت حرمتي . وتجرأت على الانتساب لي ، ولست مني . وعندي أن هذه معصية تفوق سائر المعاصي . لأن الجرأة فيها على حرمة عظيمة لا حرمة أعظم منها . بل يتعين على الشاك أن يقول في نفسه : إن كنت من آل البيت في نفس الأمر فيا بشراك . ولا يضرك عدم إشاعة ذلك في دار البقاء ، بل اكتف في ذلك بعلم الله وعلم حبيبه . فالحزم ترك الإشاعة لله . فإن من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه . إن لم تكن فكيف تكون تضحيتك على رؤوس الأشهاد ؟ وما عسَى أن يحصل لك بإشاعة ذلك في هذه الدار عند قوم لا يغنون عنك شيئا ؟ بل واحد مصدق وألف مكذب مستهزئ ، حتّى يكون خملاء الناس أفضل منك حالا . ويعاملك الناس بنقيض

(9) سقط من **ك** وم .
(10) **ك** : ابن السبكي والصحيح : ابن السكاك .

المقصود . لأن مقصودك العز والتعظيم فيهينون ويذلون وينقمون وهذا عذاب عاجل وخطر آجل . فالحزم على كل تقدير الكف عن الانتساب . فان قالت النفس : أخاف أن أدخل في لعنة الخارج من النسب . قل لها : لو كان مستندك قويا موجبا لغلبة الظن لصح خوفك . وحينئذ لا نرشدك على الكف بل نأمرك بالانتساب لأن الغالب راجح والعمل على الراجح متعين . لكن الفرض أن مستندك ضعيف بحيث يوجب وهما أو شكا أو احتمالا لا غير . فلذلك دللناك على الكف . فتأمل هذا النصح . فرحم الله من عمل على مقتضاه فربح في الدارين . انتهى .

[وهو جيد غاية الجودة لولا مناقشة في بعضه تعلم مما سبق من قول الشيخ زروق : من وجد بيد آبائه شيئا . فليتمسك به للبركة . وإن لم يقف على صحته إلى آخر ما قدمناه][11] .

[على أن التظاهر ان كان المراد منه التطاول ونحوه مما يشمله لفظه فحرام مطلقا في حق الجازم بنسبه . إذ هو من الكبر وهو حرام ومن صفات الشياطين . وفي الحديث : **ثلاث في الجاهلية لا يتركهن أمتي : التفاخر بالأنساب . والطعن في الأحساب . والنياحة** . الحديث . وفي الحديث أيضا : **لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر** . وفي الحديث أيضا من طرق : **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال . يغشاهم الذل من كل مكان . يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس بفلوم نار الاينار . يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** . وأخرج عبد الله بن أحمد في **زوائد الزهد** عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : **يجاء بالجبارين المتكبرين رجال في صور الذر يطأهم الناس من هوانهم على الله حتّى يقضى بين الناس ثم يذهب بهم إلى نار الاينار . قيل يا رسول الله ما نار الاينار ؟ قال : عصارة أهل النار** . والاينار بتقديم الياء على النون . وبولس[12] بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام وسين مهملة . كل هذه الأحاديث في البدور

---

(11) زيادة في **س** و**ط** .

(12) [قوله بولس سكت عن تفسيره وقد فسره ابن الأثير في النهاية وكذا الجلال السيوطي في اختصاره المسمى بالدر النثير قال هو سجن في جهنم وسكت عن ضبط بفلوم وكذا لم يفسره ولم أعثر عليه . وليُطلب . انتهى] ــ طرة في **ط** من وضع مصححها .

السافرة للسيوطي معزوة مخرَّجة][13] .

[وأقبح من هذا كله الاغترار بقول من صرح بأن أهل البيت مغفور لهم ، وإن جلَّ قائله ، وهو صحيح ، وله مصداق ، ولكن تعوق عنه عوائق][13] قال الشيخ أبو عبد الله القصَّار : قول ابن العربي الحاتمي الصوفي في تفسيره عند قوله تعالى : **انما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ، الآية . يعتقد أن الله لا يعاقب أهل البيت . إن أراد تغليب الرجاء في حق من علم تعالى أنه منهم على الخوف فحق ، وإن أراد بالاعتقاد فممنوع ، ومن جزم بأنهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة . فإن قيل ورد به ظواهر ، قُل ورد بمنعه أكثر منها وأصح حجةً في حق فاعلي طاعات حتَّى قال المبتدعة المرجئة : لا يعاقب مؤمن ، وأبَى أهل السنة . وأعدَى عدو لأهل البيت من يوهمهم ذلك ، بل يُذكر لهم نحو قوله تعالى : **يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْن**، الآية. وإن كثيرا من تلك الظواهر قد لا تشملهم كما قال كثير منهم . فإن من اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم مبتدع ، بل مذهب أهل السنة أنهم في المشيئة ، انتهَى . وكتب عليه أبو محمد عبد الرحمان بن محمد الفاسي ما نصه : قف على قوله تعالى في حق من علم تعالى أنه منهم ، فانه تنبيه على أنه لا يُقطع به في معيّن ، ولا يقطع به أحد نفسه ولو إلا من كون شرط الموافاة على الموت على الإيمان وهو غيب . وهكذا ينبغي أن يكون كل أحد في كل فضيلة وعد عليها في العقبَى فان شرط ذلك الايمان عند الله وهو غيب لا يقطع به لأحد إلا لمن ميزه النص . على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعد ، وبه يُفهم قول مولاي عبد السلام بن مشيش : **والحقني بنسبه** . فإن الطيني مشروط بالديني وهو غيب . وكذلك ورد في قبول الطاعات والدعاء واذخاره ، فإنما هو فيمن علم الله منه خاتمة الايمان ونفذت بذلك إرادته ومشيئته ، وأما أحد في خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره . وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : **وقد أبهمَتَ الأمر علينا لنرجو ونخاف وذلك سر العبودية** . وبه تنقطع الآمال إلا من الله ، ويتحقق الرجاء والاعتماد عليه لا على الأسباب ، فاعرفه . انتهَى كلام سيدي عبد الرحمان .

(13) زيادة في **س وط** .

[وهو في غاية الحسن لمن يسَّر الله عليه أسباب السعادة . فإن قيل : هذا مخالف لما تقدم من صحة القطع بالنسب بالقرائن وغيرها ، قلت : لا مخالفة فيه ، لأن محل ما تقدم الحكمُ من جهة ظاهر الأمر ، فيحصل القطع للمتأمل في النسب بالقرائن وغيرها مع قطع النظر عما يطرأ من العوارض القاطعة للنسب كالكفر والعياذ بالله . وهذا صحيح ولا منافاة فيه لما تقدم من القطع بالنسب ، إذ الكلام فيمن لم يحصل له مانع وفيمن تحقق موته على الإسلام . نعم يجب الخوف من هذه الداهية العظيمة وعدم الركون إلى شيء سوَى التعلق بالله تعالى وحرمة النبي ﷺ ، وهذه الداهية غلب خوفها على الأكابر ، وهذا لا يختص بأهل النسب النبوي بل كل من كان في حال من مرتبة علم أو صلاح ، ولو مجرد الإسلام . فإنه لا يصح لأحد القطع بأنه من أهل الإسلام للمحذور المذكور . وهذا الذي قطع أكباد كثير من أهل الزهد والعبادة . ومع ذلك يجب معاملة المسلمين وإجراؤهم على ما اقتضته ظواهرهم وحالاتهم الراهنة ، مع قطع النظر عن المآل ، وإن كان كل إنسان في نفسه واجب عليه الخوف ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . ورأيت بعض أكابر علماء النسب غاية ما عبر به في المرتبة من النسب العالية الاستفاضة ، لما تكلم على قوم معينين . ولا شك أنه في الجملة قطعي . قال سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي في **بذل المناصحة** : فلم يبق بين أيدينا إلا هذه الصبابة من الدين نتدافعها فيما بيننا وبين الأيام الخالية عن الهداية ، واستيلاء مخافة المجاعة على القلوب ، وإحاطة طوفان الأطماع بالعباد ، وخربت عن طلب الآخرة الأحساب والأنساب ، انظر تمامه في **بذل المناصحة**](14) .

وفي **الإحياء** للغزالي ، لما تكلم على الإعجاب بشرف النسب والآباء ، إن من خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه يلحق بهم فقد جهل . ولا يتكل على شفاعتهم ، فإنه قد لا يؤذن لهم فيه ، فإنه بمنزلة من يتعاطى كل السموم اتكالا على طب أبيه ، وذلك جهل وخطر ، لأن من ذلك ما لا يُعالَج . فالعزم الحذر . انتهَى . وقال الولي الجليل سيدي يحيَى بن علال لما رفع نسبه إلى سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حسبما ثبت بخطه ، ما نصه : ويجب على من انتسب للأشراف من نسل نبينا محمد ﷺ أن يشكر الله عز وجل الذي جعله من نسلهم

(14) زيادة في **س وط** .

ولا يتكبر ولا يتجبر على الخلق ، ولا يؤذي الخلق ولا يتعدى على حدود الله عز وجل فيما بينه وبين الخلق ، ولا يتعدَّى عن حدود الله ، ويلزمهم التواضع والخشوع والتقوَى والورع ، لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا كذلك ، وبذلك فضلوا على غيرهم . فيجب على من انتسب إليهم أن يقتدي بهم في ذلك . فمن كان من نسل عمر ولم يتبعه في ورعه وخوفه من ربه فيخشَى أن يكون عمر خصمه يوم القيامة ، لا سيما إن كانت فيه إذاية للخلق . وكذلك سائر الصحابة رضي الله عنهم . انتهَى . [وهذا كله مما لا يشك فيه ، وإنما تتبعناه هنا لأن كثيرا من جهلة الزمان يظن أن هذه الولاية زيادة منزلة على الأشراف ، وليس كذلك بل لا يسلم صاحبها إلا إذا عد نفسه خديما لهم ، ولا يغتر بجلالته من الشهرة والمنصب . وأما في باطنه][15] . فهما حقق ما قدمناه اضمحل عنه فيه كل وصف ولم يبق إلا رجاء رحمة الله . وهذا هو المطلوب من الإنسان في كل الأحيان . وهذا خصوصا في هذه الولاية ، وعموما في كل ولاية من الولايات . فإن الإنسان مسئول عن كل جزئية فإن قام بها بالعدل فاز والا كان من الهالكين .

وصاحب الترجمة ممن قام بهذه الولاية على الوجه الشرعي والسنن المطلوب المرعي ، حسبما سمعناه من أهل الأخبار ، ممن خاضوا في تلك الأوعار ، إذ كان من النبلاء الفقهاء ، والعلماء الكرماء الوجهاء ، حسن السيرة ، كريم السريرة ، سالكاً فيها مسلك الإنصاف ، متحريا عن التكليف جميل الاتصاف ، [مقتصرا في ملبسه ومركوبه ومأكوله ومشروبه ، عما يكتسبه من فلاحته وأصوله ، لا من أجرة على نزوله أو رشوة على ترك موهوبه][15] بهي السمت في مرامه ومطلوبه . [وخطابته ، فيما رأيناه من الرسوم ، تدل على مهارته فيما يحتاجه من العلوم ، فيفصح عن العالي والنازل ، وينزل الناس على قدر ما لهم من المنازل ، مع تفطن للدقائق ، وغوص على درر الرقائق ، ولا يحتمل لما خفي عليه عهده ، متحريا عن تضييع الحقوق جهده . وقد ضاع هذا الأمر بعده ، فلم يخلف إلا ذا اسم من غير مسمَى ، أو من يخبط خبط أعمَى . قدس الله ثراه وسقاه شآبيب رحمته ورضاه ، ورأيت [زماما][16] منسوبا له في تعيين مراتب شرفاء المغرب . فأردت أن نثبته هنا لما

(15) سقط من س وط .

اشتمل عليه من الفائدة التي حررها بأخبارهم ، وما ثبت عنده في اشتهارهم . ويكون الواقف عليه على بصيرة في أمرهم ، ويعلم الثابت المرتقي الصحيح عن المنحط من بيانه فيهم ، ثم تأملت ما وقفت عليه من النسخ من ذلك ، فوجدت في ذلك بعض الإسقاط ببعضها عن بعض ، فمنعني من إثباته هنا أن تكون النسخ التي فيها الزائد دس عليه ، وتعذر علي الآن ، ولم يتهيأ لي في الحال الوقوف على أصله الذي هو بخط يده ، فإنه موجود الآن بيد عقبه بمكناسة الزيتون ، فانظره أنت إن شئت ، فإنه مما يحتج به ويقوم على غيره من الدواوين التي ألفت في هذا الفن ، والله تعالى أعلم][15] . توفي صاحب الترجمة رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء العاشر من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وتسعين وألف .

محمد بن محمد الطرابلسي

ومنهم الفقيه اللوذعي أبو عبد الله محمد بن العالم سيدي محمد المكنى الطرابلسي . ولي الفتوَى بعد ابن مساهل بها ، فحمدت سيرته فيها وظهرت نجابته . ولي التدريس بالجامع الكبير والخطبة والإمامة ، قاله أبو سالم العياشي في **رحلته** في ترجمة والده في العشرة السادسة .

عبد الباقي الزرقاني

ومنهم الفقيه الكبير العالم الشهير المعقولي الخطير الشيخ عبد الباقي الزرقاني المصري ، صاحب **الشرح الجليل على مختصر خليل** ، الذي أقبل الناس عليه شرقا وغربا ، وانتفعوا به بعدا وقربا . وله **شرح** أيضا على **شرح اللقاني** لخطبة المختصر المذكور ، وغير ذلك من المؤلفات . فهو أحد أئمة الزمان وكبراء الأئمة الأعيان ، وتوفي عام تسعة وتسعين وألف .

---

(16) سقط من س وط .

العام العاشر من العشرة العاشرة

أحمد بن يحيَى البادسي أبو كَمُّوسَة

فمنهم الولي الشهير ، المجذوب الكبير ، سيدي أحمد بن يحيَى البادسي المشهور بأبي كموسة . كان بهلولا ساقط التكليف ، وظهرت له خوارق كثيرة ، وأخبر عنه بكرامات شهيرة . وسبب تلقيبه بأبي كمُّوسة أنه كانت عنده كموسة من الدراهم الرشيدية فيها مائة مثقال يحملها دائما على كتفه ، وكان الناس يتجنبون إذايته فيها مع تغفيله رعيا لحرمته ، ولما يعلمون من سرعة الانتقام بإذايته ، فجاء بعض الطغاة إليه وحاذاه حتَّى أغفله فأخذها ، ففطن له ، فأراد ردها له ، فامتنع من قبول ردها ، وقال له : حيث فعلت فلا تردها بل خذها ، قد كان ما كان . فبقي ذلك الآخذ منغَّصاً من كلام الولي المذكور وحمل الكمُّوسة لداره ، وأخبر أباه بما وقع ، فأسف عليه والده لذلك ، وزاد هو أسفا على أسف ، فخرج من داره وكان يخالط صاحب الترجمة ، فدخل معه لأروي كانت مربض دوابه فقتله ودفنه فيها من يومه ذلك . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذا سبق به القدر ولا إشكال ، ولكن جعله الله مظهرا لحرمة أوليائه ، وعناية بأهل وده وأحبائه . وقد قال ﷺ : **من عادَى لي وليا فقد آذنته بالحرب** . الحديث أخرجه البخاري وغيره . قال النووي : ومعنَى آذنته : أعلمته بأني محارب له . وهذه سنة الله فيمن تجبر على حرم الله من أولياء من عباده ، واستخف بهم في سائر أرضه وبلاده ، منَّ الله تعالى علينا بتعظيم مقدارهم ، والفوز بأن نكون معهم في جوارهم . وحكي لنا أيضا أنه كان يصف السلطان بارتكاب الفحش ويطلق لسانه فيه دائما ، ويقول : يفعل ويفعل ، ويسمي أنواعا من الفحش باللفظ . [كان يواجه السلطان بالفحش حيث ما رآه ولا يكني بل يصرح بألفاظ بشيعة جدا ، وكانت عادة السلطان أن يحترمه][1] .

(1) زيادة في **س** وط .

فاتفق أن دخل السلطان مرة لروضة سيدي علي بن حرازم ليزور ، وأمر بغلق الباب عليه وأن لا يدخل عليه أحد بحيث يبقَى وحده ، وحيث دخل ترك صاحب الترجمة خارج الباب ، فالتفت السلطان فوجد صاحب الترجمة بإزائه داخل الروضة والباب لم تفتح ولم يدخل عليها أحد ، وعليها حراسه . فعلم السلطان أنه من المرابطين ، وأخبر به جلساءه ، وقال السلطان لصاحب الترجمة : علمت أنك أنت من المرابطين [لكن أنت من السفلاء][2] متاعهم[3] . والسفلاء في نطق العامة وعرفهم من ينطق بالفحش بين الناس ولا يستحيي من أحد . توفي صاحب الترجمة رابع المحرم ودفن بروضة سيدي الخياط بالدوح ، وحضر جنازته خلق كثير ، ولقِي مشايخ كسيدي محمد بن عبد الله معن وغيره من أهل عصره وطبقاته .

من حوادث السنة

ومن حوادث هذه السنة : ورود الخبر بخسف ثلاث مدن في الترك .

وفي منتصف ربيع الأول عزل قاضي فاس الجديد وولي مكانه العلامة سيدي سعيد العميري .

ختم التفسير بحضرة السلطان

وفي يوم السبت خامس جمادي الأولى ورد الأمر من السلطان مولانا إسماعيل ابن الشريف الحسني بإشخاص الفقهاء لحضورهم ختم التفسير عند القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن المجَّاصي ، فخرجوا من فاس إلى مكناسة ، وحضروا الختم يوم الأربعاء تاسع الشهر المذكور في قبة من دار السلطان ، وهيأها لهم بالبساط والفراش الرفيع ، وأطعم طعاما كثيرا ، وفرق الدراهم ، فكان من مشاهده الجليلة وصنائعه الجميلة .

(2) س وط : لكن أنت السفالي متاعهم .
(3) من السفلاء متاعهم : من سفلائهم .

حصـــار العرائـــش

وفي آخر شوال أمر[4] مولانا الخليفة إسماعيل المسلمين بالنزول على ثغر العرائش ، وحصروها واستمر حصارهم لها إلى أن فتحها الله عليهم كما سنذكره إن شاء الله في محله .

خروج الشيخ معن إلى الحج

وفي يوم الاثنين الموفي عشرين من جمادي الأخيرة سنة مائة وألف بموافقة أول يوم من أبريل خرج الركب النبوي إلى الحج فيهم سيدي أحمد بن عبد الله مُعن في جمع من أصحابه .

وفد من ترك الجزائر وآخر من الفرنسيس

[وفي منتصف صفر من عام مائة وألف ورد على السلطان مولانا إسماعيل ترك الجزائر بهدية سنية تأسيسا للصلح ، وجاء أيضا بعض كبراء نصارَى الفرنسيس بهدية عظيمة لذلك][5] .

(4) [وذلك للقبائل التي بين سلا وفاس وما بين وادي سبو إلى الجبل المعروف بكندر ، ويعرف أيضا بالحاجب ، مع أهل فاس وسلا] . ـ **طرة في لك وم** .
(5) استدراك من **الحوليات** .

خــاتــمـــة

في ذكر من لم نقف على تعيين وفاته ممن هو من هذه المائة

علي بن سلطان بن محمد الهروي

فمنهم الشيخ الإمام الحافظ المقرئ المحدث أبو الحسن علي بن سلطان بن محمد الهروي والحنفي ، شارح **الشمائل** للترمذي . وذكر في آخر الشرح المذكور أنه فرغ منه منتصف شعبان المعظم عام ثمانية بعد الألف في الحرام المحرم المفخم المكرم . انتهى . [وله شرح جليل وقفت عليه على شرح **نخبة** ابن حجر لمؤلفها . وكفَى في بيان علو قدره ما تضمنه شرحاه المذكوران . وليس هو الشيخ سلطان المتوفى عام خمسة وسبعين الذي تقدمت ترجمته ، بل هو غيره قطعا][1] . فهو من هذه المائة ولم أقف على تعيين وفاته .

فاطمة بنت أحمد حمدون الشقوري[2]

ومنهم الصالحة السيدة الناصحة ذات التجارة الرابحة السيدة فاطمة بنت أبي العباس أحمد المدعو حمدون الشقوري الأندلسي . وبنو الشقوري معلومون في بيت الأندلس ، وقد انقرضوا اليوم . وهي ، أي صاحبة الترجمة ، أم جدّي لِلْأُمّ والأب ، وهما الشقيقان أبو عبد الله محمد العربي أب والدتي ، وأبو محمد عبد السلام أب والدي ابنا الطيب القادري الحسني . كانت رضي الله عنها من الزاهدات العابدات المجتهدات الديانات والعبادات . ولما توفي بعلها ترك أولادها : فالأول من نحو سبع سنين ، والثاني من نحو أربع وأخت لهما من سنتين ، فألزمت ولديها القراءة . وكان الزمان إذ ذاك شديد الأهوال والشرور والغلاء المفضي إلى قتل الناس

(1) زيادة في **س** و**ط** .
(2) ترجمة غير واردة في خاتمة **ط** .

أولادهم للاستراحة منهم حيث لا يجدون ما يقومون به بهم في الغلاء ، وقد أكل الأموات جهارا بشوارع فاس . فكانت تجتهد في طلب الكسب ، من عمل يديها بما يحصل قوتها وقوتهم . فكان خالها السيد محمد بن خلف الأنصاري يشتري لها قدرا معلوما من الكتان تغزله ويبيعه لها ، وما يفضل لها يشتري لها قدرا معلوما من القمح والشعير فتصنع منه خبزة واحدة وتجعلها بفور خروجها من المطبخ في زير من الزيت حتّى تروى ثم تخرجها من الزيت ، فتقسم الخبزة أربعا فتعطي لكل من الأولاد ربعا وتأخذ هي ربعا من جملتهم . فعلى ذلك عاشوا في تلك المجاعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والزيت المشار إليها كانت عندها قبل الغلاء في زير كبير ممتلئ زيتا ، فاستعانت به عليهم في تلك المجاعة ، وكان عندها نبق فكانت تعطي لكل واحد حفنة أول النهار ، فكان يظهر عليهم الشبع وحمرة اللون ، لأن النبق من خاصيته إنارة الوجه للمداوم على أكله . وكل ذلك منة من الله وكرم منه وعون وتوفيق في الخارج للعادة . ولا زال يظهر في أبدانهم جودة اللون والصحة حتّى يظن الظان أنهم ممن يتمتعون في الأكل غاية التمتع ، وذلك من بركة توجهها لله سبحانه . وكانت حيث تتيقظ آخر الليل تغزل غزلا آخر ، وهي معه تذكر الله وتتركه وحده حتّى تجمع منه ما تنسج به شقة وتصرف ثمنها في أجرة معلم ولديها القرآن ، وهي متعلقة البال لقراءتهما ، مجتهدة في إرشادهما ، راغبة في إصلاح حالتهما . فوفى الله تعالى بقصدها وأجابها إلى مرغوبها ، وكان من أمرهما ما كان مما سيأتي ذكره في ترجمة كل منهما . وأدّى ذلك في الأقارب إلى حسد ومنافسة في بعض الأوقات . وأخرج أبو نعيم في **حليته** بسنده[3] . قال : رأيت أبا الدرداء قيل

(3) [عن محمد بن المظفر عن أحمد بن عمر ، عن جبير عن عمر بن الربيع ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن اليسع عن محمد بن سوقة عن عبد الواحد . وأخرجه أيضا ابن عساكر والديلمي في هذا الباب روايتين أخريين عن أسامة بن زيد ، وعن أبي هريرة . وانظر هل هذه الطرق الثلاث سالمة أم لا . وأخرجه ابن عدي فقال : عن موسى عن عبيد الخورزامي عن عباد بن محمد بن صبيب عن يزيد بن النظر المجاشعي عن المنذر بن زياد عن محمد بن المنذر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وأورد حديث ابن عدي هذا ابن الجوزي في الموضوعات ، وعلله بان في سنده هذا المنذر بن زياد وهو كذاب دجال ، لا يحل كتب روايته ، ولا يحتج به . ثم تعقب هذا الحديث السيوطي في كتابه **النكث البديعية على التعقبات** ، وقال : له شواهد أخر وهي المخرجة عمن ذكرنا في

له : ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه** . قال المنوي : زاد في رواية : **حتّى يفارقهم** . وذلك سنة الله في الماضين وعادته في النبيئين والعلماء ورثتهم . ومن ثم قال بعض العارفين : كل مقدور عليه مزهود فيه ، وكل ممنوع منه مرغب فيه . وقال أبو العباس المرسي : ابتلَى الله هذه الطائفة بالحقد ليرفع بمقدارهم ويكمل أنوارهم ويحقق لهم الميراث ليؤذوا كما أُوذي من قبلهم ، ولو كان إطباق العالم على تصديق العالِم هو الكمال لكان الآخذ بذلك رسول الله ﷺ ، بل صدقه قوم هداهم الله بفضله وكذبه آخرون فحجبهم الله بعدله ؛ فانقسم العباد في هذه الطائفة إلى معتقد وغير معتقد ، ومصدق ومكذب ، وإنما يصدق مطلوبهم من أراد الحق إلحاقه بهم ، وقليل ما هم ، لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة وكراهة الخلق أن يكون لأحدهم عليهم شفوف منزلة واختصاص عنه ؛ والعامة إذا رأوا إنسانا ينتسب إلى علم أو عرفان جاء من القفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتبجيل ، ولو كان بين أَظهرهم لا يلتفتون إليه ، وهو الذي يحمل أثقالهم ويدفع الأعباء عنهم ؛ فما هو إلا كحمار الوحش يدخل به البلد فيطوف الناس به متعجبين لتخطيط ظهره، وحمرهم بين أظهرهم تحمل أثقالهم لا يلتفتون إليها . انتهَى كلام المنوي بحذف .

محمد الشرقي بن أبي بكر الدلائي(4)

ومنهم الأستاذ المقرئ المجوِّد الأديب البليغ أبو عبد الله محمد الشرقي ابن سيدي أبي بكر الدلائي . تقدمت ترجمة والده وجماعة من أقاربه . قرأ صاحب الترجمة على الأستاذ ابن شعيب وغيره ، وله أمداح وأنظام تدل على عارضته في الأدب .

فمن ذلك ما خاطب به محمد العربي بن يوسف الفاسي :

أَهْدِي ٱلسَّلَامَ لِمَالِكِي وَحْدِي ... مُتَضَوِّعاً بِالْمِسْكِ وَٱلنَّدِّ
وَأُرِيدُ مِنْ مَوْلَايَ ذِي ظُرُفٍ ... مُبْدِي ٱلْبَشَاشَةِ دَائِماً عِنْدِي

= حديث أبي الدرداء وأسامة وأبي هريرة . لكن لا نعلم هل هي مسلمة الإسناد أم لا ، والسيوطي أبهم ولم يبين أهي سالمة أم لا ، وكثيرا ما يحتج على الموضوع ما علمه به ، ولم يبين مرتبته] . طرة واردة في لك وم .

(4) ترجمة غير واردة في خاتمة وط .

أَنْ يَقْبَلَنْ مَا قَدْ بَعَثْتُ بِهِ   لِجَنَابِهِ وَلْيَأْكُلَنْ شَهْدِي

سيدي أدام الله سعادتك ، وأصلح في جميع الأمور إجادتك وسيادتك ، حملني على المداعبة جميل الوداد وجزيل الاعتقاد ، ولكن يعز علي أيدكم الله أن ينوب في زيارتكم ما خطه قلمي عن إعمال قدمي ، ويسعد برؤيتكم رسولي دون وصولي ، ويرد مشرع الأنس بكم كتابي دون ركابي كما قيل :

كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوىً وَشَوْقاً   لَكُنْتُ إِلَيْكَ سَطْراً فِي ٱلْكِتَابِ

فأجابه سيدي محمد العربي بن يوسف الفاسي بهذه الرسالة :

مَوْلاَيَ مَا أَبْدِي وَمَا أَهْدِي   لِمَجْدِكَ ٱلْأَعْلَى وَمَا جُهْدِي
أَلْقَى إِلَيَّ ٱللَّهُ وَاءَ ٱعْتِقَادِهِ   لَوْلاَكُمْ [مَا أُسْرِتُ فِي ٱلْمَجْدِ](5)
مُغْتَرِبٌ كَئِيبٌ مُتْرِبٌ   لَكِنَّهُ مُثْرٍ مِنَ السُّهْدِ
إِنْ تَكُنْ لِي رُوحِي فَهَا رِقُّهَا   فَلْيَقْبَلِ ٱلْمَوْلَى مِنَ ٱلْعَبْدِ
تُهْدِي سَلاَماً كَنَسِيمَ ٱلصَّبَا   جَاءَتْ . بَرَيَّا ٱلْعَنْبَرِ ٱلْوَرْدِ
وَتَشْكُرُ ٱلنَّعْمَاءَ مِنْ مُنْعِمٍ   بِكُلِّ إِحْسَانٍ لَهَا مُهْدِي
صَيِّنَةُ ٱلْمَنْشَإِ صِينَتْ بِهَا   صَفَائِحُ ٱلتِّبْرِ مِنَ ٱلشَّهْدِ
وَمَنْ لُجَيْنُ الزَّبْدِ فِي تُرْبِهَا   مُخْلِصُ ٱلنَّقْدِ مِنَ ٱلنَّقْدِ
وَكُلُّ حَوَارِيَّةٍ خِلْتَهَا   حَوْرَاءَ قَدْ جَاءَتْ مِنَ ٱلْخُلْدِ
قَوْرَاءَ قَدْ أَطْلَعَهَا ٱلْبِرُّ مِنْ   خَالِصِ بِرٍّ طَالِعِ ٱلسَّعْدِ
وَعِقْدُ شِعْرٍ فَائِقٌ نَظْمُهُ   نَظْمَ رَطْبِ ٱلدُّرِّ فِي عِقْدِ
طَلَعَ مَا بَيْنَ يَدَيْ عَسْكَرِ ٱلنَّـ   ـثْرِ كَمَلْكِ مِقْدَمٍ نَهْدِ
فِي أَرْضِ طِرْسٍ تَتَهَادَى بِهَا   جِيَادُ نفس دُهُمُ ٱلْجِلْدِ
خَطَّتْ نَهَارَ ٱلْمَجْدِ أَنْ جَاءَهَا   خَطَّ ٱلْعِنَانِ ٱلْبَارِقِ ٱلنَّجْدِ
يَقْطُرُ من سُحْبِ أَنَامِلِهِ   قَطْرُ ٱلنَّدَى يَنْدَى عَلَى ٱلْوَرْدِ
تَنِمُّ مِنْ دِيبَاجِهِ نَفْحَةٌ   تَرْوِي شَذَا الرَّنْدِ عَلَى النَّدِّ
مُنَمْنَمُ ٱلْوَشْيِ مُوَشَّى ٱلْحُلاَ   فِي صَفْحَةِ ٱلْوَرْدِ مِنَ ٱلْخَدِّ
يُذَكِّرُنِي - عَهْداً مَضَى بِٱلْحِمَا   فِي خَفْضِ عَيْشٍ نَاعِمٍ رَغْدِ

(5) في البدور الضاوية ، ص 220 : (يا أسرتها المجد) . والبيت متأخر عن الذي يليه هنا .

فِي ذِمَّةِ ٱللَّهِ كِرَامٌ نَأَوْا ... وَخَلَّفُوا ذِكْرَهُمْ عِنْدِي
فَارَقْتُهُمْ قَهْراً وَمَا ٱخْتَرْتُ أَنْ ... يَكُونَ فِي زُهْرِ النُّهَى زُهْدِ
كَيْفَ يَقُولُ ٱلشِّعْرَ مَنْ عَقْلُهُ ... مُعَقَّلٌ بِالشَّتِّ وَٱلْبُعْدِ
يَئِسْتُ لَوْلَا أَنَّنِي وَاصِلٌ ... بِابْنِ أَبِي بَكْرٍ عُرَى عَقْدِ
فَهْوَ ٱلَّذِي أَمْسَكَ لِي مُسْكَةً ... أُورِي بِهَا حَتَّى وُرِي زَنْدِ
أَبْقَاهُمُ ٱللَّهُ غُيَّاثَ ٱلْوَرَى ... بِغَايَةِ ٱلتَّأْمِينِ وَٱلرِّفْدِ
وَعَلَمُ ٱلرَّحْمَةِ فِي كَفِّهِمْ ... مُطَرَّزٌ بِٱلشُّكْرِ وَٱلْحَمْدِ

سيدي الذي بهر في أفق السيادة جلالا ، وظهر في فلك السعادة هلالا ، ومد من ينابيع البلاغة عذبا زلالا ، ومهد لأوليائه من البر كنفا وثيرا وظلالا ؛ أبقى الله تلك السيادة محروسة الجناب ، مأنوسة أفناء الأفياء والأطناب ، وصل محبكم وصل الله له عمرا مديدا ، وسعدا لا يزال على الأيام جديدا ، تلك الطرف التي راقت الطرف ، وفاقت الوصف ، ووقف الطرف فيها على المظروف والظرف ، فمن أملاد شد ، وإشهاد ود ، ومقاناة معنات البياض بصفرة ، كطفائح فضة كساها النضار نضرة ، وكالمعاصم الموشية نصل خضابها ، والثغور الجوهرية تحلب رضابها ، فيرتشف منها رضاب أبكار أتراب زنجية الأديم ، كأن قُدَّ من الليل البهيم ، لينة الأعطاف ، رقيقة الأطراف ، مجدولة مكان الوشاح ، لكن ملأت الإزار رداح ، معسولة اللما ، محروسة الحما ، أبية فما تذلل ، متدللة فما في دلالها متعلل ، فلماها لا يرشف ، وسرها لا يكشف ، وشباها مرهف ، وشذاها عمن يروم أذاها لا يصرف ، فإن أرهقها إلحاف ، أوضحها لحاف ، بات ضجاعها كليما ، وإن أتى بقلب سليم ، فلا يعود إلا سليما ، كما قيل :

جَاءَ بِقَلْبٍ سَالِمٍ ... وَٱسْأَلْهُ كَيْفَ ٱنْصَرَفَا

سنة في الحب معروفة ، وطريقة أوجه المحبين عنها غير مصروفة ، أول صب مات أو أول معشوق جفا وانما يبلغ خباها ، بعشق مناها ، من صدق في حبه ، ورضي بقلبه ، ومن زبده مستطاب ، أجنته الأوطاب ، وأبرزه تمخض المخض ، وهو الخالي من المحض ، نشأ عن محض در ، كأنما هو ذوب در ، مدته الحوافل ، وشرته من رفيقه نوافل ، فكأنما الجارس والجارش ، اتخذت منهما الهامش ، فتريد

الحائمة ، ما ترود السائمة ، فواضح من الحق وبار ، إذ كان فرعي أصل ورضيفي لبار ، أن لا يفرق بينهما ، وأن يعز الوصل عينهما ، فبحق ما وصلت تلك السيادة من تلك الرحم الواشجة ، وأكدت من لحمتها الناشجة بعد غمتها الناشجة ، حتّى يرد أمور النكهات ، مجموعين على الحالة المشتهاة ، فشأن الشادة المكرمة جمع الشمل ، ونسخ حكم الفراق بحكم الوصل ، أبقَى الله ذلك الإحسان عادة . مجموعا لها الحسنَى وزيادة ، وعلى ذلك الإحسان ، فقد عززتها برغفان ، كأنها على تلك العيون أجفان ، أرخت دوائرها بدور تمام ، وأتمت النعمة بها أيما إتمام ، على أنها ما أتمت النعيم ، حتّى أصلت الجحيم ، عجبا لها وهي النعيم ، تصوغها نار ، وأين من النعيم النار ، مصحوبة تلك التحف المستظرفة ، والطرفة المستطرفة ، بما استمدت من بره بوليه ، فجلت وحليت من حلوائه وحليه ، من نظم أروى بالقلائد ، في نحور الولائد ، ونشر كما تساقطت الفرائد ، في نحور الخرائد ، لطائف تجاري من الإجادة ، إلى غاية دونها الدر النظيم والورد النثر ، تبت من الخطاب والحديث المستطاب ما يصبي الحليم ، ويسري إلى القلوب مسرَى النسيم ، فتكاد تهز عطف الشيخ وقد عجز ، وتستجريه مضمارها والشيب قد حجز ، تغازلني والعمر قد ولى شبابه ، وتناضلني وأين مني أسبابه ، هلا قبل المشيب ، واخلاف البرد العشيب ، والورد ما كتب صفوه ولا شيب ، فكيف حين لا ذكر ولا فكر ، ولا عن تلك الأيام من مخبرة ذكر ، فوحقك وما حقك عن مهين ، وحق أبيك وبره وأحب مستعين ، ما جهلت قدري ، وما تعاطيت ما ليس لي وأنا لا أدري ، وإنما آثرت إرضاءك ، ورجوت إعطاءك ، فحال الشيخ معلوم ، والمقل في مجهوده غير ملوم ، فأهديت منزوري وأسعفت بمقدوري ، وفاكهت وما بي فكاهة ، وتساهلت ولا أدعي النزاهة ، لكن السر قضَى ، وشاهد الشيب عدل رضى ، إعظاما لقدرك ، والتزاما لبرك ، واغتناما لدعوات صالحات منكم تجبر الكسير ، وتسر العسير ، وتفك العاني الأسير ، إن ذلك على الله يسير ، وصلًى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عمـر فكــرون

ومنهم قاضي المالكية بالقاهرة أبو حفص السيد عمر فكرون(6) وهو رجل مسن أصله من سوسة ، طالت إقامته بمصر. قال أبو سالم في **رحلته** : وله خبرة تامة بفروع المذهب ، وله شرح على **المختصر الفقهي** في اربعة مجلدات ، إلا أنه ليس بذكي على ما أخبرني به الثقة ممن رآه . وهو رجل يُحب الفخر والثناء عليه وعلى مؤلفاته . وسرنا معه بسيره في ذلك جبرا لخاطره ، لما رأينا من حسن إقباله علينا وانبساطه . وأنشدنا أبياتا كثيرة مما دار بين الشيخ المقري وأهل عصره من أهل مصر ، وأطرفنا بحكايات كثيرة وأخبار غريبة . وهو على كبر سنه ممتع وسامع في محاوراته ومسمع ، وهو مع طول ولايته للقضاء في هذه المدينة على سيرة إخوانه من القضاء في هذه الديار وحالهم لا يخفَى ، بل هو من أسهلهم وأقربهم إلى الصواب علىٰ ما يحكَى ، وإلى الله المشتكَى .

أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي

ومنهم الشيخ الجليل أبو العباس أحمد المدعو الحارثي بن سيدي أبي بكر الدلائي(7) تقدمت ترجمة والده .

أجازه محمد العربي الفاسي . ونص ما أجازه به : الحمد لله رب العالمين وبه أستعين . قرأ على الفقيه الجليل النبيه النبيل الماجد الأصيل ، المشارك في العلوم بالإجمال والتفصيل ، نخبة المجادة ، والسابق في حلة الجود والإجادة ، أبو العباس أحمد المدعو الحارثي بن سيدنا الشيخ الشهير الولي الكبير العالم الراسخ شيخ المشائخ سيدي أبي بكر ابن الشيخ الولي ذي الفضل الجلي سيدي أبي عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي أبقَى الله بركاتهم ، وجعل التوفيق يلازم سكناتهم وحركاتهم ، بعض **صحيح البخاري** من رواية أبي در الهروي ، وناولته بعضه ، وأجزت له جميعه ، متلفظا بالإجازة بالرواية المذكورة وغيرها من الروايات التي تأدت إلينا بالأسانيد المتصلة المذكورة في غير هذا ، وأسندت له الرواية المذكورة هنا بإسناد

(6) ترجمة غير واردة في **س** و**ط** .
(7) ترجمة غير واردة في **س** و**ط** .

واحد تبركا واكتفاء عن سائر الأسانيد التي أبحت له الإسناد بها عني وعن شيخنا الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار ، سماعا إلا بعضه ، ومناولة لبعضه ، وإجازة لجميعه غير مرة عن شيخ الإسلام أبي النعيم رضوان بن عبد الله عن شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمان سُقَّين عن شيخ الإسلام زكرياء أبي الفتح القلقشندي عن شيخ الإسلام بن حجر عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان المكي ، سماعا وإجازة لما فاته منه ، عن أبي أحمد إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري عن أبي القاسم عبد الرحمان بن أبي حزم المكي ، سماعا لاكثره ، وإجازة ليسير فاته عن أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي عن أبي مكتوم عيسَى بن الحافظ بن الحافظ أبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي عن أبيه أبي ذر عن شيوخه الثلاثة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم [المسلمي][8] وأبي الهيثم محمد بن المكي بن زراع [المشمنكي][9] جميعا ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، رضي الله عنهم ، فليرو ذلك أدام الله توفيقه متحريا في جميع ما يتعلق بذلك مُثُل الطريقة ، والله تعالى ينفعه وينفع به ، ويجعل أسباب السعادة موصولة بسببه ، وبتاريخ أواسط ذي القعدة عام ثمانية وثلاثين وألف ، وكتب عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي لطف الله به ، وكان له بمنه . انتهَى . من خط سيدي محمد بن أحمد المسناوي .

وتأخرت وفاة صاحب الترجمة إلى أن قدم مع سلفه لفاس بعد دثور زاويتهم عند الاستيلاء عليها . توفي بفاس ودفن مع أهله بروضتهم التي على ضفة واد الزيتون بالكغادين داخل مدينة فاس الأندلس بعد الثمانين وألف .

يحيَى الشـــاوي

ومنهم الشيخ أبو زكرياء يحيَى الشاوي[10] صاحب **الحواشي على الصغرَى** ،

(8) م : المستملي

(9) م : الكشمهني .

(10) ترجمتان غير واردتين في س وط .

مدرس الأزهر . وكان له صيت عند المغاربة . وتوصل بأرباب الدولة إلى ولاية قضاء المالكية ثم ولي إمارة الحاج المغربي . وحج بالركب مرتين . وكثر مدحه . وكان من أكابر الطلبة النجباء ، له معرفة حسنة بعلم النحو،مواظب على التعليم ، إلا أن الرئاسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه قاله في **الرحلة العياشية** .

محمـد الـوالـي

ومنهم الولي الشهير أبو عبد الله سيدي محمد الولي . وفي **التحفة** أنه من قبيلة بني وال . أخذ عن سيدي أبي الطيب دفين مِيسُور [عن سيدي عبد الله الخياط دفين زرهون ، عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ، عن الشيخ زروق][11] . وأخذ عنه سيدي محمد بن عيسَى الجامعي دفين لواتة [على مسافة قريبة من ضريح صاحب الترجمة][11] . أدرك صاحب الترجمة صدر المائة الحادية عشرة ، ودفن بقلعة زيد من حوز فاس ، وضريحه بها معلوم مشهور يُزار . نفعنا الله ببركاته .

محمد بن عبد الرحمان الحمي

ومنهم مقدر الفرض بفاس وناظر مسجدها الأعظم والمنتصب لتلقي ما هو لجانب القضاء من التسجيلات ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الحمي الفاسي الدار ، الأندلسي الأصل . والحمي نسبة إلى حمة الأندلس . كان من الفقهاء الموثوقين ، والعدول المرضيين المحققين ، والنبلاء المقصودين ، والكبراء الملحوظين ، شهير بالعدالة ، معلوم بالجلالة ، محقق في الضبط والإتقان ، محرر لفصول الوثائق عن علم وعرفان ، له في ذلك الباع الطويل ، والحظ الوافر الجزيل ، جيد الخط مبينه ، بارع اللفظ متقنه ، متحريا التلفظ بالكلام ، بعيدا عن موجب الملام ، شهد له بذلك جمع من الأعيان وعدد كثير ، واعترف له به الجم الغفير .

وقد وقفتُ على رسم شُهد له فيه بالعدالة والضبط والإتقان وثقته بخط سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي نصه : الحمد لله . يشهد من يضع اسمه عقب تاريخه بمعرفة الفقيه أبي عبد الله محمد بن المرحوم أبي زيد عبد الرحمان الحمي بالعين

(11) زيادة في **س** **وط** .

والاسم المعرفة التامة ، ويشهد مع ذلك بأنه ثقة أمين عدل رضي ، من تطرح عنده الأمانة ولا تلحقه تهمة ولا نقص فيها ولا في ردها ، مشهور بالأمانة والعدالة والضبط والصيانة مشتغل بما يعنيه ، مخالط لأهل الخير والصلاح والسداد ، مجانب لغيرهم ، متصدر للشهادة بسماط الموثقين في الحضرة الفاسية ، مستمر على هذه الحالة إلى الآن ، ملازم للأمانة بمسجد حومته ، مع الصمت والوقار والمحافظة على مروءته وعرضه ، غير متساهل في تناقض الأمور ، رأب بنفسه عما يزري به . فمن علم هذه الأوصاف وتحققها ، قيد به شهادته لمن طلبها ، وفي مهل ذي الحجة الحرام سنة سبع وثمانين وألف .

ووقع على هذه الوثيقة جماعة من علماء فاس شاهدين بها ، كل وضع شكله وبيانه . منهم العلامة سيدي عبد القادر بن علي الفاسي وولداه سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد أبو عبد الله البوعناني والقاضي محمد العربي بردلة والعلامة الأستاذ إدريس المشاط والفقيه عبد الله بن أحمد بن زيان ويوسف بن محمد العربي الفاسي وأحمد بن محمد ميارة والعلامة القاضي أحمد بن العربي بن الحاج ، به عرف ، وعبد السلام بن العربي بن جلال والعدل الأرضَى أحمد بن محمد الجابري والعدل أحمد بن العربي الشريف الشفشاوني الحسني والعدل محمد بن محمد الرياحي وأحمد بن عبد العزيز أجُزُول والعربي بن أحمد الشريف الشفشاوني الحسني وأبو الحسن العوني وأبو عبد الله الدكالي ، الملقب ابن ابراهيم ، ومحمد بن أحمد الندرومي وعبد الواحد بن علي الفاسي والإمام محمد العربي بن أحمد الفشتالي ومحمد العربي بن محمد العافية وأبو الحسن الصرصري وأبو عبد الله المصراتي والموقت مسعود بن عبد القادر الطليط وعبد الرحمان بن عبد العزيز الفلالي وأبو عبد الله الصغير بن القاضي ، وغيرهم ممن لم نذكرهم . وكلهم عرفوا شكله وتحققوا أنه خطه المعهود والمتكرر به ، كتب شهادته من غير شك فيذلك ولا ريب . توفي في هذه المائة .

خير الدين الرملي

ومنهم الشيخ خير الدين الرملي(12) الأزهري الحنفي .

(12) جاء في **طرة ط** . من وضع مصححها ما يلي : «مولد الرملي في أوائل رمضان سنة 993 ، وتوفي في آخر رمضان سنة 1081 ، وقد ترجم له في **خلاصة الأثر**» .

قال في **الرحلة العياشية** : الشيخ المسن العلامة المتقن المسند الرواية إمام الحنفية ومفتيهم ، وإليه مرجعهم في تلك الديار . لقيته بمدينة الرملة ، وسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية ، وأوائل كل من **الكتب الستة** ، من **مسند الشافعي وأحمد والسنن للدارقطني** وأجازني عن شيخه الجنبلاطي ، وعن سالم السنهوري وغيرهما . دخل إلى الأزهر سنة سبع وألف وعمره أربع عشرة سنة ، واشتغل بنشر العلم ، وما ولي قط ولاية ولا منصبا . إليه انتهت الفتوى بالشام ، جلست عنده عامة يومي ، والفتاوي ترد عليه من أقطار الشام ، فيجيب عنها بلا أجر ، وله ملكة وقوة في مذهب أبي حنيفة . وكان بين يديه صهره الشيخ محمد بن تاج الدين محمد الرملي ، شاب صالح له مشاركة ، يكتب الأسئلة والشيخ يجيب عنها ، وكان ، يعني صاحب الترجمة ، ممن جمع بين الدين والدنيا : غرس بيده ما يزيد على مائة ألف شجرة كلها أطعمت وأكل من ثمرها ، وهو أغرب ما يكون ، وما سمعنا بمثله . وبنى بالرملة ما يزيد على ألف عتبة ، وليس في تلك السواحل أكثر عقارا منه ، أدرك الرملة وليس فيها من الفاكهة إلا القليل ، فلما اشتغل بالغرس تبعه الناس ، فصار الآن من أكثر بلاد السواحل فاكهة . ولقد أخبرني الثقة أن مقبضه في مستفاده من الرباع كل يوم ما يزيد على مائة قرش ، وأنه لا يذخر شيئا مما يدخل بيده من الغلل مما فضل من حاجته ينفقه في سبيل الله . كان حيا سنة أربع وسبعين وألف .

محمد بن علي بن عبد الله بن طاهر السجلماسي

ومنهم الفقيه الأرضَى الشريف المرتضَى الحسن الأخلاق الطيب الأعراق مولاي محمد المدعو ابن علي بن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي الحسني ، دفين مغارة سجلماسة . ذكره الشيخ اليوسي فيمن لقيه وتبرك به .

قال في **الرحلة العياشية** : بتنا عنده ، وبالغ في الإحسان ، بما قرت به عين كل إنسان ، وأجزل القِرَى لحجاج أمِّ القُرَى ، فلم يدع خيرا إلا فعله ، ولا ميسورا إلا بذله ، من طعام وشراب ، وعلف دواب ، نسأل الله تعالى أن يكافيه عنا بأحسن المكافاة ويحفظه دنيا وأخرى من جميع الآفات . فبتنا عنده في نعمة كاملة ، وكرامة شاملة ، واغتنمنا بركة لقائه ، وصالح دعائه ، واستودعناه الدعاء في خلواته وأدبار

صلواته . فتكفل بذلك لنا . ورأيناه من أجل نعم الله علينا . وعقدنا معه عقدة أخوة في الله تعالى . أكرِم به من عقد لا تحله يد الحدثان . وما لصروف الدهر عليه بفضل الله تعالى يدان . نسأل الله تعالى أن يحشرنا في ظل العرش . ويصفي قلوبنا من كدرات الغش قال : ومما استفدناه من مولانا المذكور : حفيظة تلقاها من والده رضي الله عنهما تُقرأ في محل الخوف وهي : آية الكرسي ثلاث عشرة مرة إلى **العظيم** . وسبع عشرة مرة إلى **خالدون** . وذكر لنا حفيظة أخرَى وهي **سورة يسن** معها **بسم الله الرحمان الرحيم** إحدَى عشرة مرة .

محمد بن محمد الأوكْرْتي

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر الأكْرْتي[13] من أهل أوكْرت . هي بلاد شرق توات .

قال في **الرحلة العياشية** : وهو في غالب الظن من أهل الخير وله بعض الخبرة بفروع الفقه . أخذ طريق الإرادة عن والده . ووالده عن سيدي عبد الله بن أحمد [بن أحمد][14] الحجام دفين زرهون . عن سيدي عمر الخطاب دفين زرهون . عن الشيخ التباع . قال : ولما جئنا لزيارته . وقفنا بباب داره . وقيل لنا إنه داخل الدار . فكتبت إليه قبل اجتماعنا به بيتين وهما هذان :

ببابك قومٍ يطلبون زيارة ... لِكَيْمَا يَنَالُوا دَعوةً مِنك رابحَهْ
أَحبُّوك لا عن رؤية قد تَقَدَّمَتْ ... ولكن لأخْبار أَتَتْ عنْك صَالِحَهْ

قال : فخرج إلينا . وهش وبش . وانش وأجزل القِرَى . جزاه الله خيرا . وعقدت معه أخوة في الله . ولما ودعته طلبت منه الدعاء فدعا لي .

محمد بن عبد الكريم التّواتيّ

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التّواتِيّ[15] . نزيل تكرت .

(13) ترجمة أخصر في **س** و**ط** .
(14) زيادة في **ك** .
(15) ترجمة أخصر في **س** و**ط** .

قال في **الرحلة العياشية** : عالم توات في زمانه . ثم قال : وهو رجل دمث الأخلاق ، طيب الأعراق ، قد شد طرفا من الفقه والنحو ، وله بعض الخبرة بعلم العروض . ولقد أجزل الضيافة جهده ، وخرق إجماع متفقهة البلد سواه ، وسألني عن قوله عليه السلام : بيس الميت أبو أمامة لليهود والمنافقين فإنهم قالوا : لو كان محمد نبيا ما مات صاحبه . وظن متفقهة البلد أنه أبو أمامة الباهلي . فكتبت لهم في معنًى ذلك وبينت لهم أنه أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وأن ابن أمامة الباهلي إنما توفي بعد أيام النبوة بأزمان كثيرة . ثم قال : وقرأ [على](16) سيدي محمد بن عبد الكريم ، يعني صاحب الترجمة ، **منظومة أبي الفرج**(16)م الإشبيلي في ألقاب الحديث .

شعبان بن مساهل الطرابلسي

ومنهم الشيخ شعبان بن مساهل الطرابلسي . قال في **الرحلة العياشية** : ممن لقيته بطرابلس ، من أفاضل أهلها ، سيدي شعبان بن مساهل ابن عم شيخنا المذكور . وكانت له معرفة بنواذر التاريخ وجزئيات من علم النجوم . ومما أفادنيه من التاريخ أن الترك دخلوا تونس وأخذوا حلق الوادي من أيدي النصارَى عام اثنين وثمانين وتسعمائة . قلت : وسمعت من غير واحد أن أمير المومنين الخليفة مولانا عبد المالك بن أمير المومنين مولاي محمد الشيخ الأكبر الشريف الحسني الدرعي السعدي سلطان المغرب صاحب الغزوة الكبرَى التي كانت بحوز القصر ، قصر كتامة من أقصَى المغرب ، كان حاضرا مع الترك في دخول تونس حيث كان هو وأخوه أمير المومنين مولاي أحمد المنصور بالله مستصرخين بالترك على ابن أخيهما أمير المومنين مولاي محمد الشيخ المأمون ابن أمير المومنين مولاي عبد الله المتوكل على الله ، فحضر القتال وأبلَى بلاء حسنا ، ولما رأوا منهما ما رأوا من شهامتهما بعثوا معهما ، إلَى أن كان مع ابن أخيهما ما كان ، فرضي الله عنه ، لأنه كان ابتداء الأمر أن ظهر في الجهاد وختم له بأن توفي في الجهاد . والبداية كما قيل مجلة النهاية ، فمن طابت بدايته زكت نهايته . قال أبو سالم : ومما أفادنيه من تاريخ هذا البلد أن العدو دمره الله استولَى

(16) كذا في جميع النسخ ، ولعله «عليّ» أي قرأ عليه .

(16م) في **الرحلة العياشية** ، ج 1 ، ص 50 ، من الطبعة الحجرية : شرح منظومة أبي الفرج .

على هذه المدينة يعني طرابلس سنة ست عشرة وتسعمائة في اليوم السادس عشر من المحرم منها ؛ وافتُكت منهم عام ثمانية وخمسين وتسعمائة ؛ وتاريخه نقط قوله جاء الترك بسن . وافتكها درغوت باشا صاحب جربة ومراد باشا صاحب مسلاته وبقي بها درغوت إلى أن توفي بها ، وقبره الآن مزار عليه بناء عظيم . وسبب أخذها من العدو أن مراكب للمسلمين جاءت من اصطنبول إمدادا للعمارة الحاضرة لحلق الوادي بتونس فمرت بسواحل طرابلس ، فكلمهم أهل السواحل في إغاثتهم على النصارَى ؛ فقالوا : إنا لم نومر بذلك من السلطان ، فقال لهم الباشا مراد : أعينوني في هذا الأمر فإن كانت عقوبة من السلطان فأنا المواخذ بها دونكم . فحاصَرُوها برا وبحرا إلى أن أخذوها ، فذهب معهم مراد باشا إلى السلطان وقال له : إن كانت عقوبة فأنا المواخذ بها دون هؤلاء الأمراء . فرضي الله عنه ، وعنهم وأكرمهم . وأما أخذ النصارَى لها فذكروا لذلك قصة غريبة وهي أن أهل هذه المدينة فيما مضَى كانوا أهل دنيا عريضة فيما يقال ، وليس فيهم غناء ولا لهم بالحروب خبرة . فبينما هم كذلك قدمت سفن للنصارَى تجارا بسلع كثيرة ، فنزلت بالمرسَى ؛ فخرج إليهم رجل من التجار فاشترَى منهم جميع ما بأيديهم من السلع ، ونقد لهم ثمنها ، ثم استضافهم رجل آخر فصنع لهم طعاما فاخرا . فلما أخرج لهم الطعام أخذ ياقوتة ودقها دقا ناعما ودرَّها على طعامهم ، فبهتوا من ذلك . فلما فرغوا قدم لهم دلاعا فطلبوا سكينا لقطعها فلم توجد في داره سكين ولا عند جاره إلى أن خرجوا للسوق فأتوا بسكين . فلما رجعوا إلى بلدهم ، سألهم ملكهم عن حال البلد التي قدموا منها فقالوا : ما رأينا بلدا أكثر منها مالا وأقل سلاحا وأعجز أهلا عن مدافعة عدوهم ، فحكوا له الحكاية . فتأهب ملكهم لدخولها في مراكب في البحر ، فدخلها في ليلة واحدة بلا كبير مشقة واستولى عليها ، ولم ينج من أهلها إلا من تسور ليلا . وانحاز المسلمون إلى تاجورا وجبال غريان ومسلاتة ، وصارت المدينة للنصارَى ، إلَى أن كان من أمرها ما كان في التاريخ المذكور . قال الشيخ مرعي الحنبلي في كتابه **نزهة الناظرين** عند ذكر السلطان سليم ولد السلطان سليمان ما نصه : وكانت ولايته سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، وفي أيامه كان فتح حلق الوادي ببلد تونس المغرب بعد استيلاء النصارَى عليها بسبب الاختلاف الواقع بين سلاطين المغرب وآل حفص فصار بعضهم يتقوى على بعض بالافرنج وأطمعوهم في بلاد المسلمين فاستولوا عليها

وتمكنوا منها وحصنوا الحصون وأحكموا القلاع بحيث أيس المسلمون من فتحها وصاروا تحت حكم الافرنج وأخذوا مملكة تونس ووضعوا السيف في أهلها ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأولاد ، فلما بلغ السلطان سليم ذلك أرسل مائتي غراب مشحونة بالأبطال والمدافع وآلة الحرب وصحبة ذلك سنان باشا وقلج علي باشا ، وكانت غزوة مشهورة ووقعة معدودة من أعظم غزوات بني عثمان يحتاج تفصيلها لمؤلف ، فنصر الله المسلمين بعد أن قُتل منهم عشرة آلاف مع الحصار المديد والقتال الشديد . ومن العجائب أن الافرنج كانوا أنشأوا هناك [حصارا][17] حصينا وقلعة منيعة أقاموا في استحكامها وإتقان بنائها ثلاثة وأربعين سنة فافتتحها المسلمون بصحبة الوزير المذكور في ثلاثة وأربعين يوما من أيام محاصرتها ، وذلك في سنة إحدَى وثمانين وتسعمائة ، ثم خرَّب الوزير القلاع والحصون ولم يبق لها رسم ووصلت البشائر للسلطان سليم ، وكان في نفسه فتح إقليم الأندلس في ثاني سنة فلم يمهله الأجل رحمه الله . انتهَى . أتينا بهذه الفائدة وإن كانت خارجة عن المقصود . ولـو أمسك التاجر طعامه وياقوتته لكان خيرا ، أو أنفقه على المسلمين أو في تحصين البلاد لكان أمينا .

أبو الحسن النفاتي السوسي التونسي

ومنهم أمير ركب الحجاج أبو الحسن النفاتي السوسي التونسي الأصل الينبعي الوفاة . قال أبو سالم في **الرحلة** : أخبرني الشيخ الأجل قاضي مدينة القدس محمد الحنفي النفاتي التونسي أيام لقائي له بالقدس الشريف أنه حج في صغره مع أخيه أبي الحسن النفاتي ، وكان أمير الركب ، فمروا بهذا المكان وهو وادي ينوت بقرب طرابلس في زمان الصيف فألجأهم العطش إلى بئر وادي ينوت فنزلوا عليها قائلة ، ووافتهم هنالك قفول قدمت من فزان حاجتهم مثل حاجتهم ، فذهب الناس إلى البئر فنزحوا ما فيها من الماء فلم يشف بعض أوامهم ، ورجع الناس مغمومين ، فمن قائل نرتحل هذا الوقت لندرك الماء قبل حلول الهلاك ، ومن قائل نؤخر إلى آخر النهار . قال لي الشيخ : فدخلت على أخي وأخبرته بذلك وقلت له : إن الناس قد أشرفوا على الهلاك واضطرب أمرهم في الرحيل ، فمُرهم بالرحيل لئلا يهلكوا قال

(17) كذا في جميع النسخ ولعلها «حصنا» .

فاغتمَّ لذلك واسترخَى في خبائه كالنائم ، فلما أفاق قال لي : ناد في الناس بالإقامة وقل لهم يذهبون إلى الماء . فقلت له : أبك جنون ؟ أنا أخبرك أنه لا قطرة في البئر والناس قد أشرفوا على الهلاك . فقال لي افعل ما أمرتك . فقلت له : لست بأحمق أنادي بالإقامة والذهاب لسقي الماء ونحن على غير ماء . فلما أبيت ، نادَى بديهة الغلام وقال له : ناد في الناس بالإقامة والذهاب لسقي الماء ، فلما سمعته استحييت وتغيبت عن الناس ، وذهبوا إلى البئر فوجدوها قد امتلأت بالماء حتَّى كادت تفيض من جوانبها ، فاستقَى الحجاج وجميع القوافل حاجتهم والماء كما هو . قال لي الشيخ : فلما رأيت ذلك ذهبت إليه وقصصت عليه الخبر ، فقال لي : إنني لما أغفيت عندما أخبرتَني بخبر الناس رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي : مر الناس بالإقامة . فعلمت أن الله سيجعل لهم من أمرهم فرجا . قلت ولا يستبعد ذلك في حق رئيس وفد الله وزوار نبيه ﷺ ، فان لله بهم عناية ولهم منه أعظم وقاية . وقد أخبرني عن أخيه هذا بأمور من جنس هذا في سفرته تلك ، وفيها توفي بقرية الينبوع التي ينزل بها الحجاج ، وقبره إلى الآن ظاهر عليه بناء ضعيف على تل مشرف على مجرَى منزل الركب المغربي بالينبوع ، وكنا نزور قبل هذا ذلك المحل ولا نعلم من دفن فيه حتَّى أعلمني به القاضي المذكور . والله يتغمدنا برحمته في الدنيا والآخرة آمين .

أحمد بن عبد الرحيم

ومنهم أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد[18] ، متولي نظر روضة سيدي أحمد زروق .

قال أبو سالم في **الرحلة** : ومِمن لقيته من أهل هذه البلدة ، يعني المدفون بها الشيخ زروق ، صاحبنا ومحبنا في الله خديم ضريح الشيخ ومتولي زاويته سيدي أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد . وجده أحمد هذا هو خديم الشيخ وهو الذي بنَى المسجد الذي هو اليوم على ضريح الشيخ ، وتولى عمارته والقيام به ، ثم أولاده وأحفاده بعده إلى هلم جرّا . والمتولي الآن هو سيدي أبو العباس هذا وابن عمه سيدي عبد الواحد ، وهو أسن منه ، وكلاهما لا يخلو من بركة ، وهما ملازمان

(18) ترجمة مختصر في **س وط** .

للصلاة بجوار الشيخ وقراءة وظيفته مع الفقراء النازلين بجواره ، والكل محترم بحرمته ؛ ليس عليهم مثل ما على غيرهم من الوظائف الجارية لأرباب الدولة . قال وقرأت معها **وظيفة** الشيخ غير ما مرة . وأخبراني بها عن سيدي محمد بن غلبون وكان قد أسنَّ وقارب من المائة أو تجاوزها ؛ ومسكنه بقصر أحمد على نحو من فرسخين ، ومع ذلك لا يترك صلاة الجمعة بمسجد الشيخ ويحضر الوظيفة إلى أن مات ، وهو قد أدرك وأخذ عن خديم الشيخ وأخص أصحابه وتلامذته سيدي أبي زعامة الذي يقول فيه الشيخ مداعبا ومازحا ومزاح الأولياء حق :

يَـا بُو زْعَـامَـهْ يـا عُنْق حَمَامَة أَبْشِـر بـالسَّلامَـه
يَوْمَ الْـقِـيـامَـه فَـهـنـيـئـاً لَـهُ بِأَعْظَم الْبِشَارَات

عَلَى لِسان أَصْدَقِ أَهْلِ الإِشَارَات وقد أخبرني بهذه الحكاية السيدان المتقدمان وأذنا لي في قراءة الوظيفة مدرجا فيها قوله :

يـا مولانـا يـا مجيب من يـرجوك مـا يخيب
اقض حـاجـتـنـا قـريب يـا حـاضرا لا يـغـيـب

آمين ، بعد قوله : يا عالم السر منا . وأخبراني أنه لم يكن من كلام الشيخ ، وإنما زاده تلميذه الإمام الخروبي في الوظيفة ، واستمر الحال عليه إلى الآن ؛ وكثير من الناس يظن أنه من كلام الشيخ ، والصحيح إن شاء الله ما ذكره إذ لم نجد هذه الزيادة في النسخ الصحيحة المتصلة السند والرواية بالشيخ ، ولم يذكره الخروبي في كتابه **كفاية المريد** . وأصح الطرق التي رأينا فيها هذه الزيادة طريق والدنا عن سيدي أحمد أدفال ، إلا أنه قال : إنما أخذها عن شيخه بركات الحطاب بالإجازة ، واجتهد في تصحيحها من النسخ بعد ذلك حسبما رأيتُه بخطه في آخر نسخة من **الوظيفة** .

علـي بـن عـزازة

ومنهم الفقيه سيدي علي بن عزازة من زاوية الشيخ زروق .

قال أبو سالم في **رحلته** : وجدُّه أيضا كان من أصحاب الشيخ ، وليس في هذا البلد أمثل من هذا الرجل في بعض فروع الفقه . وكان قبل هذا متوليا للقضاء بهذا

البلد ، ثم عزل ، وقد آخيته في الله تعالى وأعطاني ورقة بخط الشيخ من شرح الرسالة ، واشترط عليّ أن أتيبه عليها بدعوة على عرفات ، فوفيتُ له والحمد لله. وذكر أنه وجد عنده ورقة فيها زمام تركة الشيخ زروق وذكر نصه.

فتح الله حفيد ابن مشيش

ومنهم سيدي فتح الله من أحفاد سيدي عبد السلام بن مشيش(19) : من أهل الخير والصلاح ومن ترجّى بركته ، ووسمه وسم خير. قد نزل وجدة بداره منقطعا عن الناس في نخيل على طريق مضرامة من ناحية البر.

أبـو تـركـيـــة

ومنهم المجذوب الصادق سيدي أبو تركية. رجل متقشف لا يؤبه له. أُرَى أنه ممن لو أقسم على الله لأبره ، وهو نازل وحده بساحل البحر يرد عليه أهل الخير السائحون في الأرض ، ويدخلون البادية من هناك على قدم التوكيل ؛ قاصدين الحجاز الشريف. فمنهم من يرجع بعد أعوام ، ومنهم من يبقَى هناك ؛ ومنهم من لا يوقف له على خبر. وقد حكَى ذلك ومن أخباره معهم شيئا كثيرا. ذكره والدي في **الرحلة** فيمن لقيه.

إبراهيم بن شمس الدين محمد الميموني

ومنهم الشيخ المعقولي البياني أبو اسحاق إبراهيم بن شمس الدين محمد ابن عيسَى الميموني المصري الشافعي(20).

قال سيدي الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في **فهرسته** : وكان حيا سنة سبع وثمانين. وقال أبو سالم في **فهرسته** : لقيته بداره بالقاهرة قرب الجامع الأزهر أول ما لقيته يوم عيد الفطر ، ولم أزل أتعاهد مجلسه مدة إقامتي بمصر مرة في اليوم أو مرتين. سمعت عليه جملة صالحة من **جامع** أبي عيسَى الترمذي ، وطرفا من

(19) ترجمة غير واردة في **س** و**ط**.
(20) ترجمة أخصر في **س** و**ط**.

صحيح البخاري ، ومثله من **صحيح مسلم** ، ومن **الشفا** ، **والمواهب** ، **وثلاثيات البخاري** ، **وعشاريات ابن حجر** ، **وثنائيات الموطأ** ، والمسلسل بالمصافحة من مسلسل ابن الجزري والمسلسل بالأولية . كل ذلك بقراءة ما عدا الأول فبقراءة شيخنا أبي مهدي الثعالبي . وأجاز لي سائر مروياته عن كل أشياخه : منهم الشيخ محمد الرملي وولده الشيخ محمد الميموني والشيخ أحمد السنهوري وأخوه الشيخ سالم وأبو بكر الشنواني والشيخ محمد الخفاجي والد شيخنا شهاب الدين والشيخ أبو العباس أحمد الخطيب الشربيني والشيخ محمد الشبراوي المالكي والشيخ عثمان المالكي الغزي والشيخ طه المينوي والشيخ نور الدين الزيادي ، وكل هذه الجماعة عن نجم الدين الغيطي عن زكرياء وعن الحلقمي عن الأسيوطي ما عدا الرملي فإنه يروي عن زكرياء بلا واسطة وزاد الشيخ أحمد السنهوري ، وانفرد بالرواية عن عالم الحجاز محدث الحرمين شهاب الدين أحمد بن حجر الميتمي وأنشدني شيخنا الميموني عند الوداع :

وَحَيْثُ ٱتَّجَهْتُمْ صَادَفَتْكُمْ عِنَايَةٌ ... وَيَرْعَاكُمُ ٱلرَّحْمَانُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

كتب لي الإجازة بخطه رضي الله عنه ، وناولني تأليفه المسمى **بتهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام** ، وهو كتاب بديع ألفه في البناء الأخير سنة تسع وثلاثين وألف ، وملكني طرفا منه ، وكتبت عليه تقريظا حسنا كان والده رحمه الله من العلماء العاملين أخبرني أنه رآه بعد موته فسأله عن حاله ، فقال له : الوقوف بين يدي الله شديد ، والخلاص منه أشد ، وأنا والحمد لله نجوت . وكان لشيخنا أخ أكبر منه يسمى أبا السعود الميموني شارك أخاه في كثير من أشياخه ، ولم يتصد للقراءة كأخيه ، أجازني سائر مروياته عن سائر أشياخه . ومن أشياخه الشيخ النحوي عبد الله الدنوشري صاحب **الحواشي** على الشيخ خالد . وكل أشياخ صاحب الترجمة من شرط كتابنا هذا إلا أننا لم نطلع على ما نذكره في التعريف بهم فلذلك لم نترجم لهم . ووصف أبو سالم صاحب الترجمة بقوله : هش وبش وطش . وبش وهش أي ترحيب بالمحبة ، وطش في التحفي والسؤال عن الأحوال .

قال أبو سالم : وأقسم لو كان في منزله سعة لما نزلتم إلا عندي إلى الارتحال ، وفطرنا عنده في تلك الليلة مع جماعة من الإخوان وبتنا تلك الليلة بالجامع الأزهر

لأنها ليلة سبع وعشرين . وفي الحقيقة كل الليالي بذلك المسجد كليلة القدر لأنه معمور بالذكر والتلاوة والتعليم آناء الليل،وأطراف النهار ، لا تنقطع منه العبادة ليلا ولا نهارا صيفا وشتاء ، فهو عديم النظير في مساجد الدنيا بأجمعها حاشى المساجد الثلاثة لما لها عند الله من أعظم المزايا وأرفعها ، وإن خص هو بهذه الفضيلة فغير مستغرب وجود مزية في المفضول ليست في الفاضل ، إذ الفضل بوجود التفضيل لا بوجود الفضيلة ، ولو سُلم ذلك ففي الفاضل من الفضائل ما يكون فضيلة المفضول الذي اختص بها بالنسبة إليها كحلقة ملقاة بفلاة من الأرض ،فبتحقيق هذه القاعدة تنحل إشكالات كثيرة في التفضيل بين الأشخاص والأزمنة والأمكنة وغير ذلك . ولنرجع إلى صاحب الترجمة .

قال أبو سالم في **الرحلة** : إنه لما سقط جانب من البيت الحرام في سنة تسع وثلاثين وألف واحتيج إلى تجديد بنائه ، كتب إلى مصر استفتاء في أمور كثيرة تتعلق بالبيت العتيق وانقاضه وتجديد ما سقط منه أو بنائه من أصله ، ومن يتولى بناءه ، وبأي مال يبنَى ، وهل يُبَادَرُ إلى ذلك أو ينتظر إذن السلطان ، إلى غير ذلك من أمور كثيرة تتعلق بالمسجد الحرام . فتصدَى شيخنا الميموني للجواب عن ذلك ، فألف كتابه **تهنية الإسلام ببناء بيت الله الحرام** ، فاستوعب فيه الكلام على تلك المسائل ، وأضاف إليها أمثالها من الفوائد المتعلقة بذلك من النكث التاريخية والتحقيقات الفقهية ، فجاء كتابا حافلا بجانب كبير من العلوم شاملا ، ناولنيه وأجازنيه ووهب لي طرفا كبيرا منه نحو النصف وقال لي : لو تعددت النسخ بيدي لوهبتك نسخة كاملة . وقد كتبت له على ظهر نسخته تقريظا حسنا من جملته هذه الأبيات :

لِلّهِ رَوْضَةُ عِلْمٍ أَنْبَتَتْ حِكَماً وَطَيَّبَتْ بِشَذَاهَا ٱلْبَيْتَ وَٱلْحَرَمَا
نَزِّهْ جُفُونَكَ فِيهَا وَٱقْتَطِفْ ثَمَراً مِنْ دَوْحِهَا وَانْتَشِقْ زَهْراً بِهَا ٱبْتَسَمَا
قَدْ جَمَعَتْ مُوجِبَاتِ ٱلْمَدْحِ إِذْ جَمَعَتْ
مَـا كَـانَ مِنْ دُرَرٍ فِي غَـيْـرِهَـا ٱنْـقَسَمَـا

في أبيات أخر ، ثم قال : لما جئت لوداع الشيخ الميموني كتب بعض أقاربه : لا اله إلا الله في رق وكتب بازائه : محمد رسول الله ، وفصل بينهما بمقص

حتَّى بقِي منه شيء قليل ، فأمرني أن آخذ إحدَى القطعتين وأخذ الشيخ الأولى ، فقطعناها بيننا نصفين ، وقال لي تَحفظ على القطعة التي عندكم وأنا على التي عندي فان اسم الله واسم حبيبه إذا افترقا يجتمعان بفضل الله تعالى .

علي الصوفي المصري

ومنهم الشيخ علي الصوفي المصري . لقيه أبو سالم .

قال في **الرحلة** : سكن بسطح الجامع الأزهر ، وهو رجل منفرد في بيت ، لم يتزوج قط ، وله مخالطة بالفقهاء ، وبعض استحضار في الفقه ، وهو ممن تُرجَى بركته . وكان يتمنَّى الحج مع كبر سنه ويبحث عن علم السيمياء وأسرار الأسماء كذلك ، وله نية صالحة في ذلك ، وسألني عن شيء من ذلك فقلت له : يا شيخ إن طريق مشايخنا معشر الشاذلية عدم استعمال الأسماء والأذكار طلبا لفائدتها العاجلة بل ولا الآجلة في الغالب وإن كانت حاصلة في ضمن ذلك ، والكفاية بالله أولى من التعلق بالآثار ، والحج لم يُفرض عليك لضعفك وقلة ذات يدك ، ومن أصول القوم أن لا يتكلف الإنسان ما كفيه . وأقر بصواب ما ذكرت له ، ولم ترجع نفسه عن مآربه ، ثم منَّ الله تعالى عليه بالحج ، ثم حكَى عنه غريبة وهي : قال أبو سالم : وأخبرني هذا الشيخ أن بعض من ينتحل علم الأسماء أخبره أنه كان يستعمل دعوة **آية الكرسي** ويشتغل بها على طريق أهل ذلك الفن ، فجاءه روحاني وقال له : كل يوم آتيك بألف شريفي ذهبا بشرط أن تنفقها كلها ، ولا يبيت عندك منها درهم واحد ، فقال له : لا أقدر على هذا ، فإنه أمر لا يكاد يخفَى ، وأخاف على نفسي إن ظهر ذلك علي من أرباب الدولة ، فلو كنت تأتيني كل يوم بشريفي واحد أو اثنين أو عشرة ففيها الكفاية ، فقال له : لابد من الألف على الشرط المذكور وإلا فلا . ولم يزل يراجعه في الاقتصار على الكفاية حتَّى أبَى عليه ، فأيس منه وترك قراءة الدعوة . انتهَى .

قلت وهذا،والله أعلم،من حيل الجن ، وأظنه لو قبل الشرط لما وفَى له ، أو يُظهر له بارقة حتَّى يفتضح مع العالم ثم يكف عنه كما وقع لبعض[21] من رأينا فيه شيئا من هذا .

(21) ورد في **طرة لك وم** : وهو السيد عبد الرحمان الشامي رحمه الله .

قال أبو سالم : وهذا دليل عظيم على حمق الراغب في الدنيا ، فإن الله تكلف له بالكفاية على وجه يرضاه له على قدر حاله ويعلم فيه صلاحه إن رضي ، **﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾** . فلو أُعطي ما فوق اللائق بحاله لم يستطع . ألا ترَى أن هذا لما رُدَّ إلى حال لا تليق إلا بالملوك ومن يحاكيهم لم يقدر على ذلك لأنه فوق طوره ؟ ولو استغنَى بالحال التي أقامه الله فيها ، فإنه أعلم بشئونه ، لاستراح ، ولكنه أراد أن يدبر لنفسه حالا ظن أنه أولَى به ، وهو على خلاف مراد الله تعالى به ، فنبهه الله بما أراه على أن ما كان يظنه من أن كثرة المال هو اللائق بحاله ركس في الرأي وغلط في التدبير لعجزه عن القيام به . وهذا الرجل ملطوف به ولولا لطف الله به لقبل ذلك فيكون فيه حتفه قريبا ، ولكنه نظر ، بما آتاه الله من نور العقل والحكمة ، فعلم أن ذلك لا يتم له لأنه على خلاف مقتضَى الحكمة الإلهية . انتهَى كلام أبي سالم .

السلطان زيد بن محسن(22)

ومنهم أمير الحجاز ، شريف الفضلاء وفاضل الشرفاء وأمير الكبراء السلطان زيد بن محسن ، سلطان مكة بيت الله الحرام ومجاور مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قال أبو سالم في **الرحلة** : بينما نحن جالسون ، يعني بمكة ، بمنزل بعض أشياخنا إذ مر بنا أمير مكة الشريف زيد في موكبه ، وله شارة حسنة ، معه طائفة من الأشراف والجند ذاهبا لرمي الجمار ، قد ظلل على رأسه بمظلة كبيرة من حرير كأنها قبة خباء يحملها فارس بجانبه يسايره ، وهو في ظلها ، والناس يحيونه عن اليمين والشمال : فالعوام يقولون في تحيتهم : نصرك الله يا زيد ، والخواص يقولون : السلام عليكم ، وهو يرد على كل من حياه من وضيع وشريف ولا يهمل أحدا ، ويشير برأسه إلى كل من حياه ، وذلك لشدة تواضعه رضي الله عنه . وهو رجل أسمر اللون ، أبيض اللحية ، سمح الوجه ، ضرب من الرجال إلى النحافة أميل . وأثنَى من حضر المجلس عليه كثيرا في سيرته وعقيدته ، وأثنَى لي عليه شيخنا أبو

(22) ترجمة مختصرة في **س وظ** . وفي طرة **ط** ، من وضع مصححها : «كانت وفاة الشريف زيد صاحب الترجمة يوم الثلاثاء لثلاث خلون من محرم سبع وسبعين وألف . وله ترجمة واسعة في **الخلاصة**» .

مهدي . وهذا الأمير من أحسن أمراء عصره سياسة وحسن تدبير ، ولم تزل الإمارة في أسلافه منذ أعصار متطاولة ، وأسلافه هم المشهورون بآل أبي نُمي وهو بطن من بني أبي حسَن ، وإخوانهم بنو حسَيْن لهم إمارة المدينة . وولاية الحجاز الآن بأطرافه ، من أطراف اليمن إلى أقصَى نجد مما يلي البصرة ثم إلى خيبر مما يلي ناحية الشام ثم إلى الينبع ، كلها للأمير زيد بن محسن ولأسلافه . وليس لبني حسين في ولاية المدينة في هذا الزمان إلا الاسم فقط وبعض تصرف من تحت يد الأمير زيد .

وكان هذا الأمير فيما مضَى على معتقد أهل بيته كاعتقاد الزيدية ، ثم إنه باينهم ورجع إلى معتقد أهل السنة وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة ، وحسن اعتقاده في علماء السنة وبالغ في تعظيمهم ، وكف أهل بيته عن كثير مما كانوا ينالون من أهل السنة ، ومنعهم من إظهار معتقداتهم . وقد بلغنا أنهم اجتمعوا ذات يوم ولاموه علىٰ رجوعه عن مذهبهم ، فقال لهم : ألا يكفيكم مني أني لم أجبركم ولم أنهركم على الرجوع عما أنتم عليه ؟ إنما هو دين لا يسع المرء فيه إلا اعتقاد ما هو الحق واتباع من يغلب على ظنه أنه على الحق والهدَى ، وقد ظهر لي صحة ما رجعت إليه ، فإن رأيتم ما رأيت وتبين لكم أن ترجعوا إلى الحق والهدَى ، وإن لم تروه فلكم دينكم ولي دين . فمن ذلك اليوم أيسوا منه .

وقد استفاض على الألسنة أنه من الأولياء لما يرون من إجابة دعوته وكثرة عبادته وشدة تواضعه ، وإن كان تصرفات عُمَّاله لا تخلو من جور في الأموال كما هي ولاة العصر . وقد أخبرني من أثق به أنه ذات يوم دعا بعض عماله ليذهب إلى خليص في أيام الموسم ليجلس فيها مع طائفة من عسكره ردعا للصوص وتأمينا للسبل كما هو شأنه في سائر الطرقات أيام الموسم ، فاعتذر العامل بأنه مريض ولا مرض به . فألَحَّ عليه في ذلك فقال : إني مريض لا أقدر . فقال له : إن كنت صادقا فشفاك الله ، وإن كنت كاذبا فأماتك الله . قالوا : وكان ذلك صباحا ، فلم يأت الظهر حتَّى مات ذلك العامل . وأمثال هذا من إجابة دعوته كثير حتَّى كانت أعراب الحجاز تقول : نخاف من إجابة دعوة زيد أكثر مما نخاف من سيفه . ومن محاسنه أنه لم يقتل قط أحدا من أهل بيته مع كثرتهم وكثرة خروجهم عليه وسعيهم بالفساد في ملكه ، ولكن كل من أحسَّ منه ذلك يقول له : لا تسعك بلادي ،

فيخرجه من مكة ، فلا يزال يحارب مع الأعراب ويسعَى في إفساد المملكة حتَّى يذهب ما بيده من الأموال فيرجع إليه صاغرا ؛ حتَّى يئسوا من القيام عليه فأذعنوا له ، وكثير من العوام يقولون إنه قطب لأنه مكث في ولاية مكة أكثر من ثلاثين سنة . قالوا : ولا يمكث ثلاثين سنة في ولاية مكة إلا القطب ، ولا أدري من أين لهم ذلك . والغالب أن الله تعالى لا يمكن من حرمه الأمين وبلاد نبيه المكين هذه المدة المتطاولة مع حسن دفاعه عنه وكفايته أعداءه إلا من له عنده مكانة وله به عناية مع ما منَّ الله به عليه من حسن الاعتقاد والإكثار من العبادة والطواف بالليل في غمار الناس حيث لا يعرف ؛ وكثير من الناس ربما يرميه بالبخل ، وقد أخبرني شيخنا أبو مهدي أنه على خلاف ذلك وأنه يتعمل بصدقاته ومعروفه الأخفياء من العلماء والأتقياء ممن ليست له وظيفة معلومة ويبعث لهم وإلى الفقراء من معروفه بليل بحيث لا يشعر بذلك إلا خواص أصحابه . وأما أهل المناصب والوظائف فلا ينالهم من معروفه إلا القليل فيَسمونه لذلك بالبخل . ومن محاسنه تورعه عن سفك الدماء مع شدة بأسه بحيث تضرب به الأمثال في الشجاعة في حروبه ، وأكثر ما يعاقب بالمال إلا في حد من الحدود ، وكثيرا ما يقع من عماله ما يخالف الشرع في الجباية ويبالغون في ظلم الرعية ، ولم ير في أحواله ما يغمص عليه إلا هذا . وأما ثناء الناس عليه فأكثر من هذا كله . وأهل الحجاز يرون أنهم تحت جناح العافية وفي ظل الأمان ما دام حيا ، ويفدونه بآبائهم وأمهاتهم . نسأل الله تعالى أن يطيل بقاءه آمين بجاه النبي المكين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

ياسين بن محمد غريس الدين الخليلي

ومنهم الشيخ العلامة الدراكة الفهامة الفقيه الخطيب الأديب ياسين بن محمد غريس الدين الخليلي(23) .

قال أبو سالم في **رحلته** بعد وصفه بما ذكر : أحد خطباء المسجد الحرام وأئمته وأمثل المدرسين به في هديه وسمته . وأصله من بلد الخليل عليه السلام . وكان عمه

(23) في طرة **ط** من وضع مصححها : «كانت وفاة ياسين الخليلي يوم السبت ثاني شهر ربيع الثاني سنة 1086 ، قاله في **الخلاصة**» .

الإمام العالم الأجل الشيخ غريس الدين الخليلي قد استوطن المدينة آخر أمره ، تولى بها عدة وظائف من إمامة وخطابة وتدريس . وكان الشيخ ياسين ابن أخيه ويتيمه في حجره فربي في كفالته ، وقرأ عليه وعلى غيره من المشايخ ، ودخل مصر والشام في حياة عمه ، وقرأ على جماعة من المشايخ فما توفي عمه بالمدينة المشرفة سنة ثمان وخمسين حتّى تولى وظائفه ، وأكثر مكاسبه ، إذ كانت ابنته تحته ، فاستقر بالمدينة واستوطنها ، وصار أحد المشار إليهم فيها ، وله مروءة وحشمة وديانة ، فهو أقرب من رأيت من أرباب الوظائف للتمسك بالهداية ، وأبعدهم عن أسباب الغواية ، لقيته رضي الله عنه أول ما لقيته بمكة المشرفة ، وكان قدمها حاجا ومجاورا مدة ، فقرأت عليه هناك بعض **شرحه على ألفية العراقي** في السير ، وهو شرح حافل أجاد فيه ، وأودعه من لطائف علم السير وبدائعه ما تفرق في كثير من مؤلفات المتأخرين **كسيرة الشامي والحلبي** وغيرهما ، وهو في سفرين كبيرين . وكتبت له أول ما اجتمعت به بيتين وهما :

يَا مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي ٱلْعِلْمِ يَحْمِلُهُ عَنْ أَهْلِهِ فَالْتَجِئْ لِلشَّيْخِ يَاسِينِ
فَهْوَ ٱلَّذِي يُرْتَجَى لِكُلِّ مُشْكِلَةٍ وَهْوَ ٱلَّذِي مِنْ جِرَاحِ ٱلْجَهْلِ يَأْسُونِي

ولما قدم المدينة ، بعدما استقر بنا المنزلُ فيها ، شرع في التدريس بالحرم النبوي . وكان معظم تدريسه في **صحيح البخاري** وفي كتاب **إحياء علوم الدين** . وكنت أحضر تدريسه فيهما بعض الأحيان ، وقرأت عليه في منزله بعض كتاب **المواهب** وبعض **الشفاء** وغير ذلك . وأجازني إجازة عامة . وهو أول من كتب على الاستدعاء الذي كتبته هنالك كتابة مطنبة حسنة .

وفي **فهرسة** سيدي الطيب بن محمد الفاسي : شرح **ألفية العراقي** في السير في سفرين كبيرين ، وله كتاب **التذكرة** شحنه بالفوائد وأودعه الغرائب من نظم ونثر . أخذ عن عمه والبابلي وغيرهما وتوفي بين أربع وسبعين إلى ثمان وسبعين وألف .

إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري

ومنهم الشيخ الأوحد النقاد ، المتفنن صاحب الذهن الوقاد ، أبو سالم إبراهيم

بن الشيخ عبد الرحمان بن علي بن موسَى بن حضر الخياري[24] المصري ثم المدني نازلها ، الشافعي . تقدمت ترجمة والده عام ستة وخمسين .

وفي **فهرسة** سيدي الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي : ممن رُزق السعادة في العلوم ، وأيِّد بنور العقل في صغره في المنقول والمفهوم ، وهو أحد الخطباء المدرسين بالمسجد النبوي على دفينه أفضل الصلاة والسلام ، وتوفي بين أربع وسبعين إلى ثمان وسبعين وألف ، وأخذ عن والده وغيره من المشايخ .

وفي **الرحلة العياشية** : تولى الشيخ إبراهيم ما كان لأبيه من الوظائف ولم يقصر به عن ذلك حداثة سنه ، بل رفع بضبعيه إلي أعلى مراتب أبيه الجد وأنجد ، فدرس وأمَّ وخطب ، وأفتى ، وقام بذلك أتم قيام ، وأعطي فصاحة في نطقه ، وسلامة في ذوقه ، وإنصافا في خُلقه ، فباشر الوظائف بعفته ، وغلب وقاره على طيب شبابه وخفته . كان أول اجتماعي به أوائل سنة خمس وستين وألف بمنزله . وقرأت عليه بعض **الأربعين النووية** ، وأجازني إجازة عامة ، وكتب لي بخطه ذلك . قال : وله نظم رائق ونشر فائق . ثم ذكر بعض نظمه ، فمن ذلك ما مدحه به أي لأبي سالم :

مُذْ لاحَ بِٱلْمَغْرِبِ ٱلْمَأْهُولِ فَاضِلُهُ ... وراحَ مُرتضعاً ثديَ ٱلْعُلاَ نَاشِي
عَاشَتْ مَعَالِمُ أَرْبَابِ ٱلنُّهَى وَسَمَتْ ... وَلاَ عجيبَ إِذَا عَاشَتْ بِعيَاشِي
فَلْيَبْقَ لِلْعِلْمِ كَيْ تَبْقَى مَدَارِسُهُ ... مَأْهُولَةً يَقْتَفِيهَا ٱلْقَاصِدُ ٱلنَّاشِي

قال في **الرحلة** : وأما البيتان اللذان هما سبب هذا السحر الحلال والعذب الزلال فهما قولي :

سَبَرْنَا ٱلْعَالَمِينَ فَمَا رَأَيْنَا ... كَإِبْرَاهِيمَ سَيِّدِنَا ٱلْخَيَارِي
تَخَيَّرَهُ ٱلزَّمَانُ كَمَا تَرَاهُ ... خِيَاراً مِن خِيَارٍ مِنْ خِيَارِ

(24) ترجمة أخصر في **س** و**ط** . وفي طرة **ط** من وضع مصححها : «مولد الشيخ ابراهيم الخياري سحر يوم الثلاثاء ثالث شوال سنة سبع وثلاثين وألف . ووفاته يوم الإثنين ثاني رجب سنة ثلاث وثمانين وألف فجأة ، قيل مسموما ، وذلك بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع رحمه الله . قاله في **الخلاصة**» .

بدر الدين الهندي

ومنهم قدوة الأكابر، وصدر الصدور المشاهر، الناهل من أحلى مناهل الصفاء، المجاور لدار المصطفَى، بدر الدين الهندي.

قال في **الرحلة**: كان آية في الذكاء والفهم، ووعاء من أوعية العلم، له في كل الفنون تحقيق، وفي فهم المشكلات تمكين وتدقيق، وسلك على طريق النقشبندية، قدم المدينة سنة ثمان وخمسين. قرأ على الشيخ عبد الحكيم الهندي، وكان يبالغ في الثناء على شيخه المذكور. وذكر أن له **حاشية** كبيرة على **البيضاوي** في أربعة أسفار أكثر فيها من التحقيقات، وبالغ في التدقيقات. قرأ عليه أبو سالم علوما جمة قال: ولقنني الذكر على طريق السادات النقشبندية بين المغرب والعشاء في روضة الجنة بين المنبر والقبر، ثم قال: ولقد كان في محل تدريسه بالحرم الشريف لا يجلس إلا مستقبلا الحجرة بوجهه، وإن جلس أحد بينه وبينها بحيث يحول بينه وبين رؤيتها أقامه وحوله عن يمينه أو عن يساره، فتكون حلقة تدريسه منفرجة من ناحية الحجرة، وفي ذلك أدب منه ومن المجالسين لأنه لا يستدبر بذلك الحجرة الشريفة المطهرة. وما أحق شيخنا هذا أن يلقب بين المتأخرين بإمام الحرمين كأبي المعالي في الأقدمين، لأنه مكث فيها زيادة على المدة التي مكثها أبو المعالي سنة وهو يعلم ويدرس ويجيب السائلين. وقد أخبرني بعض الأصحاب أن لشيخنا هذا في بلاد الهند رياسة عظيمة وأنافة قدر بين علمائها ورؤسائها، وله هنالك أولاد وديار ودنيا عريضة، وترك كل ذلك رغبة في جوار المصطفَى ﷺ. وقد أُخبرت أنه يريد الآن الرجوع لبلاده لقضاء حق الأهل والولد. انتهَى باختصار. تقدم في سنة 76 ترجمة جمال الدين الهندي غير هذا.

شهاب الدين أحمد ابن التاج

ومنهم الفقيه المنيف، المشارك الموقت بالحرم الشريف، الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن التاج[25]، نشأ في النباهة والوجاهة، له عقل ذكي وإدراك

(25) في طرة ط من وضع مصححها: «كانت وفاة أحمد بن تاج الدين الامشقي بوقت الحرم بمكة المشرفة سنة إحدى وثمانين وألف. قاله في **خلاصة الأثر**».

جلي ، أخذ العلم عن والده ، ومهر في الحساب والتوقيت والتنجيم ، وانفرد بعلم السيميا [والزيارج][26] والحدثان بطرق [منفردة][27] ، فنال بذلك وجاهة عند الأمراء . [وله][28] كتاب **الجفر الكبير** الذي قل أن يوجد في الدنيا ، حتَّى قال بعضهم : إنه من الأشياء التي وضعت لها الأسامي ولم توجد مسمياتها . وهو سفر كبير نحو الأربعين كراسا في القالب الكبير مرتب على حروف المعجم ، وهو كله حروف متقطّعة في مربعات صغار ، كل مربعة فيها أربعة حروف . وصفة ذلك : أن في كل حرف من حروف المعجم ثمانية وعشرين صفحة ، أربعة عشر ورقة . في كل صفحة جدول من ثمانية وعشرين في مثلها ، فيصير في الجدول الذي في الصفحة الواحدة ثمانية وعشرنن سطرا ، في كل سطر ثمانية وعشرون بيتا ، أعني بالبيت المربع الصغيرة ، وفي كل بيت أربعة أحرف من حروف المعجم بالوضع العربي ، ولا توجد الحروف التي في بيت واحد مكررة مع بيت آخر من أول الكتاب إلَى آخره ، مع أن في كل سطر منه حروف المعجم كلها لا يخلو منها بتمامها سطر . ووجه ذلك أن حرف الألف ، مثلا ، فيه ثمانية وعشرون صفحة عدد حروف المعجم ، وأول كل سطر ، من صفحات حرف الألف إلى آخره مبتدئا بالألف ثم يعتبر معه حروف المعجم كل في سطر إلى آخر الصفحة . وضابط ذلك ، كما قال بعضهم ، أن حرف الترجمة يحفظ كل أول الحروف ، يعني أول الحروف في كل بيت من كل سطر من أسطر من الكتاب كلها،والصفحة تحفظ لك ثاني الحروف يعني أيضا الحرف الثاني من كل بيت من كل سطر من كل صفحة ، والسطر يحفظ ثالثها كذلك ، والبيت يحفظ رابعها كذلك . فأول البيوت كلها من الكتاب فيه أربع ألفات هكذا اااا ، ووجهه على الضابط الأول أن الترجمة ترجمة الألف ، فجعلنا الألف أول الحروف والصفحة أول الصفحات فجعلنا الألف أيضا ثاني الحروف ، والسطر أول السطور ، والبيت أول البيوت ، فكانت الحروف كلها ألفات ولا يوجد بيت فيه أربع ألفات سواه إلى آخر الكتاب ، ثم البيت الثاني من السطر الأول فيه ثلاث ألفات وباء هكذا ااا بـ ، لأن الترجمة لأول الحروف وهي

(26) سقطت من لك وم .

(27) في **الرحلة العياشية** : متعددة

(28) في **الرحلة** : ورأيت عنده

الألف ، وهذه الصفحة الأولى والسطر أول السطور فكانت ثلاث ألفات ، وأما البيت وهو الحافظة للحرف الرابع فهي ثانية البيوت ، فكان الحرف الرابع ياء والبيت الثالث ثلاث ألفات وجيم ، ثم كذلك إلى آخر السطر ، فيكون فيه ثلاث ألفات وياء آخر الحروف ، وفي أول السطر الثاني ألفان وباء وألف هكذا أأ ب أ . ووجهه على الضابط الأول أن حرف الترجمة أول الحروف والصفحة أيضا أول الصفحات فيوضع ألفان ، والسطر ثاني السطور فيوضع باء والبيت أول البيوت من السطر فيوضع ألف . وفي البيت الثاني من السطر الثاني ألفان وباءان ، لأن الترجمة لأول الحروف والصفحة أولى والسطر ثان والبيت ثان ثم كذلك . فإذا فهمت ذلك في الصفحة الأولى من حرف الألف سهل عليك اعتبار ذلك في سائر الحروف ، ومثال ذلك أيضا السطر الثالث من الصفحة الرابعة من حرف الكاف تضع في البيت الأول منه كاف ثم دال ثم جيم ثم ألف هكذا كـ د ج أ ، لأن الترجمة للكاف والصفحة الرابعة للدال والسطر الثالث للجيم والبيت أول البيوت من السطر للألف . وفي البيت الذي يليه كاف ودال وجيم وباء ، ثم كذلك إلى آخر السطر وآخر حروف المعجم ، ومثال ذلك أيضا الصفحة السادسة من حرف الألف : أول بيت من أول سطر منها فيه ألف حرف الترجمة ، ثم واو حرف الصفحة ، ثم ألفان حرف السطر ، والبيت . والبيت السادس من السطر الأول يعني من الصفحة السادسة من حرف الألف فيه ألف الترجمة ثم واو الصفحة ثم ألف السطر ثم واو البيت . وإنما نوعتُ الأمثلة قصداً للبيان وإلا فالضابط الأول كاف في وضع جميع الكتاب كله لمن تأمل وفهم [وفي كلامه نظر ، لأن هذا الجفر ، كما قال عن البعض المذكور ، من الأشياء التي وضعت لها الأسامي ولم توجد مسمياتها . وفي معناه هذه الزيارج ، فإنها من الأشياء التي لا حقيقة لها ، وبالغوا في الكذب فيها حتى نسبوها لسيدي أبي العباس السبتي ، وحاشاه من ذلك . وإنما حقيقتها سفسطة وتمويه وخدع ، وقد عثرت على شيء منها منذ سنين ، واختبرتها ، فتبين لي ، والحمد لله ، كيفية المخادعة بها ، وأنها من صنع الحيل فقط . وقد وقع بيدي أيضا **كتاب جفر** بيد بائع له بسوق الكتب بفاس منذ زمان بعيد ، على وصف ما نعت أبو سالم ، فاختبرت بعض أوراقه ، فوجدته من الحيل أيضا . فلا يغتر بذلك من له عقل . والله أعلم][29] .

(29) زيادة في **س وط** .

وله **شرح** حسن على **مُنية الحساب** للشيخ ابن غازي ، أطلعني عليه ، وهو حافل . وله مشاركة في فنون كثيرة . انتهى كلام أبي سالم في **رحلته** باختصار .

ثم قال : وقد أتى بكلام على المهدي ما نصه : وعلى تقدير ظهوره بإثر هذا القرن فإن سيدي عبد الوهاب الشعراني قد حكَى في **بعض تآليفه** عن كثير من أهل الكشف أن المهدي إذا ظهر لا يكون أحد أعدَى له من الفقهاء ، لأنه إمام مجتهد ، فيحكم في كثير من الفروع بما يخالف ما قاله أئمتهم وهم يظنون أن الله لا يحدث مجتهدا بعد أئمتهم ، وهذا إمام هدى بما يشاهده من النور . ومن شرط الإمام أن يكون مجتهدا إن وجد . وانظره . فقد أطال فيه جدا . والله ولي التوفيق .

حسن البري

ومنهم مدرس المالكية بالحرم الشريف حسن البري(30) ، نسبة للبر الكبير الذي بأعلى صعيد مصر المتصل بأطراف الحبشة .

قال في **الرحلة** : وإليه ينتسب طائفة من طلبة العلم لقيناهم بالحجاز ومصر ، فيقال : فلان البري . دخل صاحب الترجمة مصر ولم تطُل إقامته بها ، ثم قدم المدينة فاستوطنها ، ولخلو فنائها ممن يحسن المذهب المالكي قدمه من بها من المالكية للتدريس لهم وجمعوا له الكتب . وهو رجل جهوري الصوت ، طلق اللسان ، له جرأة على الأمور مع أخلاق حسنة ، وسلاسة طبع ، وحسن تودد إلى الخلق ، وحسن مباشرة ، ونقاوة برة ، وحلاوة رواء ، ومقاربة شكل ، مبجلا في أعيان الناظرين لذلك ، ونفقت له سوق عند الأغوات والمجاورين والواردين ، فراشوا من جناحه ما هاضه الدهر ، وعاملوه من فضول أموالهم بما حسنت به حاله ، ونظفت به أثوابه ، وتعطرت أدرانه ، فلم يكن في مدرسي المالكية هناك من يناويه مع أنه ضعيف التحصيل في الفقه الذي هو أشهر علومه التي ينتحلها ، وربما أقرأ الحديث **كمصابيح البغوي** . **والشمائل** ، وبضاعته في ذلك مزجاة . انتهى . ثم قال : فقرأ علي بعض أشياء **كالحكم العطائية ومنظومتي في البيوع** وبعض **الشمائل** ، واستجازني فأجزته .

(30) ترجمة أخصر في **س** و**ط** .

نافع العجمي

ومنهم نافع العجمي . شهير الصيت عند علماء العجم . يقرأ **تفسير البيضاوي** . في الحرم الشريف ، ولا يحضر مجلسه إلا الأتراك ، لأنه انما يقرأ باللسان التركي والفارسي ، والعارفون بلسانه يثنون عليه .

أحمد البري

ومنهم رئيس الخطباء ، وفصيح الأدباء ، الخطيب أحمد البري ، الفقيه الحنفي . من أعمام الخطيب أحمد المالكي المتقدم . وصاحب الترجمة رئيس الحنفية ، وكان صاحب أحمد المقري . وقد تقدمت حكايته معه في ترجمته في ختم **القرآن** .

عبد الله بن نُمُيْ

ومنهم الناسك الخاضع الساجد الراكع الشيخ عبد الله بن نمي بنون فميم مضمومتين فياء ساكنة ، العمودي اليمني . كان من أصحاب سيدي محمد باعلوي اليمني المتقدم الترجمة .

قال أبو سالم في **رحلته** : ما أظن أنه خلف في أصحابه مثلُه ديانة وورعا واجتهادا في العبادة . انظر تمامه .

عبد الرحمان بن أحمد المكناسي

ومنهم الولي الصالح ، المشفق على عباد الله الناصح ، الديّن الناسك ، المجذوب السالك ، أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد المكناسي الحسني[31] . ذكره أبو سالم في **الرحلة** ممن لقيه بمكة فقال : رجل ملأ الآفاق ذكرُه ، وعم الواردين والصادرين خيره ، وأصله من مدينة مكناسة الزيتون بالمغرب الأقصَى ، ونشأ فيها مع أبيه في الصلاح من صغره . قال : وقد ذكر هو أنه شريف حسني إدريسي ، وأصلهم من تامسنا ، وهي وطن زناتة في العهد الأول ، فقدم أحد أجداده [على حالة زناتة

(31) ترجمة غير واردة في **س وط** .

ولسانهم][32] إلى مكناسة ، فاستحيَى أن ينتسب شريفا فانتسب زناتيا ، وعُرف به وجرَى عليه بعد ذلك النسبة الزناتية . وأكثر المغاربة يقدحون في هذه النسبة حيث لم ينتسب إليها أسلافه بمكناسة وانتسب هو إليها بالمشرق ، والناس مصدقون في أنسابهم سيما من علمت عدالته كهذا الشيخ . وقد أخبرني الثقة أنه أقسم له أن أباه أوصاه بهذا النسب . قال : ومع ذلك لم أظهره حتَّى أمرني النبي ﷺ بإظهاره . وقد جال في وسط بلاد المغرب ، ودخل مدينة فاس وقصر كتامة ، وغلب عليه التنسك من صغره ، ومازجته الجذبة الإلهية ، وأدركته العناية الربانية ، فيُسِّر له لقاء الأفاضل ، فأخذ عن رجل من الصالحين بمكناسة وهو سيدي مالك ، ولقِي بفاس سيدي يدير وسيدي موسَى القاطن بحومة جرنيز ، واستمد منهم مددا قويا ، وأخذ أيضا بالقصر عن سيدي محمد الفُجَيْري . وكان صاحب الترجمة تأخذه أحوال ، مغلوبا بالواردات الإلهية في كثير من تصرفاته ، وأذعن له أهل البصائر ، ولم يزل بالمغرب خاملا أشعث أغبر ، ممن لو أقسم على الله لأبره . فتوجه للمشرق بعد الأربعين وحج مرارا وجال ورجع إلى مصر ثم للإسكندرية ، فركب البحر ، فأجلتهم الريح إلى بر الروم ، فدخل القسطنطينية فانتشر له صيت هناك ، وخضعت له رقاب الأمراء ، ثم رجع إلى مكة فاستوطنها في حدود خمسين ، فطار صيته وأقبل الناس على زيارته ، وأتحفه الأمراء بالهدايا ، وحصلت له بمكة وجاهة كبيرة ، ومع ذلك لا يمسك من الدنيا شيئا ، وما اقتنَى ملبوسا ولا مركوبا ولا تزوج ولا تسرَّى ، وله خدمة من الرقيق وكثر الازدحام عليه فصار لا يشاهد جماعة ولا جُمعة ، واغتفر ذلك له من له خبرة بطريق القوم ، ووجد الجاهل مسلكا للوم ، وكان له في كل يوم مصروف نحو مائة قرشي في أهل مكة ، فنهم ذو الدرهمين إلى العشرة إلى العشرين إلى أكثر سوَى ما يكون للغرباء ، وصار أكثر المنتسبين بمكة عيالا عليه ، ربما يقل ما بيده فيستدين ، وربما بلغ الدين الذي عليه إلى الخمسين ألفا فيؤدي الله ذلك عنه . وأخبرني عنه بعض الثقات من أصحابه أنه عد لهم مرة في كثرة ما عليه من الدين فقال له إن الله وعدني أن لا أموت حتَّى لا يبقَى علي درهم واحد . ولما علم أبناء الدنيا ذلك من حاله صاروا يبيعون له المائة بأضعافه فيربحون عليه ، وهو لا يبالي ، وأخبر أنه أخذ بمكة عن سيدي أبي الحسن علي

(32) في **الرحلة العياشية** ، الطبعة الحجرية ، ج 2 ، ص 227 : في حالة رثة .

الغماري . وهو أخذ عن سيدي عبد الرحمان الفلالي وعن سيدي محمد الكومي كلاهما عن أحمد الفلالي عن سيدي الغازي ، وأخذ صاحب الترجمة أيضا عن سيدي أحمد أفندي في اصطنبول وعن الصفي القشاشي . حكَى ذلك كله أبو سالم في **رحلته** وأثنَى عليه أبلغ الثناء . نفعنا الله بهم آمين .

يوسف الهاشمي الخليلي الجنيدي

ومنهم الفقيه الراوية المسند المسن الشيخ يوسف الهاشمي الخليلي الجنيدي من ذرية أبي القاسم الجنيد . لقيه أبو سالم بمدينة الخليل وسمع عليه من أول **الصحيحين** وأجازه بأسانيده . انتهَى .

إبراهيم بن شهاب الدين المرواني

ومنهم الشيخ الفقيه إبراهيم بن شهاب الدين المرواني . من فضلاء مدينة الخليل ديانة ومروءة وأخلاقا حميدة ، ومشاركة في العلوم الشرعية . قاله في **الرحلة** . وهو ممن صحب الشيخ القشاشي وانتفع به . وهو ممن تولى الإمامة في مسجد الخليل ، ويقيم مجلس الذكر فيه في دبائر الصلوات كما هو عادة أهل تلك البلاد كلها ، فقد استبدلوا مجالس العلم بمجالس الذكر ، فقلما يخلو مسجد من مجلس الذكر برفع الصوت والجماعات والإنشادات على هيئة سماع الصوفية ، إلا أن غالب متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا ، فقل بذلك العلم في هذه البلاد من السواحل الشامية كلها ، فمن عاش بها رآه على ما رأيته وبأخبار ما لم نرها من الواردين منها .

العربي بن أحمد الدرعاوي

ومنهم الولي الصالح سيدي العربي بن الولي الصالح العارف بالله سيدي أحمد الدرعاوي[33] . كان صاحب الترجمة حيا في ولاية سيدي محمد الحاج الدلائي . وهو دفين مزدغة على نحو نصف يوم من فاس قبلة . وأبوه سيدي أحمد دفين وسطه . أخذ صاحب الترجمة عن الولي سيدي عثمان المدعو الرويجل الوريتني دفين

(33) ترجمة غير واردة في **س** و**ط** .

منزل الحي من بلاد بني وريتن ؛ وهو عن سيدي أحمد الدرعاوي المذكور ؛ وهو أخذ عن سيدي الحسن بن عيسَى المصباحي ؛ وهو أخذ عن سيدي أبي عسرية المصباحي ؛ وهو أخذ عن الشيخ التباع ؛ عن الشيخ الجزولي . وظهرت لصاحب الترجمة كرامات في حياته وبعد موته ؛ وعليه مزارة حيث ذُكر . وأدركت من أحفاده عدة من الفضلاء ؛ منهم الخيِّر البركة الفقيه المسن أبو عبد الله محمد ؛ وكان كثير التلاوة وقراءة **دلائل الخيرات** والذكر ، وولده صاحبنا الخير الثقة الديّن أبو عمر عبد الوهاب ولازم معنا القراءة على شيخنا العلامة البركة سيدي عبد الكبير بن محمد السرغيني . وحدثني سيدي عبد الوهاب المذكور أنه رأى شيخنا سيدي عبد الكبير المذكور في النوم بعد موته فقال له : يا سيدي ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة أنا ومن اجتمع علي . وتوفي سيدي عبد الوهاب هذا يوم الجمعة سابع رجب عام واحد وسبعين ومائة وألف في ركوع الركعة الثالثة من صلاة العصر ؛ وتأتي ترجمة سيدي الكبير السرغيني إن شاء الله تعالى .

عبد المالك بن محمد الغمري

ومنهم الولي الصالح العالم الواضح أبو مروان سيدي عبد الملك بن محمد الغمري بالمعجمة والراء ؛ دفين أكدال من بلاد غمرة على نصف مرحلة من فاس . كان من أهل الكشف الواضح ، وله زاوية حيث ذُكر وأصحاب وأتباع . وضريحه من المزارات المعظمة . تزوج ابنته سيدي أحمد اليمني بعد موته في ذي القعدة عام تسعين بمثناة وألف وولد له معها أولاد بارك الله في عقبهم .

أحمد بن محمد البناء الدمياطي

ومنهم شيخ الإسلام والمسلمين ، ووارث علوم سيدي المرسلين ، العالم العلامة الشيخ أحمد بن محمد البناء الدمياطي ، إمام شهير ، ومحقق كبير . قرأ على الشيخ المنفرد بالفنون ، وإنسان العيون ، محقق عصره وقطره ، نور الدين الشبراملسي ورأيت من تواليفه ، أعني صاحب الترجمة ، تأليفه الذي سماه باسمين : أحدهما : **إتحاف فضلاء البشر بقراءات القراء الأربعة عشر** ؛ والثاني : **الأماني والمسرات في علوم القراءات** . وهو كتاب جليل جمع فيه بين التحقيق والنقول ، وأتى فيه بما

يشفي النفس ويبهر العقول ، وهو سفر متوسط ، واستفدت منه ما نرجو الله تعالى أن ينفعني به في الآخرة ، وذكر في طالعته أنه رحل إلى المدينة المنورة المشرفة عام اثنين وثمانين وألف وجاور فيها .

عبد الرؤوف المنوي

ومنهم الأمير الكبير ، الحافظ المحدث الشهير ، العلامة الفهامة الدراكة : عبد الرؤوف المنوي . أحد علماء الدين ، وخاتمة الحفاظ المجتهدين : **له شرح على الجامع الصغير** للإمام السيوطي في أربعة أسفار ، **وشرح آخر** أخصر منه في سفرين . وألف **طبقات العلماء** [وله أيضا كتاب **طبقات الصوفية**][34] وشرح **نخبة ابن حجر** شرحا ومتنا لمؤلفها . وشرح **شمائل الترمذي** : وكل هذه المؤلفات وقفت عليها [عدا الطبقات][34] واستفدت من بعضها سيما **شرحه الكبير** على الجامع **وشرح الشمائل** ، وهما في غاية الجودة ، جمع فيهما بين التحقيق وترك الإطناب وأتى بما سحر الألباب .

قال أبو العباس أحمد المقري في كتابه : **فتح المتعال** : محدث العصر ، علامة مصر ، الشيخ عبد الرؤوف المنوي الشافعي ، وقد لقيته بالقاهرة المحروسة وزرته في بيته ، وجاءني إلى بيتي **بشرحه الكبير للجامع الصغير** الذي خرج فيه الشرح المشروح ، الممتزج الحياة بالروح . ذكره لما استطرد الكلام على الحديث المذكور في الجامع : **إذا انتعلت أمتي بالخفاف ذات المناقب الرجال والنساء خصفوا نعالهم تخلى الله عنهم** . وكانت رحلة المقري من المغرب عام سبعة وعشرين وألف على ما تقدم ، وألف كتابه **فتح المتعال** في مصر عام ثلاثين[35] وألف ، ثم استدرك فيه زيادة عام أربعة وثلاثين وألف حسبما رأيت ذلك بظهر نسخة من **الفتح** المذكور وبخط مؤلفه ، يصحح ذلك تحته [وفي آخر **شرح التحفة** : تأخر انتهاؤها إلى آخر ذي القعدة عام سبعة وعشرين وألف][36] . [بعد أن أوردته هنا وقفت على

(34) زيادة في **س** و**ط** .

(35) جاء في طرة **ط** من وضع مصححها ما يلي : «قوله عام ثلاثين ، في **خلاصة الأثر** أن وفاته يوم الخميس 23 صفر ، ومولد سنة 952 ، وذكر له من التآليف نحو المائة ، وأطال في ترجمته» .

(36) سقط من **س** و**ط**

تاريخ وفاته ، فتوفي صاحب الترجمة عام ثلاثين وألف ، رحم الله الجميع][37] .

أحمد بن علي الفيشي

ومنهم الشيخ أحمد بن علي شهاب الدين الفيشي الأزهري .

قال في **تكميل الديباج** : لازم السنهوري حتَّى برع في فنون . وأخذ علم الحديث وغيره عن عبد الحق السنباطي . ودرس الفقه وغيره مع تعفف وقناعة . قاله السخاوي . زاد غيره أنه ناب في الحكم بمصر ومهر فيه فصار مرجع المالكية في الفقه ، وتتلمذ له أعيان . ولما أخذ سليم بن عثمان مصر من الحركة نقله مع أمثاله من الرؤساء لبلد الروم ، وبها توفي . وله **تقييد على توضيح خليل** ، وأخذ عنه الأجهوري .

رقيــة السبعيــة

ومنهم السيد الصالحة ، ذات الأنوار اللائحة ، والكرامات الواضحة ، وأسرار الولاية والفتوحات الغيبية السيدة رقية السبعية . كانت رضي الله عنها خرساء لا تنطق بلسانها ولكنها تشير بما يفهم عنها ، وكلما تخبر به يقع لا محالة ، كان محل استقرارها بدار أهلها بالبليدة ، ودفنت بجوار سيدي رضوان خارج باب الفتوح[38] .

محمــد الصالحـــي

ومنهم الشيخ الأديب محمد الصالحي[39] . أثنَى عليه الشهاب الخفاجي في **رحلته** ، ووصفه بالهلالي الشامي ، وأورد فيه إنشاء حسنا قال في آخره : طالعت له فصلا من ديوانه الذي سماه **صدح الحمام في مدح خير الأنام** ، وقد أطال في الثناء عليه رحمهما الله .

(37) زيادة في **س وط** .

(38) هنا ينتهي المخطوطان **ك وم** ، وما يأتي من التراجم لا يوجد الا في **ط** .

(39) لم ترد هذه الترجمة في **ك . وم** ، وقد جاء في طرة **ط** . من وضع مصححها ما يلي :
«مولد الصالحي سنة 950 ووفاته سنة 1004 ، قال في **خلاصة الأثر**» .

حسن بن محمد البوريني

ومنهم الشيخ حسن بن محمد البوريني الشامي[40] . ممن ذكره الشهاب أيضا في **رحلته** ، وبالغ في مدحه نظما ونثرا ثم قال : ومن فوائده أنه سئل عن قول صاحب الهمزية :

شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقَّقَ ٱلظَّنُّ فِيهِ ... أَنَّـهُ ٱلشَّـمْسُ رِفْعَةً وَٱلضِّيَـاءُ
وَإِذَا مَا ضَحَا مَحَا نُورُهُ ٱلظِّـ ... ـلَّ وَقَدْ أَثْبَتَ ٱلظِّلَالَ الضُّحَاءُ
فَـكَـأَنَّ ٱلْـغَـمَـامَـةَ اسْتَـوْدَعَـتْـهُ ... مَـنْ أَظَـلَّـتْ مِـنْ ظِلِّهِ الرُّفَقَاءُ

فذكر ما للشارحين فيه من الكلام الذي لا محصل له ، فحاصلهم فيما قالوه : الرفقاء بفاءين ، وأظلته فيه بالظاء المشالة ، وذكر كلاما لا طائل تحته بناء على أن أضلت بالضاء من الضلال بمعنَى الإضاعة ، والرفقاء بمعنَى جماعة مشهورين من الجيش أو الملائكة ، وفيه خبط وخلط . والذي عندي فيه أنه تحرف عليهم جميعا وإنما هو هكذا :

فَـكَـأَنَّ ٱلْـغَـمَـامَـةَ ٱسْتُـودِعَـتْـهُ ... مُـذْ أُظِـلَّـتْ مِـنْ ظِلِّهِ ٱلدَّقْعَاءُ

فاستودعته وأظلت مبنيان للمفعول بصيغة المجهول ، ومذ بميم مضمومة وذال معجمة ، والدمغاء بدال مهملة مفتوحة ، وقاف وعين مهملة ، ثم مد بمعنَى الأرض وترابها ، كما هو مصرح به في كتب اللغة . والمعنَى أن الغمام انما أظلته لئلا يمس ظله الأرض ، فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنَى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وعرف مغزاه ، وفي قوله مذ أظلت إلى آخر البيت معنيان : أحدهما مذ مس ظله التراب ، والآخر مذ صارت الأرض كلها في حمايته لأنه ظل الله وفي معناه رباعية لي :

مَا جُرَّ لِظِلٍّ أَحْـمَـدَ أَذْيَالٌ ... فِي ٱلْأَرْضِ كَرَامَةً لِمَا قَدْ قَالُوا
هَذَا عَجَبٌ وَكَمْ بِهِ مِنْ عَجَبٍ ... وَٱلـنَّاسُ فِي ظِلِّهِ جَمِيعاً قَالُوا

(40) لم ترد هذه الترجمة في لك ، وم . وقد جاء في طرة ط . من وضع مصححها ما يلي : «ذكر في **خلاصة الأثر** أن مولد البوريني كان في قرية صفورية يوم الجمعة منتصف رمضان سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتوفي بعد الظهر يوم الأربعاء ثالث عشر جمادي الأولى سنة أربع وعشرين وألف ، أطال في ترجمته» .

وفي **التائية** المنسوبة للامام السبكي التي نظم فيها معجزات النبي ﷺ :

لَقَدْ نَزَّهَ ٱلرَّحْمَانُ ظِلَّكَ أَنْ يُرَى عَلَى ٱلْأَرْضِ مُلْقًى فَٱنْطَوَى لِمَزِيَّة
وَأَثَّرَ فِي ٱلْأَحْجَارِ مَشْيُكَ ثُمَّ لَمْ يُؤَثِّرْ بِرَمْلٍ حَلَّ بَطْحَاءَ مَكَّة

قال شارحها : قيل انه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الأرض لأنه نور روحاني .

مَـالِـظَـه رَأَى ٱلْـبَـرِيَّـةُ ظِلاً هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ لِلرُّوحِ ظِلٌّ

والنور لا ظل له ، وكذا الروحانيات كالملائكة لأنها أنوار مجردة . وقيل : ولذا أظهر الأمية لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه ، ولا يخفى ما فيه ، وقيل لم ير ظله لأن الغمام يظله ، وقيل انه تكريم له لئلا يقع ظله على الأرض فيوطأ محله . وقيل ان بعض اليهود كان يطأ ظل المسلمين إهانة لهم فصين لئلا يمتهن ، وقيل غير ذلك . وأما كون مقدمه ﷺ يؤثر في الحجر دون الرمل فكان في ذهابه لغار ثور مع أبي بكر رضي الله عنه يقول له : ضع قدمك موضع قدمي ، لأن الرمل لا ينم عليه لارادة الله تعالى إخفاء أثره عمن يطلبه من المشركين . وألان له الحجر اظهارا لأنه لا يستعصي عليه ، ولتكون فيه سمة ينجو بها من النار التي وقودها الناس والحجارة ودلالة على شدة قسوة قلوب الكفرة . انتهى كلام الشهاب بنصه .

درويـــش الطـالـوتـــي

ومنهم درويش الطالوتي . أطراه الشهاب جدا وأنشد فيه :

إِذَا أَعْـجَـبَـتْكَ خِصَـالُ ٱمْرِءٍ فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ
فَلَيْسَ عَلَى ٱلْمَجْدِ مِنْ حَاجِبٍ إِذَا جِـئْـتَـهُ زَائِـراً يَـحْـجُـبُـكْ

إلا أنه لمزه بأمر شنيع يوجب البعد منه . وما كان للشهاب أن يطريه حيث علم ذلك ، ولا حرج عليه .

ابن معروف الفلكي

ومنهم ابن معروف الملقب تقي الدين الفلكي المهندس له **رسائل في الفلك** وأوضاع في الهندسة .

محمـــد الحلبـــي

ومنهم الأديب العلامة محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن الحلبي . أطراه الشهاب وقال : له تصانيف جمة تزينت بها البلاد ، وأمست تمائم منوطة بأجياد الجياد ، وله أنظام حسنة فنها قوله :

كُنَّا سَمِعْنَا بِأَوْصافٍ لَكُمْ كَمُلَتْ فَسَرَّنَا مَا سَمِعْنَاهُ وَأَحْيَانَا
مِنْ قَبْلِ رُؤْيَتِكُمْ نِلْنَا مَحَبَّتَكُمْ وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

ومن حكمه : ان تلق العناصر إلى كريمة العناصر ، لا تجعل الدنيا للآخرة ضرة ، ومن ينكح أمة على حرة ، ما أخس الكلب العداء ، وان صعد إلى السماء والعداء ، الصحة رأس المال ، وربحها أحسن الأعمال ، تذكير المواعظ صابون ، لمن هم من دنس الأخلاق صابون ، إذا كان الندامات فالسؤال من أعظم الندامات .

خضـــر الموصلـي (41)

ومنهم خضر الموصلي شرح **شواهد الكشاف** ، قال الشهاب : وقد ملكته وطالعته فرأيت فيه ما يدل على سعة اطلاعه وطول باعه ، وهو تلميذ والدي ، وكان يسلك معه طريق الأدب .

عمـر العرضـــي (42)

ومنهم الشيخ عمر بن الوهاب العرضي . قال الشهاب : ومن أجل مؤلفاته **شرح الشفا** . ولنا عليه اعتراضات بيناها في شرحنا . وله نظم ونثر كقوله في **شرح الكافية** للجامي ، وله عليه حاشية جليلة :

(41) لم ترد هذه الترجمة في **ك وم** . وجاء في طرة **ط** . من وضع مصححها : «كانت وفاة الشيخ خضر الموصلي سنة 1007 ، وقد ترجم له في **الخلاصة**» .

(42) لم ترد هذه الترجمة في **ك وم** . وجاء في طرة **ط** . من وضع مصححها : «كان مولد العرضي يوم الجمعة منتصف جمادي الآخرة سنة 950 ، ووفاته يوم الثلاثاء منتصف شعبان سنة 1024 ذكره في **خلاصة الأثر** وأطال في ترجمته» .

لِلَّهِ دَرُّ إِمَامٍ طَالَمَا سَطَعَتْ أَنْوَارُ إِفْضَالِهِ مِنْ عِلْمِهِ ٱلسَّامِي
أَلْفَاظُهُ أَسْكَرَتْ أَسْمَاعَنَا طَرَباً كَأَنَّهَا ٱلْخَمْرُ تَسْقِي مِنْ صَفَا ٱلْجَامِي

ولشيخه محمد بن الحنبلي فيه أيضا :

لِكَافِيَةِ ٱلْإِعْرَابِ شَرْحٌ مُنَقَّحٌ
ذَلُولُ ٱلْمَعَانِي وَٱنْتِسَابٌ إِلَى ٱلْجَامِي
مَعَانِيهِ تُجْلَى حِينَ تُتْلَى كَأَنَّمَا
هِيَ ٱلْخَمْرُ تَبْدُو شَمْسُهَا مِنْ صَفَا ٱلْجَامِي

ولصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشري :

لِلَّهِ شَرْحٌ بِهِ شَرْحُ ٱلصُّدُورِ لَنَا كَأَنَّهُ ٱلدُّرُّ أَوْ أَزْهَارُ آكَامِ
قَدْ أَسْكَرَ ٱلسَّمْعَ إِذْ تُتْلَى عَجَائِبُهُ وَالسُّكْرُ لاَ غَرْوَ مَعْرُوفٌ مِنْ ٱلْجَامِ

انتهى كلام الشهاب .

محمد ابن النقيب الحلبي

ومنهم السيد محمد النقيب الشريف الهاشمي الحلبي . سيد عجنت طينته بماء الوحي والنبوة . وغرست نبعته في ساحل الفضل والفتوة . له مناقب هي الوشي حسنا وبهجة . نشرت إذ كانت ممسكة النشرة ، وغرائب رغائب من الكرم واضحة المحجة . أكرمني بجوده ونداه . ومدحته شكرا لما أولاه :

وكذا الهاشمي مثلك لا يمدح إلا بهاشـــمي الـــكلام

محب الدين الحموي

ومنهم القاضي محب الدين الحموي نزيل الشام . له **شرح على شواهد التفسير**. قال الشهاب : وقفت عليه لكنه لم يشبع فيه الكلام ، قال : ومن شعره قوله في الشام :

أَتَيْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهَا عَشِيَّةً فَغَنَّى لَنَا فِيهَا . ٱلْحَمَامُ وَحَيَّانَا
وَأَبْدَى لَنَا ثَغْرَ ٱلْأَقَاحِ تَبَسُّمَا وَأَحْسَنَ مَلْقَانَا وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا
وَمَا هِيَ إِلاَّ جَنَّةٌ قَدْ تَزَخْرَفَتْ أَلَمْ تَرَ فِيهَا ٱلْعَيْنُ حُوراً وَوِلْدَانَا

وَمِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي وَكُلُّهَا عُيُونٌ إِلَى ٱلرَّوْضَاتِ تُرْسِلُ غُدْرَاناً

اسماعيـــل الشنوانـــي

ومنهم علامة العصر في سائر الفنون. وسر الدهر الذي كان في ضميره عن النقص مصون. سيبويه عصره وشافعي زمانه، تحفة عطارد، وهدفه لكل ماجد، صاحب الحسب والنسب، الزاهد العابد. الذي لم يمض له طرفة عين في غير طلب الفوائد. أبو بكر اسماعيل بن أحمد الشنواني الوفائي نسبا[43]. بهذا وصفه ولد أخته وتلميذه الشهاب الخفاجي في **رحلته** قال: وتخرج والدي ثم لازم العلامة ابن قاسم والشمس الرملي ثم بعدهما انتهت إليه الرئاسة العلمية وصدر للافادة والتأليف والتصنيف وبه تخرجتُ وبعلمه وبركة دعائه انتفعت. ومن أعظم تآليفه شرحه **لأوضح ابن هشام** على **ألفية ابن مالك** في مجلدات. ولما سمع به سلطان المغرب في وقته أبو العباس المنصور الشريف أرسل إليه عطية جزيلة ورجا منه إرسال نسخة منه وصورة ما كتبه إليه: من عبد الله المجاهد في سبيله، الإمام المنصور بالله أمير المومنين الشريف الحسني، أمد الله بعزيز نصره أوامرهم، وظفر بنصره عساكرهم، إلى الفاضل الذي إذا نحا نحوا من العلوم رفع علمه توضيحا وحاز تأليفا، وهو المقدم ما تمحض من الخلاصة تنقيحا، وشرح ما خفي ابانة وتصريحا، المثيل النبيه المتقن المتفنن، لا يزال يعمر من درسه العلوم منصة، يعمل في ميدانها وحده ونصه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد حمدا لله الذي ألهم تثقيفا أود اللسان وفتق منه بالبيان رتقا، وصدق حكمة الاعراب على ألسنة الأعراب فامتد شأوها في مجال الابانة طلقا، وأجرَى جياد جياد معانيه المطردة فلم يتخلف لاحق عن متقدم سبقا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرصده سببا للسعادة سفيرا، وقص به قوادم الشرك فأصبح مهيضا كسيرا، وأعاض جمعه من السلامة تكسيرا، والرضَى عن آله وأسرته الغر الزهر الذين ينم شذا ذكرهم عبيرا، ويروق طراز مجدهم حبيرا، وعن أصحابه الأعلام الذين فضوا حلق الضلالة المسرودة وبقيت من عاصف بأسهم مبيدا مبيرا، وصلة الدعاء، لعلي هذا المقام الأحمدي المنصوري الحسني بنصر عزيز يقطف من الفتح زهرات كمائم،

(43) لم ترد ترجمته في لك. وم.

وسعد جديد لا يزال قرنا عزماته الماضية ما انقدح برق في سكة الغمائم ، فكتبناه لكم من حضرة مراكش حاطها الله وصنائع الله لهذا الجانب النبوي الكريم المولوي مطردة اطراد كعوب الدابل ، وأمداد عنايته المطبقة المحدقة بهذه الايالة العلية واكفة الغمام الوابل . هذا وانه قد اتصل بنا حسن مثابكم واسبالكم لعلي هذا المقام ، وأنكم ممن ارتشف مجاجة نسمته المسكية الختام ، واستوفَى الماضي عنايته البازغة الشارق ، وشام حماها الواكف غير خلب البارق ، ليقمص من عصبها الموشي أنيق الشارة ، وينشق في صرف من حل منها علوي داره[44] .

قلت وقد وقفت من مؤلفات صاحب الترجمة على **شرحه لمقدمة** الشيخ زكرياء على **البسملة** وعلى **حاشية على شرح الأزهري على الجرومية** ، وفيها دلالة واضحة على علو مقامه وتبحره في العلوم ، وهما متداولان بحضرة فاس وغيرها من أقطار المغرب . ولما ورد نعيه على ولد أخته الشهاب رثاه بقوله :

رَحِمَ ٱللَّهُ أَوْحَدَ ٱلدَّهْرِ مَنْ قَدْ ... كَانَ مِنْ حِلْيَةِ ٱلْفَضَائِلِ حَالِي
ذَاكَ مَنْ قُلْتُ سَلْوَةً إِذْ نَعَوْهُ ... لَيْسَ حَيٌّ عَلَى ٱلْمَنُونِ بِخَالِ

قال والمصراع الثاني شاهد لترخيم خالد كما ذكره النحاة . ولم أقف[45] على تعيين وفاة صاحب الترجمة الا أنه ذكر آخر **حاشية الصغرى على شرح الجرومية** أنه فرغ من تقييدها عام خمسة عشر وألف .

علاء الدين بن عبد الباقي

ومنهم علاء الدين بن عبد الباقي صاحب كتاب **الطراز المنقوش في محاسن الحبوس** قال الشهاب : رأيته فرأيت منه عذب بيان بديع في صورة أديب خليع ، ثم ذكر فيه سجعا بليغا . فانظره . لكن أظن هذا قبل هذه الطبقة .

---

(44) في حاشية **س** ، حيث لم تتم هذه الرسالة : بياض في الأصل المنتسخ منه .
(45) جاء في طرة **ط** . من وضع مصححها : «قوله : لم أقف الخ . كانت وفاته يوم الأحد ثالث ذي الحجة عام 1019 . نص عليه في **خلاصة الأثر**»

اسماعيــل الزبيــدي

ومنهم اسماعيل بن ابراهيم الزبيدي الشافعي العلوي[46] من ذرية اليمني شارح الكشاف. له **شرح على الجامع الصغير وشرح لقطة العجلان**.

عبد الله الدنوشري

ومنهم الشيخ النحوي الامام المحقق عبد الله الدنوشري[47]. له أبحاث[48] في النحو جيدة، وأنظام لنظائر. ينقل عنه ذلك كثيرا الشيخ ياسين الحمصي **في حاشيته على تصريح الأزهري**، وقد ذكره شهاب الدين الخفاجي في **رحلته** من أهل بيوت العلم بالقاهرة ونصه: جامع التقرير والتحرير، والراقي إلى ربوة المجد الخطير، تآليفه عقائل أصبح الدهر من جملة خطابها، واشاراته تتشوق الأسماع إلى فواكه آدابها، طالما جلاها علي وأهدى باكورتها إلي، إلا أنه كان يعد الشعر سهلا، ويمزج بالجد منه هزلا، فهو في سنا الفضائل تحسد النجوم سناه، وأنى لها أن تشابه علو مجده وعلياه. قال: وكان بيني وبينه مودة وصداقة، وعلاقة محبة حقيقية لا تحتاج لعلاقة، كثيرا ما يجاملني بالمطايبة، ويتحفني بالمكاتبة، وهو جوهر نفيس في خزائن القفول، وهو مكتوم مستتر في ضمائر الخمول، ويعرض علي تآليف له مفيدة، ويفيدني من أشعاره ما عنه القرائح بعيدة، كقوله:

أَرَى فِي مِصْرَ أَقْوَاماً لِئَاماً ... وَهُمْ مَا بَيْنَ ذِي جَهْلٍ وَنَذْلِ
شَجَاعَتُهُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ... وَعَيْشُهُمْ بِجُبْنٍ وَهْوَ مَقْلِي

وله في موسى قاضي مصر:

لَقَدْ كَانَ فِي مِصْرَ الْأَمِينَةِ حَاكِمٌ ... يُسَمَّى بِفِرْعَوْنَ وَكَانَ لَنَا مُوسَى
وَفِي عَصْرِنَا هَذَا لِقِلَّةِ قِسْمِنَا ... لَنَا أَلْفُ فِرْعَوْنَ وَلَيْسَ لَنَا مُوسَى

---

(46) لم ترد ترجمته في **لك وم**. وجاء في طرة **ط**. من وضع مصححها: «مولد الشيخ اسماعيل سنة 1004. قال في **الخلاصة**».

(47) لم ترد ترجمته في **لك وم**.

(48) في طرة **ط**. من وضع مصححها: «قوله: له أبحاث... بل له **حواش على شرح التوضيح** للأزهري وله رسائل وتعليقات وعدة تآليف. وكانت وفاته بمصر يوم الأحد غرة ربيع الأول سنة خمس وعشرين وألف كما في **خلاصة الأثر**».

ثم قال : وعلى ذكر فرعون فقد ورد في مناجاة موسَى أنه قال : يا رب لم أمهلت فرعون وهو كفر بك ؟ فقال : انه كان سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه على ذلك . قال الشهاب : فقلت أنا :

فِي مِصْرَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ ٱعْتَدَى حَكَمَ فِينَا بِخِلَافِ ٱلصَّوَابِ
إِنْ كَانَ فِرْعَوْنَ فَمَا بَالُهُ لَمْ يَحْكِهِ إِذْ كَانَ سَهْلَ ٱلْحِجَابِ

قال ولصاحب الترجمة شعر كثير .

داود الأنطاكي

ومنهم الطبيب الماهر العالم العلامة الشيخ داود الأنطاكي[49] مؤلف كتاب **التذكرة** وكتاب **النزهة** ، كلاهما في الطب . وهما دالان على مهارة علمه . لكنه أودعها غثا وسمينا لا سيا **التذكرة** . **والنزهة** أكثر تحريرا ، وأسلم ايرادا من التذكرة . أدرك صدر المائة الحادية . وفي الباب الثاني من التذكرة أنه بلغ لذلك المحل في تأليفها مفتتح ربيع الآخر سنة ست وسبعين بموحدة وتسعمائة بتقديم مثناه . ومات عن سن عالية . وتقدمت حكايته الغريبة مع الشيخ عبد العزيز المكي المؤذن بها في ترجمته عام اثنين وسبعين ، فلتراجع ولابد .

وقال الشيخ شهاب الدين الأفندي شارح **الشفا** لما عرف به في **رحلته** ما نصه : داود الحكيم ضرير ، وبالفضل بصير ، كان ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير ، لم ترد العين بل لم تسمع الأذان . ولم تحدث بأعجب مسائله الركبان ، إذا جس نبضا لتشخيص مرض عرض ، أظهر من اعراض جواهر كل غرض ، فيفتن الأسماع والأبصار ، ويطرب بجس النبض ما لا يطربه جس الأوتار .

يَكَادُ مِنْ رِقَّةِ أَفْكَارِهِ يَجُولُ بَيْنَ ٱلدَّمِ وَٱللَّحْمِ
لَوْ غَضِبَتْ رُوحٌ عَلَى جِسْمِهَا أَلَّفَ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجِسْمِ

سبحان من أطفأ بصره ، وجعل صدره مشكاة نور ، **فانها لا تعمَى الأبصار**

(49) لم ترد ترجمته في **لك وم** . وقد جاء في طرة **س** : «توفي حسبما في **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** عام ثمانية وألف ، وعقد له ترجمة جميلة حتَّى قال : وبالجملة فانه من نوادر الزمان وأعاجيب الدوران» وزاد في طرة مماثلة في **ط** : «والناس مختلفون في أمره فمنهم المنزه ومنهم غيره» .

ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وله في كل علم سهم مصيب ، ومنطق محلى بتهذيب التهذيب ، وكنت قرأت عليه الطب وغيره في سن الصغر ، فسمعت منه ما يغار له نسيم السحر ، ويطرب من لطفه نغمات الوتر ، ينثر فيه نثار العلوم ، على عرائس المنثور والمنظوم ، وكان يقول : لو رآني ابن سينا لوقف ببابي ، وابن دانيال لاكتحل بتراب عتابي . إلا أنه على مذهب الحكما ومشرب الندما . ولذا كثر كلام الناس في اعتقاده . ونقل خبر رشح قطرات من خفي إلحاده . ثم لما كثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق ، فطافت به المنية من كل فج عميق ، فقضى نحبه ، ولقي ربه . ومما سمعته من شعره :

مِنْ طُولِ إِبْعَادٍ وَدَهْرٍ جَائِرٍ وَمَسِيسِ حَاجَاتٍ وَقِلَّةِ مُنْصِفِ
وَمَغِيبِ إِلْفٍ لاَ اعْتِيَاضَ لِغَيْرِهِ شَطَّ ٱلزَّمَانُ بِهِ فَلَيْسَ بِمُسْعِفِ
أَوَّاهُ لَوْ حَلَّتْ لِيَ ٱلصَّهْبَاءُ كَيْ انْسَى فَأَذْهَلَ عَنْ غَرَامٍ مُتْلِفِ

وله تآليف منها **شرح قصيدة ابن سيناء في الروح** . **والتذكرة الكبرَى والصغرى في الطب** ، وغير ذلك ، انتهَى كلام الشهاب بنصه . فعلى هذا ان صاحب الترجمة توفي بمكة . ولمتعاطي الطب في مغربنا رغبة في كتابيه : **التذكرة والنزهة** المذكورين . وله أيضا كتاب **طبقات الحكماء** ، وأشار إليها في **التذكرة** . وتقدم قول الشيخ عبد العزيز المكي فيه أنه رجل فيلسوفي . ورأيت في **تذكرته** مسائل جديرة بالإنكار منها ما أطنب به في الخمر ، وأنت ترَى كلام الشهاب مصرح بأنه من الملحدة نعوذ بالله منه .

محمد بن عبد المعطي الإسحاقي

ومنهم الفقيه الأديب المؤرخ الشيخ محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني بن علي الاسحاقي الشافعي المدعو بابن اسحاق ومؤلف كتاب **لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول** . كان حيا عام سبعة وعشرين وألف . صرح بما يقتضي ذلك في كتابه المذكور ، وهو كتاب جامع لفوائد وغرائب وقد استوفَى فيه دولة آل عثمان ملوك اصطنبول والمشرق رحمه الله آمين .

قاسم بن محمد الغساني الوزير

ومنهم الطبيب الماهر الأديب قاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني المعروف بالوزير[٥٠] . قال الرشاطي والغساني في الأزد : قال ابن هشام : نسبوا إلى ماء بسد مأرب كان شربا لولد مازن من الأزد . فسموا به . ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه فسموا به . قبائل من ولد عدنان من الأزد . فإلى مازن جماع غسان . فمن نزل من بنيه ذلك الماء فهو غساني . انتهى .

ثم نقل عن ابن اسحاق أنه كان يقال لغسان أرباب الملوك ولحمير أرباب العرب . ولهم ملوك معروفة ذكرها الرشاطي جملة وسماهم . فانظره ولصاحب الترجمة قدم في البلاغة ومهارة في الطب . وكان أطباء السلطان أحمد المنصور الشريف الملقب بالذهبي من ملوك مراكش في المغرب واحدى خاصته . ألف كتبا في الطب منها **شرح نظم ابن غزوان في الحميات** ، ومنها **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار** ، **واختصره في جزء صغير** قال فيه عند تمامه : ألف برسم خزانة مولانا السلطان المظفر المعان أبي العباس المنصور بن مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسني . ثم قال ورخ تمامه بيوم السبت السابع عشر من ربيع النبوي عام أربعة وتسعين وتسعمائة . ورهط الترجمة موجودون الآن بفاس .

أبو بكر التطافي

ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة أبو بكر بن الحسن التطافي . بهذا وصفه الشيخ اليوسي في فهرسته ، وقال : كان مشاركا في فنون العلم مع ديانة وحسن سياسة ، ونشأته على الزهد والدين ، وكانت حالته حالة الأقوياء في الدين والكملاء الزاهدين .

يحيى الشاوي

ومنهم الشيخ العالم الشهير أبو زكرياء يحيى الشاوي[٥١] صاحب **الحواشي على**

(50) لم ترد ترجمته في **لك وم** . وفي طرة **ط** : من وضع مصححها : «كان مولد سيدي قاسم الوزير قرب الستين وتسعمائة كما في درة الحجال ولم أقف على تاريخ وفاته» .

(51) لم ترد ترجمته في **ك وم** . وفي طرة **ط** . من وضع مصححها : «سيدي يحيى الشاوي

الصغرى ، ومدرس الأزهر . وكان له صيت عند المغاربة . وتوصل بأرباب الدولة إلى ولاية قضاء المالكية ثم ولي إمارة الحاج المغربي ، وحج بالركب مرتين . وانتشرت القالة فيه ، وكثر مادحوه ، وأكثر منهم ذاموه . وكان من أذكياء الطلبة النجباء ، له معرفة حسنة في علم النحو ، ومشاركة في غيره ، مواظب على العلم والتعليم ، إلا أن الرياسة إذا سكنت قلب إنسان لا يقتصر عن ذهاب رأسه . قال جميع ذلك أبو سالم في **رحلته** . ولم أقف على تعيين زمن وفاته . وفي بعض التقاييد أنه ورد الخبر بوفاته ثاني عشر ذي القعدة عام سبعة بموحدة وتسعين بتقديم مثناة وألف .

عبد الله بن طمطم

ومنهم الولي الصالح سيدي عبد الله بن طمطم . من أهل الخير والدين . يطعم الواردين عليه في بلاد كاد أن يكون الطعام فيها دواء . قال : ومما تواتر به الإخبار عن الشيخ : كان لا يترك أحدا من أعراب ذلك البلد يأكل طعامه ، فان لم يشعر به حتّى جلس بين الناس أقامه ويقول : هؤلاء اللصوص لا أتركهم يأكلون طعامي يستعينون به على ظلم المسلمين ، ومع ذلك لا يقدر أحد منهم مع عتوهم واستكبارهم على إذايته . وأخبر بعض من زاره في أناس أنه لما وادعهم قرأ لهم فاتحة وبالغ في رفع يديه ، فلما فرغ منها قال له رجل : يا سيدي اقرأ لي فاتحة فانتهره وقال له : أما علمت أن الفاتحة قرئت وانها السبع المثاني والقرآن العظيم ، فهلا نويت حاجتك عند شروعنا في قراءة الفاتحة ، فان فاتحة واحدة تكفي أهل السماوات والأرض ، أو كلاما هذا معناه . ولقد صدق رضي الله عنه ، وذلك مما يدل أن له حالا مع الله . انتهَى ما نقله أبو سالم . قال : فما أقرأها بعد ذلك لنفسي أو لمن طلب مني إلا أني نويت مطالبي كلها .

= كان مولده بمليانة من أرض الجزائر ، له **شرح على أم البراهين** وشرح على **التسهيل** وحاشية على **المرادي** وتأليف في **أصول النحو ولامية في اعراب كلمة الاخلاص وشرحها** ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء عشرين ربيع الأول سنة 1096 في سفينة بالبحر في توجهه للحج . ودفن بشاطئ البحر ، ثم نقل إلى مصر ، وترجمته واسعة في **الخلاصة**» .

علي بن محمد الدادسي

ومنهم الموقت الحيسوبي المعدل علي بن محمد بن أبي القاسم بن ابراهيم بن علي بن محمد الدادسي مؤلف النظم المسمَى **باليواقيت لمبتغي معرفة المواقيت** . **وشرحه** وهو مفيد في بابه جدا . وفرغ من نظمه عام ثمانية وخمسين وألف .

عبد الله بن ناصر

ومنهم الشيخ الولي الجليل أبو محمد عبد الله بن ناصر دفين رحيبت القنديل من طالعة فاس . من أصحاب سيدي أحمد الشاوي نفعنا الله به . ممن تعتريه الأحوال واستغرقته متابعة السنة . وكان يحسن لباسه . وربما تكلم كلاما لا يفهم إذا أشرق فيه حال . وربما أقلقه الحال فسقط فقام من حينه لا يضره شيء . وكان من أهل الكرامات وخوارق العادات . في التأليف المنسوب لابن عيشون التنويه به أكثر من هذه .

* * * *

وهذا آخر السفر الأول من نشر المثاني يتلوه ان شاء الله أول المائة الثانية عشرة من القرن الثاني نسأل الله تعالى أن يجمع بيننا وبين رسول الله ﷺ يوم يحل على السعداء سابغ رضوانه ، ويكرمنا في الدارين بكامل نعيمه ، وفضله واحسانه . ويجمع شملنا مع أهل قربه . في حضرة جناحه ويجعل ذكر هؤلاء السادات لنا رحمة وكل ما تعرضنا إليه علينا نعمة . ولا يواخذنا بما تعدينا . ويغفر لنا كل ما جنينا انه ولي الجود . ولوالدينا وجميع المساكين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل[52] .

---

(52) ورد هذا الاختتام في س وط . أما في لك وم . حيث تنتهي تراجم المائة الحادية عشر بترجمة رقية السبعية فقد وردت كما يلي : «وهذا آخر ما قصدنا الكلام عليه من أهل هذه المائة الحادية عشر بما جرى بانجازه سابق القدر . جعله الله من العمل المتقبل . وسامحنا بما فيه من الزلل . وكل من لم أطل في ترجمته فهو مقصور لا تقصير . والله تعالى هو العالم بما تكنه الصدور والخبير . ونطلبه سبحانه أن يسامحنا بما اجتنيناه . ويعفو عنا في كل ما اجتريناه . ويشفع فينا هؤلاء السادات انه أهل الحسنَى والزيادات» .

الفهـارس

فهرس أعلام الأشخاص المترجمين
في الجزء الثاني
– حسب الترتيب الأبجدي –

ا

آمنة السائح 158
ابراهيم بن شمس الدين محمد الميموني 376
ابراهيم بن شهاب الدين المرواني. 391
إبراهيم بن عبد القادر الزرهوني . 184
إبراهيم بن محمد الميموني 187
ابراهيم القصري 107
ابن معروف الفلكي 396
أبو بكر التطافي 404
أبو بكر السكتاني 66
أبو تركية 376
أبو الحسن النفاتي السوسي التونسي 373
أبو سلهام بن قدّار 119
أبو شامة محمد 25
[أبو الشتاء دفين فشتالة] 58
أبو الطيب نصير البكري 50
أبو عزة بن زيان 157
أبو العباس الهداجي 105
أبو عبد الله أدراق 106
أبو عبد الله الشريف التلمساني . 11
أبو عَمرّ بن محمد بن أبي بكر الدلائي 98
أبو القاسم بن محمد الدكالي 338
أبو القاسم الجباري 49
أبو القاسم الغول الفشتالي........ 49
أبو مدين بن عبد القادر الفاسي 249
أحمد بن ابراهيم الدرعي 21
أحمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي........................ 307
أحمد بن أحمد بن محمد الحاج الدلائي 282
أحمد بن حمٌّ 148
أحمد بن حمٌّ أدرخيسي 289
أحمد بن حمدان التلمساني الدلائي 301
أحمد بن خضراء المكناسي 147
أحمد بن سعيد المجلدي......... 306
أحمد بن عبد الرحمان المرابط... 179
أحمد بن عبد الرحمان الملاحفي.. 122
أحمد بن عبد الرحيم 374
أحمد بن عبد الصادق السجلماسي 77
أحمد بن عبد العزيز الفلالي.... 222
أحمد بن علي باقشير اليمني 146
أحمد بن علي بن يوسف الفاسي 58
أحمد بن علي السلاسي 74

أحمد بن علي الفيشي 394
أحمد بن عمر السلوي.......... 322
أحمد بن عمرو الشريف........ 77
أحمد بن عيسَى آدم 309
أحمد بن عيسَى اليربوعي 139
أحمد بن قاسم بن رحمون العلمي 49
أحمد بن محرز................. 331
أحمد بن محمد بن بكار....... 40
أحمد بن محمد بوجيب......... 139
أحمد بن محمد البناء الدمياطي . 392
أحمد بن محمد التجموعتي 184
أحمد بن محمد الزموري 38
أحمد بن محمد الزياني.......... 304
أحمد بن محمد المحمودي 300
أحمد بن محمد المريني 218
أحمد بن موسَى البطيوي 168
أحمد بن يحيَى البادسي أبو كموسة 356
أحمد البري 389
أحمد الحاج العجالي 292
أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي 365
أحمد الساوري 64
أحمد السايح..................... 157
أحمد السفاري 41
أحمد الصادق بن أويس 265
أحمد القلصادي 67
ادريس بن محمد الطاهري الجوطي 190
اسحاق بن محمد جعمان......... 152
اسماعيل الزبيدي 401
اسماعيل الشنواني 399

ب

بدر الدين محمد بن محمد القادري 92
بدر الدين الهندي 385

ت

تاج الدين المالكي............... 106
التامكروتي شارح خليل 11

ج

جمال الدين النقشبندي........... 147
جمال الدين الهندي 151

ح

حسن البري 388
الحسن بن ابراهيم السفياني 337
الحسن بن محمد ابن ريسون.... 30
حسن بن محمد البوريني......... 395
الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي 279
حمدون الأبار.................... 109
حمدون بن محمد المزوار 205
حمدون البهلول 35
حمدون المكلاتي 32
[حمزة بن عبد المطلب] 44

خ

خضر الموصلي.................... 397
خير الدين الخياري 36
خير الدين الرملي 368

د

داود الأنطاكي 402
دفع الله بن محمد العراكي 265
درويش الطالوتي................. 396

ر

رقية بنت ابن عبد الله......... 220
رقية السبعية 394

ز

زين العابدين بن محيي الدين الطبري 170

س

سعيد السوسي 249
سعيد قدّورة 82
السلطان الرشيد العلوي 192
السلطان زيد بن محسن 380
السلطان محمد بن الشريف 145
سلطان المصري 145
سليمان بن عبد القادر الزرهوني .. 337

ش

الشريف بن علي الحسني السجلماسي 88
شعبان بن مساهل الطرابلسي 371
شهاب الدين أحمد بن التاج ... 385
شهاب الدين الخفاجي 90
[الشيخ عبد القادر الجيلالي] ... 94

ص

الصغير بن القاضي 247
الصغير بن النيّار 34
صفي الدين عبد النبي القشاشي .. 112

ط

الطيب بن المسناوي الدلائي 161
الطيب الميسوري 11

ع

عائشة بنت شقرون الفخّار 38
عائشة بنت محمد بن عبد الله معن 105
عائشة العدوية 184
عبد الباقي الزرقاني 355
عبد الجواد الطريني 133
عبد الخالق الدلائي 43
عبد الرؤوف المنوي 393
عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن القاضي 194
عبد الرحمان بن أحمد المكناسي . 389
عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي 325
عبد الرحمان بن محمد الصدراتي . 250
[عبد الرحمان بن ملْجم] 46
عبد الرحمان بن يوسف........ 248
عبد الرحمان الدراوي 49
عبد الرحمان الزنفي 75
عبد السلام بن إبراهيم اللقاني... 170
عبد السلام بن أبي حامد العربي الفاسي 314
عبد السلام بن الشاذلي الدلائي . 264
عبد السلام ابن ناصر........... 33
عبد العزيز بن أحمد الجزولي ... 174
عبد العزيز بن الحسن الزياتي ... 30
عبد العزيز بن عبد الرحمان الفلافي 330
عبد العزيز بن علي بن يوسف الفاسي 236
عبد العزيز الزمراني 119
عبد العزيز الزمزمي المكي 122
عبد القادر بن عبد الله الشبيه الجوطي 341
عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي 270
عبد القادر الطلّيط 168
عبد القادر المنقوشي 127
عبد الكريم الفكون القسنطيني ... 130
[عبد الله باقشير اليمني] 147
عبد الله بن ابراهيم القليز........ 304
عبد الله بن ابراهيم اليملحي 233
عبد الله بن طمطم 405
عبد الله بن عبد الجليل البرناوي 224
عبد الله بن المجاهد العياشي..... 133

عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي 254
عبد الله محمد ناصر الدرعي 282
عبد الله بن موسَى المطرفي 187
عبد الله بن ناصر............... 306
عبد الله بن نُمي 389
عبد الله الدنوشري 405
عبد المالك بن محمد العمري ... 392
عبد المالك الدراوي........... 250
عبد المومن بن محمد........... 8
عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني.............. 32
عبد الواحد بن إدريس الطاهري الجوطي 185
عبد الواحد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي........................ 308
عبد الواحد بن محمد الياصلوتي . 156
عبد الوهاب بن العربي الفاسي.. 172
عبد الوهاب الوزير الغساني...... 118
عثمان بن علي اليوسي 206
العربي بن أحمد الدرعاوي...... 391
العربي بن أحمد الفشتالي....... 297
العربي بن عبد العزيز الفلالي.... 222
العربي السقاط 301
علاء الدين بن عبد الباقي...... 400
علي الاجهوري 80
علي بن ادريس الجوطي 128
علي بن سعيد اللملوشي 309
علي بن سلطان بن محمد الهروي 359
علي بن عبد الرحمن الدراوي .. 290
علي بن عبد الوارث........... 264
علي بن عزازة 375
علي بن عيسَى الحلبي 25
علي بن محمد الدادسي......... 406
علي بن محمد المريني الشريف .. 27
علي الجاري 264
علي الدبيع 153
علي الزرهوني 121
علي الصوفي المصري 379
علي الغماري 29
علي الفاسي...................... 293
علي الفشتالي.................... 52
علي الكغاد...................... 7
علي المراكشي.................... 264
[عمران بن حطان] 47
عمر بن عبد القادر المشرفي..... 140
عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي 70
عمر فكرون 365
عمر العرضي..................... 397
عنتر الخلطي 303
عيسَى بن علي الشريف......... 249
عيسَى بن محمد الثعالبي......... 185
عيسَى السكتاني 59

ف

فارس السناني 266
فاطمة بنت أحمد حمدون الشقوري 359
فتح الله حفيد ابن مشيش...... 376

ق

قاسم بن الحاج قاسم الخصاصي . 199
قاسم بن محمد الغساني الوزير... 404
قاسم السفياني ابن اللوشي 161

ك

كروم بن الحاج الشيباني......... 174

م

محب الدين الحموي............. 398

محمد ادرّاق 253
محمد باعلوي الحضرمي 115
محمد بن أبي بكر أعياش....... 83
محمد بن أبي القاسم ابن سودة. 150
محمد بن أحمد بن ابراهيم الدكالي 85
محمد بن أحمد بن عزرون 42
محمد بن أحمد ابن مساهل 135
محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي 205
محمد بن أحمد الشماخ السلوي . 42
محمد بن أحمد الصباغ 156
محمد بن أحمد ميارة........... 120
محمد بن إسماعيل المسناوي 69
محمد بن سعيد السوسي المرغثي.. 241
محمد بن سعيد قدورة 335
محمد بن سليمان الروداني 314
محمد بن عبد الرحمان الحمي.... 367
محمد بن عبد الرحمان الحناوي .. 187
محمد بن عبد الرحمان سقين..... 29
محمد بن عبد الرحمان العوفي 87
محمد بن عبد الرحمان القصري الزامر 156
محمد بن عبد الكريم التواتي 370
محمد بن عبد الله 64
محمد بن عبد الله البكري 248
محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر 246
محمد بن عبد الله السوسي...... 176
محمد بن عبد الله معن......... 55
محمد بن عبد المعطي الاسحاقي . 403
محمد بن فاضل الأندلسي....... 264
محمد بن قاسم الغول 248
محمد بن علاء الدين البابلي 155
محمد بن علي بن عبد الله بن طاهر
السجلماسي..................... 369
محمد بن علي البقال........... 303
محمد بن علي البكري.......... 137
محمد بن علي الفلالي 233
محمد بن علي المعروف بمقدم التربية 116
محمد بن مبارك المغراوي 300
محمد بن محمد الأوكرتي......... 370
محمد بن محمد بن سودة 40
محمد بن محمد بن عبد الجبار
العياشي 290
محمد بن محمد بن عبد الرحمان
الدلائي 223
محمد بن محمد بن عطية السلوي 24
محمد بن محمد بن علي الشامي
أعلوج 250
محمد بن محمد البوعناني 335
محمد بن محمد التجموعتي....... 222
محمد بن محمد الخديم الدلائي .. 128
محمد بن محمد الدرعي 211
محمد بن محمد السبع 336
محمد بن محمد الطرابلسي 355
محمد بن محمد عاصم الأندلسي. 253
محمد بن مسعود بن زيان 101
محمد بن ناصر الدرعي (الوالد). 20
محمد بن النقيب الحلبي 398
محمد البكري الصديقي 253
محمد الحاج الدلائي 196
محمد الحلبي 397
محمد الدادسي الواوزغيتي 60
محمد الرابح 184
محمد الزجالي 127
محمد السايح 157
محمد السنون السلاسي 33
محمد الشاطبي 180
محمد الشرقي بن أبي بكر الدلائي 361
محمد الشريف البوعناني......... 65
محمد الصالحي 394

محمد العربي بن أحمد بن علي بن
أبي المحاسن الفاسي 329
محمد العربي بن محمد بن محمد بن
أبي عنان......................... 247
محمد العربي بن يوسف الفاسي.. 10
محمد العياشي المجاهد السلوي.... 7
محمد الفيشي المصري 25
محمد القنطري القصري 64
محمد الموذن 134
محمد الموذن التطواني 67
محمد المجول القصري 50
محمد المدعو الصغير العافية الأندلسي 142
محمد المرابط الدلائي............ 236
محمد المسناوي بن محمد الدلائي. 43
محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي 301
محمد المكني الطرابلسي......... 35 و59
محمد المنقوشي 124
محمد الهشتوكي.................. 338
محمد الوالي...................... 367
مسعود بن عبد الله الدراوي 51
مسعود الغرّديس 40
معلي بن عبد الواحد الأنصاري. 29
منصور أبو حفرة 329
المهدي الليربي 250
موسَى العجان 180
مولاي أحمد بن ادريس العمراني 249
[مولاي علي الشريف] 89
ميمونة بنت عمر التمكروتية...... 8

ن

نافع العجمي 389
نور الدين الشبراملسي........... 219

هـ

[هند بنت عتبة]............... 45

و

[وحشي بن حرب الحبشي] 46

ي

ياسين بن محمد غريس الدين الخليلي 382
يحَيى الجزولي.................... 157
يحَيى الشاوي.................... 366
و404
يوسف بن حجازي............... 50
يوسف بن محمد العربي الفاسي.. 249
يوسف الهاشمي الخليلي الجنيدي.. 391

فهـرس الحوادث والاستطرادات الواردة

في الجزء الثاني

— حسب تسلسل ذكرها في الكتاب —

صفحة

نزول صواعق، وسيل عظيم بفاس........................ 9
نزول الرئيس محمد الحاج الدلائي على فاس ومبايعته فيها.......... 9
قتل السلطان أحمد بن زيدان بمراكش...................... 9
مقامة العربي الفاسي في الاغتراب بالبادية والرحيل إلى الدلاء.. 13 — 17
عاصفة سببت هدما وموتا كثيرا بفاس...................... 26
خروج الأمير عمر الدلائي لغزو بلاد الفحص والهبط............ 26
قتال عظيم بوادي الطين بين أهل الدلاء وابن المجاهد العياشي....... 27
أسر حجاج في البحر ثم سراحهم......................... 28
تولية الدلائي أحمد الزموري ومحمد بن سودة القضاء والفتيا بفاس.. 28
هياج سعال وزكام تبعه طاعون........................... 29
نداء محمد الحاج الدلائي بالجهاد........................ 31
طاعون في الربيع والخريف............................. 31
ندب محمد الحاج الدلائي الناس للجهاد في المعمورة............ 41
وباء مفرط في بسكرة عام 1060.......................... 51
قيام شر كثير بين أهل فاس البالي وفاس الجديد................ 51
قتال بين محمد بن الشريف أمير سجلماسة والدلائيين على أبواب فاس. 51

تجدد الشر بين فاس البالي والجديد .... 52 و 53
قتال في وادي الشراط بين العرب والبربر........................ 53
تمام بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج الدلائي 53
إخراج علي بن إدريس الجوطي من الحرم الإدريسي 54
استبدال الدلائيين السكة وضربها بفاس الإدريسية........................ 54
زلزلة صبحاً وأخرى عصراً 54
خروج فقهاء فاس الى الدلاء لطلب كف الحياينة عن النهب........................ 64
مجاعة كبيرة وطاعون جارف بفاس عام 1063........................ 67
مقدار الوسق بفاس في القرن 11 وفي القرن 12 68
زلزلة بفـاس 68
خروج الخضر غيلان بفحص الهبط........................ 68
تغيير العملة........................ 68
موت أمير فاس أحمد الدلائي 73
حركة أهل فاس لبني زروال........................ 76
موت العباس آخر الملوك السعديين........................ 76
توقف رواج الفلوس بفاس........................ 82
تجديد ضريح علي الصنهاجي 82
صنع الفلوس الاشقوبية المربعة ورواجها........................ 86
فتن بتازا 86
تجديد ضريح مسعود الدراوي بفاس 86
وصف الدراهم الاشقوبية الجديدة........................ 87
نزول ثلج كثير بفاس ونواحيها عام 1068........................ 87
محاصرة الأمير محمد بن الشريف السجلماسي الأتراك بتلمسان........................ 87
القادريون بالمشرق والمغرب .... 94 ــ 98
خروج أهل فاس لقتال بني زروال ورجوعهم مهزومين........................ 101
التحاق قائد من فاس بالخضر غيلان 101
تنكر قائدي فاس للأمير الدلائي 101
ظهور السلطان الرشيد بن الشريف .... 102 ــ 104
كسوف الشمس عام 1070........................ 107

موت الأمير محمد الدلائي بفاس 108
ثورة الخضر غيلان وزحف محمد الحاج الدلائي للغرب 108
مصاهرة بين الرؤساء المستبدين بفاس 108
احتراق ضريح ابن عباد وتجديد الدلائيين له 108
بداية انهزام الدلائيين 108
الرضي عند الصوفية ، هل هو من الأحوال أو المقامات ؟......... 110
نزول ثلج وحوت صغير بفاس عام 1071 119
حصار عبد الله الدلائي لفاس............................ 129
غلاء الأسعار بفـاس................................... 129
قتل أربعة من أولاد ابن منصور بفاس..................... 129
كسوف الشمس عام 1072.............................. 129
حركة محمد بن الشريف الحسني للحياينة.................... 134
ازدياد الغلاء وتفشي الوباء............................ 134
زلزلة بفاس 134
تحركات محمد الحاج الدلائي ، وثورات أهل فاس القديم والجديد . 143
زلزلتان هدمتا كثيراً من دور فاس عام 1074 144
ضعط المجاهدين على البرتغاليين في طنجة ، وتدخل الانجليز 144
تفاصيل عن نشأة الدولة العلوية 148
زلزلة وعاصفة بفاس عام 1075........................... 149
عام خمس أواقي (= 1076) 157
دخول المولى الرشيد الى فاس الجديد والقديم .... 158 ـ 160
زلزلة بفاس عام 1076.............................. 160
بيعة المولى الرشيد بفاس واستيلاؤه على أقاليم المغرب........ 168 ـ 169
محمد بن أحمد الفاسي يتولى الفتوى بفاس.................... 175
خروج مولاي رشيد لحركة الزاوية الدلائية.................... 175
أخذ الزاوية الدلائية من طرف المولى الرشيد ، واستيلاؤه على مراكش 180
إخراج مولاي محمد الثائر من تافيلالت ، وخروج السلطان إلى الخضر
غيلان 181

عزل وتوليات بفاس ، وتمهيد الشاوية 182
إخراج الدلائيين من فاس ثم إرجاعهم 182
إخضاع آيت عياش ، وتبديل السكة 182
سلف للتجار وبناء قنطرة سبو........................ 183 ــ 188
خروج المولى الرشيد لحركة الأبيض 188
مرض السلطان وتسريح المساجين........................ 188
عرس المولى اسماعيل........................ 189
بناء قنطرة الرصيف........................ 189
خروج المولى الرشيد الى حركة سوس........................ 190
قتال هشتوكة وأهل الساحل . وأخذ إيليغ........................ 191
قتل أولاد جامع بفاس 191
خروج سكة الفلوس المدورة........................ 191
بناء مدرسة الشراطين ، وقصة عرصة ابن صالح........................ 191
بعث خيل للجهاد بطنجة وخيل إلى سوس........................ 197
قيام ابن أخي السلطان بمراكش وحبسه........................ 197
التأهب لحركة سوس وإقبال أهلها طائعين........................ 197
وفاة المولى الرشيد وانعقاد البيعة لأخيه 197
توجيه الجيش إلى الأقطار لأخذ البيعة 200
خروج السلطان لمراكش وهزم أهلها 201
عزم السلطان المولى اسماعيل على الحركة للصحراء........................ 201
قيام أهل فاس على السلطان واتصالهم بالثائر ابن محرز 201
خروج المولى إسماعيل لقتال ابن محرز بتازا........................ 202
دخول ابن محرز لفاس والخطبة له بها........................ 202
ارتفاع الأسعار........................ 203
حكاية عن صدق أخبار الكشف........................ 203
انقطاع ماء القرويين ــ وقتل غيلان........................ 209
دخول مولاي اسماعيل إلى فاس وإذعان أهلها........................ 209
عزل البوعناني من خطبة القرويين 210

استخلاف المغراوي وتقييد التلمساني على فاس.................. 210
حرائق بأسواق فاس ، وقتل ثوارها 216
وقوع فتنة بتلمسان وكيف نجا منها أبناء الدلائي................ 217
وقوع اللطمة بين مولاي اسماعيل وابن أخيه 218
مقتلة على مراكش بين السلطان وابن أخيه...................... 221
دخول السلطان إلى مراكش ومصالحة أهلها........................ 229
اجتماع بربر ملوية على أحمد الدلائي وتطاحنهم مع السلطان 229
إشخاص قاضي مراكش إلى فاس.................................. 230
هزم السلطان أنصار الدلائي ، وهزم الحران......................... 230
شكوى أهل فاس من شدة الوظائف.............................. 230
ثورة مولاي حماد بتوات....................................... 231
قتل مساجين بتطوان... 231
القبض على الحران والعفو عنه.................................. 231
ثورات ، وغلاء أسعار ، ووقوع زلازل عام 1088 232
ظهور الطاعون بالمغرب عام 1089................................ 250
تولية المجاصي ثم عزله... 251
إصلاحات بفاس.. 251
خروج إخوان السلطان عليه وإرسال العسكر لضرب أنصارهم آيت عطة.. 252
تفاقم الوباء.. 267
كارثة المحلة السلطانية... 267
هزم القائد الكوش.. 267
بناء على يد القائد الروسي ، ووفاته.............................. 268
قتل الوزير المنزاري ، والقبض على قائد فاس الجديد............... 268
إخلاء دار مرابط ؛ وسجن قاضي سلا 269
القبض على بعض ثوار فاس ، واختفاء الخطيب ثم تأمينه وتعيينه بفاس... 269
انحباس المطر وارتفاع الأسعار ، ثم نزول المطر وانخفاض الأسعار... 292

دفع فضة إلى التجار لسبكها 293

خروج الشيخ عبد القادر الفاسي للقاء السلطان................ 293

توسيع الزاوية الفاسية ، واحترام الثائر الليمانوا بها 294

الجهاد في طنجة ، وغلاء القمح 295

انهزام محلة السلطان بناحية تلمسان 295

الصلح بين السلطان وصاحب تلمسان 295

استشفاع الشرفاء والعلماء في مولاي محرز 295

الجهاد في طنجة 296

وقوع زلزلة عام 1091 296

أخذ المسلمين قلعة المعمورة.............................. 301

استفحال أمر ابن محرز في سوس 301

مطر وغلاء ووباء.. 302

تولية الفقيه أبي عنان الفتيا وتنازعه مع بردلة 302

امتحان قضاة المغرب 304

أخذ النصارى شرشال ثم تخليصها........................... 304

بناء ملاح مكناس 305

ظهور نجم مذنب 305

محاربة ابن محرز ثم مصالحته 309

رجوع السلطان من حرب ابن محرز وتأخر أهل فاس في التسليم
عليه 311

انهزام السلطان العثماني 311

انحباس المطر وارتفاع الأسعار.............................. 311

عزل بردلة عن الامامة والخطابة............................. 312

استرجاع طنجة من يد النصارى 322

سفينة بساحل سبتة 323

كسوف وخسوف وزلزال عام 1095 323

خروج الشرفاء والفقهاء والمرابطين للجهاد 323

الخروج مع ولد السلطان للجهاد 324

حصار تارودانت 333
وقوع زلزلة وظهور الوباء بالمغرب 333
قتلى في حصار تارودانت 334
فتح تارودانت 338
قدوم أولاد النقسيس على السلطان ، وقتلهم 339
نسخ أخبار الشجعان 339
ختم التفسير بحضرة السلطان 357
حصار العرائش 358
خروج الشيخ معن الى الحج 358
وفد من ترك الجزائر وآخر من الفرنسيين 358

*

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

رقم الايداع بالخزانة العامة 427 / 1982